

الموسوعة الشامية في تاريخ الحزب الفلسطيني

الروايات الأوربية الاغريقية واللاتينية

الحملة الثالثة

١ - تاريخ أرنول ونيدول تاريخ وليم الصوري
(دراسة)

٢ - نيل تاريخ وليم الصوري (النص)

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق ١٤١٤ / ١٩٩٣

الجزء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

رأينا بشكل واضح في المجلد المتقدم مكانة وليم رئيس اساقفة صور ومع كتابه الذي ارجع به لاحداث الحروب الصليبية حتى قبيل وفاته في سنة ١١٨٥ م. ومن المؤكد ان نجاح وليم كمؤرخ ، وتميزه عن تقدمه من اللاتين ، يرجع الى ثقافته العربية وتأثره بطرائق المؤرخين العرب ، وعليه فإن كتاب تاريخ وليم الصوري وإن كتب باللاتينية وبروح صليبية متعصبة ، هو من حيث الطرائق والجغرافيا نتاج شرقي.

وكان وليم قد توفي في وقت عصيب جدا بالنسبة لاستقبال المملكة اللاتينية بالقدس ولشؤون صراعاتها ضد المسلمين بقيادة صلاح الدين يوسف بن ايوب ، لقد توفي وليم ايام مقدمات معركة حطين ، وصحيح انه عاصر حطين من رجالات صلاح الدين المؤرخين العماد الاصفهاني والقاضي ابن شداد ، لكن مادونه لا يغطي كامل الصورة من جميع الجوانب ، ولحسن الحظ توفر لاتيني فرنجي آخر من بين فرنجة الشرق ، قام بالتبديل على تاريخ وليم الصوري ، وغطى اخبار معركة حطين وتحرير القدس ثم حوادث ملحمة عكا وما يعرف باسم الحملة الصليبية الثالثة.

وهذا النيل ، وإن اختلف حول تحديد هوية مصدفة ، على درجة عالية من الاهمية ، وكتب اصلا بالفرنسية القديمة ، التي عدت ناشئة وقتها ، وسلف ان نشر من قبل في القرن الماضي ، ثم قامت عالمة فرنسية في ايامنا هذه بتقديم اطروحة دكتوراه حوله بالانكليزية ، ثم اعانت نشره استنادا الى مخطوطات جديدة ومعطيات حديثة.

- ٣٥٢٤ -

ولم يكن من الصعب الحصول على نسخة من النص الفردي المحقق جديدا من قبلها ، لكن وجدت صعوبات كبيرة جدا في تحصيل نسخة عن الدراسة الانكليزية ، وبذل اكثر من صديق جهودا مشكورة في انكلترا لرؤية نسخة من الكتاب لتصويرها فلم يفلحوا ، واخيرا تمكن احد الاصدقاء اليابانيين من رؤية نسخة منه في احدى مكتبات المؤسسات العلمية في طوكيو فصورها ، وبعثها لي مشكورا .

لقد انطبق علي في هذه الحال فدوى الوصية النبوية بطلب العلم ولو من الصين ، ودراسة النص - كما لاحظت - كانت دراسة لغوية المقاصد ولم تكن تاريخية ، ومع هذا هي مفيدة جدا ، لهذا قررت نقلها الى العربية وجعلها تشكل الشطر الاول من مجلد يحويها مع نص النيل الاصلي .

والصعوبات التي واجهتها في نقل النص الانكليزي الى العربية لاتقارن ابدا بمتاعب النقل من الفرسية القديمة ، انما من اعتمد على الله كان الله عون له ومرشده فالحمد لله دوما وابدا .

سيجد القارئ العربي فائدة كبيرة في مواد نيل تاريخ وليم الصدوزي ، وستغدو صورة الاحداث متكاملة لديه خاصة لدى العودة الى بقية المصادر العربية ، ولاعني هنا ماكتبه كل من العماد الاصفهاني والقاضي ابن شداد فقط بل مارواه غيرهما ووصلنا في مصنفات متأخرة ، نشرتها ضمن موسوعتنا هذه .

من الله استمد العون دوما ومنه التوفيق وله الحمد والشكر ،
والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله واصحابه اجمعين .

دمشق ١١ - رجب الفرد ١٤١٥ هـ

١٣ / ١١ / ١٩٩٤ م

سهيل زكار

تذويه

رفعت الرسالة التي تقوم عليها هذه الدراسة الى كلية اللغات الحديثة ولغات القرون الوسطى تحت عنوان « نيول تاريخ وليم رئيس اساقفة صور حتى ١٢٣٢ » ويذهب شكري الاول للمشرف على بحثي البروفسور ت . ب . و . ريد . وهو بين سار بقدر أكثر أن أعترف به حيث أنه قد علم أبي أيضا قبلي ، وبينما كان غائبا لفترة قصيرة في كندا ناب عنه السيد ا . د . كراو ، وقد أعطاني مساعدة باللغة الكرم .

وأثار تكييف بحث كتب من قبل لغوي الى سلسلة تاريخية كل المشكلات المرتبطة بدراسات تمر عبر نظامين ، وأنا مدينة للأنسة باربارا هارفي لمساعدتها الصبورة في عملية التدقيق والبروفسور سزرن لعدد كبير من الاقتراحات والتعليقات المفيدة ، وكنت ممتنة أيضا لمختلف أنواع المعونة من البروفسور ر . ه . ل . ليفز والدكتور جاروسلاف فوندا والدكتور ر . س . سميل وأكثر الجميع لزوجي مورغان ر . و . مورغان الذي بدونه لم يكن هذا الكتاب ليكتب بالمرّة ، واليه أهديه .

م . ر . مورغان

الرواميز

بابكوك وكري

« تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار » سجلات الحضارة ٣٥
نيويورك ١٩٤٣

- ه. ف. تاريخ آداب فرنسا

م . ل . تاريخ ارنول وبرنارد الخازن - تحقيق لويس دي ماس
لا تري ، باريس ١٨٧١

ب . ل مؤلفات آباء الكنيسة اللاتينية - تحقيق . ب ميني
(٢٢١ مجلة ، باريس ١٨٤٤ - ١٨٦٤)

ر ه . س راشيل لتواريخ الحروب الصليبية طبع من قبل أعضاء
أكاديمية الآداب والمخطوطات باريس ١٨٤١ - ١٩٠٦ وإذا ما
استخدم هذا الرمز لوحده فإنه يشير الى سلسلة راشيل المستخدمة
بشكل عام في هذه الدراسة وحددت الاشارة الى مؤرخي الغرب حيث
قصد سلسلة أخرى براشيل لويس الاولى .

ريس المخطوطات الايطالية تحقيق ل . ا مـوراتوري ميلان
١٧٢٣ - ١٧٥١

رذسمان . س . س رذسمان تاريخ الحروب الصليبية كمبردج
١٩٥١

سميل ر . س سـسيل فن الحروب لدى الصليبيين
١٠٩٧ - ١١٩٣ - كمبردج ١٩٥٦

جدول المخطوطات

أعطيت حروف الاشارة الاولى في هذا الجدول للمخطوطات التي
اعتمدت في هذه الدراسة ، وتشير الاعمدة التالية الى رقم كل
مخطوط ، مع الحروف الاولى للمخطوطات إن وجدت في طبعات
ماس لا تري وراشيل ، ورقم المخطوط في موجز رانيت

- ٣٥٢٧ -

الاحصائي ، مع اشارة موجزة لأي نص تضمنه . وفقط هي المخطوطات التي ذكرت في هذه الدراسة ، قد وردت في الجدول .

واستخدم تعبير موجز خلال الدراسة ليعني كل من نصي ا وز معا ، واسوف ترد أوصاف مفصلة لكل المخطوطات المدرجة في هذا الجدول في الصفحات (١٢ - ١٤) المقبلة.

م.ل	ر-ه س-	رانيت	
ا- ب. ن. ف. فر ٢٦٣٤	—	١	٤٧ ذيل هرقل حتى ١٢٦١ ذيل روسلين من ١٢٤٨ فما بعد
ا- أرسنال ٤٧٩٧	١	٠	٢١ برنارد الخازن مع اسم المؤلف حتى ١٢٣١
ب- ب. ن. ف. فر ٢٦٢٨	٠	ب	٦٣ ذيل هرقل حتى ١٢٦٥ و، يشكل هذا النص (١) ما دعاه ماس لاثري كولبرت فونتنبلو
ب- برن ٣٤٠	ب	٠	٢٤ برنارد الخازن مع اسم المؤلف حتى ١٢٣١ سف ١
س. ج- ب. ن. ف. فر. ٩٠٨٦	ج	س	٣٤ هرقل حتى ١٢٣١
د- ليون ٨٢٨	٠	د	٧١ هرقل حتى ١٢٤٨ مع كون القسم ١١٤٨-١١٩٧ غريب على هذه المخطوطة
غ- ب. ن. ف. فر ٩٠٨٢	غ	ج	٦٧ هرقل حتى ١٢٧٥
ز- سانت أوامر ٧٢٢	٠	٠	١٣ أرنول مع اسم المؤلف حتى ١٢٢٧

مدخل

أن نيل تاريخ وليم الصوري باللغة الفرنسية القديمة والتواريخ المستقلة المتعلقة بها موجودة في توارخ مرضية حول الحروب الصليبية ، ومن الناحية الشكلية هي أمثلة على الكتابة النثرية الفرنسية القديمة ، وهكذا فإنها قد لفتت في الماضي انتباه كل من المؤرخين واللغويين بصورة جيدة ، ولكنها تبقى بسبب ذلك كله مشكله صعبه ، ومؤرخون من مثل غروسيه ورتشارد ورنسمان وبراور مكتفين فقط بتسمية الأكثر ظهورا ، وهكذا يستخدمون أرذول وهرقل كمصدر رئيس لجزء كبير من تاريخ المملكة اللاتينية لبيت المقدس ، في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، وهم مدركون بشكل جيد وهم يفعلون ذلك أنه لا يعرف بأي درجة من التأكيد ما الذي كتبه أرذول أو أي نوع من النصوص يشكل تاريخ هرقل حقا ، وفيما يتعلق بأرذول فإن اعتمادهم على التاريخ المعروف باسمه يقوم بقدر كبير على افتراض أن أرذول كان مرافقا مقربا لصاحب يينا (١) وهكذا لا بد أنه كانت لديه المعرفة الأولى بكل ما حدث ، وهذا - بصرف النظر عن الحيازة - يؤكد كونه شاهد عيان أمرا صحيحا ، وهكذا يبدو من المرغوب فيه أن نعرف ما الذي شهد أرذول بالضبط ، ومثل هذا ، إنه أمر بديهي أن نيل وليم الصوري التي تعرف اجمالا بتاريخ هرقل ، تسمى عادة بتاريخ أرذول وبرنارد الخازن ، وهي ترتبط نوعا ما ببعضها بعضا ، ولكن الطبيعة الدقيقة ومدى تلك العلاقة ، والأهمية التي يمكن أن تكون لها في ترسيخ كلا النصين ولتقويم جدارتهما النصية كمصادر تاريخية ، لم تحدد مطلقا بشكل واضح .

والأهمية الأدبية للنصوص أيضا برغم أنها معروفة بشكل غامض من قبل أغلب النقاد ومؤلفي التواريخ الأدبية وما يشابههم تختبئ تحت عدد من المشكلات النصية الخطيرة المانعة التي تعوق بشكل

جدي ، إن لم تحل تماما ، دون أي تقويم واضح للمقدرة الأدبية التي استخدمت في صياغة النصوص ، والعقبة الرئيسة أمام الناقد التاريخي والأدبي على السواء هي حقيقة أن هناك الكثير جدا من النصوص ، التي كلها بلا شك ذات كيانات مستقلة ، ولكنها بلا ريب ترتبط ببعضها بعضا بشكل متساوي بأنواع من الطرق الدقيقة - وهذه النصوص هي :

« تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار » لوليم رئيس أساقفة صور ، والترجمات الفرذسية القديمة للتاريخ وعدد من النديول الفرذسية القديمة ، ويعرف هؤلاء معا ويسميان أجمالا باسم «تاريخ» (أو كتاب اورمان) هرقل» وهو كتب باللاتينية (٢) وهناك أخيرا عملان لا تقل عناوينهما على أي صلة بالبقية ولكنهما في الواقع مرتبطان بالنديول المكتوبة باللغة الفرذسية القديمة وهما: تاريخ أرذول وبرنارد الخازن (٣) المتقدم ذكره والعمل غير المنشور المعروف بصورة عامة باسم «تاريخ ما وراء البحار وأصل صلاح الدين» (٤) وهكذا فإن المشكلة الرئيسية هي ترتيب هذه النصوص ومحاولة تحديد علاقتها ببعضها بعضا ، وكان المعروف من قبل من الدراسات المتقدمة أن النوع الأول من النديول ، ذلك الذي ينتهي في ١٢٣٢ ، قد أوجد المشكلات المعقدة والأكثر أهمية إلى حد بعيد ، وبدا في الواقع أن هذه لو أمكن حلها فإن المشكلات المتعلقة ببقية النص ستتوقف عن أن تكون مشكلات بالمرّة ، وهو افتراض أثبت صحته تماما بالنتيجة ، وهذه الدراسة بناء عليه محصورة في هذا الفرع الأول من النديول والأهداف الرئيسة وراءها الاثنان : توضيح بنيتها وأن يعاد منها ومن النصوص المرتبطة بناء الصورة الأصلية لتاريخ أرذول المفقود ، وبصرف النظر عن هذه المسائل الرئيسة ، إن هناك أيضا غاية عامة فضفاضة ، أو اثنتان تختلفان عن الدراسات السالفة ، وتتطلبان التعامل معهما ، إذا كان للمسائل الرئيسة أن تسوى بصورة مرضية ، ومعظم هذه النقاط صغيرة وتظهر بشكل طبيعي تماما في مراحل معينة من الحل على أي حال ، ولكن إحداها أكبر نوعا وستؤخذ بعين الاعتبار بصورة

مستقلة في الفصل الخامس ، وهويتا المؤلفين المفترضين اردول وبرنارد وتاريخيهما ستدرسان منفصلتين ، قبل أن تؤخذ جميع النصوص معا وتقارن في محاولة لكشف بيئة النيدول وعلاقتها ببعضها بعضا وبالتواريخ القصيرة . وسيبدأ عن هذا التحليل إعادة بناء عمل اردول الأصلي ، وهذا بدوره سيسمح بتحديد بنية ومصادر التاريخ القصير المنسوب الى برنارد بوضوح ، والفصل التاسع موقوف على تقويم مكان النصصوص بين أدب فترتها ، ويفحص العاشر الطرق التي تؤثر بها نتائج هذه الدراسة في نظرتنا الى قيمتها كبيئة تاريخية ، وتبقى مسألة ارتباط مخطوطة النيدول بالمؤرخين بالضرورة باللغة التعقيد جزئيا بسبب العدد الكبير من المخطوطات (٥) ، وعلى أي حال أن الأساس قد اتضح الى حد بعيد بفضل عملين هما: عمل ماس لاتري «مبحث التصنيف» (٦) وعمل كونت راينت (٧) «التحليل الاحصائي» الذي مع أنه يدعى بتواضع أنه ليس أكثر من تعديل لتصنيف ماس لاتري ، قد أصبح المرجع المعياري للبحوث التالية في هذا المجال ، وكان نهجه تقسيم النصوص الى فئات بحسب التاريخ الذي تم فيه انجاز نيدولها ، وهكذا فإن الفئة الأولى هي مخطوطات وليم الصوري بلانيول ، والفئة الثانية موزج وليم الصوري وتتمته حتى ١٢٢٨ أو ١٢٣١ مع ثلاثة أقسام فرعية ، مع ما يسمى «تاريخ اردول لما وراء البحار وبرنارد الخازن» والفئة الثالثة وليم الصوري مترجم ومكمل حتى ١٢٦١ ، والفئة الخامسة حتى النيدول ١٢٧٥ ، وهناك ضعفان واضعان في الطريقة :

الاول والاقل خطورة هو أن كل فئة في الواقع تحوي نصوصا متباينة جدا (حتى أن الفئة الخامسة تحوي ليون ٨٢٨ التي تنتهي في ١٢٤٨ وليس في ١٢٧٥ بالمرّة) ثانيا والاكثر خطورة أن الفئات تمضي الى ما وراء أسر المخطوط ، حتى أن المخطوطات التي تتشابه في الواقع في الكثير من أطوالها يمكن أن يفصلها راينت في تصنيفه ببساطة لأن في واحد منها قسما إضافيا ملحقا بنهايته ، ومع ذلك فإن هذا التصنيف يبقى قيما كوسيلة لاختزال حالة معقدة بصورة

متعذرة التجزئة تقريبا الى أحجام أكثر قابلية للتعامل معها ، وتمكننا في التمييز - مع أن ذلك قد يكون أحيانا بشكل محدود - بين نص وآخر ، فعمليات جرد رانيت اذا تزودنا بنقطة استدلال في المتاهات النصية ، والمخطوطات القربية كانت ايضا موصوفة بصورة وافية في القسم الاعظم منها ، وفي بعض الحالات أكثر من مرة ، ويبدو من التكرار الممل أن تكرر كل هذه الاوصاف بطولها ، وقد اقتصرنا بناء عليه على أن أصف في الملحق الاول مخطوطتين فقط : مخطوط القديس أومر ٧٢٢ الذي لم يوصف بالمرة من قبل وانما ذكر فقط من قبل رانيت (رقم ١٣ في قائمته) ومخطوط ليون ٨٢٨ من قبل ٧٣٢ و ٨١٥ (رانيت رقم ٧١) الذي وصف بشكل غير واف في مصنف راشيل ومحتويات كلا من هذين المخطوطين أساسية في مناقشتي .

وقد بدا من غير المرغوب فيه ابتكار مجموعة رموز جديدة من الحروف الاولى طالما أن هناك من قبل الحروف الاولى التي استعملها ماس لاتري ، وتلك التي استعملت من قبل محققي راشيل التي قد تتوافق جزئيا وتختلف ، وقد اعتاد المؤرخون الذين يستعملون تلك النصوص الاشارة اليها بعبارة « النص : د » وهم جرا ، ذلك أن تغيير هذه الحروف الرامزة سيؤدي بالتأكيد الى التشوش ، وبدا أن الجواب هو تكييف النظام الموجود دون إضافة الى العدد الوفير من الأسماء والأعداد التي كانت تحيط من قبل بالنصوص ، وهكذا فمن أجل المخطوطات التي تذكر كثيرا جدا في مناقشتي قد استعملت حروف ماس لاتري ومحققي راشيل مميزة بينها حيث أنهم أحيانا يستعملون الحرف نفسه للاشارة الى مخطوطات مختلفة (مثل أوب اللذان يستعملان بصورة مختلفة في الطبعتين بوضع حروف ماس لاتري في صورة حروف كبير (جسم) وحروف راشيل في صورة حرف صغير وهكذا فان أشير الى المخطوط المختار من قبل ماس لاتري « ارسنال ٤٧٩٧ » (من قبل ١٦٧٧) في حين أن (أ) تشير الى ب. ن . ف . فر ٢٦٣٤ مخطوط (أ) من طبعة الاكاديمية ، وفي

حالتين وصف المخطوط من قبل كلا المحققين وفيهما جمعت بين الرموز هكذا غ . ج . س . ج وحيث أن كلا المحققين وصف وأعطى حروفا رامزة للمخطوطات التي استعملها قليلا جدا في تحقيقه ، وكذلك لتلك التي لقيت أغلب اهتمامه ، فإن كل المخطوطات الرئيسة قد غطيت بهذه الطريقة باستثناء « القسيس أوامر ٧٢٢ » التي أعطيتها حرف (ز) الذي لم يستعمل حتى الآن للرمز لأي مخطوط .

وبالنسبة للمخطوطات الافرازية نواجه الآن أكثر الاسئلة صعوبة حول كيفية الاشارة الى النصوص ذاتها بطريقة ما يجب أن تكون موجزة وواضحة ، طالما أن التعابير المستعملة يجب أن تتكرر في الحقيقة كثيرا جدا في أقسام معينة ، مع ذلك يجب أن لانحكم سلفا على المسائل التي بين أيدينا ، على سبيل المثال إنه من غير المرغوب فيه بوضوح الاشارة الى أي شيء على أنه « تاريخ أرذول » في حين لم يترسخ بعد ماذا كان تاريخ أرذول بالضبط ، وإن كل نص يوجد في مخطوطتين على الأقل وعادة أكثر سوى ليون ٨٢٨ هو وحيد ، وبين مخطوطات أي نص يوجد نوع من الاختلافات هي التي تهم ، وتهم المرء الذي يحاول تحقيق أي واحد من النصوص ، ولكن المشكلة موضوع المناقشة في هذه الدراسة تعني مستوى آخر من الاختلاف تماما ، والاختلاف ليس بين المخطوطات العديدة لنص واحد بل بين نص وآخر ، ولهذا الغاية اخترت لكل نص مخطوطا واحدا يمكن أن يؤخذ بشكل موافق على أنه يمثل ذلك النص ، حتى أنه على سبيل المثال عندما تحتوي على النص نفسه مثل س . ج ، وهكذا فإن الاختلافات في القراءة بين مختلف المخطوطات لأي نص تترك جانبا على أنها عديمة الاهمية لغرض هذه الدراسة ، وهو فحص العلاقة بين محتويات كل نص وبين محتويات النصوص الأخرى ، وفي النهاية علاقة كل نص بالتاريخ الأصلي لأرذول .

واختيار هذه النصوص الممثلة كان في بعض الحالات يستوحي

من عمل المحققين المتقدمين ، وفي حالات أخرى أتى من تصنيفاتهم ، وهكذا فإن اختيار الخطوط غ ج ، س ج وب و أ من قبل محققى الاكاديمية وماس لاتري على انها افضل الخطوط للنصوص الخاصة بكل منهم يبدو عند الاختبار بأن له ما يسوغه ، وقد احتفظت بها كمثلة لنصوصهم ، ومن أجل ما يدعى تاريخ أرنول ، من جانب آخر ، اخترت مخطوط القديس أومر ٧٢٢ الذي لم يكن ماس لاتري يعرفه والذي يبدو افضل من مخطوطة الاساس بروكسل ١١٤٢ لاسباب مشروحة مطولا في مكان آخر (٨) ، ومثل هذا ان مخطوط ليون « د » برغم انه معروف لدى محققى الاكاديمية ومطبوع من قبلهم بصورة متنوعة ، فانه لم يمنح الشهرة التي يستحقها ونصه فريد ، وسوف يعامل هنا كاسرة مستقلة ذات عضو واحد ستصبح اهميته الكبيرة بشكل متدرج ، ولا يدخله تاريخ ما وراء البحار » (راينت فئة ٢ ب) بشكل عام في الاكثر تعقيدا من الجدول النصي لانه بين كل النصوص هو المخطوط الاقل إحكاما في الارتباط بغيره ، وعلاوة على هذا يتعذر وصف كل من ب . ن . ف . فر ٧٧٠ أو ١٢٢٠ على أنه ممثّل لهذا النص (٩) وهكذا فحيثما يذكر فإنى أشير اليه ببساطة ب « تاريخ » .

والمخطوطات موضوع البحث هي .

أ- مكتبة أرسنال في باريس رقم ٤٧٩٧ (رقم سالف ١٦٧٧) (١٠) من القرن الثالث عشر لبروفانسي غير معروف .

تاريخ برنارد الخازن الذي يسمى في شهبارة دار الذسخ ف ١٢٨ - ١ ، ويصفه ماسي لاتري في صفحة ٣٦ ، ويستعمله كمخطوط أساسي له للقسام ١٢٢٩ - ١٢٣٢ من النص ، أنظر أيضا أنناه ص ٨ - ٩ .

- ٣٥٣٦ -

أ - المكتبة الوطنية في باريس - مجموع فرنسيس ٢٦٣٤ من
أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الرابع عشر ، يحتفل أنه
من شرقي بروفانس (قبرص احتمالا تاريخ هرقل - مكمل
حتى ١١٦١ مع كون القسم ١٢٣٤ - ١٢٦١ نيل روسلين .

واستعمل مع ب أثناء كمخطوط أساسي للفرع الأول من النيول
من طبعة راشيل ولأجل وصفهم له أنظر راشيل ٢٠ من
١٤ - ١٥ وأنظر أيضا أثناء ص ١٢ - ١٤ .

ب - المكتبة الوطنية باريس مجموع فرنسيس ٢٦٢٨ القرن
الثالث عشر بروفانس ، ويحتفل أنه شرقي ، تاريخ هرقل مع نيول
حتى ١٢٦٤ أنظر (١) أعلاه راشيل ٢٠ . ب ١٤ وأنظر أثناء
ص ١٢ - ١٣ .

س ج - المكتبة الوطنية باريس - مجموع فرنسيس
٩٠٨٦ (١١) من أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل الرابع
عشر ، ربما من شرقي بروفانس ، تاريخ هرقل استكمل
حتى ١٢٣١ وصفه ماس لاقرى ص ٤١ ولكنه استعمله تحليلًا وقد
استعمل لأغراض مختلفة من قبل مدققي راشيل الذين وصفوه في
راشيل ٢٠ ص ١٥ أنظر ص ١٦ - ١٨ وأيضا ١٩ - ٢٠ .

د - مكتبة بلدية ليون (من قبل ٨١٥ و ٧٣٢) أواخر القرن
الثالث عشر ربما كتب في عكا والمنمنمات هي بالتأكيد من عمل ورشة
من عكا ، تاريخ هرقل استكمل حتى ١٢٤٨ وهناك أجزاء طويلة
من النص فريدة ، وقد وصفت بشكل غير واف في راشيل
٢٠ ص ١٥ - ١٦ ، ومن أجل وصف كامل أنظر أثناء
١٩٢ - ١٩٣ .

وهي مطبوعة بأشكال مختلفة في راشيل وكثيرا ما تكون غير
مستوفاة . أنظر هوغو بو ختال نقوش المنمنمات في المملكة اللاتينية

لبيت المقدس أ (اكسفورد ١٩٥٧) ص ٨٧ وماتلاها انظر أيضا أدناه ص ١٣ .

غ ج - المكتبة الوطنية في باريس مجموع فرنسيس ٩٠٨٢ كتب في روما ١٢٩٥ ، تاريخ هرقل استكمل حتى ١٢٧٥ طبع في « إ . مارتيني وأودوراند - مخطوطات مختلفة ومذكرات تاريخية وعقائدية ومعنوية - مصدقة ومجموعة » . (بارييس ١٧٢٤ - ١٧٣٣) راشيل ٢٠ ص ١٩ - ٢١ . انظر ما يلي ص (١٧ - ٢٧) .

ز - سانت أومر مكتبة البلدية ٧٢٢ - القرن الثالث عشر من دير القديس برتين ، تاريخ أرنول المذكور في ورقة ٣٢ ظ وصف أدناه في الملحق الأول ص ١٩٠ - ١٩٢ انظر أيضا ٨ - ٩ .

وبالنسبة للعناوين من مثل « تاريخ أرنول » وما أشبه ذلك التي كثيرا ما تستعمل من قبل المحققين في الإشارة إلى النصوص ، فقد استعملت فقط تلك التي لها مرجع لأمجال للخطأ فيه ، مثل نيل كوبرت فونتبلوا ، وليس تلك التي تستعمل بصورة مختلفة ، أو التي لايسوغ استعمالها بما هو معروف عن النص الذي تطبق عليه عادة ، وكان من الضروري إجراء استثناء واحد ، لتغيير الذي استعمله ماس لاتري لوصف النص الذي نشر من قبله وهو ماسمي « تاريخ أرنول وبرنارد الخازن » واتباعا لإجرائه أشرت في كل مكان إلى النص بكل الصور التي وجد فيها بالاصطلاح الشامل « الموجز » من جانب ، وعن التاريخ القصير الآخر « تاريخ ماوراء البحار » من جانب آخر . وهذا الاصطلاح هو تعبير لالون له بشكل معقول ، وكان ضروريا بصورة مطلقة أن يكون هناك اسم ما يمكن به الإشارة إلى النصين (أ) و(ز) المأخوذين معا دوما دون تكرار كلا الرقمين ، ومع تدرج الجدول فإن هذه المشكلة حول كيفية الإشارة إلى النصوص تتناقص حيث أن

- ٣٥٣٨ -

طبائعها الحقيقية تصبح ظاهرة ، ويمكن إعطاؤها أسماء موائمة
بشكل صحيح وليست مجرد أسماء اعتباطية •

الفصل الأول

النصوص الباقية حتى الآن

مما لا شك فيه أن كتاب « تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار » لوليم الصوري (١) هو بصورة محقة أحد الأعمال الأكثر شهرة لكتابة التاريخ ، في القرون الوسطى ، وبه تلك الصفات من الدقة والتوثيق والموضوعية في الحكم وأناقاة الأسلوب التي تعتبر الآن أساسية في كتابة التاريخ ، ولكنها كانت في زمانها غير شائعة بالمرءة ، وفيه أيضا الحيوية نفسها التي كانت شائعة في كل التواريخ عدا الأسوأ منها في العصور الوسطى ، وهو الأكثر أهمية بينها بنجاحة المباشر ، لأنه كان موضوعيا ، وكانت هذه الصفة الأخيرة هي التي جعلته موثقا ، بشكل بارز للترجمة الى اللغة الدارجة ، وجعلت من هذه اللغة بدورها أساسا لمؤلفات متنوعة كانت الأكثر رواجاً في أيامها ، وبقيت شعبية زمانا طويلا بعد ذلك ، وينتهي « التاريخ » بشكل مفاجيء نوعا ما عام ١١٨٤ مع تعيين ريموند صاحب طرابلس وصيا على العرش من قبل بلدوين الرابع وهو على فراش الموت ، ولكن النص الدارج استكمل على مراحل عديدة حتى وصل أخيرا الى عام ١٢٧٧ .

والتاريخ ذاته عمل موحّد ودقيق ، ونعرف قدرا كبيرا حول ظروف تأليفه مما - يخبرنا به المؤلف نفسه وباستثناء فصل واحد اكتشف حديثا ، وكان مفقودا حتى الآن (٢) ليس هناك غموض حول ، والعكس هو الصحيح تماما حول الجزء الأساسي من الكتابات الفرنسية المرتبطة به ، وقد أضيفت النصوص الفرنسية الى ترجمة التاريخ بشكل تراكمي على فترات طوال القرن الثالث عشر ، والأعمال التي تشكلت هكذا تعرف إجمالا باسم تاريخ

هرقل (أو الكتاب ، أو رومان) ونقرأ في الكلمات الافتتاحية للترجمة : التاريخ القديم للبطل الشهير هرقل حاكم الامبراطورية الرومانية « (٣) .

ومكونات النيول ، وهي أحد موضوعات هذه الدراسة يمكن أن يكون الأفضل وصفها بأنها مشكالية : لأن عددا معينا من العناصر تشكل بشكل مستمر نماذج متبدلة ، وما هو الآن من التفاصيل يصبح في تشكيل آخر سمة رئيسية ، وما هو مركزي ومثار إعجاب في أحدها لا يظهر بالمرّة في أي صورة أخرى ، وأحيانا يظهر عنصر جديد تماما دون إنذار أو تفسير ، وعند مقارنة النصوص الرئيسية للنيول واحدا بالآخر ، يتضح على الفور أن الاصطلاحات مثل « مماثل » و « مخالف » ذات فائدة محدودة في وصف علاقاتها الواحد بالآخر . حيث أن هناك درجات عدة من التماثل والاختلاف . ومن الضروري التعامل بصورة مستقلة مع كل مستوى من التماثل (مثل مرضي ، صياغة الخ) وبصورة مستقلة أيضا مع كل قسم من النصوص ، طالما أن علاقة خاصة بين اثنين منهما في أحد الأقسام ليست بالضرورة دليلا ، وليست مطلقا ضمنا لعلاقة مماثلة في أي قسم آخر ، وكل هذه النصوص باستثناء وحيد وهو التاريخ نفسه عبارة عن تصنيف وتجميع ويجب أن تعامل هكذا .

وبين الجدول التالي تنوع التجميع الذي تشكّله النصوص ، حيث يمثل كل نص بالمخطوط الذي انتخب في وقت سالف (٤) والمخطوطان « أ » و « ب » هما مايسميهما ماس لاتري نيل كولبرت فسونتبلو ، و « د » هو مخطوط ليون الوحيد و س . ج و غ . ج هما نصان « لهرقل » ينتهيان في ١٢٣١ و ١٢٧٥ على التوالي و « فزا » هو النص المسمى بتاريخ برنارد الخازن ، و « ز » هو الذي يدعى « تاريخ أرنول » وذكر اسمه ، مع اصطلاح « تاريخ » ليشير الى « تاريخ ماوراء البحار » والتواريخ كلها تشير الى محتويات

- ٣٥٤١ -

النصوص ، وليس الى تواريخ تأليفها ، فمثلا « أ » يقوم على أنه انتهى في ١٢٣١ ، لأن هذا هو تاريخ الحدث الاخير المذكور في النص على الرغم من أننا نعرف غ . ج — وُرخ ب ١٢٧٥ وليس ١٢٩٥ وكل قسم قد علم بتاريخ ينتهي فيه نص أو في حالة ١١٨٥ و ١٢١٨ ، وهو تاريخ بدأت فيه نصوص متماثلة في عدم الاتفاق أو نصوص مختلفة في الاتفاق :

١.٩٥ - ١١٨٥ تتفق نصوص أ ، ب ، س ج ، غ ج

وتتفق نصوص (أ) و (ز) د ، تاريخ

١١٨٨ - ١١٨٧ تتفق أ و ب وتتفق س ج و غ ج ، أ ، ز

د تاريخ

١١٩٧ - ١٢١٨ يتفق كل من أ ، ب ، س ج

د ، ج ، (أ) و (ز) جميعا

١٢١٨ - ١٢٢٧ تتفق (أ) و (ب) وتتفق س ج

د ، غ ج ، أ

١٢٢٧ - ١٢٢٩ - ١٢٣١ تتفق أ ، ب وتتفق س ج

د ، غ ج ، أ

١٢٢٩ / ١٢٣١ - ١٢٤٨ تتفق أ ، ب ، د ، غ ج

١٢٤٨ - ١٢٦١ تتفق أ ، ب ، د ، غ ج

١٢٦١ - ١٢٦٤ تتفق (ب) و (غ ج)

١٢٦٤ - ١٢٧٥ غ ج

ويتضح من هذا أن الفترة الاولى من النصوص اعني حتى ١٢٣١ هي الى حد بعيد الأكثر اشتباكا ، أو حسب كلمة ماس لاتري الأكثر تشويشا ، وبعد ذلك يصبح النص واضحا بشكل جيد ، ومن الممكن التدويه ، وقبل ذلك لم يكن واضحا بالمرة عند النظرة الاولى كيف تم صدور التجمعات المتبدلة ، وأفضل مكان البدء بمقارنة النصوص الواحد بالآخر من أجل تصنيفها حسب محتواها هو القسم الذي لا يوجد فيه العدد الأكبر من المجموعات

- ٣٥٤٢ -

أعني ١١٨٥ - ١١٩٧ ، وهنا كما يحدث في مكان آخر أيضا فإن النصين الأكثر قربا كل منهما للآخر هما « أ و ز » .

أرنول : والنص الممثل في هذا الجدول في المخطوط « ز » يعرف بتاريخ أرنول وذلك من ذكره لاسمه في النص ، ويبدأ : « وسأحدثكم الآن عن أرض القدس ، وعن الصليب المقدس الذي انتزعه المسلمون من المسيحيين » (٥) .

وهو عمل متقلب بيني ثم لابيني واقعي ثم اسطوري جاد ثم عابث بالتناوب ، والقسم المركزي هو ذلك الذي يغطي هدف المؤلف كما ذكر في العبارة الافتتاحية المثبتة أعلاه ، ولكن حول هذا القلب تتجمع الأشياء ذات العلاقة ، وغير ذات العلاقة في سلاسل من الاستطراد تبدأ على الفور بعد تلك الجملة الأولى وتمتد إلى فصول عدة ، وهذه تتضمن فقرات توراتية وشبه توراتية ، وأساطير تتعلق بالافاعي التي توجد في فلسطين ، وأوصاف لأجزاء من الجليل كلها مختلطة في تاريخ « موجز للمملكة اللاتينية » من بدايتها حتى الفترة التي تشكل موضوع المؤلف الحقيقي ، أعني منتصف ١١٨٠ ومايليها ، فمن هنا ومابعد يخبو التقسيم ويصبح الكتاب بالغ الجدية ، ورواية تامة جدا عن تلك السنوات العصيبة ، وخلال رواية قصة معركة الناصرة ، يرد ذكر اسم أرنول الذي ينفرد به هذا النص الذي اشتق منه الاسم المعطى له من ماس لاتري ، والذي يستعمل الآن عالميا .

'Dont fist descendre .i. siën vallet qui avoit non
Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit.(٦)

وقبل حصار بيت المقدس في ١١٨٧ هناك وصف تفصيلي للمدينة ويبدو أنه قد استعير من نص أقدم ويبدأ :

'Ainçois que je vous die coment
Salehadins assegei Iherusalem et coment il le prist vous dirai
je l'estat coment Jherusalem siet.(٧)

وهكذا برغم أن الجملة الافتتاحية في « ز » يبدو أنها تشير إلى

- ٣٥٤٣ -

بداية في الحقيقة . *in medias res,* فإن هذا في الواقع بعيد عن

ومثل هذا فإن المؤلف لا يتوقف عندما يكون قد أتم المهمة التي ندب نفسه لها ، بل يتابع تاريخه لبعض الوقت مغطيا الحملتين الصليبيتين الثالثة والرابعة وحملة دمياط وحملة فريدريك الثاني الصليبية ، وحربه الخاصة ضد جان دي برين .

ويتوقف التاريخ أخيرا في منتصف هذه الحرب (١٢٢٩ م)

'Quant li empereres fu arivés si i enveia par toute se terre por saisir les maisons dou temple et quanques il avoit d'avoir et fist chacier tous les freres fors de se terre. Après s'amassa grant gens et grant ost et ala encontre le roi Jehan. Et manda son fil en Alemaigne. (٨)

وفي المخطوطات الأخرى لهذا النص (مثل بروكسل ١١١٤) تأتي فقرة تبدأ بـ « سنة التجسيد » ثم تعدد بعض الأحداث في تاريخ المملكة اللاتينية .

بكرنارد الخازن

يختلف النص الوارد في المخطوط « ز » الموصوف أنفسا عن النص « أ » قليلا جدا والفقرة « سنة التجسيد » تنتقل هنا الى البداية ، وذكر أرنول يحذف ببساطة ، وهناك اضافات صغيرة وتبديلات مثل تفسير عابر لما يعنيه اصطلاح « لاتينيون » عندما يستعمل لوصف سكان ما وراء البحار (٩)

ومن ناحية أخرى إن « أ » هو من نتاج « ز » حتى نهايته التي

- ٣٥٤٤ -

بعدها يتابع « أ » دون توقف (كون المادة الجديدة على ما يبدو أصلية) حتى أيلول ١٢٣١ وينتهي .

‘Li

empereres et li chevaliers de la terre firent volentiers quanque
li rois Jehan lor devisa si com il avoient en couvent et li rois
atant s’en tint.(١٠)

في المخطوط « أ » وواحد آخر من الأسرة (مخطوط ماس لاتري ب بيرن ٣٤٠) فيما يلي إشارة الناشر

‘Ceste conte de la terre d’outre mer fist faire li tresoriers
Bernars de Saint Pierre de Corbie. En la carnation millesimo
cc.xxij.’

ومن هذه الإشارة يعرف النص عموما بأنه تاريخ برنارد الخازن ، ولكن حقيقة أنه تقريبا جدا مشابه لما يسمى بتاريخ أرذول كانت مصدرا لغير قليل من التشويش ، وتعني أنه حيثما يذكر ناقد أيا من هذين النصين من الجوهرى جدا التأكيد مما يشير إليه بالضبط .

وقد نشر ماس لاتري في ١٨٧١ ، بعد أن قارن بدقة هاتين الأسرتين طبعة قامت على مخطوط من الأسرة نفسها مثل « ز » (بروكسل ١١١٤٢) ولكنه اضاف بحروف مائلة الى البداية والنهاية فقرة (سنة التجسيد) ثم قسم ١٢٢٧ - ١٢٣١ - على التوالي من المخطوط « أ » وأعطى لهذه الطبعة العنوان المركب « تاريخ أرذول وبرنارد الخازن » (١١) وكان هذا الاختيار قابلا للتسويغ ، ولكنه غير موفق ، لأنه جعل عقول القراء تتحيز ضد مسألة تأليف هذين التاريخين وقادهم الى الاعتقاد بصورة معقولة نوعا ما بأن الشخصين المسميين في العنوان هما مؤلفا العمل المعنون المسمى هكذا .

وماس لا ترى نفسه كما يتضح من كل نقده للنصوص ، وبرغم أنه مهيا للإشارة اليها بهذه الاسماء لأجل القناعة ، اعتبر مسألة التأليف مسألة مفتوحة جدا في الحقيقة .

تاريخ ما وراء البحار : يبدو موثما كثيرا جدا لنصوص « ز » و « أ » التعامل بعد ذلك مع النص الثالث والأخير من النصوص الذي لا يضم ترجمة وليم الصوري ، وهو تاريخ ما وراء البحار . ومن المهم في الفترة التي نشير إليها ١١٨٥ - ١١٩٧ أنها تقوم وحدها ويجب أن يضاف أنه حتى إذا بدا أنها تتفق مع نصوص أخرى ، فإن التوافق يكون دائما من النوع التقريبي جدا ، ويسمح بمزيد من الانحراف أكثر من أي توافق آخر بين نصين في كل الجدول وبدقة مطلقة يجب أن يبقى منفردا ، ولكن هذا لن يدل على التشابه الذي ينطوي عليه والذي كثيرا ما يكون محكما تماما في أجزاء متفرقة في نصه ، مع بعض ما في نصوص أخرى ، وبدا هاما اظهر هذا التشابه من الجدول المبين في ص (١٠ - ١١) حتى مع أنه يجب أن يكون مبينا في وصف النصوص ، والواقع هو أن ال « تاريخ » نص مختلط جدا بالفعل ، وقد عالج مؤلفه مادته بيد أكثر حرية من أي مؤلف آخر لهذه النصوص ، وهكذا خرج المزيج الأكثر بعثرة وتشويشا بصورة لا يمكن تخيلها ، فهو يضع الروايات التاريخية الراسخة إلى جانب الأساطير الفاضحة متقللا من الجانب الواحد إلى الآخر جيئة وذهابا حتى مع كثير من الخفة والتخفيف الأقل مما كان يفعله معاصروه ، ومع ذلك منصبه ذو أهمية لأنه يتضح من تلك الأقسام التي لها نظراء في أماكن أخرى أنها قد استخدمت بصورة مستقلة من مصادر قديمة ، وأنها لا تحتفظ فقط بتفاصيل كثيرة لا توجد في مكان آخر بل أيضا بمقاطع كاملة تتعلق بصلاح الدين وملك الكرك أرناط وراؤول دي بمبراك ، والأكثر أهمية من كل شيء هو القسم الأخير من التاريخ الذي يغطي السنوات ١١٩٧ - ١٢٣٠ وهو مكثف بشدة بالمقارنة مع « أ » و « ز » ويفتح ال « تاريخ » شأنه شأن التواريخ الموجزة الأخرى « أ » و « ز » كما يلي : « وسأحدثكم الآن عن أرض القدس وعن خسارتها » (١٢) .

وهو يشبهها دون اختلافات كبيرة حتى وصول رينود دي شاتيلون إلى فلسطين حيث الموضوع دون احتفال

'Mais or se
taist ici endroit une piece li contes de lui et dira dont li bons
rois Salehadins ki tant fu preudom et renomés de bien vint
et de quel gent il fu estrait. Au tans passéot un conte en
Pontiu ki mout ama chevalerie et le siecle. (١٣)

وجاء اثر ذلك قصة الكونتيسة دي بونديو وقصة كيف ان صلاح الدين قد تحدر من خلالها من بيت فرنسي نبيل ، والشريحة الرئيسية الاخرى التي توجد فقط في الـ « تاريخ » وهي ليست تاريخا ، وتتعلق ايضا بصلاح الدين ، وقد أدخلت بعد معركة مونتغسارت (١٤) وهو نص مذكور عن نظام الفروسية معروف جيدا في الشعر ولكنه على ما يبدو غير موجود في مكان آخر نثرا (١٥) والبطل همفري دي تورون في النصوص الاخرى هو هنا هوغ دي تباري ويجب ان يفترض ان الكاتب قد وجد الحروف الاستهلالية ه . د . ت . في الشعر ووسعها لتوائم ذاتها ، وفي الواقع إنه من الممكن جدا أنه كان لديه بعض الاهتمام بأن يجعل من بطل القصة عضوا في عائلة التبريادي لان العائلة اشتقت من أمراء القديس أومر الفركمبرغز ، ومخطوطا الـ « تاريخ » (ب ، ن ، ف ، فر ٧٧٠ و ١٢٢٠) يعرفان من قبل مؤرخي الفن بأنهما قد صورا ، ويحتمل أيضا أنهما نسخا في ورشة في الشمال الشرقي من فرنسا (١٦) ، ويخدم هذان الاستيفاء ان الافتضان هدفا واحدا ، وهما نمودجيا بين كثير من الحكايات الاسطورية أو نصف الاسطورية التي كان المؤرخون الذين يكتبون للقراء الأوروبيين مضطرين للجوء اليها من أجل الخروج من الصعوبات الاخلاقية الكبيرة التي واجهتهم بها شخصية صلاح الدين ، فهو قد كان غير مسيحي ، ولكنه كان أخلاقيا جيدا ، ولم يكن فارسا ومع ذلك كان شهما ، وكان من الممكن أن يوجد حل واحد فقط للمظاهر المتناقضة برغم كل دليل على العكس ، لا بد أن صلاح الدين كان في الواقع مسيحيا ، وفارسا أيضا ، وعليه فإن عددا من القصص قد صدر ليظهر ان هذا الامر كان كذلك ، وهاتان تصوران على التوالي كيف كان صلاح الدين عند الأوروبيين ، بل فوق هذا أيضا من اصل فرنسي ، وكيف انتزع من الاسير فرانك اسرار الفروسية وهذه امثلة ممتازة على النوع (١٧) .

وبالاختصار إن نص الـ « تاريخ » يختلف عن « أ » و « ز » بطريقتين رئيسيتين ، فهو يحتوي على القصتين الموجزتين أعلاه اللتان من الأسهل تمييزهما ، ولا تتطلبان أي تفسير لوجودهما ، إن انهما إقحام بسيط محرف يحتوي أيضا على كمية من الروايات التاريخية بادية الجدية التي لا توجد في مكان آخر ، وهي كالأسطورتين تتمركز حول صلاح الدين وينتهي النص في ١٢٣٠ :

'En celui point s'assemblerent
.x. mille Sarasin et vinrent en Jherusalem et le quidierent
prendre. Et cil de la vile les requellirent bien et les ochisent
tous et prisent et misent fors y larra cinc [sic. B.N.f.fr. 12203:
ocisent tous fors .ij.] ke li emperes y avoit laissiés pour garder le
sepucre (١٨)

قبل ترك الـ « تاريخ » من الضروري ذكر كتاب مطبوع سبب بعض الجدل في الماضي ، وما زال حوله بعض الغموض (١٩) ، ومن الواضح انه نص من الـ « تاريخ » ويحمل العنوان نفسه ولكنه كما نشر من قبل ستري دي لاغويت بالفردسية الحديثة يختلف عن النص في المخطوطين الباقيين من ناحية واحدة يمكن أن تكون هامة جدا ، عندما تعني تثبيت الصور الأصلية للنص ؛ فقد سبق أن لاحظنا أنه في النص الباقي الشريحة التي تغطي السندوات ١١٩٧ - ١٢٣٠ مكثفة جدا بالمقارنة مع الشريحة المقابلة في « ز » و « أ » ، هذا ونص ستري دي لاغويت ما يزال أكثر كثيفا ، وفي الحقيقة لن يكون من المبالغة القول إنه ليس هناك في الواقع شيء يمكن للمرء أن يسميه رواية تاريخية بعد وفاة هنري شامبين في ١١٩٧ ، وهناك تفسيران محتملان الأول أن ستري دي لاغويت كان أقل إخلاصا لمخطوطه مما يدعي ، وأنه ببساطة قد كثف هذه الشريحة بنفسه ، والجدل المؤيد لذلك هو أن المخطوط « ب ، ن ، ف ، فر ٧٧٠ » إذا كان هذا هو الذي استعمله ، به الآن ، وربما كانت تذقسه بالتأكد في حينه أوراق عديدة مفقودة قبل الورقة الأخيرة مباشرة ، وأسرع طريقة للتعامل مع هذا النقص لا بد أنها كانت ببساطة معالجة النص من الورقتين الأخيرتين الموجودتين

معا ، حيث يخفي التكثيف بفعالية ، الثغرة التي في الرواية ، ومقابل هذا على أي حال يجب أن نوازن الحقيقة التي لا نزاع فيها وهي أنه في الحقيقة في مكان آخر كثير التدقيق في تتبع مصدره ، وأيضا أنه في كل موضع من النص توحى التفاصيل الهامة برغم صغرها بوجود اختلاف بين مخطوطه والمخطوطات الباقية ، وحتى يحين الوقت الذي يمكن أن يخرج فيه مخطوط جديد مثل الـ « تاريخ » الى الدور فإن الافتراض السليم الوحيد أنه كان هناك آخر في الوجود ، مع شرط أن نص ستري دي لاغويت لا بد أن يكون قد عولج بحذر ، ولم يؤخذ به كاثبات أكيد على أن مخطوطا آخر كان موجودا (٢٠) .

تاريخ هرقل المخطوطان س ج و غ ج

بصرف النظر عن المخطوطات الثلاث « ز » و « أ » و « ج » تاريخ ، فإن كل المخطوطات الأخرى المذكورة في الجدول الوارد في الصفحة ٤ تبدأ بترجمة فرنسية لتاريخ وليم ، يربطون بها نيولا ذات اتساع أكبر أو أقل ، وعندما تبدأ بمقارنتها مع بعضها نرى على الفور معوقات نهج راينت في التصنيف (٢١) ، فقد قسم النصوص الى فئات على معايير التاريخ الذي تنتهي به ، وكان لهذا تأثير فصل النصوص التي هي في الواقع متماثلة تقريبا في القسم الأكبر من محتواها ، وعلى سبيل المثال يمكن أن يرى في الجدول أن س ج و غ ج يظهران دائما في المجموعة نفسها في كل شريحة من نصوصهما ، ولكنهما يوصفان في زمريتين مختلفتين من قبل راينت ببساطة لأن نص س ج ينتهي أبكر بنحو ست وأربعين سنة من نص غ ج ، ومضمون هذين النصين يمكن أن يوصف ببساطة تامة ، والى ١١٨٣ أنهما يتألفان من الترجمة الفرنسية لوليم ، ومن ١١٨٣ الى ١٢٣١ يتوافقان مع الشريحة نفسها في «أ» (ومن أخذ طرابلس (٢٢) حتى نهاية (٢٣) ويتصل الجزءان معا بشريحة وصل من ثلاثة فصول في س ج وفي غ ج بأول الثلاثة

فقط ، وبعد ١٢٣ يمضي س ج بالمتابعة نفسها الموجودة في ب الى مدى يصل الى ١٢٦٤ ، ومن ١٢٦٤ الى ١٢٧٥ هناك نيل آخر خاص به في حين ينتهي س ج في الموضع نفسه كما في أ ، وفي الواقع بالكلمات نفسها (فلنراجع أعلاه ص ٩) دون إشارة الناشر بالطبع ، وفي الشريحة من ١١٩٧ - ١١٨٣ ، يبدي س ج و غ ج أحيانا اختلافات هامة عن نص أ ، ولكن هذه الشريحة هي دائما وبشكل جلي ترجمات مختلفة للنص الاساسي نفسه ، وأيضا من ١٢١٨ الى ١٢٣١ فإن إس ج أكثر دقة قليلا من غ ج ، ولكن هذه الدقة تأخذ صورة الاقتصاد في الصياغة وليس أي تكثيف في المادة ، والشيء نفسه في كل التفاسير في كل مواضع هذه الشريحة ، وهذان النوعان من الاختلاف بين النصوص لا يدعان مجالا للشك في حقيقة أن المخطوطات الثلاث كلها تحوي في نصوصها الخاصة النص الاساسي نفسه للفترة ١١٨٣ - ١٢٣١ ، وقبل هذا إنها بالطبع مختلفة تماما حيث في « أ » فصوله التسع والنصوص الاولى مشوشة سواء فيما يتعلق بمادة الموضوع او طريقة عرضها وفي « س ج » و « غ ج » ترجمة وليم ، وهكذا تبدي مظهرا مهنيا وموحدا أكثر من « أ » كثيرا ، وواضح مع ذلك أن مؤلفي « س ج » و « غ ج » كانوا يعرفون الشريحة القسيمة من « أ » وأحدهما يعطي في « غ ج » في وسط معركة حطين رواية انتخاب هركليوس لبطركية بيت المقدس وأسلوبه السيء السمعة (٢٤) في الحياة ، الأمر الذي ذكرته « أ » و « ز » في نقطة مبكرة أكثر ، في ترتيبه الزمني المناسب ، أما الآخرون فيعطي « س ج » مباشرة قبل حصار القدس وصفا للمدينة (٢٥) ، يوجد في المكان نفسه في « أ » ، في حين حذف في « غ ج » ، وهذان النموذجان مثالان بشكل جيد في نص ال « تاريخ » اجمالا ، في أن فريبتهما لا تأتي من احتواء أي مادة جديدة ، بل من جمع جديد للعناصر الموجودة في مختلف النصوص الأخرى ، حتى أن « س ج » على سبيل المثال لا يشبه أي نص آخر ، ومع ذلك فإن كل من مكوناته على حدة له نظير بالضبط في أي مكان آخر .

تاريخ هرقل والمخطوطات: «أ» و«ب»

ويختلف نوعا ما عن «س ج» و«د غ ج» نصان آخران في الهرقل ممثلان في الجدول بالمخطوطين «أ» و«ب» وحتى ١٢٤٨ فإن هذين الاثنين يمكن أن يعتبرا في الواقع كنص واحد ، ولكنهما بعد ذلك يختلفان كلياً ، ومثل «س ج» و«د غ ج» يبدأان بترجمة لوليم تعقبها الفصول الواصلة الثلاث الموجودة في «س ج» ثم ينتهيان بما يبدو في البداية مثل النيل نفسه كما في «س ج» و«د غ ج» ولكن عند الرواية حول معركة حطين يبدأان في تقديم فقرات كثيرة ومطولة لا تشبه أبداً أي شيء في «س ج» و«د غ ج» وواضح أنه هنا لا يقتصر الأمر على مجرد تدويع في النص نفسه كذلك الذي يلاحظ في مقارنة «س ج» و«د غ ج» و«أ» بل شيء ما يجب أن يعتبر تنمة مختلفة بالمرة ، ويستمر نص «أ» و«ب» في الاختلاف بصورة متقطعة عن نص «س ج» و«د غ ج» ، حتى وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، ومن هناك تدفق كل النصوص مع بعضها حتى ١٢١٨ (و وفاة أوتو الرابع ، حيث توجد قفزة مفاجئة في الترتيب الزمني وفي مادة الموضوع ، ومنذ الحملة الصليبية الرابعة تعاملت الرواية فقط مع أوروبا والامبراطورية البيزنطية (٢٦) . والآن ينتقل المشهد إلى المملكة اللاتينية وتتابع جميع النصوص

القصة عند موت عموري ، ولكن برغم أن مادة الموضوع هي نفسها فإن النصوص ليست كذلك ، ومن هنا حتى ١٢٢٩ يختلف «أ» و«ب» مرة أخرى جذريا عن «س ج» و«د غ ج» فقط في موضوع واحد زيارة جان دي بريين لأوروبا في عام ١٢٢٢ وزواجه من برنغاريا الكاستليه وحربه ضد فردريك الثاني حيث لا يوجد أي تشابه وسيناقش هذا الاستثناء مفصلاً فيما بعد ، والصورة العامة بين «س ج» و«د غ ج» من جانب «أ» و«ب» من جانب آخر هي صورة الفترة من : ١١٨٣ - ١١٩٧ ، فالجموعتان متماثلتان جزئياً ولكنهما بشكل عام تختلفان بقدر كبير تماماً فهما متماثلتان من ١١٩٧ إلى ١٢١٨ ومختلفتان كلياً بعد ١٢١٨ .

تاريخ هرقل ، المخطوط د :

والنص الأخير الذي بقي علينا وصفه هو (د) أي مخطوط ليون الذي يبدو أن ماس لاتري قد حول إليه اهتمامه إذا كان الوقت قد سمح له بذلك (٢٧) ، وسوف يعطى مكانا فسيحا في جدول الوقت الراهن ، وهو يقدم نصا يختلف عن أي نص آخر ، وكما يمكن رؤيته في الجدول الذي على صفحة ٧ - ٨ فإنه يميل بشكل عام الى الشـبـه بـ (غ ج) عدا في الشريحة ذات الأهمية البالغة ١١٨٣ - ١١٩٧ ففي هذه الشريحة ، ليس في « د » نص مختلف بكليته بل إنه ينتشر هنا وهناك بين الفقرات على غرار ما في النصوص الأخرى كثير من الفقرات المسهبة عديمة القيمة ، خاصة بـ « د » وحده ، وتكون هذه أحيانا روايات مختلفة عن الأحداث التي سبق لنا معرفتها من الروايات في النصوص الأخرى ، التي يلقي عليها « د » ضوءا جديدا ومختلفا ، وهي تتعلق أحيانا بأحداث لم يسمع بها في مكان آخر بالمرّة .

النيول من عام ١٢٣٢

الآن وقد وصفنا بالخطوط العريضة محتويات كل النصوص في الفترة الأولى للنيول ١١٨٣ - ١٢٣٢ ، وهي موضوعنا ، يبدو مفيدا أن نضيف ملاحظة موجزة على الأقسام الباقية من النيول بعد ١٢٣٢ ، من أجل الحصول على تصور أو رأي كامل عن هذه النصوص التي تتابع في الفترتين الثانية والثالثة ، ولأنه سيصبح ضروريا فيما بعد ، عند مقارنة النيول في الفترة التي تنتهي في ١٢٣١ - ١٢٣٢ ، وضع بعض الاشارات الى الأقسام التي تلي مباشرة .

في ١٢٣١ يتابع « غ ج » و « د » النص نفسه كما في « ١ »

و « ج » وهو الذي يبدأ في ١٢٢٩ ، مع أن هذا يورطهم في تكرار بعض الأحداث التي سبق لهم ذكرها ، وتستمر النصوص الأربع في الاتفاق حتى ١٢٤٨ حيث ينتهي « د » وبيتعد « أ » عن الاثنين الباقيين لينضم الى نص عائلة روثلين ويستمر المخطوطان « ب » و « س ج » في اعطاء النص نفسه كل واحد للآخر حتى يتوقف « ب » في ١٢٦٤ التي يتابع بعدها « غ ج » وحده حتى ١٢٧٥ (مجلس ليون البلدي) (٢٨) .

نيل روثلين :

تبدأ الآن عند النقطة نفسها - ١٢٣١ - مخطوطات أخرى هي التي عرفت حتى الآن ب « س ج » « غ ج » تبدأ بما يعرف باسم نيل روثلين ، ونبع هذا الاسم عن الكاهن روثلين الذي كان أول ممتلك معروف لمخطوطات هذا النص (٢٩) ، ويبدأ هذا النيل في سنة ١٢٢٩ ويستمر حتى ١٢٦١ ، ويتضمن وصفا للقدس كما فعل « ز » و « آ » و « س ج » (٣٠) وعدة فصول في وصف الأراضي المقدسة ، وأساطير متعلقة بها بعضها مستوحى من الكتاب المقدس ، ومن نصوص الأدوغرافيا ، بينما بعض آخر هو مجرد أساطير كانت رائجة في العصور الوسطى ، وغير معروفة أصولها الأدبية ، ويتضمن نيل روثلين أيضا قطعة غالبا ما تعتمد على تواريخ الحروب الصليبية وتدعى « نبوءات أغاب » وقد فسرت على أنها تتحدث عن بعض حوادث الحروب الصليبية ، مع رسالة موجهة الى انسونت الثالث حول صلاح الدين ، هي موجودة أيضا في كتاب جاك دي فيتري ، وفصول قصيرة عن خليفة بغداد والحشيشية ، وجاء هؤلاء جميعا في بداية النيل حيث قاطعوا رواية أحداث سنة ١٢٢٩ ، وهناك في أماكن أخرى صفحات نقلت بدون تحفظ من كالمشيين المزيف ولو كان مع أغنيتين ، احدهما شعبية والاخرى معزوفة لفيليب دي ناتويل ، وفيما عدا هذا فالنيل متتابع السرد ، وإن يكن متداخل وهو تاريخ مختصر يستمر حتى سنة ١٢٦١ .

- ٣٥٥٣ -

كيف جاء هذا التنوع الكبير في النصوص مع الشبكة المعقدة في العلاقات ؟ وما هي العناصر الأساسية التي ترقد في جذور العملية ، وكيف تطورت هذه الأنواع المختلفة عن الجذس الواحد ؟

منذ البداية الأولى حيث ما كاد الحبر يجف عن آخر مخطوط ، أفسدت دراسات كل هذه الأعمال بسبب واحد أو اثنين من الافتراضات الخاطئة التي لم تعترض ، حتى أنه في زمن قصير أصبحت حالة الدراسات كحالة موضوعها ، وقبل معالجة النصوص من الجوهري في البداية إزالة التشوش الطفيلي بسبب سوء الفهم الذي أحاطتها به أعمال الدارسين ، الذين غالباً ما اعتمد كل واحد منهم جميعاً على ملاحظات الآخر غير القابلة للاعتماد عليها .

الفصل الثاني

حالة الدراسات

بحلول نهاية القرن الثالث عشر كانت النصوص التي يمكن القول بدقة انها تعود الى مجموعة وليم الصوري قد استقرت ووجدت في صورتها النهائية وبعد هذا ليس هناك مزيد من الامتداد ، ولا مزيد من اعادة التجميع ، ولا مزيد من التفصيل من النوع ذي الهمية ، وفي القرن التالي بقيت شعبية التواريخ بلا نقص ، والحكم من عدد النسخ الصادرة في حينه والتي بقيت حتى الوقت الراهن ، وفي هذا القرن ايضا ظهر في الوقت نفسه تقريبا اول عمل استعمل النيدول كمصدر مع اول ترجمة لها .

ويعد كتاب « تحرير الاراضي المقدسة من قبل الصليبيين » تأليف ماريذوس سانيوتس تورسيلي ، وهو رجل بارز من البندقية بين ١٣٠٥ و ١٣٠٧ (١) اول عمل منطوق عالج ذواح عديدة من الحروب الصليبية ، ويدل عنوانه الفرعي بدرجة كافية على مجاله :

scope: '... qui est tam pro conservatione fidelium quam pro conversione et consumptione Infidelium: quanquam etiam propter acquirandam et tenendam Terram Sanctam, et alias multas terras in bono statu pacifico et quieto'.

وعليه فهو تاريخي جزئيا ، وجغرافي جزئيا ، ولكنه يتكون في معظمه من بحث في كيف يمكن استعادة الارض المقدسة بأفضل طريقة ، والكتاب رقم ٣ تاريخ للارض المقدسة من ازمة العهد القديم حتى الوقت الحاضر ، ويحتل منه تاريخ المملكة اللاتينية في بيت المقدس الاجزاء ٤ الى ١٢ ، وهذا مستمد من تاريخ هرقل مبتدئا من ١ / ٢ مع حرية نوعا ما في التكيف والايجاز ، حتى انه

يعتبر استخلاصا حرا من تاريخ هرقل ، وليس من نسخة التاريخ اللاتينية الاصلية ، وهذا يتضح من حقيقة انه في كل الفروق الدقيقة بين وليم ومترجمه كان سانديوتس يحتفظ دائما بنص المترجم ، وهو ايضا كثيرا ما ابقى اسماء الاعلام بالفرنسية في حين انه في غير ذلك ابتكر صورا جديدة وغريبة تخالف تماما تلك التي اعطاها وليم (٢) ولا يمكن ان يكون هناك شك انه لدينا هنا للمرة الاولى مؤرخ يستعمل النص الفرنسي وليس اللاتيني كمصدر له ، واستعمال سانديوتس لتاريخ هرقل ليس حصرا ولا مستمرا ، ولكن هناك بعض الفقرات التي ليست شيئا اقل من ان تكون ترجمات دقيقة لاجزاء من تاريخ هرقل ، ويتضح ذلك في نص كولبرت فونتبلو .

(اعني نص اوب) (٣) فانه من المتعذر لسوء الحظ ان يقال بدقة ماذا كان اتساع النص الذي استعمله سانتوتس ومحتواه واختصاراته تجعل الترتيب التاريخي يتداخل ، وكثيرا ما هضمت فصولا عديدة فجعلت منها فصلا واحدا بحيث لم تسمح لنا باكثر من النقاط شرائع اما مترجمة من تاريخ هرقل ، او مكيفة عنه كما يبدو ، وما يمكن ان نقوله بالتأكيد انه في العقد الاول من القرن الرابع عشر ، كان تاريخ هرقل على ما يبدو يعتبر مصدرا موثوقا لمؤلف اظهر عمله درجة غير صغيرة من الجد .

وليس طويلا بعد نشر عمل سانتوتس وفي عام ١٣٢٠ على وجه الدقة ، وايضا في ايطاليا اتم فرنسيسكو ببيزو وهو راهب دومينيكي من بولونيا كتابه *magnum opus* وهذا العمل غير معنون ويشار اليه بشكل عام ببساطة باسم « التاريخ » وهو تاريخ عام نمونجي نوعا ما بين جذسه ، لانه يغطي مساحة واسعة وفترة طويلة ، وليس فيه ادعاءات بالاصالة ، والكتاب الخامس والعشرون منه هو الذي يعنينا هنا وهو في الاساس ترجمة الى اللاتينية لجزء من الترجمة الفرنسية لوليم ، وجزء من الموجز ، والمقارنة الاكثر ايجازا او سطحية بين عمل ببيزو ووليم تكفي لبيان تجاهل مهمة ببيزو ، وبالنسبة لتأثير تاريخه على الدراسات التالية فانه كان

- ٣٥٥٦ -

مفجعا ، وهو اقل من خلال اخطائه الذاتية منه من خلال خطأ محققه موراتوري الذي نشر اجزاء منه ، وبرغم انه ليس كامل تاريخ ببيدو في مجموعته الحاملة لعنوان « الكتابات الايطالية الوسيطة » وفي المجلد السابع المنشور في ١٧٢٥ طبع موراتوري كامل كتاب ببيدو الخامس والعشرين ومنحه عنوان « كتاب برنارد الخازن - الاستيلاء على الاراضي المقدسة » (٤) .

وقد حصل موراتوري على هذه الفكرة من ذكر ببيدو لبرنارد مرتين في عمله.

Haec ex Historia Damiatiae sumta sunt. Sed de discessu Regis Johannis, et qualiter Christiani Damiatam Soldano reddiderunt, et nonnulla quae sequuta sunt, sic scribit Bernardus Thesaurarius. (٥)

Haec de gestis Regis Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii. Qualis autem fuerit exitus non inveni, vel quod Historiam non compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus. (٦)

وبطريقة ما أو بأخرى اخذ موراتوري هذه المراجع وخاصة الثاني ، الذي يرد ذكره في الفصل قبل الاخير ، ليعني ان كامل الكتاب الخامس والعشرين مأخوذ من برنارد ، وبناء عليه اعطي الكتاب الخامس والعشرين العنوان الذي يحمله في طبعته ، وادى هذا بالدارسين وكتاب التراجع على السواء الى ان يذهبوا الى برنارد اصل كامل الكتاب الخامس والعشرين ، على الرغم من حقيقة ان اسم برنارد موجود فقط في مخطوطتين لتاريخ قصير ، ويحتمل انه لم يتمكن من تقديم كل المائة ولا يرتبط مطلقا بأي مخطوط لتاريخ هرقل الذي امكنه وحده ان يقدم الاجزاء الاولى من الكتاب ، وقد استمر هذا الخطأ حتى ١٨٧١ ، وعندما صححه ماس لاتري اخيرا في طبعته عن برنارد ، وحتى في حينه اقتصر ماس لاتري علي بيان كيف ولماذا اخطأ موراتوري وكل اولئك الذين ضلوا بطبعته (٧) .

وهكذا شغل على ما يبدو بالتخلص من الخطأ ، حتى وقف عاجزا تماما عن تفحص بيعة ان عمل ببيزو قد اعطانا حقا بيعة على تاريخ برنارد سوف تدرس مفصلة فيما بعد فيما يتعلق بمسألة التأليف ، وفي الوقت الراهن فان سمات عمل ببيزو التي تبدو هامة هي انه مثل سانيوتوس لم يكن يعرف « التاريخ » بل ترجمة باللغة الدارجة له حتى انه مرة اخرى مثل سانيوتوس يتقبلها كمرجع ، وانه الاول الذي يذكر برنارد الخازن كمؤلف للتاريخ ، وهذه نقطة علام في تطور النيول ،لانه للمرة الاولى تستعمل النصوص العامة على نطاق واسع كمصدر (ان استعمال سانيوتوس لتاريخ هرقل شيء صغير بالمقارنة ، وهو لم يكن يعرف برنارد بالمرّة) وبهذا ارسى الاساس لأكثر الاخطاء تشويشا ، وبعدا عن الادراك ، لافساد الدراسات التالية للنصوص .

ويقدم دخول الطباعة في القرن الخامس عشر دلالة مفيدة على الاذواق الادبية في ذلك العصر : اي كتب كانوا يرونها تستحق الطبع ، ومما له مغزى ان تاريخ هرقل او على اي حال اي جزء منه كان احدها ، وكانت مخطوطات منه بالطبع مازالت تستنسخ ، وعلى سبيل المثال تلك النسخة فاخرة التزيين المعدة من اجل البلاط الانكليزي ، وهي الان في المتحف البريطاني (٨) ، ويرجع تاريخها الى هذه الفترة ، وفي ١٤٨١ نشر وليم كالستون تاريخ غودفري البولوني وفتح بيت المقدس وهو ترجمة كالستون الخاصة للكتب التسع الاولى من تاريخ هرقل ، اعني التي تغطي حياة غودفري البولوني مع مقدمة قصيرة وخاتمة من تأليف كالستون نفسه ، وقد حرف كالستون العمل كما تبين من عنوانه ، وتذكر مقدمته كأبطال ثلاث عظام آرثر وشارلمان وغودفري ، والكتاب هكذا سيره ذاتية لغودفري اكثر منه تاريخ للحروب الصليبية ، وهنا نرى النص العامي يستعمل مرة اخرى وهذه المرة لا كمصدر تاريخي كما استعمله ببيزو ولكن كجزء من سيرة ادبية راسخة وقابلة للمقارنة بالسير المحيطة بارثر وشارلمان ، وهي في الواقع ليست اقل من مائة جديده وقد اعيد نشر كتاب كالستون في ١٨٩٣ من قبل وليم

موريس الذي اعاد في مطبعة كلمسكوت . طبع الطبعة الاولى (٩) من كتاب كاكستون ، وفي السنة نفسها نشرت جمعية النصوص الانكليزية القديمة طبعة من عمل كاكستون بواسطة ماري كولفن (١٠) ، ولأسوء الحظ أنه الى الحد الذي يعني مصادر كاكستون ، فإن مقدمة الأندسة كولفن ثانوية تماما ومضللة بدرجة كبيرة وهي لا تقصر نفسها على تاريخ وليم وترجمته الفرذسية ولكنها تضع تعليقات واسعة نوعا ما على أرنول وبرنارد وكلها قائمة على البحوث المختلفة لماس لاتري المنشورة في الفترة التي سبقت طبعتها مباشرة ، ولكن هذه لا تمثل دائما مكتشفات ماس لاتري بدقة ، ولحسن الحظ أن تأثير هذه الطبعة على الدراسات التالية يبدو أنه معدوم ، وبعد منشورات كاكستون ١٤٨١ فإن النيدول وكل النصوص المرتبطة بها يبدو أنها ذسيت لنحو ٢٠٠ سنة ، وليس حتى ١٦٧٩ أن ظهر أي عمل جديد على النصوص وقد قدمت في حينه بصورة غير متقنة جدا ، وبحيث لم تثر بين النقاد سوى الشك في مصداقيتها ، وكان مؤلف العمل صمويل دي بروويه - صاحب «سيرتي دي لي غوتته» الذي ادعى أنه قد ترجم الى الفرذسية الحديثة «مخطوطا قديما جدا» وفي مقدمته أكد مطولا على اخلاصه الكلي للنص (١١) وفي الواقع أنه كان بشكل عام يعتبر أنه قد أكد كثيرا وأكثر من اللازم وكانت العقبة ان لا احد سواه رأى المخطوط الذي زعم بأنه أعطي له من قبل كبارت دي فيلرمونت كما أنه لم يعرف في الواقع حتى اليوم ، وهذا الظرف مجتمعا مع الاختلافات بين تاريخه والحقائق المعروفة آنذاك حول الحروب الصليبية جلب له عدم التصديق الاجتماعي في نقاد الادب ، وتعطيه « دورية العلوم » نوعا ما من جوائز الترضية لكونه من السائغ القراءة فيه ، وغير ذلك فإنها لم تزعج نفسها بالتحري عن مصدره (١٢) . ولكن الرواية التي حواها كتاب دي برويه هي بشكل واضح تماما نسخة معدلة من النص الذي نعرفه الآن باسم « تاريخ ماوراء البحار » الموجود في مخطوطين ف . فر ٧٧٠ و ١٢٢٠٣ في المكتبة الوطنية ، وكما ذكر سابقا في استعراض النصوص المتبقية (١٣) هناك فروق بين الكتاب المطبوع

والمخطوطين الباقيين تكفي للايحاء بأن مخطوط دي بروويه لم يكن أيا منها ، ولكن لا يوجد أي ظل محتمل للشك في أنه استعمل مخطوط آخر للنص نفسه ، هذا وأن نص دي بروويه مصان ، ويبقى اكتشاف اذا ماكان المخطوط الذي استعمله دون شك مايزال باقيا.

وأخيرا ظهرت في ١٧٢٩ أول طبعة حقيقية للنيل ففسي مجلد (٥) من كتابهما « المصنف المجموع » لكل من صارتيني وديوارند نشرنا نيل تاريخ وليم الصوري ، اعتمادا على مخطوطة امتلكها غاستون دي نوللي (١٤) وذلك بعنوان : « نيل تاريخ وليم رئيس اساقفة صور » ولم يذكر اسم المؤلف (١٥) .

وشعرا أن من الضروري أن يضيفا الى هذا مسردا للكلمات الفرنسية القديمة العسرة ، وشروحها التي لا يمكن معرفتها بسهولة من قبل قراء تقتصر معرفتهم على اللغة الفرنسية الحديثة، ولكنهما لم يوفرنا اي جهاز نقدي ، والمقدمة تحوي ببساطة مديحا لوليم وبعض الملاحظات على الصعوبة اللغوية للتكملة وتاريخ تأليفها ، ولكن طبعتهما قد أدت مع ذلك الهدف الضروري جدا وهو توفير نص واحد من التكملة بصورة مطبوعة ، وتقديم نقطة مالا مقارنة بطبعة موراتوري في الكتاب ٢٥ لتاريخ بينزو ، وقد لوحظ التماثل بين النصين للمرء الاولى من قبل صاندي في طبعته لحوليات رانياالدي ، ويجدر حكمه بالاقتباس الكامل لأنه يبين كيف ان خطأ موراتوري ، مع كونه فرضية لم يعترض عليها ، بل ايضا غير مثبتة ببينة من نوع رديء تدعمه ، أصبح نبذه أكثر صعوبة بكثير ، وبعد اقتباس فقرات من النصوص المنشورة من قبل موراتوري ومارتيني ويورانند خلص الى مايلي :

Ex his patere arbitror Gallicum Latinumque scriptum unum idemque esse opus Bernardo Thesaurario tribuendum, quod a doctissimis Gallici editoribus ignoratum fuit. Discimus pariter F. Pippinum mutilum codicem Gallicum nactum fuisse, cum Latinam Historiam nonnisi ad annum 1230 circiter perduxerit. . . . Continuavit utique Thesaurarius historiam suam usque ad annum 1274 quo Lugdunense I Concilium celebratum fuit; ejusdem enim in fine historiae suae meminit. Hinc etiam de aetate Bernardi Thesaurarii, quam Muratorius ex conjectura tantummodo subodoratur argumentum capere licet.^(١٦)

ومحور جدل مازني وأساسه أن نص مارتيني وبيوران و مصدر نص موراتوري كانا واحدا ، وكان واضح الصواب جدا حتى أن أحدا لم يتمكن بأي حال من نحضه ، وقد حمل معه بقية تأكيدات وتعرفه للتاريخ بنص المخطوط غ . ج مع النيل حتى ١٤٧٥ كمصدر لتاريخ بيبينو حتى ١٢٣٠ بدا معقولا تماما ، ألم يشك بيبينو نفسه بأن المخطوط الذي كان يستعمله كان ناقصا ؟

وهكذا كان موراتوري مبرا ، وهكذا بدا ، وكان هناك مع ذلك تيار رأي منافس ينسب التتمة الى رجل يدعى هوغ بلاغون ، وبيينا كان من السهل رؤية كيف ولماذا ظهر خطأ موراتوري بدا أن هوغ بلاغون قد أوجد من لاشيء فاسمه لا يظهر في أي مخطوط للنيل ، أو النصوص المتعلقة بها ، ولكنه يذكر للمرة الأولى من قبل دوكانج في مسرد شروح ١٦٧٨ في قائمة المؤلفين باللغة الدارجة ، الذين تم الرجوع اليهم من قبل هوغ بلاغون في نص وليم الصوري ، فهذا ماجاء في مقدمة المسرد^(١٧) ، فقد نسب دوكانج الى بلاغون ترجمة التاريخ ، ولكن دوم كاريبيير محقق كتاب دوكانج اضاف الى هذه الطبعة في ١٧٦٦ اشارة الى نص مارتيني وبيوران وهكذا نسب الى بلاغون التتمة كما نشرت في كتابهما المصنف المجموع^(١٨) ومنذ ذلك الحين فصاعدا تتنافس هاتان النسبتان المتساويتا الزيف بعزو النيل الى برنارد من جانب وهوغ بلاغون من جانب آخر ، تتنافسان مع بعضهما بعضا ، وقد تبع فيفريت دي فونت وهو محقق كتاب ليونغ « مصادر التاريخ الفردي » في ١٧٦٩ كاريبيير ، كما فعل ميوسيل في مراجعته لكتاب ستروفيوس « مصادر تاريخية » في ١٧٨٦^(١٩) ومع ذلك فان

ميشو قد تبع مانسي في طبعة ١٨٢٢ من كتابه « مصادر الحروب الصليبية » وقد ترجم ملاحظته مزودا أياها بمقارنات اضافية بين طبعتي موراتوري ومارتيني ليدعم استنتاجات مانسي (٢٠) .

وأخيرا وأكثر أهمية فان غويزو وقد لاحظ أنه لا توجد مدرستان للفكر في الموضوع أثر رأي مانسي وقد نشر مجموعة مذكراته المتعلقة بتاريخ فرنسا « مجموعة مذكرات متعلقة بتاريخ فرنسا » في ٣ مجلدات خلال السنوات ١٨٢٣ - ١٨٣٥ ، والمجلد ١٩ يحتوي على مايسميه تاريخ برنارد الخازن وهو في الواقع الترجمة الفرنسية لوليم مع نيل مارتيني وديوراند بعدها ، وفي الواقع ان معرفته بالنصوص بالكاد يختلف عن معرفتهما ، ومقدمته تعيد اخراج كل رصيد الملاحظات على مايمكن الآن ان يسمى تقليد مانسي ، ولكن غويزو اتخذ خطوة واحدة هامة الى الامام فهو قد بين انه بينما يكمل نص مارتيني وديوراند حتى ١٢٧٤ فان مخطوط ببيزو عن برنارد على ما يبدو توقف عند ١٢٣٠ ، ونسي على ما يظهر ادعاء ببيزو بأن مخطوطه كان على أي حال ناقصا ويقدم غويزو الآن النظرية المفيدة ، والتي هي اتفاقا صحيحة ، ان نيل تاريخ ولیم الصوري في الواقع ليس واحدا بل سلسلة من النقول ، وبصرف النظر عن هذا فان طبعته غير جديدة بالملاحظة فهي نص معروف من قبل مع ترجمة فرنسية حديثة على الصفحة المقابلة ، مع حواشٍ نيلية بشكل رئيس ذات أهمية تاريخية وليست متعلقة بالنص .

وبدا الاسهام في حقل الدراسة يلي بعضه بعضا كثيفا وسريعا ، وأول ماظهر بأكثر من معنى واحد ، وهو الأكثر وزنا كان الطبعة التي أخرجها أعضاء أكاديمية النحت عن تاريخ ولیم بالنص اللاتيني مع الترجمة الفرنسية مسبع النقول بأربع روايات (٢١) اضافة الى تكملة روثلين وقد نشرت هذه في مصنف راشيل « مؤرخو الحروب الصليبية » ، كمجلد (١) ومجلد (٢) من سلسلة المؤرخين الغربيين ، وظهر المجلد الاول من جزأين في ١٨٤٤ ويتألف من « التاريخ » الصحيح مع الترجمة الفرنسية

تحتته في حين أن المجلد الثاني الذي نشر في ١٨٥٩ يقدم كل النيدول ، وهو عمل دال على البراعة الحقيقية ، وبالطريقة التي اختارها المحققون هي أخذ نيل واحد ونيل « أ و ب » أي نص كولبرت فونتنبيلو كنص رئيسي حتى نهاية الكتاب ٣٣ (١٢٤٧ م) ثم طباعة مذوعات ع . ج و س . ج و د في حواشي نيلية ، أو في حالة الفقرات الموسعة ، كنص مستقل في نيل الصفحة ونص روتلين (٢٢) مطبوع بصورة مستقلة في النهاية ، وطبعتهم هكذا لا يمكن تجميعها لأي دراسة للنيدول فهي تقدم كما تفعل كل الروايات الرئيسية في صورة تسمح بسهولة المقارنة .

وهناك عقبة واحدة كبيرة مع ذلك ، أعني الاغراء بالسماح لصورة الطبعة المختارة من قبل المحققين بأن تحكم مسبقا للقارئ في قضية أولوية أحد النيدول على الآخر ، وأن تقود وبغير وعي إلى قبول أفضليته على « أ و ب » وحتى إلى اعتبار كل النصوص الأخرى صورا مختلفة لهذين الاثنين ببساطة لأنهما طبعتا هكذا ، وللتأكد هناك حجة تتخذ لعمل ذلك بالضبط ، ففي الواقع إن عباس لا تري سيمضي فيما بعد بعيدا إلى حد تأكيد أن نص « أ و ب » هو الأقرب للتاريخ الأصلي لأردول : ولكن هذا ليس بأي وسيلة مسألة مطروحة ومنتهية وأحدى الحجج الرئيسية حول هذه الدراسة ستكون أن الادعاء القائم هكذا حول نص « أ و ب » ليس مسوغا .

ومقدمة المحققين النيدول في المجلد الثاني هي خليط غريب لا تستنتاجات مستخرجة بدقة ، وحدها فصح والمثال على الأول هو الفقرة (٢٣) حول أصل المخطوط « د » في حين أن كل المائة حول أردول وبرنارد يجب أن تنقل إلى الفئة الثانية ، وقد يكون المحققون محقين في استنتاج أن القوارب القصيرة التي تحمل هذه الأسماء لا يمكن أن تصنف على نحو يتوافق مع نيدول ولیم الصوري بفرض تحقيقها ، ولكن الاقتراحات التي في مقدمتهم تؤدي إلى هذه النتيجة ويجب أن ترفض تماما فليس لديهم على سبيل المثال أسس كافية

حتى للافتراض (٢٤) بأن أردول وبرنارد كلاهما مخلصين للأعمال السالفة أكثر منهما مؤلفين بحق ، أو نقطة ضعيفة أخرى في المقدمة ، برغم أن هذا ليس تأكيداً زائفاً بقدر ما هو تأكيد مضلل هي تحليلهم (٢٥) للنيول الدقيقة بين الاثنين للفترة ١١٨٣ - ١٢٢٩ قائلين ببساطة بأن في هذا القسم يتكون التنقيح الغربي من النيل الشرقي في صورة موجزة .

ويبدو هذا في البداية نقطة صغيرة ، ولكن بأخذها بقيمتها الظاهرة فإنها تفسر منذ البداية أي دراسة للعلاقات بين النيول ، والمقارنة الدقيقة للنصوص تظهر أنه في المقام الأول أن الصلة بين الاثنين أكثر دقة مما يوحدون وأنها في الواقع من نوع مختلف بالمرّة ، وفي المقام الثاني فإنه يصبح ظاهراً بسرعة أن مثل هذا التقسيم الصارم للنصوص في نسختين مفتحتين غير واقعي تماماً ، وإجمالاً فإن طبعة الأكاديمية للنيول تبعث على الإعجاب في كل ما يتعلق بالنصوص ولكن المقدمة يجب أن تعالج بحذر في الأقسام المتعلقة بالنيول ، في حين أن الفقرات حول أردول وبرنارد من الأفضل اغفالها تماماً ، ونشر هذه الطبعة يدخل فيما يمكن أن يوصف بالعصر العظيم لدراسات ولیم الصوري ، وفي سنة ١٨٦٠ السنة التي نشر المجلد الثاني نشر لويس دي ماس لاتري كتابه « دراسة تصنيفية لنيول تاريخ الحروب الصليبية لولیم الصوري » (٢٦) ، في ١٠٢ صفحة ، حيث قام بهجوم مباشر على المشكلة الرئيسية التي لم تمس حتى حينه حول أصل تنوع النيول المتبقية ، استهدفت حركته الأولى ، محاولة اختزال الظاهرة في تعابير قابلة للفهم ولترسيخ خمس فئات من المخطوطات ، وكان المعيار الوحيد هو الزمن الذي وصل إليه التأريخ ، وهذا النهج مضلل إلى حد ما ، لأنه يحجب الحقيقة (التي كان ماس لاتري بالطبع مدركاً لها بشكل جيد جداً) وهي أن المخطوطات التي تتبع فئات مختلفة قد تكون متشابهة لبعضها بعضاً في أقسام معينة من نصها على سبيل المثال « س ج و غ ج و د » في الجدول الذي على صفحة ٧ - ٨ كلها تتوقف عند تواريخ مختلفة ، وهي توضع بناء

عليه من قبل ماس لاتري في فئات مختلفة ، ولكنها جميعا تعطي النص نفسه (انظر الجدول) للفترة ١١٩٧ - ١٢٣١ وبكلمات أخرى فان فئات ماس لاتري تمضي الى ما وراء حدود عائلات المخطوط ، هذا وإن « الدراسة » ايضا مكتوبة بتركيز شديد حتى انها مشوشة أحيانا ، ومع ذلك فانه أول رسم للمشكلة بتعابير عامة هو أول محاولة ناجحة لتقويم المعتقدات الموجودة حول مجموعة ولیم الصوري ، والتميز بين الحقيقة والخيال والتخمين ، وعلاوة على أن تصنيف ماس لاتري للمخطوطات وفر الاطار ليس فقط من أجل أبحاثه الخاصة التالية ، بل من أجل كل النين تلوه في هذا الميدان حتى الوقت الحاضر .

وبصرف النظر عن تصنيفه للمخطوطات المعروفة له ، فان ماس لاتري عالج ايضا العديد من المشكلات ذات العلاقة وأبرزها هوية برنارد وايضا هوية أرذول الذي شد الاهتمام الآن للمرة الأولى ، وحتى هذه النقطة لم يبذل اي اهتمام بمخطوطات التواريخ القصيرة التي تحمل اسماءها ، الا من قبل محققى الأكاديمية النين اتوا على ذكرها فقط ليستعبدوها (٢٧) وقد ترجم سيرتي دي لي غوتيه « التواريخ » وقد عالجت كل الدراسات الأخرى اما « التاريخ » أو النيول الحقيقية ، مع أن كثيرا منها كما رأينا نسبتها جزئيا أو كليا لبرنارد ، والآن صنف ماس لاتري أخيرا كل المخطوطات المعروفة من قبله ، سواء للنيول أو للتواريخ القصيرة فتعامل معها كأشواغ مختلفة من جذس أو أصل واحد وبين هذا في حد ذاته أنها كما لو كانت بطريقة غير مصنفة بعد ، ومرتبطة ببعضها بعضا ، أما كيف تترايط بالضبط ، هي المسألة التي شغلته والتي مضى شوطا مانحو تحييدها ، وأشار عمله بالنهاية الى حل ، لكنه لم يتوصل الى هذا الحل ، وكانت الفرضية التي طورها أن النيول المرتبطة بالنص الفردي لوليم تتكون جزئيا من تواريخ مستقلة كتبت في أوروبا وفي بلاد ما وراء البحار ، قبل اجراء الترجمة ثم تكيفت فيما بعد من أجل الاستعمال كنيول ، وقد استنتج ان تواريخ أرذول

وبرنارد كانا اثنين من النوع الاخير ، وفيما يتعلق بارذول اقترح ماس لاتري ايضا ان النص الذي ذكر فيه اسمه وهو « المختصر » ، رواية ١٢٢٩ ليس في الحقيقة أفضل رواية محفوظة من عمله بل ان نيل كولبرت فونتبلو (١ وب) التي كثيرا ماتعطي رواية اكمل كثيرا القصة الاساسية نفسها ، هي اكثر انتاجه صحة ، وهذا الايحاء يبدو انه فقد تماما من قبل المؤرخين الحديثين الذين عندما يشيرون الى اردول يعنون بصورة لاتتغير بذلك التاريخ الذي يسميه كما نشره ماس لاتري ، والايعاء الآخر لماس لاتري هو انه اعتقد انه من الممكن رغم عدم البرهنة على ذلك ان التاريخ الاصيل لاردول قد توقف ابكر من ١٢٢٧ (النهاية هي جزء النص الذي يحوي اسمه) جزئيا لانه بدا ان هناك تبديلا في تنقيح عن احوال وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، وجزئيا بسبب تلميح من قبل رالف الكوغشالي الى تاريخ فرنسي هو ترجمة من قبل رتشارد رئيس دير رهبان الثالوث المقدس في لندن اعتقد ماس لاتري انه يمكن ان يكون تاريخ اردول (٢٨) ، فاذا كان كذلك اذا فلابد انه قد وجدت في حينه رواية لهذا النص متوقفة في ١٢٢٠ او قبلها عندما المص اليها رالف ، ولكن ماس لاتري غامضا حول الطبيعة الصحيحة ، وكذلك حول اتساع عمل اردول مشيرا الى القسم المتقدم على ١١٩٧ من التاريخ مع اسمه كانه لم يكن هذا هو التاريخ الاصيل لاردول بل إنه على الاقل تاريخ سالف استعمل من قبل اردول وأن اردول نفسه مذقح (٢٩) أولي او مصنف واجمالا لابد ان شيئا ما يمكن قد توقف عند ١١٩٧ لكن ماهو ؟

وهل الف اردول أم أنه قام بمجرد جمع ؟ وكل هذه الاسئلة المتروكة دون حل من قبل ماس لاتري ، سوف يتم التعامل معها في فصول تالية ، وبالنسبة لتاريخ برنارد الخازن بين تماما ماس لاتري أخيرا خطأ موراتوري ، وأكد أن برنارد لم يترجم وليم بل إن عمله كان مستقلا تماما عن « التاريخ » الذي يمكن أولا يمكن أن يكون برنارد على معرفة به ، وعند هذه النقطة يزحف بعض التشويش

على حجة ماس لاتري ، فهو يذكر بوضوح من جانب أن برنارد ألف تاريخه (١ في الجدول الموجود في ص ١٠ - ١١) باستدساخ التاريخ القصير وفيه اسم أرنول (ز) ومضيفا تكملة قصيرة أصلية حتى يوصله إلى ١٢٣١ وأيضا البداية التي مطلعها « سنة التجسيد »

ولكنه من جانب آخر يورد بيانات حول برنارد لايمكن بحال أن نستنتج من الأقسام الصغيرة لكامل النص « د » (٣٠) وهذا الاخفاق في التمييز بدقة كافية ، وبصورة متساوية ومتناسكة بين عمل برنارد الخاص ومصدره ، مع أن المرء يقدر تماما صعوبة القيام بذلك في متاهة النصوص المتنوعة ، وهذه إحدى السمات الأكثر ارباكا في « الدراسة » ومن الضروري الإشارة باستمرار رجوعا إلى بيانات ماس لاتري المحددة لرايه في برنارد وقراءة كل مادته الأخرى عن برنارد في ضوء ذلك (٣١) وأخيرا يستنتج ماس لاتري من استخدام ببيدو لبرنارد ، أنه في الزمن الذي كان يكتب فيه ببيدو في ١٣٢٠ كان تاريخ برنارد قد امتص تماما من النيول ، وفحص جديد لببيدو سوف يظهر في فصل تال أنه بينما كان يوجد بالتأكيد بحلول ١٣٢٠ روايات عن « الهرقليات » تتضمن أجزاء من التاريخ المنسوب إلى برنارد ، لم يكن هكذا ان ببيدو قد عرف برنارد ، ولكن كعمل تام ومستقل ، متماثل وأن يكن غير مشابه للعمل الذي نملكه الآن في نص « ١ » أو بينما يبين ماس لاتري ويصحح خطأ موراتوري فإن شبحه مايزال مستحوذا عليه ، ثم يمضي ماس لاتري بعد ذلك في القسم الثنائي من « الدراسة » ليدرس النيول الحقيقية في فترتها الأولى ، أعني حتى ١١٣٢ ، وهي أيضا مجال هذه الدراسة ، ويبدأ بملخص مفيد للنتائج التي قانه إليها القسم الأول بادئا بواحدة يناقض فيها نفسه ، أكد أنه هناك ترجمات لوليم تقدم عمل برنارد نفسه ، وفي وقت أسبق كان يهاجم فيه فكرة أن برنارد لم يكن يعرف عمل ولیم ، أكد أنه هناك ترجمات لوليم تقدم عمل برنارد نفسه وأنه بناء عليه كان ممكنا تماما لبرنارد أن يعرف « التاريخ » في ترجمة

فرنسية (٣٢) وهو يعلن (٣٣) الآن كنتيجة رئيسية أن أرنول وبرنارد كلاهما قد كتبا تاريخهما قبل أن تجري أي ترجمة لوليم وفي وقت متأخر مع ذلك (٣٤) رجع إلى فكرته الأولى مرة أخرى وأعلن متذمرا نوعا ما : « يبدو لي مرة ثانية ، من خلال التاريخ أنه (أي برنارد) كان لا يعرف بوجود ترجمة فرنسية للتاريخ العظيم للحروب الصليبية » .

ومن بقية هذا القسم تخرج أفكار جسيمة عديدة برغم أنها تخمينات حول دور ماس لاتري أكثر منها استنتاج من البيانات ، فهي بين أكثر أسهاماته قيمة ، وليس غير كثير أن الفحص الدقيق للنصوص الباقية حتى الآن ، يشمل مخطوطا هاما واحدا لم يكن ماس لاتري يعرفه (٣٥) والعديد مما لم يوليه اهتماما حقيقيا ، يؤدي إلى نتيجة منطقية كان قد سبق له أن قدمها كفرضية متخيلة ، وكثيرا مايكون مصيبا ، ولكنه غير قادر على عرضها بصورة مقنعة ، وهذه المعالم يقدمها ليرشد إلى طريق لم يكن هو نفسه قادرا على اتباعه حتى نهايته ، وهو على الأقل بقيمة النتائج نفسها التي توصل إليها بالفعل وأحيانا أكثر .

لقد أحدثت « الدراسة » ثورة في دراسة النذول ، ولأسوء الحظ إن الأثر لم يكن محسوسا على الفور ، إذ في شباط ١٨٦١ ظهرت دراسة للودويغ ستريت لم تأخذ الدراسة في الحسبان بالمرّة ، وحيث أن ستريت يشير إلى عمل ماس لاتري حول أرنول مجسدا في كتابه « تاريخ جزيرة قبرص » فإنه من المعقول افتراض أنه كان لابد أيضا أن يشير إلى « الدراسة » لو أنه كان يعرفها إذ أنه لابد أنه كان مكبا على كتابة بحثه الخاص ، والحكم من تاريخ النشر ، الفعلي في الوقت نفسه الذي كان فيه ماس لاتري يكتب « الدراسة » والمفروض أن يكون قد وصلت إليه متأخرة جدا ، وعلى كل الأحوال ففي كتابه « نيل تاريخ ما وراء البحار لوليم الصدوري باستثناء مواد غاليكو » (٣٦)

(وأخفق الأسلوب الواعد بشكل مؤسف في كل صفحة)

ونسخ استريت إلى حد ما العمل الذي قدمه ماس لاتري في « الدراسة » ولكن أيضا غطى بعض الجوانب الجديدة التي لم يمسها ماس لاتري ، وهذا يجعل من المستحق الاحاطة بإيجاز بمضمون ما سماه « لبلوس » وهو يعرض بنفسه خطة عمله بقوله :

Itaque ab initio, quo melius disputatio procedat, breviter superiorum sententias recensebo . . . , tum ad ipsam causam [sic] ita aggrediar, ut primum de totius corporis transmarini compositione disseram . . . , deinde narrationis, quae primae continuationis loco habetur, originem et propagationem investigare studeam . . . , denique scrutari incipiam, num certa quaedam illi cum Guilelmi Tyrii historia intercedat condicio quidve auctor secutus sit. (٣٧)

هذه أربعة أهداف من أجل « لبلوس » في نحو ٧٠ صفحة ، وهذا هو العناء الرئيس في بحث استريت فالالاقتصاد يتجه نحو التردى وإلى السطحية ، ومع ذلك فإن لديه شيئا ما ليقوله حول كل هذه الموضوعات تاركا جانبا غير الأصلي والواضح ، ويمكن أن نلخص إسهامه هكذا فهو ينبذ (٣٨) التمييز الذي قام به محققو الأكاديمية بين التفتيح الغربي والشرقي مبينا أن هناك ارتباطات متقاطعة بين الاثنين ، وهو مع ذلك لا يصل إلى فكرة تقاطع مشتركة لمصدر الباعة ، ولكنه فيما بعد يعطي فهرسا مساعدا ، وإن كان سطحيًا وناقصا لمختلف الشرائح التي ترد في أكثر من نص واحد ، وهو أيضا ينتقد محققى الأكاديمية لوضعهم ذقتهم في نص المخطوطين « أ و ب » ولكن حججه في هذه النقطة ليست مقنعة في الواقع ، وهو يعطي (٣٩) أمثلة على القراءات السيئة في هذين المخطوطين ، وهذا في الواقع حجة للقول بأنهما ليسا مخطوطين جيدين للنص الذي يعطيانه ، ولكن هذا ليس ما ادعاه محققوا الأكاديمية في المقام الأول ، والآخرى أنهم أكدوا أنه حيث يختلف نص هذين المخطوطين جذريا عن ذلك الذي تعطيه الروايات الأخرى عن النيول في المحتوى وليس في مجرد الصياغة ، فإن رواية « أ و ب » هي التي تعتبر النص الأقدم ، ويبدو أن ستريت قد خلط نوعا ما بين المخطوط والنص ، وعلى أي حال فإن الحجج التي يعطيها (٤٠) حول أولوية

س . ج على كل الروايات الأخرى مقنعة بصورة ضئيلة ، وأكثر الأجزاء أهمية في عمله هو الفصل القصير الأخير حول أردول ، فاستريت يظهر أردول مؤهلاً بشكل يعيد إليه اعتباره ، وكان مجرداً حتى الآن من المعرفة لأن الكل قد نسبوا إلى برنارد ما يعتقد ستريت أنه من عمل أردول ، أعني التاريخ القديم الممثل أعلاه على صفحة ٧ - ٨ بحرف « ز » ويجب تذكر أن ستريت يعتقد أنه أصلي جداً في إيراد هذه النقطة لأنه لم يقرأ « دراسة » ماس لاتري وهو يشير إلى فرض أردول كموافق لباليان دي ابلين في الحصول على معلومات عسكرية صحيحة ، ويتفق مع الرأي القائل بالاعتراف بأنه من عمل أردول الذي لا ينزع ذلك الجزء من التاريخ الذي يشكل العمل الأكثر تكاملاً مع تاريخ ابلين .

وهو يعتقد مع ذلك بأن أردول قد مضى بعيداً إلى ما وراء الهدف الذي وضعه هو نفسه في جملته الافتتاحية مكملًا تاريخ فلسطين لنحو ٤٠ سنة بعد فقدان بيت المقدس ، وبكلمات أخرى لا يقبل ستريت نظرية أن أردول قد توقف في ١ قبل ١٢٢٧ ، بل إنه يعتقد أن عمل أردول كما هو الآن مجزأ ، (٤١) فالأوهام التاريخية ينبذها كسمة لطريقة أردول ويعتبرها إضافات أجنبية ألحقت بالذيل (٤٢) ومرة أخرى يكرر تفضيله لرواية س . ج ، وبالنسبة للسؤال إذا ما كان أردول قد استمد من « التاريخ » من أجل الجزء الأول من تاريخه ، يصل ستريت إلى النتيجة الغريبة أنه قد فعل ، ولكنه كثيراً لا يتفق مع وليم وهما كما لاحظ سابقاً مؤلفان مختلفين جداً .

ثم يشير ستريت بعض النقاط الصغيرة ، ولكنه لا يخطو أي خطوة كبيرة قدما ، وكانت هناك عشر سنوات أخرى قبل ظهور عمل آخر ملموس . هذه المرة في صورة طبعة نقدية من قبل ماس لاتري لما عنوانه باسم « تاريخ أردول وبرنارد الخازن » (٤٣) وكانت هذه طبعة للنصوص ، سمت المؤلفين ، هي التي مثلت في الجدول الذي على صفحة ٧ - ٨ بحرف « ز و ١ » على التوالي ، وقد تم تبني مخطوط من العائلة نفسها مثل « ز » هو بروكسل ١١١٤

كأساس ، والأشكال المختلفة لما سمي بمخطوطات (٤٤) برنارد أعطيت في الحواشي النيلية ، وإضافة إلى ذلك فإن الأقسام المميزة لعائلة « أ » المنسوبة من قبل ماس لاتري إلى برنارد نفسه . أعني المقدمة التي تبدأ بعبارة « سنة التجسيد » والقسم الأخير الذي يغطي السنوات ١٢٢٧ - ١٢٣١ طبعت بالحروف المائلة في البداية والنهاية ، وأعيد طبع « الدراسة » لعام ١٨٦٠ كملحق بالطبعة ، وأضاف ماس لاتري أيضا مدخلا جديدا انسجما بين طبعته وطبعات موراتوري ومارتين وغيزوت والاكاديمية ، ومع النيول ، وكذلك أضاف أخيرا ، أوصافا للمخطوطات والطبعات السابقة التي استعملها .

وفي المدخل تطورت آراء ماس لاتري كما يتوقع المرء عن تلك التي عبر عنها في « الدراسة » قبل ذلك بأحد عشر عاما ، والتغيير الأكثر قابلية للملاحظة هو أنه الآن يشهد الانتباه إلى القيمة المحتملة لمخطوط ليون (د) (٤٥) . دون التخلي مع ذلك عن رأيه السابق بأن نص كولبرت فونتبلو (أ و ب) هو الأقدم والأكثر قيمة بين الجميع ، ومخطوط آخر أيضا هو بروكسل ١١١٤ قد أدركه اهتمامه حديثا فقط ، وفي الواقع إنه قد أعد طبعته بدونه ، وقد انتهى تقريبا عندما أفت كيرثن دي لتنهوف انتباهه إلى المخطوط ١١١٤ من المكتبة الملكية بروكسل الذي هلك له ماس لاتري الآن على أنه « نص أعطى فرصة إضافية لتقرير مصنف نص أرندول » (٤٦) .

وقد بدأ مرة أخرى باستعماله بصورة شاملة كأساس لطبعته ، وكان ما يزال لا يعرف والواقع أنه لم يعرف مطلقا ، مخطوطا كان من الممكن جدا أن يفضلته حتى أكثر من مخطوط بروكسل ، هو مخطوط القديس أوامر ٧٢٢ (مخطوط ز) ويبقى من المدهش أن ماس لاتري وقد أخذ كما كان باكتشاف مخطوط بروكسل ، لم يدرك أنه كان حريا أن يغير آراءه حول تأليف شريحة « سنة التجسيد » إلى

أخره التي مازال يسميها توطئة برنارد والتي طبعها بناء عليه بحروف مائلة في بداية العمل ، وسوف نرى فيما بعد أن هذه الشريحة كانت في الأصل غير مرتبطة كلياً بالتاريخ الذي يرتبط به الآن ، لأنها لم تكن توطئة ، ولأنها لم تكتب من قبل برنارد (٤٧) .

وغير ذلك فإن المدخل يتعامل على نحو واسع مع ببيزو ، متعقباً تاريخ خطأ موراتوري ، ومرة أخرى إنه لغريب أن ماس لا تـري لم يستثمر بأي حال بشكل كامل البيئة التي يقدمها ببيزو لنا حول عمل برنارد ، بل إنه نبذ مسألة أي نص بالضبط هو ما ظن ببيزو أنه من عمل برنارد على أنها غير ذات أهمية (٤٨) ، بالتأكيد لأن نبذ سوء تفسير موراتوري لبيئة ببيزو حيوي ، ولكنه ليس أقل جوهرية النظر إلى ما قاله ببيزو حقاً حول مصدره ، وقد وجدت الآن طبعات يمكن استعمالها برغم أنها غير دقيقة للنص اللاتيني والنيول الفرنسية ، وللتواريخ القصيرة المنسوبة إلى أرذول وبرنارد ، وبقيت ترجمة وليم محقة بصورة غير وافية نوعاً ما لأنها في مصنف راشيل كانت قد أعطيت منزلة حاشية نيلية ، ويبدو أن جهداً استثنائياً أقل نسبياً مما بذل للنص نفسه قد بذل في سبيله ، وبناء عليه اقترح بولن باريس إخراج طبعة من « الهرقليات » أي الترجمة والنيول معاً قائمة على المخطوطات التي تخص امبرواز فيرمين - بيدو ، وظهر المجلدان ١ و ٢ من هذا العمل المخطط له ، وهما يحويان الترجمة مع أوصاف بيت المقدس والجليل من النص الذي نشره ماس لا تـري ، وقد أضيفت كملحق للمجلد الثاني في ١٨٧٩ و ١٨٨٠ (٤٩) وكانا مزوَّين بحواشٍ نيلية ومسرود للكلمات الصعبة وخرائط لونيون ، وهذان المجلدان يجعلان المرء يأسف كثيراً في الحقيقة لأن البقية لم تظهر (٥٠) .

ومن ذلك الحين لم تنشر سوى قطعة كبيرة واحدة من العمل وهي تتعلق بالنيول كما تتعارض مع وليم نفسه ، وترجمة وليم هذه هي « المصنف المجموع » (٥١) لراينت ، ونشر في أرشيف الشرق اللاتيني لعام ١٨٨٠ - ١٨٨١ وهو فهرس لكل المخطوطات المعروفة لكل

النصوص سواء « الهرقليات » أو التواريخ القصيرة وهو تحسين لتصنيف ماس لاتري على الرغم من أنه قائم على الاسس نفسها ويبقى القائمة المعيارية حتى يومنا هذا (٥٢) .

وقد أوقفت كل البحوث من زمن راينت على نصوص أخرى من المجموعة سواء « التاريخ » نفسه أو النيل اللاتيني أو الترجمة الفرذسية ، ولم يوقف منها شيء للنيل الفرذسية أو التواريخ القصيرة وكل هذا سوف يوجد مدرجا في ثبت المراجع ، ويبعدونا علاقة هنا أن يذكر فقط تلك التي رغم أنها لا تتعلق بالنصوص التي تشكل موضوع هذه الدراسة أعني النيل والتواريخ القصيرة ، فإن لها بعض الصلة بالسالة التي بين أيدينا ، وقد حقق ماريان سالوخ في ١٩٣٤ التكملة اللاتينية التي وجدت ملحقه « بالتاريخ » في المتحف البـيطاني المخطوط Reg. 14.c.x., (٥٣) وفي ١٩٤٣ نشرت اميلي بابكوك و م . س كراي ترجمه انكليزية للتاريخ تحت عنوان « الأعمال المنجزة فيما وراء البحار » (٥٤) وفي سبذوات حديثه نشر ر . س . ب هو ينجز العديد من المواد العالية القيمة عن وليم تتضمن طبعة من فصل السيرة الذاتية المفقود من « التاريخ » (٥٥) وهو يعد الآن مع ه . ي ماير طبعة جديدة من « التاريخ » (٥٦) .

ما الذي يبقى إذا ليفعل ؟ أي دراسة للنيل الفرذسية والتواريخ البسيطة مفيدة الى حد ما بأن تأخذ كنقطة انطلاق عمل ماس لاتري الذي يشكل في التحليل الأخير العمل النقدي الوحيد للنيل الذي يستحق أن يؤخذ بجدية كبيرة ، والوحيد الذي من المعقول أن توضع عليه أي درجة من الاعتماد ، ويصف ماس لاتري بوضوح بعض العمل الذي تركه ليعمل بعده « هو انتهاء الفوضى الأساسية المتعلقة بتصنيف نيل تاريخ وليم الصوري » (٥٧) .

وسيكون هذا هو الهدف العريض للدراسة الراهنة ، وضمن ذلك

الهدف الأكثر دقة وهو إعادة بناء تاريخ أرنول على الأقل في خطوطه العريضة حيث لا تسمح بما هو أكثر وحيث يكون ممكنا بالتفصيل .

ومن جانب آخر إن استنتاجات ماس لا تري عندما تفحص بإمعان تنقلب أحيانا لتصبح أقل من محسنة ، وطريقته الكاملة في تحليل النصوص تستدعي عددا من الأسئلة على سبيل المثال القول عند إحدى النقاط في تنمة فونتبلو « أ و ب » وعند نقطة من بروكسل (٥٨) ١١١٤ بأنها تشكل أقرب من تاريخ أرنول الأصلي ، وهو يفترض أنه سوف يوجد نص واحد يكون أقرب من النصوص الأخرى كلها من الأصل ، في كل قسم منه (٥٨) . وفيما يتعلق بالطبيعة المركبة لكل النصوص ، فإنه من الواضح أن هذا ليس يقينا يمكن الاعتماد عليه ، وهويميل أيضا بالاشتراك مع كل عمل في النصوص لأن يتعامل مع كل منها ككل ، وبرغم أنه يعرف أن كل منها هو مجموعة من الأجزاء التي كانت يوما مستقلة عن بعضها بعضا فإنه لا يعالج الأجزاء المنفصلة ، والأسئلة التي يسألها حول النص تنطبق دائما على الكل مع أنها يمكن أن تكون بطبيعتها الذاتية مرتبطة بمرحلة مبكرة من تطور التصنيف حتى أن النصوص التي لدينا لا يمكن بأي حال أن تعطي أي جواب ذي معنى .

فعلى سبيل المثال بسؤال الى أي مدى كان تأليف معين قريبا لأرنول الأصلي ، من الجوهرى السماح على الأقل بإمكانية أن مراحل جديدة من التطور تفصل الاثنين ، وأن بعض أجزاء من النص يمكن أن تكون قد عانت تماما تغييرا أكثر من أخرى في العملية ، ويبدو أكثر منطقية وكذلك أكثر ربحا بقوة جعل الوحدات التي في التجمعات دائمة التغيير تذهب دائما الى تنظيم النصوص ، وليس هذا صعب العمل فيما يتعلق بالعدد الكبير نسبيا من النصوص التي نجدها في المتناول للمقارنة .

وسوف نبدا ، اذا بدراسة مقدار ما هو معروف عن هويات شخصيتين ضبابيتين يجب أن توجه اليهما إشارات دائمة في دراسة

- ٣٥٧٤ -

النصوص، وهما أرنول وبرنارد وما الذي كتباه قبل فحص بنية
مختلف الروايات في « الهرقليات » .

الفصل الثالث

المؤلفون المفترضون

أرنول وبرنارد

١- أرنول

في نيسان ١١٨٧ أرسل غي لوزنغان الى تابعة المتعب ريموند صاحب طرابلس وقد يتألف من رئيس اساقفة صور مع مقدم الداوية والاسبترارية وريزو صاحب صيدا ، وبالين دي ابلين ، واذشقت الجماعة في نابلس حيث تخلف بالين في المدينة بينما تابع الآخرون رحلتهم متفاهمين على أن عليه أن يلحق بهم في اليوم التالي عند قلعة الفولة ، وبذلك لم يكن حاضرا عند الاشتباك المفجع والسيء التخطيط ، والذي وقع بين فرسان المعبد ومجموعة الاستطلاع بقيادة الافضل بن صلاح الدين وهو الاشتباك الذي يسمى احيانا بمعركة الناصرة ، وعندما وصل بالين الى الفولة ، في اليوم التالي وجد المكان على ما يبدو مهجورا « وبناء عليه بعث خادمه أرنول إلى الداخل ليسأل من يجده فيه ، مخطوط ز - ورقة ٣٢ ظ - العمود (١) .

إن هذه هي صياغة أربعة مخطوطات الاولى منها هي برن ٤١ ، و برن ١١٥ ، وبروكسل ١١١٤ (١) وكل المخطوطات الاخرى من الموجز ومعظم تلك الهرقليات، وتروى الحادثة بالطريقة نفسها بالضبط مع مجرد حذف اسم خادم بالين (٢) ويقوم على هذا الذكر القصير أساسا أي ارتباط باسم أرنول بأي من النصوص وهذه بيئة ضعيفة ربما بذاتها ، ولكنها ليست بلا سند

- ٣٥٧٦ -

قوي من مصادر أخرى واللبداية بتعابير عامة ، ان جزء المختصر ، الذي يرد فيه ذكر اسم اردنول هو بقوة وبصورة موحدة مؤيد لموقف ابلين ، ويتعارض في تخمينه لشخصية باليان ومقاصده مع تواريخ معاصرة أخرى ، وهناك على سبيل المثال مسألة علاقة بالين بصلاح الدين ، ويذكر كاتب المختصر بشكل واضح انهما كانا صديقين مقربين تماما ، ولكنه يرجع ذلك الى شرف بالين ، كما يظهر جيدا بشكل خاص في روايته حول مفاوضات بالين مع صلاح الدين من اجل افتداء فقراء بيت المقدس بعد ان سقطت المدينة في أيدي العرب المسلمين في ١١٨٧ وطبقا للمختصر استخدم بالين نفوذه لدى صلاح الدين لتخفيض المبلغ المطلوب الى نسب معقولة ، ثم طالب علاوة على ذلك بتحرير ٥٠٠ من الناس بدون فدية ، كمعروف شخصي له ، وان صلاح الدين وافق على هذه الشروط مراعاة لصداقته مع بالين ، وليس ببساطة كحصيلة للمساومة الدبلوماسية المعتادة والبعيدة عن الشك .

: 'Lors s'amolia Salehadins, et dist que,
pour Diu, avant, et pour l'amor de lui qui l'em prioit, metroit
le raençon a raison, si qu'il i poroient avenir. (٣)

وفي مكان آخر يشار الى بالين واخيه بولدوين . صاحب الرملة على انهما البارونان الفرنجيان الوحيدان في بلاد ما وراء البحار اللذان كان العرب المسلمون يخشونهم حقاً وعند ارتقاء غي لوزنغان سنة الحكم في ١١٨٦ رفض بلدوين تقديم الولاء له لانه كان يعتقد ان غي وزوجته سيبل ، التي ادعى بأحقية بالملك من خلالها ، قد توجا بصورة غير مشروعة ، وقد عهد بأراضيه وبابنه الصغير توماس الى اخيه بالين ، وترك مملكة بيت المقدس الى انطاكية حيث دخل في خدمة بوهموند ويقول المختصر :

'Quant Bauduins
de Rames ot ensi fait, si vint a Balyan de Belin sen frere, se li
carja son fil et sa tiere a garder, et prist congiet, si s'en ala.
Dont che fu mout grans duels et grans damages a le tiere, et
dont Sarrasin furent mout lié, car il ne douterent puis homme
qui fust en le tiere, fors Balyan son frere seulement, qui
demoura. (٤)

وقد أسّخت الحادثة بالتأكيد البهجة الى معسكر العرب المسلمين لان المعارضة لفي كانت واسعة الانتشار ولم يكن بـولدوين اللورد الوحيد الذي ترك المملكة عند ارتقائه العرش .

وثار انشقاق ونزاع عام بين بارونات الفرنجة وسرعان ما انشقت البلاد الى معسكرين منهم الموالون لفي وخصومه الذين اعتبروا ريموند صاحب طرابلس رئيسهم غير الرسمي ، وكان انقساماً عجز الدولة الصغيرة عن احتمالها وكان اليه يعزى بالاجماع سقوطها ولكن « المختصر » . يتخذ رأياً مختلفاً تماماً من الحادثة المقتبسة اعلاه ، فهو يجعلها لا تصور الحالة العامة للاضطرابات السياسية السائدة في المملكة بل أهمية رجل واحد هو بلدوين صاحب الرملة ، وهذا نموذج لكامل معالجة « المختصر » والنصوص الأخرى حيث تتفق مع المختصر ، تعطى أهمية أكبر لأسرة أبلين مما كان لها حقيقة ، ومما كان لها هذا من قبل بشكل كبير .

علاوة على أن التواريخ الأخرى رغم معرفتها جيداً بعلاقات أبلين الوثيقة بصلاح الدين تضع تفسيراً أكثر إثارة للشك وحتى ازدرائياً صريحاً لها وهي ليست مألوفة جداً في وصف الطبائع الأخلاقية لباليان ، ومؤلف المدخل التمهيدي ، الذي على نحو لا يمكن إنكاره يمثل القسم المتطرف من نقاد أبلين إلا أنه ليس منفرداً بأرائه فهو يعطي هاتين الاشارتين الى أبلين .

Porro Balisantis, mortuo rege Amalrico, matrem puellae duxerat uxorem, quae Graia faece a cunis imbuta, virum moribus suis habebat conformem, saevum impia, levem mobilis, perfidum fraudulenta. (٥)

... contigit Stephanus de Torneham, ipsis obviare exeuntibus a Salahadino de Jerusalem, quorum nomina tunc temporis ob notam infamiae satis erant notoria. Unus eorum vocabatur Balianus de Ybelino, alter Reginaldus de Sydona. (٦)

وبكلمات أخرى إن شهرة ومقاصد أسرة أبليين . لم تكن بالمرءة
أمرا محمدا فهل كانوا يا ترى الفرنجة الذين استخدموا ذفونهم
الشخصي من أجل خير بلانهم أو كانوا ببساطة متعاونين ، أو
ماكربين أو خونة ؟ مشهورين أي سيئي السمعة ؟ إن « المختصر »
بلا تردد في جانب الابليينيين .

وبدقة أكثر إن التأكيد بأن مؤلف هذا الجزء من النص كان تابع
بالين دي أبليين قد تأيد أيضا بواسطة الرواية ، ومن وصفه لمعركة
حطين حيث من المؤكد أنه هو نفسه قد اشترك فيها ، وهو يصف
المعركة من وجهة نظر جنود المؤخرة ، وفي هذا النص وتلك النصوص
المرتبطة به عند هذه النقطة وليس في أي تاريخ آخر ، نقرأ قصة
الساحرة العربية التي وجدت من قبل سرجندي من قوات المؤخرة
وهي تلقى التعاويذ (٧) ، وبعد ذلك كل الرواية هي في المقام الأول عن
عمل جند المؤخرة ، ومن المعروف جيدا من مصادر أخرى أن جند
المؤخرة كانوا تحت قيادة بالين دي أبليين في ذلك اليوم ، علاوة على
ذلك بعد المعركة يمضي المختصر في وصف هرب بالين ، مع واحد أو
اثنين حيث كانت رحلته إلى بيت المقدس ، وإدارته للمفاوضات
لتسليمها قد وصفت سابقا أعلاه ، وهذه الرواية برغم أنها ليست
بدون الضعف والانحياز الذي سبق لنا ملاحظته كسمة لها ، هي في
الأساس دقيقة تاريخيا ، أي أنه لا يبدو ، عند مقارنتها مع مصادر
أخرى بأنها قد حرفت الحقائق ، بل إنها فقط قد قدمت تفسيراً
غريباً لها ، وكامل النص الذي تفحصناه للتو ، من معركة الناصرة
إلى استسلام بيت المقدس هو أحد أجزاء هذه التواريخ الأكثر
قيمة ، والتي يستعملها المؤرخون الحديثون ، ولا يبدو إننا أن هناك
سبب لعدم تصديق البيان المعطى في المختصر ، بأنه كان أرذول خادم
بالين دي أبليين « الذي كان له الفضل في الكتابة » .

إن المعنى الصحيح المعزول إلى تلك الكلمات مسألة كبيرة
وحيوية ، وفي الوقت الراهن فإن هوية الرجل المسمى هي المسألة

التي في أيدينا ، وهناك ثلاث قطع من البيانات خارج النص يفترض
أنه قد كتبها تلقى مزيدا من الضوء عليها .

اكتشفت الأولى واختيرت من قبل ماس لاتري في كتابه « تاريخ
جزيرة قبرص » وهي وثيقة قبرصية ، معاهدة حلف هجومي دفاعي
مدته خمس سنوات بين قبرص وجنوة ، أبرمت في نيقوسيا ومؤرخة
في ٢ كانون أول ١٢٣٣^(٨) وبين أسماء الشهود اسم ارنايكس دي
غيبيلتو ويذكر المحقق أن هجائيات رسم أخرى للكلمات توجد في
أماكن أخرى ، ولكنه لا يعطي أي مراجع ، وكما يبين ماس لاتري
إنه بالطبع ليس مؤكدا أن هذا الرجل والرجل المشار اليه
في « المختصر » واحد ، وهو نفسه ، ويحتمل أنه لا يمكن اثبات ذلك
بطريقة أو بأخرى ، ولكنه احتمال واحتمال قوي عندما يتذكر المرء
أنه كانت هناك صلة وثيقة بين عائلتي أبلين وغيبيلت ، وفيما بعد
عند فحص النيول سوف نجد مثالا واضحا حول طفل غيبيلتي كان
يربى في أسرة أبلين^(٩) وأنه على الأقل يحتمل جدا أن أرنول الذي
كان في ١١٨٧ يتعلم مهنة السلاح كتابع لبالين دي أبلين كان هو
أرنول دي غيبيلت نفسه الذي في ١٢٣٢ كان رجلا ذا أهمية كافية في
قبرص ليشهد على معاهدة ذات أهمية وطنية ، وكانت قبرص في ذلك
الوقت محكومة بفعالية من قبل الايبلينيين الذين كانوا هكذا في وضع
يمكنهم من الكفاءة بمنصب رفيع ، وهو اخلاص ظهر أثره على كل
صفحة من المختصر ، وقصة أن أرنول التابع كما يدعى أت إلى
تسجيلها كتابة ، والاشارة الثانية إلى أرنول سجلها فيليب
الذوفاري في قائمة لمشاهير المحامين والقانونيين الذين تلقى منهم
تعليمه القانوني الكامل ولو أنه غير رسمي .

Après fui moult acointé de monseignor de Saeste a Baruth et a Acre
et en Chypre; et moult de chozes m'aprist la soie merci volentiers. Et
apres tout ces grans seignors et sages usai moult en cort entor messire
Guillaume vesconte et messire Harneis et messire Guillaume de Rivet le
joune, qui moult estoient grans plaideors. Et au reyaume de Jerusalem
fui je moult acointé de messire Nicole Anteaume et de sire Phelippe de
Baisdoin, qui estoient grans plaideors en cort et hors court.^(١٠)

ولسوء الحظ لا يخبرنا فيليب أين عرف أرنيش وكما يمكن أن يرى من هذا الاقتباس فقد سافر كثيرا ولكنه يقرب اسم أرنيش باسم وليم دي ريفت الذي نعرف أنه كان في قبرص في الفترة موضوع البحث ، أعني في ١٢٢٠ حتى قبيل وفاته ١٢٣٠ .

وترد آخر إشارة إلى أرنيش في الهرقليات ، مع أن ذلك ليس في القسم الذي تتعلق به هذه الدراسة ، وفي صيف ١٢٣٢ نجد أرنيش دي غيلبت محاصرا في قلعة إله الحب من قبل قوات ريتشارد فيلا نجيري

Or retournerons a Richart le mareschal. Apres ce que il ot fait l'escheq a Casal Ymbert, il envoia en Chypre les Chypreis qui o lui estoient, et de la soe gent ausi. Quant cil furent venus en Chypre, si firent ensi que il orent le chastel et la vile de Cherines et la Candare, et la tor de Famagoste, et assegerent Deu d'Amors. Dedens le chastel de Deu d'Amors estoient . ii. serors dou roi, damoiseles Marie et Ysabel; et si y avoient chastelein Felipe de Cafran, et y estoit Arneis de Gybelet, que li sires de Barut avoit laissé cheveteine de la terre, qui moult poi y mist de conroi, si que neis le chastel ou les serors dou roi estoient, et il meismes ne garni il mie; ains dut estre perdu par soffraite de viande; et a grant mesaise et a grant meschief se tindrent tant que il furent rescos. (١١)

ومن هذه الاشارات الثلاثة يمكننا أن نبني صورة تخطيطية ، إلا أنها مساعنة تماما لارنيش دي غيلبت وهو رجل له أهمية كبيرة في الحقلين القانوني والسياسي ، وهو في الدول الصليبية كان معقدا أكثر من المعتاد في أغلب الاوقات وفي معظم الاماكن ، وحياته يبدو أنها قد أمضيت في بطانه اسرة ابلين الحاكمة والتي في اواخر ١٢٢٠ وأوائل ١٢٣٠ كان حكمها قد تأسس بإحكام في قبرص ، وكل هذه العوامل ستؤخذ بالاعتبار في تعيين ما الذي أمكنه وما لم يمكن أن يكتب بالضبط من مجموعة التواريخ التي هي موضوعنا ، وقد أن الآن الوقت للتحويل الى الشخصية التي خلف الاسم الوحيد الآخر الذي تحفظه التواريخ لنا وهي شخصية برنارد الخازن .

برنارد الخازن

حالما نبدا بدراسة برنارد الخازن نواجه بعبارة ظاهرة التناقض ، كما رأينا عند استعراضنا لحالة الدراسات ، لقد كان ينسب اليه تأليف أقسام كبيرة مختلفة من التواريخ سواء المختصر أو النيول أو ترجمة « التاريخ » حتى طبعه ماس لاتري في ١٨٧١ ، ومع ذلك فإن بينة المخطوط في ربط اسمه بالتواريخ هي في الحد الأدنى بالمرّة ، وملحوظ بنهاية المخطوطتين برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ هذه الاشارة للناشر « أعمال ما جرى في بلاد ما وراء البحار للراهب برنارد الخازن من رهبانية القديس بطرس غوربي - المجموع ٢٣١ (١٢) » هذا كل شيء ، إن برنارد مسمى في مخطوطتين فقط من عائلة من خمسة مخطوطات تحتوي النص نفسه ، ثم في اشارة نشر فقط ، وليس مثل اردول في صلب النص ، ومع ذلك فلكل هذا يكون من غير المعقول التخلي بخفة عن صلة التاريخ هذه بغوربي ، إذ أن دير الرهبان كانت له شهرة عالية كمركز للدراسة واستنساخ المخطوطات ، وكان مكانا عاليا على الأرجح لتأليف الروايات باللغة الدارجة عن الحروب الصليبية.

وقد تمتع دير القديس بطرس منذ تأسيسه بثروة طيبة فريدة ، ففي ما بين ٦٥٧ - ٦٦١ حولت باتيلدا أرملة كلوفيس الثاني مقر مستعمرة رهبانية لوكسيل الى غوربي ، حيث منحت الطائفة الجديدة الأرض والماء بسخاء ، وقد توبعت رعاية هذه الطائفة من قبل ستة ملوك ميروفنجيين هم : كلوثير الثالث شيلدريك الثاني ثييري الثالث كلوفيس الثالث شيلدريك الثالث وداغوبرت الثالث ومن قبل بيبين القصير وشارلمان ، حتى أن مزايا الدير عندما قدمت للتأكيد عليها من قبل راعي الدير ليو تشر بين ٧٥١ و ٧٦٨ ، ذكر أن الدير يملك أملاكاً واسعة في

والميزة الأخرى لغوربي كانت الميزة الطبيعية لموقعه ، على بعد ١٢,٥ ميلا فقط من المركز الرئيسي لامييين على تقاطع الطرق الرئيسية من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب عاملا ذا أهمية خاصة في فترة الحروب الصليبية ، مما أوجد حركة أكثر من المعتاد بين معظم أقسام المجتمع ، وفي كل الأوقات كانت غوربي في تماس مباشر مع مجيء التجار ونهابهم ، وكذلك الحجاج سواء من الأكليروس أو عامة الناس والمبشرين والجنود ، وكثير من مثل هؤلاء الناس لا بد أنهم قد لقوا الحفاوة حتى في الدير نفسه ، وقد أسهم هذان العاملان بدرجة كبيرة في النمو السريع لفرقة النسخ ومدرسة غوربي ، وعبر عن احتلاله لمكانته العلمية واندشغاله بالبحث في الاجراء الذي اتخذه اولهارد الأكبر في ٨٢٢ (١٣) من اجل حصر استخدام ورق البردي من قبل الدير ، وقد أصبحت مخطوطات غوربي شهيرة جدا في الواقع ، وكان على المرء فقط أن ينظر الى كتاب مابلول « الدبلوماسية الملكية » (١٤) ليرى أي عدد متفاوت من صوره مأخوذه من مخطوطات غوربي ، وكان لغوربي تأثير كبير على المدارس الرهبانية الأخرى وعلى الشؤون غير الرهبانية أيضا ، وكان رهبانه يتجولون في كل أنحاء أوروبا لهدف أو لآخر ، وقد جاء كل من هاربرت راعي بير لوبس ويودس أسقف بوفيه وباسكارس رادبرتس ومنافسه راترمذوس ودروثمار اللغوي الذي درس في مدارس ستيفلوت ومالبيدي، وأخيرا الراهب يوحنا الذي ساعد في تأسيس مدرسة قصر ألفريد في ويندشستر جميعا في الأصل من غوربي ، واستمرت شهرة الدير طويلا في الفترة التي تهمنا ، وذلك اعتمادا على الروايات المتوفرة حول مكتبته والفهارس الموضوعية لعام ١٢٢٠ (١٥) وما بعده ، واجمالا كان غوربي في اوائل القرن الثالث مكانا مثاليا لتأليف التاريخ الصليبي ، فقد كان لديه كل التسهيلات الضرورية لمثل هذه المهمة : غرف النسخ ومكتبته وشهود عيان من الصليبيين العائنين ، وموارد مالية ووسائل لنشر العمل الناتج، وعليه فليس مما يدهش أن نقرأ في اشارة الناشر المقتبسة أن التاريخ قد صنع (بأي معنى صنع مسألة تالية) من قبل برنارد

الخازن من دير الرهبان ، وكان قدرا معينا من النقاش حول ما إذا كان برنارد هذا راهبا أم لا قد تركز على بينتين ، توجي الأولى بأنه كانت له أملاكه الخاصة والثانية بأنه في الوقت المتعلق بذلك لم يكن هناك راهب بهذا الاسم في غوربي (١٦) ، وقد عولجت الأولى من قبل بولين باريس الذي اقتبس ما يلي من سجلات الدير:

‘... sous la date de 1203, une charte de l'abbé, confirmant à notre trésorier la propriété de ce qu'il avait acheté d'un chevalier nommé Bernard de Moreuil, antérieurement à la donation que ce chevalier avait fait de ses biens à la même abbaye (١٧)

والآن فإن حكم س . بنليكت لافيت للنظر حول مسألة الأملاك الشخصية من كل الأنواع (١٨) ، فمع أن هناك ظروفًا في ظلها كان المرء يمكن أن يجد راهبا بندكتينيا مشغولا بمعاملات تتعلق بالامتلاكات فإن أيا منها لا يوائم الحالة الموصوفة هنا ، وعلى سبيل المثال لا بد أنه كان ممكنا افتراض أن راعي الدير كان يعطي الخازن الامتلاكات موضوع البحث لاستعمالها ضمن البنية المالية العامة للدير ، ويذكر النظام الأساسي لادلهارد بشكل خاص مثل هذه الطرق على أنه

مرغوبة وفعالة ومرة أخرى نجد الخازن يشتري أملاكًا وليس هذا مدهشا : ويجب أن نفترض أنه كان يعمل نيابة عن الطائفة ولكن هنا فإن راعي الدير هو الذي يؤكد أملاك الخازن بمعنى أنه كان يقصد أن تكون له شخصيا ، وفي الواقع أن هدف هذا المرسوم كان كما يبدو التمييز بدقة بين جزئي أملاك برنارد دي موراي والجزء الذي باعه للخازن وهو ما يؤكد راعي الدير هنا أنه ملك للخازن ، والجزء الذي وهبه بالتالي للدير كرهبانية ، واجمالا إن التفسير الذي لا يمكن تفاديه للمرسوم يبدو في كون خازن غوربي في ١٢٠٣ كانت له امتلاكات خاصة ، وعلى هذا الأساس وحده يجب أن نؤكد أنه لم يكن راهبا محترفا . وليس مؤكدا بالطبع أن الخازن في ١٢٠٣ والخازن في ١٢٤٢ كانا واحدا والشخص نفسه مع أن بولين باريس كما يبدو اعتقد أنهما كذلك ، وهناك مع ذلك صعوبة

أخرى حول برنارد الخازن أعني أن سجلات الدير حول عام ١٢٣٢ لا تذكر أحدا بهذا الاسم ، وهذا ظرف اقترح ماس لاتري أنه يمكن أن يقصر بغياب برنارد الطويل على سبيل المثال في الحج (١٩) وهذا يعني أن عمله لم يكن في الواقع يتم في غوربي وإنما يعني فقط أنه جاء أصلا من بير القديس بطرس في غوربي ، وأقوى اعتراض على هذه النظرية (التي هي بالطبع على أي حال فرضية صرفة) هو ارتباط العمل الذي لا جدال فيه بشمال شرق فرنسا ، وهذه الصلة سوف تصبح أبدا أكثر ظهورا كلما تقدم فحص مصادره وتأليفه ، والاحتمال البديل بأن برنارد كان ينتمي للدير دون أن يكون راهبا ، وهو بالتضاد مقبول بشكل تام، ففي أي بير في العصور الوسطى كان هناك دائما تقريبا عدد من عامة الناس يعملون في وظيفة أو أخرى ، وفي بير له حجم وأهمية غوربي يحتمل أن العدد كان كبيرا تماما (٢٠) ، وفي الواقع أن وجود مثل هؤلاء الناس في المجتمعات الرهبانية أصبح مشكلا نوعا ما ، وكانت اصلاحات هيرشو مصممة لاختزال اعدائهم وتأثيرهم على حياة الطائفة ، وكان بعضهم مرتبطا بوظيفة رسمية على سبيل المثال كخدم منازل أو كتدفيين ممن يمكن أن يشغلوا مناصب ذات أهمية ، دون أن تكون دينية ، وكلا النوعين يمكن أن يعتبر كأعضاء في العائلة الرهبانية ولكنهم أعضاء من العامة ، وبصرف النظر عن هؤلاء مع ذلك كانت هناك فئة كبيرة من الناس ، قدم لها الدير النوع الوحيد لسياسة التأمين المتوفرة ، وكانت مشتركة للأفراد ، وأحيانا لعائلات كاملة حيث كانوا يدخلون الدير حاملين كل ممتلكاتهم للطائفة ، مع أن هذا عادة يكون مع الاحتفاظ بحق الانتفاع لأنفسهم مدى الحياة ، وهكذا يعطيهم ضمانا لا يمكن للدنيا أن تعطيه (٢١) في الأزمنة المضطربة سياسيا ، ومثل هؤلاء المنذورين ، كما كانوا يسمون كانوا يعدون باطاعة راعي الدير في الأمور التي ترتبط مباشرة بحياتهم في الدير، ولكنهم كانوا يحتفظون بحقوقهم الشرعية التي لا يحتفظ بها الرهبان المنذورين ، وكان هذا الترتيب واضح الدفع لكلا الطرفين ، فكان الامن سلعة قيمة للواحد ، والثروة للآخر ،

وكان هناك ايضا كثير من الناس ممن لجأوا الى احد الابريرة في سن متأخرة ، وطبقا للبروفسور ليغ كان هذا ما فعله بينيس بيرامس ، وكما بينت فإن بيرامس مزجما مثل دير القديس ادموند من غير المحتمل ان يدع موهوبيه يعضون دون الافادة منهم (٢٢) وبلاشك ان غوربي قد استثمر ايضا العباقرة من عامة الناس استثمارا كاملا ، وقد اظهر برنارد نفسه موهوبا كمصنف للتواريخ فقد اعطيت لحرية العنان في بيت كان بحق فخورا بمكتبته .

واجمالا ، كانت هناك طرق عديدة كان يمكن فيها لرجل من العامة ان يجد نفسه في عام ١٢٣٢ خازنا في دير بند كتي كبير ، وفي وضع يمكنه من ان يكون له كتاب معد لمكتبته وليس كبير الاهمية لفحصنا لتاريخه معرفة اذا ما كان برنارد راهبا او من العامة ، وما هو مؤكد انه كان مرتبطا بغوربي وان عمله سوف يحمل اثارا من تأثير الوسط الديرى ، على الرغم من ان منزلته الخاصة بالضبط في الطائفة ، وهكذا ففي اردول وبرنارد لدينا رجلان كانا بطريقتين مختلفتين مشغولين بشكل رائع بتأليف مثل هذه التواريخ مثل تأليف الموجز والنيول فكل من اسميهما مرتبط بالموجز ، فماذا كانت بالضبط اسهاماتهما المتعلقة بهذه النصوص ؟

الفصل الرابع

عمل برنارد الخازن

الظروف التي سمي تحتها ارنول وبرنارد مبينة في روايتي الموجز (١) - وهي تختلف بطريقة تعطينا بذاتها بعض الادلة على الاختلاف في اسهامهما في هذا التأليف ، و ارنول مذكور بالمناسبة بطريقة لاتعطينا اي دلالة حقيقية بالمرّة عن مقدار ما هو مؤهل له ، دع عنك مقدار ما هو في الحقيقة مقدار حصافته ، ولكن اسم برنارد يضاف رسميا الى عمل تام ، أما ما الذي كانت وظيفته بالضبط لانعرف بعد ، ولكن من الواضح انه بطريقة ما او باخرى كان مسؤولا عن العمل بكليته في الصورة التي لبينا الان في المخطوطات المسماة برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ (٢) .

واول شخص ذكر صلة برنارد بالتواريخ كان بالطبع فرانسيسكو بينزو التي وهدفت من قبل اشارته الى برنارد في استعراض حالات الدراسات (٣) وكما رأينا يبدو ان بينزو لم يقصد ان ينسب الى برنارد مائة كامل الكتاب التي يذكره فيها كمصدر ، بل فقط اجزاء خاصة منها ، وفي الواقع انه يسمي في اماكن اخرى مصادر اخرى مثل كتاب اوليفر البادر بورني « تاريخ دمياط » و هندسنت البرفيزي (٤) و بروكاردوس التي بذاتها كانت كافية لمنع الخطأ الذي ارتكبه موراتوري في عنوانه كامل الكتاب « الاستيلاء على الاراضي المقدسة »

وكان زيف هذا العنوان مصورا بقوة من قبل ماس لاتري الذي بين ان برنارد لم يكتب شيئا زيادة عما هو مضمن في المخطوطات التي تحمل اسمه ، ولكن ماس لاتري ، استبعد مسألة ما الذي كان يحويه بالضبط مصدر بينزو على انه غير هام ، واذا ما كان قد

استعمل مخطوطا من ترجمة وليم الصوري مع النيدول الى عام (١٢٣٠) او مخطوطين منفصلين واحد للترجمة وواحد لتاريخ برنارد كما هو لدينا الان في المخطوطات مع اشارة الناشر (٥) ، وهذا الاستبعاد يبدو نوعا ما قاطعا ، اذ انه في اي حال فان المعلومات سوف تؤثر بشكل خطير تماما في رأينا عن برنارد فيما يتصل بالنيدول ككل ، فاذا كان البديل الاول صحيحا فان بيينو اذا كان لديه مخطوط من الاثر المنقح للهرقليات ينتهي في عام (١٢٣٠) ، وهو غير باق حتى الان في اي مخطوط علاوة على انه كان معلما عند نقطة ما باسم برنارد ، وهذا يوحي بأنه يحتمل على الاقل ان اهتمام برنارد الاصلي كان ان يكتب نيلا للرواية الفرنسية للتاريخ التي بدورها تعني ان ما يسمى حاليا بتاريخ برنارد لابد انه من نوع مامن الاختصار واعادة العمل في ذلك الاصل .

والبديل من ذلك يمكن ان يكون قد فسر على انه يعني ان مصنفه تلك الرواية المدفوعة لعام ١٢٣٠ من الهرقليات قد استمدوا من عمل برنارد للسنوات التي سبقت ١٢٣٠ وان اسهامه بناء عليه لا يمكن ان ينحصر في قسم ١٢٢٩ - ١٢٢١ الموجود فقط في روايته عن المختصر ، وليس في الرواية التي تذكر اردول . واذا كان جانبا اخر يمكن بيان ان بيينو قد استعمل مخطوطين وان نسخته من تاريخ برنارد كانت اقصر من اي نسخة نعرفها الان ، ففي تلك الحالة يثار مرة اخرى السؤال : باي مقدار يكون برنارد المؤلف الاصلي ؟ اليس من الممكن انه بقدر ما يكون مخطوط برن ١١٣ نسخة من تاريخ برنارد المعروف ، بدون اسم المؤلف (الذي كما رأينا نعرفه فقط من مخطوطين آخرين للنص المماثل) (٦) فان بروكسل ١١١٤ هو نسخة من التدقيق الاول لعمل برنارد ، الذي يسمى على انه له هنا ، ولكنه قد سمي هكذا في المخطوط الذي عرفه بيينو ؟ وقد حددنا ما الذي لم تدعيه .

وفي الواقع ان بيينو يبدأ كتابه الخامس والعشرين بترجمة دقيقة نوعا ما ، للرواية الفرنسية « للتاويخ » مرجعا اياها للاتينية ،

مختصراً هنا ومسهباً هناك ومضيفاً مائة من مصادر أخرى ، وهو يتابع هذه الترجمة حتى الفصل الأول من الكتاب الرابع من الهرقليات (تسلم فولك أوف أنجو ملكا لبيت المقدس) حيث يتخلى عنه فجأة لصالح المختصر الذي يستعمله كمصدر أساسي له من تلك النقطة وما بعدها ، دون اعتبار تماماً لما إذا كان أكثر معلومات من الهرقليات وهو ما ليس كذلك دائماً تقريباً ، وفي هذه الناحية كما في نواح أخرى كثيرة أن طرق ببيزو غامضة ، وليست مشكورة بالمرّة ، وهو غير مؤرخ ، فعلى سبيل المثال في فصله ١٢٦ ينقل المعلومة الخاطئة تماماً التي يعطيها الموجز عن الحصار المفترض لعسقلان من قبل فولك أوف أنجو ولويس السابع وكونراد الذي يعطي تاريخ هرقل عنه رواية دقيقة وعرضاً أكثر أهمية بكثير من الكتاب السابع عشر ، تحت حكم بلدوين الثالث (٧) ولكن يمكن أن لا يكون هناك شك حول أي نص استعمله ببيزو كمصدر له.

إنه في ذلك الجزء المبكر من الموجز الذي يوجد في الرواية المنسوبة لبرنارد ، وفي الرواية الأقصر التي تذكر برنارد ، ولكنه غير موجود في أي رواية من تاريخ هرقل (٨) ، وهو غير ضروري فيه لأن ترجمة وليم تغطي الموضوع نفسه ، وكان ببيزو بالتأكيد يملك ويستعمل نصين أحدهما نسخة من تاريخ هرقل والثاني تاريخ منسوب لبرنارد

ما الذي يحويه هذا النص الثاني ؟ إنه بالتأكيد لا يتطابق مع المخطوطات التي لدينا الآن ، لأن هذه تمضي بعد النقطة التي ينتهي عندها مصدر ببيزو ، ويقول :

'Haec de gestis Regis Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii. Qualis autem fuerit exitus non inveni, vel quod historiam non compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus. (٩)

هكذا كان ما وصل إليه نص ببيزو ولا يمكن تشبيهه بالرواية القصيرة في الموجز (١٠) حيث أنه يمضي بعد أن يتوقف هذا النص ، ولا

بالرواية الاطول ، ونحن مضطرون لاستنتاج انه كان يوجد هناك مع ذلك رواية اخرى للنص نفسه وهي التي يذهبها بينوا الى برنارد ، ومع ذلك من حقيقة أن تكيف بينوا يتطابق بدقة مع تاريخ برنارد الباقي حتى الآن ، يمكننا أن نستنتج أن هذه الرواية الاقصر له قد اختلفت فقط في الطول ، وحقيقة أن بينوا كان يعرف أن برنارد كان المؤلف برغم أن مخطوطه كان كما كان يعتقد ناقصا يوحى بشيء أبعد حول نصه ، أعني أن برنارد كان مذكورا بمسودة مختلفة عما في اشارة الناشر في النهاية ، أو أن بينوا لا يمكن أن يكون كثير الشك في اكتمال مخطوطه وهكذا بدأ ماس لاتري ، فقد ادعى لنفسه اثنتين مذبحين من تاريخ برنارد ، وواضح الآن أنه كان محقا في ذلك (١١) ولكن يجب اضافة أن الاول يمكن ببساطة كما يوحى ، اعانة العمل في المائة الموجوبة في الموجز الاقصر الى عام ١٢٢٧ ، لأن مصدر بينوا يتوقف فقط عند ١٢٣٠ ، والاخرى أن يبدو بناء عليه أن برنارد قد أخرج أولا تاريخا مشابها للتاريخ الباقي في ذلك الحين في كل الوجوه سوى أنه انتهى في ١٢٣٠ (وهو عمل يمكن أن نسميه ب ١) ثم اضاف قسما اضافيا موصلا اياه الى ١٢٣١ ، وهكذا أصدر الرواية الباقية حتى الآن (ب ٢) .

ويبقى هذا السؤال قائما فيما اذا كان برنارد مؤلفا أصليا بالمرّة ، وهو سؤال تنقسم حوله المراجع تماما ، وتنتج الى تفسير كلمات اشارة دار النشر الصحيح ، وقد أيد بولين باريس الرأي القائل بأن برنارد أعد الكتاب ، ربما مستمدا كل المائة من مختلف المصادر المكتوبة ، بينما كان ماس لاتري واثقا بالقدر نفسه من أن برنارد كان مؤلف أجزاء على الاقل من النص ، وأن ما لم يفعله كان عدم تحرير الكتاب واخراجه فعلا بنفسه ، وكل البيّنات المتوفرة في جانب باريس .

والمادتان حول المكتبة وحجرة النساخ في كوربي من قبل دي ليسل وجونز (١٢) تعطي مجموعة مختارة من الاشارات الناشرين ، ومع أن هذه كلها مأخوذة من مخطوطات كوربي فانها نموذجية نوعا ما ،

- ٣٥٩٠ -

بالنسبة لمخطوطات العصور الوسطى بشكل عام ، وقد اُلفت قدرا كبيرا من الضوء على ذلك في برن ٣٤٠ ويمكن تلخيصها كآماذ عبيدة مميزة كما يلي:

- (a) Ego Audoinus scripsi. (B.N. lat. 13351)
- (b) Hic codex Hero insula scriptus fuit, jubente sancto patre Adalhardo, dum exularet ibi. (Leningrad F.v.I.11)
- (c) Isaac, indignus monachus, propter Dei amorem et propter compendium legentium hoc volumen fieri jussit. Quicumque hunc librum legerit, Domini misericordiam pro eo exoret. (B.N. lat. 17234. A)

نسخة من القرن العاشر من الرسائل الانجيلية للقديس بول .

- (d) Ad honorem totius Trinitatis et perpetue ac gloriose virginis Marie et beatorum apostolorum Petri et Pauli et omnium sanctorum quorum corpora et reliquie in hac Corbeiensi ecclesia continentur, compositus est liber iste a fratre Iohanne de Flissicuria, anno ab incarnatione Domini MCCLXXV. (B.N. lat. 13222.)

مجموعة طقسية بينية أعدت في ١٢٧٥

- (c) Amalarius: *De Divinis Officiis*. (B.N. lat. 11580).

وفي بداية هذا المخطوط لوحة كبيرة من القرن الثاني عشر تظهر القديسين بطرس واندروز وليونارد ، وأسقف أمالا ريوس ، والراهب هربرت يقدمون كتابا والراهب روبرت يذسخ كتابا .

وتميز هذه النقوش بين مختلف العناصر في اعداد كتاب : التأليف ، التصنيف ، قرار أنه يجب أن يذسخ ، الفعل البني الفعلي الكتابي .

وتدل الإشارة (١) ببساطة على الناسخ : فقد كتب أودانوس المخطوط ، دون أن يكون له أي دور في تأليف محتوياته ، وفي (ب) و (س) يسمى الراعي ، وهو الشخص الذي بمبادرة منه أعد المخطوط وفي (ب) هو رجل له بعض المكانة ، أدلهارد نفسه الذي

عند عوبته من المنفى وضع النظام الداخلي لدير غوربي ولكن في (س) هو راهب بسيط وفي (س) لا يحتمل أن اسحق يمكن أن يدعي بأنه كان له أي دور في تأليف الرسائل البولينية ، ولكن يقال بأنه قد تعهد اعداد الكتاب ، وفي (د) نصيح مسؤولين عن مجموعة طقوسية بينية مصنفة - من قبل جيان دي فليكسكورت الذي لم يقم بمجرد الاشراف على العمل ، بل إنه في الواقع اختار العناصر وجمعها بنفسه ، ومع ذلك فهو ليس المؤلف الأصلي ، والاكثر أهمية بين الجميع هو (إ) التي تصور كامل العملية ، وشرح جون للنصوص (١٣) ، هو الاوضح: الف امالا ريوس الكتاب بنفسه ، أعني أنه المؤلف الأصلي ، وتعهد (هربرت بنسخه) وبنسخه روبرت .

أي من هذه الأدوار مبين في اشارة دار النشر لبرن ٣٤٠ ٩ ليس هناك مجال للشك في أن برنارد كان هو الكاتب ، وبسبب وجود الرواية الأقصر من الموجز التي منها كانت روايته بلا منازع تكييفاً وتوسيعاً ، فنحن نعرف أنه لم يكن المؤلف الأصلي للمجموع بالمعنى الذي كان (امالا ريوس) المؤلف « للديوان المقدس » ، فإما أنه كان مثل جيان دي فليكسكورت قد جمع التاريخ من مصادر عديدة ، وكانت الرواية القصيرة للموجز هي العنصر الرئيسي ، أو أنه كان مثل اسحق وهربرت ، أي أنه ببساطة قد أمر باعداد نسخة من أجل مكتبة الدير من العمل الذي كان موجوداً بالفعل في صورتها الكاملة ، وأقوى اعتراض على هذا الحل الأخير هو عنصر الوقت ، فقد أعطينا أن مخطوط برنارد قد استنسخ كما تعلمنا اشارة الناشر في ١٢٣٢ ، وأن أخر حدث مروى وقع في أيلول ١٢٣١ في القسطنطينية ، فهناك بالكاد وقت يكفي لكي تنتقل الاخبار الى فرنسا ، ثم تدمج في تاريخ حديث التأليف ، ثم يعاد نسخها في غوربي كل ذلك بين ربيع ١٢٣٢ (أول إبحار ممكن الى أوروبا) ونهاية السنة ، وهناك أيضاً حقيقة الوجود الواضح لتاريخين لبرنارد مستكملين الى نقاط مختلفة ، فمن غير المحتمل أنه قد وجد مصدر مكتوب موافق بالضبط لهذه الفترة بين ب ١ و ب ٢ ،

والأكثر احتمالا بكثير هو الفرضية البديلة أن الرواية القصيرة للموجز كانت متوفرة في مكتبة غوريي ، وأن القطعتين المتواليتين اللتين أضافهما برنارد إليه كانتا من تأليفه الخاص ، ويحتمل أنهما قامتا على روايات شفوية للأحداث من قبل الحاربين الصليبيين العائنين .

إضافة الى الاستيفاءات التي تمت في كل مواضع الموجز من قبل برنارد ، وآخر قسم من تاريخه ، نسب إليه ماس لا تري أيضا على أنه عمله الأصلي الخاص ، المقدمة التي يستهل بها بداية تاريخه « سنة التجسيد » (١٤) . ولكن ماس لا تري كان حينئذ يلقى صعوبة في شرح حقيقة أن هذه المقدمة موجودة أيضا في مخطوطتين من الرواية القصيرة للموجز (بروكسل ١١١٤٢ و ب ن ف فر ٧٨١) طالما أنه يفترض من جانب أن نص هذه المخطوطات لا سيما نص بروكسل ١١١٤٢ ، الذي يستعمله كأساس له ، يسبق تأليف تاريخ برنارد ، ومن جانب آخر فإن المقدمة هي عمل برنارد الأصلي وقد دفع الى نتيجة (١٥) هي أن ناسخ هذه المخطوطات كان عليه أن يسلم كلا من الموجز القصير دون مقدمة ، وأيضا رواية برنارد الأطول ، وأنه أثناء نسخ مقدمة برنارد وفي نهاية عمله فضل من أجل التاريخ نفسه الالتزام بالرواية الأقصر ، بدلا من تضمين استيفاءات برنارد وقسمه لآعوام ١٢٢٩ - ١٢٣١ ، وقد اعترف ماس لا تري نفسه كيف كان هذا التفسير غير مرض ، وهو يتعارض مع كل شيء معروف حول الطريق الذي سلكه المصنفون فيما يتعلق بعملهم ، وبصرف النظر عن أشخاص غربيي الأطوار مثل ببيزو ، فإنهم لم يكونوا عادة ميالين لتسويغ مادة جيدة ، ومع أنه يعلن أن استيفاءات برنارد هي مجرد تجميع تفصيل ناقص ، ويضيف كثير منها قدرا كبيرا من الوضوح على القصة ، والقسم النهائي المخطط للسنوات ١٢٢٩ - ١٢٣١ هو بالطبع معلومات جديدة ، فهل علينا أن نصدق أن مصنف بروكسل ١١١٤٢ قد اختار عمدا أن يحذف كل تلك المادة المفيدة والهامة ، في حين أنه في الوقت نفسه أدخل المقدمة

السطحية المهلهلة ذات النقص الواضح ، و اضاف لها علاوة على ذلك من نهاية العمل ؟ ان هذا يبدو صعب التصديق ، ويجب علينا بوضوح ان نأخذ في الاعتبار على الاقل ، الاحتمال المعاكس ، وهناك بينتان تساعدان هنا : الاولى هي صورة المقدمة (او الخاتمة حسبما تكون الحالة) نفسها ، وهذه القطعة في جوهرها مخطط موجز للاحداث ، في المملكة اللاتينية في بيت المقدس ما بين وفاة غودفري دي بوليون في ١١٠٠ وتسلم عموري للعرش في ١١٦٢ - ١١٦٣ ، او تتعلق بتلك الاحداث ، وهذه نقطة اعتباطية للتوقف عندها ، مالم يكن على تلك القطعة ان تعمل كمدخل لتاريخ يبدأ في حينه ، وهو مالميس لدينا بالطبع بيئة عليه بالمرّة ، ومرة اخرى ، ان الحوادث المفصلة على ما يبدو اختيرت اعتباطيا تماما ، وبصرف النظر عن الحملة الصليبية الثانية المفجعة ، فان الكاتب يلقي فجأة بعض الضوء على الرها ، بصورة شديدة المبالغة في التبسيط ، فضلا عن انه اضاف عليها الخيال ، والحملة الفلمنكية تحت قيادة شحنة دكسمود (قائد قلعتها) ، والتي استولت على لشبونة في ١١٤٧ وكذلك وفاة روجر صاحب انطاكية التي ربطها بتعليق كثير الميل للنقد حول حياته ، وبكلمات اخرى ، ان الاشارة الوحيدة المحلية بشكل خاص هي الى شحنة ديكسمود ، وهي ليست اكثر من تكرار عما كان بالفعل شديد الوضوح من مصدر المخطوطات في ان كل واحدة من روايتي الموجز مرتبطة ارتباطا وثيقا بشمال شرق فرنسا وفلاندرز

وباختصار فان الفاتحة ، كما يبدو قطعة ناقصة لم تكتمل ، وتبدو كما لو كانت بداية لشيء جديد بدلا من ان تكون نهاية للنص الذي يسبقها ، وهذا يدفعنا للسؤال عما اذا كانت في الحقيقة مرتبطة بالمرّة بالموجز ، والجواب يقدمه مخطوط لم يكن معروفا لماس لاتري ، حيث يحوي مخطوط القديس او مر ٧٢٢ الرواية نفسها الموجزة في الموجز مثل بروكسل ١١٤٢ . ولكنه لا يتضمن تلك الشريحة بالمرّة سواء في المقدمة او الخاتمة ، وهو النسخة الوحيدة لموجز عام ١٢٢٩ التي لا تغفل ذلك ، ونرى للمرّة الاولى الموجز في هذه الرواية منفصلا تماما عن هذه الشريحة .

ويمكننا الان ان نرى لماذا كانت الشريحة - قطعة من نص غير مرتبط تماما بالدوجز بأي طريقة ، حيث اعتقد ناسخ ما لاحدى المخطوطات - مثل بروكسل ١١٤٢ - ان من المناسب استنساخها ، وكما تصادف فانه بدأ بها بعد ان اتمم دوجز عام ١٢٢٩ ، الذي يفترض انه اخذه من مخطوط وجد فيه وحده ، كما في مخطوط القديس اوامر ٧٢٢ ، واعتقد النساخون المتأخرون مثل نساخ « ب.ن.ف.فر ٧٨١ » خطأ ان الشريحة تتبع النص الذي اتت بعده ، وافترض برنارد ايضا ، وقد استمد الدوجز من مخطوط كهنيين الاثنين ، وجود صلة ، ولكنه بمزيد من روح المبادرة نقل الشريحة الى بداية العمل . وهذا بحده ، لا كما يقول ماس لاتري مكانه الحقيقي (١٦) ؛ ولكنه من المؤكد المكان الاكثر منطقية ، لانه اذا كانت له اي قيمة بالمرّة فهو تمهيد ، ونقل برنارد له يشكل تحسينا لاشك فيه .

ثم باستنساخ هيكل العمل ، طامسا اسم اردول ، مضيفا تفاصيل هنا وهناك ، ينهيه ببرنارد برواياته الخاصة لحوادث ١٢٢٩ - ١٢٣٠ ليقوم بتحديثه . وهكذا يخرج تاريخه في روايته الاولى (ب ١) ، التي لم تعد موجودة الان . ثم يعود فيما بعد (ب ٢) ، وهو نسخة من (ب ١) مع قسم اضافي ١٢٣٠ - ١٢٣١ ، وهذه النظرية هي بطرق عديدة تفسير مرض جدا لاهل تاريخ برنارد كما يبدو الان في المخطوطين ؛ برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ وهي تفسير لماذا كانت المقدمة هناك اساسا : ان برنارد لم يصنف تلك القطعة الغامضة تماما تقريبا لمجرد ، كما افترض ، اضافة شيء من عنده ، حتى لو كلف ذلك اخراج عمل اننى من الاصل ، بل وانه في الواقع محسن ، على مصدره . والشئ الذي اضافه ، ومملا وجود له في ذلك المصدر ، اعني قسم ١٢٢٩ - ١٢٣١ كان في صميم الموضوع تماما ويشكل ايضا تحسينا . واخيرا فان هذا التدقيق وهذا التوسع من جانب يسوغ بقوة وفي الضبط بادعاء اشارة الناشر : « كتاب برنارد الصحيح »

- ٣٥٩٥ -

لقد صنف برنارد الخازن اذا ، التاريخ الذي تحتويه المخطوطات الممثلة بحرف (ا) في الجدول على ص ١٠ - ١١ ، باستدساخ رواية المخطوط (ز) محولا الشريحة المضافة في النهاية الى البداية ، ومضيفا مختلف الاستيفاءات القصيرة الخاصة به ، وحكاية اضافية (وهي لعدم وجود البيئة على العكس يجب ان نفترض انها الاصل ، ولكننا لانستطيع ان نبرهن انها كذلك) ، لايصال التاريخ الى ١٢٣٠ ، وفي رواية اخرى الى ١٢٣١ . واسهامه كمؤلف اصلي هكذا صغير جدا ، ولكنه مصنف موجز ١٢٣٢ ، وان اسمه ، وليس اسم اردول ، هو الذي يجب ان يوضع على رأس العمل ، لان اسم اردول مرتبط فقط بحادثة واحدة ، موجودة في اعمال عديدة واحد منها من اعمال برنارد ، ويعود الى برنارد ، عمل الجماعة .

الفصل الخامس

عمل اردنول

بيئة رالف الكوغشالي

مع برنارد الخازن المشكلة هي ان يحدد دوره بالضبط في ايجاد نص خاص واحد ، هو رواية ١٢٣٢ للموجز الذي يحمل اسمه ، وقد تم فعل ذلك بمقارنة النص المنسوب اليه بالنصوص الاخرى ذات العلاقة ، وقد ظهر كمصنف لموجز ١٢٣٢ ، ولرواية اخرى سابقة مفقودة تنتهي في ١٢٣٠ ، وقد قدم الى مائة تواريخه على اقصى حد اسهاما محددا ولكن « النيل » له وحده . وفي حالة اردنول على اي حال ، فان المشكلة ذات نظام مختلف تماما ، فالذكر الوحيد لاسمه الذي بقي لدينا في مخطوط جاء عرضا ، والاشارة اليه حتى اكثر غموضا من تلك الموجهة الى برنارد ، واسوا من كل هذا ان المعنى الواضح للبيان المعطى حوله سرعان ما روي بسانه ليس المعنى الحقيقي .

بمعنى اننا حين نقرأ في موجز ١٢٢٧ :

(١) 'Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit'

من الطبيعي جدا ان نستنتج ان اردنول هو مؤلف نص ذلك ، والمعلومات التي يستطيع المرء ان يجمعها او يستخرجها حول هويته تميل الى تأكيد هذا الرأي ، فقلبه وسائل للحصول على المعلومات بصورة مباشرة حول مائة الموضوع ، والاراء المطروحة تتفق مع ما يجب ان نتوقعه من تابع لابلين ، وباختصار فان كل شيء يدعونا لان نعطي الكلمات القيمة نفسها مثل مالها في تاريخ روبرت دي كلاري ، وان نرى في موجز ١٢٢٧ التاريخ الاصيل لاردنول . وهذه الفرضية تنقلب لتصبح جيدة اكثر مما ينبغي ، ولتكون

صحيحة ، وعندما نفحص بعض نيدول وليم الصوري يتضح لنا بسرعة أنها تضم كثيرا من المانة نفسها التي في موجز ١٢٢٧ ولكن بصورة اكمل كثيرا ، وتماثل أجزاء النصين ، اكبر مما ينبغي لهما ، لتصور انهما مستقلين عن بعضهما بعضا . ومع أن الموجز ليس ببساطة صورة مختزلة من النيدول ، هو بالتأكيد مكثف عن مصادرها المشتركة ، واكثر من هذا ، إن الأقسام الخاصة بالموجز وحده ، وهي التي يمكن أن تكون من عمل أرنول ، ليست بالضبط الأجزاء التي يجب أن نتوقع أنه كتبها ، باستثناء المواد المتوقعة التي في الفصول العشر الأولى ، ومن الأجزاء المركزية قصة الفترة من نحو ١١٨٦ وما بعدها ، هي المشتركة بين النصوص ، وهي التي يسمى فيها أرنول ، والرواية المدعى أنها هي بشكل واضح ليست الاكمل أو الاقدم ، وإنما هي اشتقاق من مصادر مكتوبة استعملت أيضا من قبل مصنفى مختلف الروايات الهرقليات .

وقد اضطرت هذه الحالة محققى « راشيل » الى أستنتاج غريب جدا في الواقع : إن أرنول مع كونه شاهد عيان لمعركة حطين ، واستسلام بيت المقدس ، والأحداث الأخرى الرئيسية الحكية في النصوص ، لم يكتب برغم ذلك رواية أصلية مباشرة عن تلك الفترة ، بل أخذ تاريخا من عمل شخص ما آخر وكثفه ، ذلك أنه كان طويلا أكثر مما ينبغي ليتوافق مع أدواقه العسكرية (٢) ، وهذا بالتأكيد تفسير معقول للكلمات .

'cest conte fist metre en escrit'،

وهذا تقريبا كل ما يمكن للمرء أن يقوله في هذه النظرية ، تاركين جانبا حقيقة أن الاجراء الذي يقترحونه بالكاد يمكن تصديقه ، وهو لا يتوازن مع محتويات النيدول أيضا ، فلو أن أرنول كان مجرد مختصر كما يوحون ، لثار السؤال : من الذي كتب التاريخ الأصلي الذي أخذ عنه هو والمصنفون الآخرون ؟

وكما سنرى عند فحص محتويات النصوص العديدة ، إن أجزاء

منها على الأقل يصعب أن تكون قد كتبت إلا من قبل شخص يتفق بالضبط مع وصف أرنول .

وعليه لا يمكننا أن نقبل سواء أن موجز ١٢٢٧ كما هو عليه ، هو عمل أرنول الأصلي أو أن أرنول قد صنفه بتلخيص المصادر التي استخدمتها أيضا مصنفوا الهرقليات ، ويجب أن نفحص الآن فرضية اقتراحها ماس لا تري ، ولكنها لم تختبر مطلقا ، وقد اثبتت بأشارته في « دراسة تصنيفية » الى عمل رالف الكوغشالي ، وظنه بأن رالف يمكن أن يكون قد عرف ترجمة لاتينية لأرنول (٣) .

وحقائق هذه الحالة هي : كتب رالف الكوغشالي حوالي عام ١٢٢٠ « تاريخ الاراضي المقدسة » وفي هذا التاريخ عندما كان يحكي عن رحلة ريتشارد ، وفيليب أغسطس الى الارض المقدسة ، أحال قارئه من أجل رواية أكمل لهذه الأحداث الى تاريخ آخر :

Post Pascha anno ab Incarnatione Domini MCXCI, rex Franciae PHILIPPUS applicuit apud Achon et non multo post, scilicet circa Pentecosten, venit rex Anglorum RICHARDUS: quorum seriem itineris et quae in itinere gesserunt, seu ex qua occasione rex Philippus repatriavit, si quis plenius scire desiderat, legat librum quem dominus prior Sanctae Trinitatis de Londoniis ex gallica lingua in latinum tam eleganti quam veraci stilo transferri fecit. (٤)

ويكشف هذا الالماح عددا من المشكلات وهي تقريبا بالتعقيد نفسه مثل تلك التي تطرحها نيول وليم ذاتها ، والعمل الذي يشير اليه رالف هو بالتأكيد ذلك المعروف الآن باسم : « رحلة حج وأعمال الملك ريتشارد وقد رفض محققه الاول ، استبس (٥) ، تماما فكرة انه كان ترجمة لعمل فرنسي ، وفسر اشارة رالف بالقول بأنه لا بد ان يكون قد سمع بكل من « رحلة » وتاريخ « ما وراء البحار » (وهذا هو الموجز) واقترض دون مسوغ أن يكون الاول ترجمة للثاني ، وهو الأكثر قابلية للفهم طالما أن كليهما كانا في الجوهر ، إن لم يكن في الهدف ، نيولا لعمل وليم الصوري .

ولا يبدو أن ماس لاتري كان مطلعاً على مقدمة استتبس هذه ، ولكن الغريب أنه أيضاً يوحى بوجود صلة بين « الرحلة » و « المختصر » ، إلا أنه خلافاً لاستتبس يعتقد بأن الصلة يمكن أن تكون حقيقية وليست ملفقة من خيال رالف ، وهي مقتبسة من الفقرة نفسها من تاريخ رالف ، وبين أن مسألة أي تاريخ أشار إليه رالف وماذا كان أصله الفردي ، ليست تخميناً تافهاً ، لأنه إذا أمكن أن يظهر أن التاريخ الفردي كان من عمل اردول ، لوجب إذا أن نعرف بالتأكيد أن عمل اردول قد أنجز وأصبح قيد التداول قبل ١٢٢٠ وهو التاريخ الذي فيه أحواليه كتب رالف تاريخه (٨) ، وهذا بدوره يخبرنا بعدد لا بأس به من الأشياء حول عمل اردول كما رؤى بعيون معاصريه : إنه كان مقدراً بدرجة كبيرة حتى كان متداولاً على نطاق واسع امتد إلى انكلترا ، وبأنه على سبيل المثال ترجم إلى اللاتينية ، بدرجة عالية نوعاً ما من الدقة ، ويجب أيضاً أن نتمكن من استنتاج أنه قد توقف باقتضاب في ١٢٢٠ على أقصى حد ، وربما قبله بقليل ، وبناء عليه فإن الموجز بعد ١٢٢٠ لا يعتمد على اردول ، وبكلمات أخرى ، يجب أن نكون واثقين بأن الموجز كان من تأليف ثنائي على الأقل ، ولا يشير ماس لاتري إلى حقيقة أخرى ، يمكن أن تستنبط من كلمات رالف هي : إن التاريخ الفردي الأصلي ، وكذلك الترجمة اللاتينية لا بد أنهما كانا معروفين لديه ، طالما أنه كان قادراً على الحكم ليس فقط على أناقة أسلوب الترجمة ، بل أيضاً على مطابقتها للأصل ، فلم تكن بناء عليه مسألة مثال واحد مستقل على كون التاريخ الفردي معروفاً في انكلترا ، فقد كان يقرأ في ديرين مستقلين على الأقل هما : الشالوث المقدس في لندن ، وبيت رالف في اسكس ، وباختصار إذا ثبتت صحة فرضية ماس لاتري ، فإن جزءاً كبيراً من الغموض المحيط بأردول والموجز سيتضح ، وسيكون ممكناً تحديد تقسيم في الموجز بين أقسام ما قبل ١٢٢٠ وما بعد ١٢٢٠ ، وهذا بدوره سوف يؤثر على معالجتنا لمسألة علاقة الموجز بالهرقليات ، ويحتمل أن يصبح ممكناً أن نقول شيئاً أكثر مصداقية حول الصورة الأصلية لعمل اردول الخاص ، المبعثر جداً الآن بين مختلف روايات هذه الفترة من

النيول . وهناك سؤالان يتطلبان الإجابة : هل « الرحلة » حقاً ترجمة لتاريخ فردسي ؟ وإذا كانت كذلك ، هل التاريخ الفردسي موضوع البحث هو صورة ما من عمل أرنول ؟ وقد ذوقش أول هذين السؤالين كثيراً . واعتقد غاستون باريس في طبعته عن « تاريخ الأراضي المقدسة » المذخور في وقت يرجع إلى عام ١٨٩٧ ، أنه قد بت في الأمر ، ولكنه في الحقيقة فتح باب المناقشة التي كان لها أن تستمر زمناً طويلاً (٧) ، فالتاريخ الذي حققه هو رواية حول الحملة الصليبية الثالثة في مقاطع ثمانية ، كل مقطع فيها من بيتين من الشعر المقفى من نظم أمبرواز وهو شاعر نورماندي جوال كان يدعى أنه اشترك في الحملة التي قادها ريتشارد قلب الأسد ، ومقارنة باريس المفصلة لهذا النص بنص « الرحلة » تثبت بما لا يدع مجالاً للشك وجود صلة وثيقة ، وليست بالمادة فقط بل أيضاً بالكثير من التعابير في الجزء الأول من التاريخ ، التي تتوافق بالضبط مع تلك التي في الرحلة ، وقد أكد باريس أن العلاقة كانت علاقة أصل فردسي وترجمة لاقينية ، ومثل هذه النتيجة تستبعد بالطبع من المسألة بالمرّة ، ولكن في وقت أكثر حداثة ناقضت دراستان عن أمبرواز ، واحدة تأليف ج.غ. اداورد (٨) والأخرى تأليف ج.ل. لامونت وح. هيوبرت (٩) ، باريس واستبدلت نظريته بصورة مقنعة ، بنظرية ذات أصل مشترك مفقود ، وهذا الأصل كما يقولون يحتمل أنه كان بالفردسية المذخورة ، وهو وصف يضع أرنول مرة أخرى وسط الدوامة القوية .

وفي ١٩٦٢ ، ظهرت طبعة جديدة من « الرحلة » ل هـ . ي ماير (١٠) . الذي قدم الكثير من البراهين الجديدة ، وبالتالي الكثير جداً من النظريات الجديدة ، وهذه ليست مجرد أجوبة على أسئلتنا ، بل إن الأسئلة نفسها يجب أن تعاد صياغتها كلياً .

وبشكل أساسي يؤكد ماير أنه ليست هناك رواية واحدة بل روايتان باقيتان من « الرحلة » يسميها ي ب ١ وي ب ٢ . وتنتهي

ال « ي ب ١ » في تشرين الثاني ١١٩٠ ، وتقابل الكتاب (١) من نص استبس إلى نهاية ال غ ، باستثناء الفصل ٦٥ . وال « ي ب ١ » هو التاريخ الكامل كما حققه استبس ، ويؤكد ماير دون إثبات مطلق ، ولكن بحجة مقنعة بشكل معقول ، أن ال « ي ب ١ » كتب حوالي ١١٩٢ في صور من قبل داوي انكليزي ، كان قسيسا أكثر منه فارسا ، وأنه كان في جوهرة عملا أصيلا ، ولكن استمد من أجل حملة ببروسا الصليبية من رواية المانية مستقلة . وريتشارد « الثالث المقدس » الذي كان يعتبر قبل نشر طبعات ماير بشكل عام مؤلف الرحلة ، أخذ في حينه ال « ي ب ١ » طبقا لماير ، وباستعمال تاريخ امبرواز للاسهاب والتوسع فيه أخرج ال « ي ب ٢ » .

والفرضية المقدمة هكذا من قبل ماير لديها الكثير مما يزيكها ، فهي تنهي التأكيدات بأن كتاب الرحلة كان ، أولم يكن ، مترجما عن القرذسية ، ولكنها فرضية ليست مرضية تماما . فعلى سبيل المثال هناك فقرات أساسية مشتركة في « ي ب ٢ » وامبرواز وهي موجودة أيضا في « ي ب ٢ » ولم يسسـتـعـرها مصـنـفـ ال « ي ب ٢ » من امبرواز ليدخلها في « ي ب ١ » :

فهي موجودة من قبل في ال « ي ب ١ » طبقا لنظرية ماير قبل أن يبدأ عمله في التصنيف . وبكلمات أخرى ، من الواضح أن هناك بعض الصلة بين امبرواز و « ي ب ١ » ، منفصلة تماما عن « ي ب ٢ » ومصنفها . وأدق نقط هذه العلاقة هي مع ذلك غير جوهرية بالنسبة للمناقشة الجارية ، وكل ما نحتاج لقبوله حاليا ، هو أنه بينما يمكن أن يكون لدينا بعض التحفظ حول نظرية ماير عن تأليف « الرحلة » ، والذبول فإنها تسمح لنا بأن نأخذ « تاريخ » امبرواز على أنه لا يحوي شيئا ماديا ليس موجود أيضا في « كتاب الرحلة » كما حققه استبس .

وليس معنى هذا القول أن « التاريخ والرحلة » دائما في توافق

كامل ومفصل ، بل إنهما يتفقان على العموم في الخطوط الخارجية العريضة .

ومن البداية الاولى حتى لمقارنة سريعة لكتاب الرحلة مع نيول ولیم ، فإن عاملا واحدا يصبح واضحا : أن تعاطف مؤلفيهما يتعارض فعليا تماما حول كل شيء ، وكل انسان ، فالشرير لدى أحدهما بطل لدى الآخر والعكس بالعكس ، وبلا شك إن الحقائق التاريخية ، إذا كان من الممكن إخراجها من شراك الروايات المتحيزة بقدر متساو ورغم أنه مختلف ، تقع في مكان ما بينهما ، ولكن الموضوعية الجامدة ليست مخزون هذه التواريخ ، وبقراءة الدوجز يقتنع المرء بأنه ما أن ترك ريموند صاحب طرابلس ليرتب الامور دبلوماسيا مع صلاح الدين لم تعد هناك حاجة لحروب مأساوية ولا فقدان للأرواح ، ولكن أعمال النهب غير الذكية من قبل غي لوزنغن بتشجيع من مقدم الدادية الغادر جيرار أوف ردفورد ، جلبت الخراب الكامل للمملكة اللاتينية (١١) ولدى رتشارد الثالث المقدس من جانب آخر كان ريموند هو الحية المختبئة بين الاعشاب ، والمتعاون الذي كان اهتمامه غير الوطني بالذات يجعل الأشياء بالغة الصعوبة عند الملك النبيل الصالح ويعجل قطار الاحداث الذي تدوي على مساره جيرارد نفسه بيته الشهداء (١٢) .

إنه بناء عليه أمر ملح أن يكون المرء أكثر حذرا من المعتاد في فصل الحقيقة ، أو بالأحرى ما يقدمه المؤلفون على أنه حقيقة ، عما لا يمكن أن يكون شيئا سوى رأي ، إنه ورغم كل شيء ليس مستحيلا على مصنفين اثنين أن يكيفا المادة نفسها جذريا ليجعل التاريخ متوازنا مع ولائتهما الخاصة ، والاختلافات في التفسير لا تستبعد إمكانية وجود مصدر وحيد مشترك للمعلومات الحقيقية ، لكن بالنسبة للحقائق نفسها ، أي المعلومات الأساسية هناك اتفاقا معينا ، لكنه لا يدل بالضرورة على اعتماد الروائيتين على بعضهما بعضا أو على مصدر مشترك ، ومع القصص التاريخية خلافا للادب القصصي ، هناك دائما احتمال للدقة المستقلة ، ولكن الاختلاف

الواضح حول المواد الواضحة المباشرة للحقيقة ، التي لا يمكن لأي من الجانبين أن يكون له أي اهتمام بتزييفها ، يمكن أن يدل على الاستقلال .

وكما سوف نرى فإن مقارنة الرحلة وتاريخ امبرواز والموجز والنيول تقدم أمثلة على التماثل والاختلاف ، ليست بدون اهتمام ، مع أن النتائج التي تستمد ليست ما يمكن أن تكون قد توقعناه عند الابتداء .

إن مادة موضوع الرحلة كما يدل عنوانها هي رحلة رتشارد والحجاج الذين تبعوه في الأرض المقدسة ، والأعمال التي قام بها هناك ، ولكن الكتاب (١) قائم مع مخطط خلفي للأحداث التي سبقت مباشرة ثم تتزامن مع حملة الصليبيين ، لاسيما حصار عكا (١٢) . ويضع امبرواز معلومات الخلفية نفسها من استطراده (١٤) ويبين أنه امتلك مصدرا مكتوبا لهذه المعلومات :

Si velt Ambroises faire entendre
E savoir a cels qui aprendre
Le voldront, par com faite enprise
La citié d'Acre fud assise;
Kar il n'en aveit rien veu,
Fors tant come il en a leu.(١٥)

وتلك الفترة أي السنوات الخمس أو الست التي تنتهي في ١١٩٢ ، هي المعالجة إلى حد بعيد بأكثر كثافة في الموجز ، وتلقت أيضا معالجة مفصلة في كل روايات النيول ، ولكنها في امبرواز والرحلة تستعرض سريعا ، حتى أن أي مصدر تقريبا كان يمكن أن يفيد ، ومعركة حطين ، على سبيل المثال التي يمكن أن تعتبر بحق قطعة الانطلاق في الموجز ، والتي أوقفت النيول حتى تلك التي لا تتدفق كلية مع الموجز - عليها مساحة أكبر مما أوقفته على أي حدث آخر ، هي بالكاد مذكورة من قبل امبرواز . (١٦) ويضيف رتشارد في رواية الرحلة العديد من الاقتباسات التوراتية الدوامة ، وبعض الملاحظات الأخلاقية الباعثة على الفضيلة الخاصة به . ولكن ليس لديه مادة أكثر واقعية من امبرواز . (١٧) ومرة أخرى حول حصار

واستلام بيت المقدس ، هذه واقعة أخرى قد رويت كاملة في الموجز وفي النيدول ، بينما يقول امبرواز ببساطة ان صلاح النين استولى على المدينة . (١٨) وهنا يعطي رتشارد قدرا معينا من التفصيل مع انه ليس بقدر النصوص المتعلقة بأرنول ، وهو يضع لحظة مختلفة على كامل الرواية . (١٩) وكما نلاحظ معن لابلين لا يمكن بالطبع أن يتوقع منه أن يذكر الدور الذي شغله ، بالين دي ابلين ، في افتداء فقراء بيت المقدس . ومبالغ الفية التي يعطيها هي نفسها التي في الموجز : عشرة ننانير عن الرجل ، وخمسة للمرأة وواحد للطفل ، ولكنه أكد أن النين كانوا لا يستطيعون الدفع لشراء حريتهم كانوا يقعون في الاسر ، وفي الموجز والنيل من جانب آخر نقرأ أن بالين دي ابلين وبطيريك بيت المقدس قد نظما بعناية سكان المدينة ، وأجبرا كل واحد على أن يصرح بأي ثروة كان يملكها فوق الكمية الضرورية لافتداء نفسه ، ونظما سجلا لغير القادرين على افتداء أنفسهم . (٢٠) ، وبعد هذا تتخلل القصة عن الحقيقة الباردة لأجل مديح فوق الخيال ، وتفاصيل الترحيل السليم للمسيحيين المقتولين يختلف أيضا في النصين : ولاتوفر النصوص المنسوبة لأرنول تفاصيل المعاملة المخزية التي عانى منها اللاجئون على أيدي أبناء جلدتهم وبينهم المسيحيين ، سواء في طرابلس أو في الاسكندرية ، وهي تفاصيل بالكاد تتضمنها « شريعة الثالوث المقدس » ، في تاريخها ، حتى لو كان يعرفها . ولكن رتشارد يقول أيضا ، وهنا لا يمكن للمرء أن يرى باعنا على التزييف ، أنه قد سمح لهم باختيار أنطاكية أو الاسكندرية كمقصد لهم ، بينما يقول الموجز والنيدول إن بعضهم أيضا قد ذهب إلى طرابلس وبعضهم الآخر إلى أرمينية .

وكان إطلاق سراح غي افتراضا قليل الأهمية عند أرنول ، فهو يحسمه في فقرتين ، (٢١) ولكن امبرواز يعتبر غي موضوعه الحقيقي ، ويهمل حصار صور الأكثر أهمية سياسيا ، ليعطينا صورة مؤثرة ، أو ما يعني به بوضوح أن يكون صورة مؤثرة للملك وهو يبكي أرضه الضائعة ، (٢٢) وحول حصار صور فإنه حكاية الرحلة هي مرة أخرى أقرب للموجز : فسكلاهما لديه قصة كونراد

أوف مونتفرات الذي عرضت عليه حياة أبيه مقابل صدور ورفض ،
وكلاهما يعطي قدرا معينا من التفصيل حول دفاع كونراد عن المدينة
(٢٢) وكلاهما أيضا يذكر الاموال التي ارسلت الى ما وراء البحار
من قبل هنري الثاني الانكليزي ، ولكن في سياقات مختلفة ،
ووصف بواعث مختلفة - وفي الموجز التكفير عن موت توماس
بيكيت ، والاعداد لحملة الى فلسطين ككفارة ، وهي في الرحلة كرم
صرف ، ورتشارد كرجل دين ليس لديه سبب لتبويض مقاصد هنري ،
وفي الواقع اخرى بان يكون ميالا لانتهاز الفرصة لتذكير قرانه
بشهانة بيكيت .

وطبقا للموجز استعمل المال للدفاع عن مملكة بيت المقدس . قبل
حطين ولافتداء فقراء بيت المقدس بعد سقوط المدينة ، وطبقا
لرتشارد انفق كره في الدفاع عن صور في ١١٨٨ (٢٤) ولا يذكر
امبرواز المال بالمرّة . وهو أيضا يحذف تماما خبر التعزيزات التي
ارسلها وليم الصقلي باستثناء اشارة عابرة في مكان اخر ، وفيما
يتعلق بوفاة وليم يعطي الموجز والرحلة كلاهما معا التفصيل عن
الموضوع (٢٥) ، ويتفقان حول اعداد القوات المرسلّة ٥٠٠ فارس
مع ان الموجز يقدّمهم الى جماعة من ٢٠٠ في اذار وقوة اخرى
من ٣٠٠ في اب التالي ، ويضيف رتشارد اسم قائد الاسطول وهو
مرغريت بينما يتوسع الموجز حول المعونة التي قدمها وليم الصقلي
الى رئيس اساقفة صور عندما مر عبر صقلية في طريقه الى اوربا
حاملا نبأ سقوط بيت المقدس ، وفي شأن طلاق ايزابيل صاحبة
القدس من هنري صاحب تيرون ثم زواجهما من كونراد أوف
مونتفرات فان النقاط العامة والدينية في الموجز والرحلة على التوالي
تصبح طفيلية جدا لدرجة تعوق اي مقارنة صحيحة بالمرّة ، ويشعر
رتشارد انه من الضروري ان يضيف صفات اخلاقية بشكل واسع ،
مؤيدا لقضية الحزب المناهض لكونراد ، ومشوها اخلاق مؤيدي
كونراد . وهذه هي الفرصة لوصف ريتشارد المشوهة للسمعة لبالين
دي ابلين الذي سبق اقتباسه في مكان آخر (٢٦) .

ويكتفي الموجز بالقول :

'Teus i ot qui s'acorderent al
departir, et tels i ot qui dist qu'il ne pooit estre:(٢٧)

وروايات الهرقليات التي لا تتماثل مع نص الموجز عند هذه النقطة ،
لديها اهم وابرج رواية عن الاحداث ، مبينة البواعث الخفية من
جانب مختلف الزعماء ، وكيف شغلت العداوات الشخصية دورا
بحجم الاعتبارات السياسية نفسها وتنتهي هذه الرواية نهاية
مشروومة .

'Encores deit l'on
douter que li roiaumes de Jerusalem ne soit alé perillant et
amenuisant par icesui fait.(٢٨)

وتشمل ايضا كما تفعل رواية الرحلة ، التأكيد بان كونراد رشا
رجالا لياخذوا مكانه ، وإشارة الى غي دي سنليس تختلف على اي
حال بشكل غريب عن الرواية الواردة في الرحلة ، ففي الرحلة أسر
غي من قبل الاتراك في يوم زفاف ايزابيل من كونراد ، ولم ير ثانية
فيه ، بينما يقدمه تاريخ هرقل كبطل لايزابيل متحديا منفري وفي كل
هذه الروايات المختلفة حول الطلاق ، هناك من التناقض اكثر من
التشابه ، ولكن في هذا الحدث تبدأ حقيقة واحدة في الظهور بصورة
باهتة ، سوف تصبح اكثر وضوحا واهمية كلما تقدمت مقارنته
للنصوص ، ويحدث هذا عندما يكون هناك اي تماثل واضح نوعا ما
بين نصوص امبرواز او نصوص الرحلة مع نصوص الموجز او
الهرقليات ، والرابطة دائما تقريبا بين الرحلة وتلك الروايات في
الهرقليات هي الاقل شبيها بالموجز ، وهذه هي رواية « ا و ب »
عامة ، ومن حين لآخر ايضا « د » ، عندما يكون نص « د » متفقا مع
« ا و ب » وأعطى حصار عكا قبل وصول ريتشارد قلب الاسد
اهتماما قليلا نسبيا في كل من الموجز او تاريخ هرقل ، في حين ان
امبرواز والرحلة تحذوان كل التفاصيل الممكنة ، طالما ان هذه
العملية التي سوف تشكل اول اهتمام للجيش الانكليزي والفرنسي
عندما ينزلون من المراكب (٢٩) ، واي اقتراح بان يوميات الحصار
التي يفترض انهم قد استمدوا منها مادتهم يمكن ان تكون هي ارنول

الاصلي ، او نصا مستمدا منه ، لا يمكن تأييده طويلا بشكل جدي ، ولا يمكننا حتى الافتراض انه كان رواية مستقلة اكمل اخذ منها الموجز كما اخذت الزيول ايضا ، لانهم عندما يلمسون الموضوع نفسه كما يفعل امبرواز ورتشارد تكون هناك فروق بينهم لا يمكن حقيقة تفسيرها بعيدا على انها حتى خلافات جذرية جدا في التكيف ، والمثال واحد عندما يعالجون جميعا موضوعا متحررا نسبيا عن مضمون سياسي ، حيث ان أي واحد منهم ليس لديه أي اهتمام ملموس بتشويه الحقائق ، ولكن عندما يتدبرون مع ذلك الاختلاف حول الامور غير التفسيرية بل مجرد المعلوماتية ، ووصف المجاعة التي عانى منها الجيش المحاصر لعكا ، الاسعار التي كانت تباع بها مختلف السلع في أوج المجاعة ، فانها لا تكون واحدة في الفقرات الأكثر جمالا فنيا أو أخذا من التواريخ ، وفي الواقع يكون معقولا ان توصف على انها عابية مبتذلة وحتى مملة ، ولكن من اجل هذه الاسباب بالذات فانها تعرض مقارنة جيدة : وهناك قليل جدا فيها ، باستثناء المعلومات الجافة ، وهذا برغم كل شيء ما نريد مقارنته في الروايات المختلفة .

Mult ert li muïs de blé pesanz
Qui costeit en l'ost cent besanz
Que uns hom portast soz s'assele
Mult aveit ci freide novele.
Chiers i esteit blez e farine,
Doze solz valeit la geline
E l'oef vendeit l'om sis deners,
Tant esteit li tens pautoners.

(*Estoire*, vv. 4217-4324.)

Quid plura? modii tritici, mensura modica quam videlicet quis facile portaret sub ascella, centum aureis vendebatur: gallina quoque solidis duodecim, ovum sex denariis. (*Itinerarium*, i. 66)

Grant cherté avoit en l'ost, si que li muïs dou blé valoit .xx. besanz Sarrasinas; une geline valeit .lx. solz; de buief ne de moton ne troveit l'en point; un huef valoit .xij. deniers. La meudre char que les gens de l'ost manjassent, si estoit char de cheval ou de mule ou de asne. La mesaise estoit si grant que, quant les povres gens poent trover aucune beste morte il la mangeent a grant deintie. (*Eracles, a-b and d. RHC* ii. 150.)

Or vous di jou qu'il ot si grant cierté en l'ost des Crestliens qu'il fu tele eure c'on vendi le muï de forment .lx. besans et le muï de lerine .lxx. Or vous dirai combien li muys est: çou c'uns porteres porte a son col est li muïs de le tiere. Et .i. oef vendoit on .xii. deniers; et une geline

.xx. sols; et une pume .vi. deniers. Vins et cars parestoit si ciers c'on n'en pooit avoir, se de ceval non, quant il moroit. (Abrégé, M-L p. 266.)

Lors ot tel foiz, fu si grant chierté en l'ost des Crestiens que l'en vendi le mui de froment .lx. besanz et le mui de farine .lxx. Et le mui est ce que un home puet porter a son col. Et vendoit l'en un oef. xii. deniers et une geline .xx. solz; et une pome .vi. deniers. Vin et char par estoit si chier que l'en n'en pooit point avoir, fors char de cheval, quant il moroit.
(*Eracles* cf. *RHC* ii. 151-2.)

Une si grant chierté fu en l'ost aucune foiz c'om vendoit .i. mui de froment .i. besanz, et le mui de farine .lx. Le mui de la terre est tant com .i. porteur porte a son col a une foiz. L'en vendoit .i. oef .xx. deniers, une geline .x. solz, une pome .vi. deniers. Vin et char par estoit si chier c'om n'en pooit avoir se de cheval non, quant il moroit.
(*Eracles* gG. *RHC* ii. 152-3.)

وهنا النموذج الذي رأيناه بغموض كئينة في روايات طلاق ايزابيل يظهر بوضوح اكثر ، وتتفق روايات الموجز وال س.ج وال غ.ج من الهرقليات فعليا كلمة بكلمة ، والارقام التي اعطاها غ.ج ليست الشيء نفسه دائما ، ولكن نسخ الارقام الرومانية بشكل خاص معرض للخطأ وهنا عندنا رقم واحد — نفسه —vi— و— x x مقابل xii، خطأ قابل للفهم ، وال x الاخيرة محذوفة من الثلاثة الاخرى ، وبصرف النظر عن هذا فان الموجز و« س.ج و غ.ج » متفقين تماما . وهذه الحالة كثيرة جدا في كل اجزاء النيدول . وليس فقط في هذا القسم ، كما سوف نرى بوضوح فيما بعد . وبالمثل يتفق التاريخ والرحلة بالضبط مع بعضهما بعضا على الاسعار ، كما يجب ان نتوقع ، وايضا على تحديد معيار ، مثل ، الكمية التي يمكن للانسان ان يحملها تحت ذراعه ، بينما تقول كل النصوص الاخرى فوق كتفيه . وبين هاتين المجموعتين « التاريخ » و« الرحلة » من جانب ، والموجز و« س.ج » و« غ.ج » من الجانب الاخر ، تقف الرواية الباقية من الهرقليات اي من « اوب » وهو النص الرئيسي من طبعة راشيل التي حدث واتفقت معها هنا رواية « د » مع ان هذه ليست باي حال الحالة المعتادة للامور كما سوف نرى ، (٣٠) ان هذه الرواية لا تشبه تماما ايا من الروايات الاخرى ، والسلع التي تختارها كأمثلة موضحة هي تلك المختارة ايضا من قبل امبرواز ورتشارد — ومثلهما — وخلافا

للموجز « و.س.ج. » و « غ.ج. » ، فانها لاتذكر التفاح او النبيذ غير المتوفر الحصول عليه واللحم - ولكنها في خلاف كامل مع امبرواز ورتشارد حول الاسعار ، ويبقى صحيحا مع ذلك انها تتفق معهما في بعض المعايير ، مع انها صغيرة ، وانها الوحيدة من نصوص الهرقليات التي تفعل ذلك .

ومن اجل كامل حكاية الحملة الصليبية الثالثة ، فان نصوص النيول موجوبة في هاتين المجوعتين ، حيث يتفق الموجز مع « س.ج. » و « غ.ج. » ضد « ١ - ب » ورواية « د » هنا كما في احوال كثيرة في زمرة لوحدها ، متفقة مرات عديدة مع « ١ - ب » ، ولكنها تمثل في احوال كثيرة نصا خاصا بها ، ومن اجل المقارنة مع الرحلة وهو النص الرئيس في مصنف راشيل ، فان رواية « ١ - ب » هي الاكبر اهمية كثيرا ، وهذه الرواية تتفق احيانا مع الموجز « و.س.ج. » و « غ.ج. » حول نقاط الحقيقة ، ولكن لا يوجد مطلقا التماثل النصي نفسه كما يوجد بين هذه النصوص الثلاث فيما بينها فعلى سبيل المثال ، هناك رواية رتشارد قلب الاسد عندما يلتقي بزوجه المقبلة ، بيرنغاريا النافارية (٢١) فطبقا للرحلة ، ذهب رتشارد الى ريغيو ليلتقي بأمه اليانور ، وأخته جوانا صاحبه صدقية ، وبيرنغاريا ، وأرسل جوانا وبيرنغاريا قوما متقدمتين عليه في سفينتهما ، وتتفق كل روايات النيول والموجز ، رغم أنها تروي القصة بشكل مختلف ، أن اليانور وبيرنغاريا وصلتا الى مسينا عندما كان رتشارد قد سبق له المغادرة ، ولكنهما وجدتا سفينة جوانا على وشك الابحار ، وانضمت اليها بيرنغاريا ، وعند وصول الملكتين خارج شاطئ قبرص ، كل النصوص لديها بعض الروايات عن المتاعب مع اسحق كومنيوس ولكن التفاصيل تختلف ، ففي الرحلة أرسل اسحق هدايا الى الملكتين اللتان سايرتا موافقتين على النزول من السفينة في اليوم التالي ، ولكن قبل أن يصبح ذلك ضروريا وصل رتشارد ، وفي الهرقليات والروايات « ١ - ب » و « د » رفض اسحق طلب الملكتين تجسيد تموينهما من الماء وأرسل سفنا لمطاردهما ، وقد رفعتا الرسالة

وهربتا وقابلتا اسطول رتشارد في أعالي البحر في اليوم التالي ، وفي الموجز ، وفي المختصر و « الهرقليات و س ج و غ ج » وهما هنا مرة أخرى على اتفاق تام أمر اسحق جوانا بالنزول من السفينة فرفضت فلاحقها من قبل سفنة ، ولكنها التقت بسفينة رتشارد على الفور تقريبا ، وتدعى هنا حاشية نيليه في مصنف راشيل . بتهور نوعا ما بأن روايات « أ - ب » و « د » والرحلة متماثلة والخلافات لفظية فقط (٣٢) ولكن الفروق في الواقع كبيرة تماما ، وتقريبا بالحجم نفسه لتلك التي تفصل الرحلة عن الروايات الأخرى في النيدول وعن الموجز .

وإنه مع وصول جيش رتشارد الى فلسطين ، فإن التماثل بين « أ - ب » والرحلة والتاريخ يصبح واضحا حقيقة للمرة الأولى ، وحادثة الشيني الكبير على سبيل المثال تتفق بالتفصيل (٣٣) : وكانت السفينة تحمل تعزيزات من القوات وأسلحة ، وأفاعي ، وقوارير من النار اليونانية ، وليس بدعة أنه يمكن أن يعثر عليها بسهولة مصادفة من قبل مؤلف يخترع تفاصيله الخيالية كما هو مطلوب ، وجاء في كلا التاريخين بأن السفينة قد غرقت خارج عكا ، بعد اشتباك مع سفن رتشارد الكبيرة ، والفروق الصغير الوحيد هو في مصير البحارة : ففي الهرقليات غرقوا جميعا ، بينما في الرحلة أخذ بعضهم أسرى ، وليس هناك مسألة اعتماد مباشر من رواية على الأخرى ، إذ أن كلا منهما تعطي تفاصيل تحذفها الأخرى .

وعلى سبيل المثال سمي القبطان في الهرقليات ، ولكن لم يذكر اسمه في الرحلة ، بينما الأخيرة لديها تفاصيل أكثر حول المناوشة ، ولكن الاتفاقات هنا لا تتحمل إمكان تفسيرها على أنها مصادفة .

والاستيلاء على عكا من جانب آخر ، غير متماثل في النصين ، مع أن الفروق ليست كبيرة جدا بحيث تتوفر إمكانية

وجود تكييفين مختلفين للنص نفسه (٣٤) والاختلاف الرئيس هو أنه في قصة الهرقليات يهاجم الملك الفردي والانكليزي معا ، ثم رتشارد وحده ، ثم الاتفاق معا مرة أخرى بينما في الرحلة يكون رتشارد مريضا ، وفيليب أغسطس هو الذي هاجم وحده ، وأعطيت بنود المعاهدة أيضا مختلفة نوعا ما ، ولكن في هذه الحالة إن الاختلاف في التشديد أو التوكيد ، أكثر منه في الحقيقة ، فنص الرحلة دقيق جدا حول أعداد الأسرى المأخوذين ، وأعطى أولا الاقتراحات المقدمة من قادة المسلمين ، ثم البنود المتفق عليها أخيرا بعد التفاوض . ولدى كتاب هرقل نفذ الاستسلام كله على يد قائد مسلم واحد هو قراقوش الذي كان قائدا لعكا في غياب صلاح الدين ، وقد ذكر إطلاق سراح كل الأسرى من المسيحيين ، وليس مجرد رقم معين ويمكن لهاتين الروايتين أن تكونا مختلفتين لصورة يمكن تصويرها ، ومن المحتمل أنهما تكييفا نوعا ما بلا مبالاة عن المصدر نفسه ، أو أنهما تمثلا مصدرين مختلفين .

ومن الصعب في هذه الحالة القول بأن واحدة هي حتما الحالة أكثر من أن تكون الأخرى ، ولكن يجدر ملاحظة أن رواية الاستسلام التي تعطيها كل من « س ج » و « غ ج » والموجز بعيدة جدا عن الهرقليات والرحلة مما هما الواحدة عن الأخرى ، حيث تعطيان الشروط بصورة مختلفة تماما :

مبادلة الأسرى سجين بسجين ، وفدية يتفق عليها لذوي المناصب ولاذكر لأعطاء الأمان لسكان عكا ، (٣٥) ومرة أخرى أيضا نعود إلى الحالة حيث ، مع أن أيا من نصوص الهرقليات لا يتفق بالضبط مع الرحلة ، فإن رواية « أ - ب » تحمّل بعض الشيء معها ، وعندما تقارن برواية « س ج » و « غ ج » والموجز تبدو في الواقع أقرب إلى الرحلة .

وحول اغتيال كونراد أوف موننتفرا مع ذلك فإن الروايات العديدة للهرقليات تتفق في الواقع مع الموجز ضد

- ٣٦١٢ -

الرحلة ، (٣٦) وكل النصوص تتفق حول نقطة واحدة هي أن الحشيشية كانوا متورطين نوعا ما ، وتتفق الهرقليات والموجز في ذكر استيلاء كونراد على سفينة الحشيشية ويتخذ من ذلك الباعث على قتله ، ولكن الرحلة أكثر غموضا ، معالجة إياها كنزوة من شيخ الجبل :

'qui Marchisum
morte dignum judicabat, et infra certum illius temporis
trucidari mandaverat(٣٧)

لكننا هنا في الحقيقة في مواجهة تعصب وطني ، وكان في مصلحة الانكليز كثيرا الغموض بقدر الامكان حول موت كونراد ، طالما أنه لم يقع حتى القليل من الشك على البطل الانكليزي ، ريتشارد نفسه ، وتجهد التواريخ الفرنسية لبيان ذلك مذكرة إيانا بأن كونراد توفي يوم الثلاثاء ، وفي يوم الخميس زوج ريتشارد الأرملة ايزابيل لابن اخته ، هنري دي شامبين وتمضي الرحلة على العكس في اسهاب كبير وخيالي في الواقع ، لتضع ريتشارد في الضوء الذي يظهره ، مزودا إيانا بمشهد درامي ، ولكن غير محتمل ، يوجه فيه كونراد الذي يعاني سكرات الموت ايزابيل الى تسليم صور الى ريتشارد لا الى أي واحد آخر ، ويتهم المؤلف الفرنسيين مباشرة بذور الاشاعات المسيئة للسمعة حول ريتشارد . وهذه الحادثة بناء عليه حتى أكثر صعوبة في التقويم من استسلام عكا ، حيث أننا هنا يمكن أن نكون واثقين تماما من أن تزييفا متعمدا عمل في نص واحد على الأقل ، ويحتمل جدا في كليهما ، ولكن في حين أنه يستحيل تأكيد أن كلتا الروايتين استمدتا من مصدر مشترك فإن من المستحيل بالمقدار نفسه بيان أنهما لم تفعل .

ولكن حادثة واحدة أخيرة تقدم الامكانيات للمقارنة بين مختلف النصوص وتزودنا ببنية واضحة في الحقيقة . وهي قصة هدية من الخيول قدمت الى ريتشارد أثناء حصار يافا ممن قبل صلاح الدين ، (أو في بعض الروايات من قبل أخيه سيف الدين) وترد في

كل النصوص باستثناء روايات ج . ج و غ من الهرقليات ، وفي هذه الحادثة إن « ا - ب » في اتفاق واضح مع الرحلة ففي كلا النصين قدم سيف الدين هدية تألفت من زوج من الخيول لرتشارد ، وكان قادرا على الاستفادة منهما فيما بعد بشكل ممتاز .

^{'Quant}

li rois les ot receus, si fist monter sus et les fist arsaer et eschauffer; si trova que il estoient moult bien en fin. Si monta sur l'un et fist monter Guillaume de Pieaus sur l'autre et establi ses gens et issi hors dou chastel et se feri es Turs qui estoient ou borc, et les mist a desconfiture.(٣٨)

والقي ضوء مختلف كلية على الحادثة من قبل الموجز (٣٩) ، وهنا نقرأ انه أثناء الحصار ، رأى صلاح الدين ريتشارد يقاتل على قدمية مع رجاله ، وإذ وجد ذلك حالة تبعث على الشفقة بالنسبة لذلك ، أرسل له حصانا ، ورفض رتشارد قبول الحصان وجعل خادما يمتطيه ، فحمله الحصان على الفور عائدا الى معسكر المسلمين ويقول صلاح الدين حسب رواية هذا النص :

^{'en fu moult}

honteus de ce que li cevaus estoit retornés. Si en fist .i. autre apparellier, et se li renvoia.'

ولكن لكون الهدية بسيطة كانت تنطوي على حسن النية ، أصبح الحصان هنا حيلة مأكرة صممت على ما يبدو لاختذ رتشارد أسيرا ، والرواية الباقية من القصة التي ترد في رواية « د » من الهرقليات (٤٠) هي أكثر أهمية بكثير ، والاكثر اقناعا ، من ناحية أنها لم تلون الحادثة كلها بالسواد ولا كلها بالبياض ، بل قدمت تفسيراً أكثر رقة لها كلها ، وتقع الحادثة في هذا النص في سياق طويل جدا نوعيا ، يعطي تفصيلا أكثر بكثير حول حصار يافا مما يفعل أي من النصوص الأخرى بالذرة . وتروي حادثة الخيول هكذا : نزل رتشارد من السفينة في يافا تماما في الوقت الذي كان المسلمون فيه على وشك الاستيلاء على القلعة ، وقاد هو نفسه مترجلا الهجوم المضاد ، مبدئا شجاعة شخصية كبيرة في

ذلك ، ومنع المسلمين ليس فقط من الاستيلاء على القلعة ، بل أيضا من أخذ أسير واحد ، وعاد المسلمون منهزمين الى قائدهم ، أخذ صلاح الدين سيف الدين ، الذي دهش كثيرا من اخفاقهم ، فطلب أن يروه رتشارد ، الذي اشاروا اليه وهو واقف مع رجاله فوق رابية . وكان عند هذه النقطة أن وردت لسيف الدين فكرة أن يرسل اليه حصانا ، ولكن البواعث التي يعزوها المؤلف الى المسلم المهزوم في تصرفه هكذا تجاه المنتصر اللطف بكثير من كل الخيانة الواضحة أو الكرم البسيط في الروايات الأخرى :

Seif Lddin, le frere Salahadin, demanda ou estoit le rei. L'en li mostra ou il estoit aveques ses homes sur un toron Il s'entremist de bien et d'onor, si li envioia un cheval tirant, qui estoit mult mesaisié de la bouche, par un sien memeloc, et li encharja que il deist au rei que n'en esteit mie avenant chose que rei se combatist as Sarasins a pié.(٤١)

واقترح هذه الفكرة هو أن قصد سيف الدين لم يكن أن يجلب رتشارد الى معسكر المسلمين بواسطة الحصان ، ويؤخذ أسيرا ، وإنما اختيار مهارته كفارس وربما وجد غير كفه عندمالقى به الحصان ، وأن وجه سيف الدين يجب أن ينقذ هكذا ، وفي الحقيقة يدرك رتشارد أن الحصان ليس بالهدية البسيطة ويجعل المملوك يعدو به . وعندما يراه يشد عند الفم يقول عندئذ

'Mercie ton seignor et li meinc ton cheval, et li di que ce n'est mie l'amor qui entre lui et moi estoit qu'il me mande 'cheval tirant por mei prendre.(٤٢)

ويركب المملوك الحصان عائدا الى سيف الدين ، الذي كان أمينا ومتفهما ، فبعث الى رتشارد حصانا جيدا ، فجربه رتشارد بواسطة خادمة فوجده مرضيا فركبه في المعركة .

وهذه الرواية التي يعطيها المخطوط « د » مفيدة من عدة جهات نظر ، إنها تصوير آخر لاختلاق رتشارد كما كان يرى من خلال

عيون المسلمين والفرنجة السوريين ، وكما سوف نرى فيما بعد (٤٣) ، إن مؤلف «د» لم يكن لديه مزيد من الوقت اجمالا للصليبيين الأوربيين ، وهي قاعدة كان رتشارد الاستثناء المدهش فيها ، وهناك أيضا بينة أن رتشارد كان معجبا بالقدر نفسه بعدوه المسلم سواء لأجل شجاعته في المعركة أو لذكائه وبهائه ، ومع أخذ كل هذه الحقائق في الاعتبار ، وتذكر أيضا أن « د » هو أكثر الكتاب موالاة للمسلمين (٤٤) ، ويميل إذا صح شيء من ذلك الى تبيض مقاصد سيف الدين ، ويمكننا ان نرى ان القصة تروى كمثال على شجاعة رتشارد وبهائه ، وكانت هدية الحصان « *cheval* *tirant* » وسيلة لوضع مؤهلاته هذه تحت الاختبار ، وكلمة رتشارد *por mei* من الواضح أنها تعني في السياق (لا ليأ سرنى) بل (ليخدعني) .

ومن وجهة النظر النصية ، يبدو أن تفاصيل هذه الرواية تفسر التفاصيل المتصارعة للروايات الأخرى ، فإذا افترضنا أن هذه هي القصة الأصلية من السهل أن نرى كيف خرجت الأخرى منها ، فالرحلة والهرقلات أتيا على ذكر حصانين كما في القصة الأصلية ، لكنهما حدثتا الخدعة ، وانطلقا من النقطة التي أخذ عندها رتشارد الحصان الثاني فجربه وركبه بنجاح ، ويؤكد الموجز على العكس على الجزء الأول من القصة ، مضيفا تفسيره الخاص لعودة الخادم الى المعسكر الاسلامي فوق الحصان ، أي أنه كان مدربا على العودة براكبه ، ويذكر فقط هدية الحصان الثاني باختصار ، ويتوازن هذا التأكيد مع الرغبة في وضع رتشارد في صورة مشرقة بشكل خاص والمسلمين في صورة معتمة بشكل خاص ، ولكنه يمكن أيضا أن يقفز ببساطة من اساءة تفسير عبارة *por mei prendre* ، وتحوي رواية « د »

كل تفاصيل الروايتين الأخرين إلى جانب بعض الزيادة ، و الخلاصة أنه في هذه الحادثة لدينا بوضوح ثلاث روايات لقصة واحدة ، ومن الواضح أنها استمدت كلها من رواية أصلية

واحدة حيث المخطوط (د) هو الأقرب منها ، وباعتبار أن هذا كذلك يمكننا أن نرى أن النصوص الأخرى أقرب لبعضها بعضا برؤية أيها تتدفق في تكيفها مع الأصل ، ونجد أنه بدون أي شك بالمرّة الرحلة و « ١ - ب » يتفقان بالضبط مع بعضهما بعضا بإعطاء تكيف يخالف تشابه أي من النصوص الأخرى ، وهذا هو الأوضح مع أنه ليس التصوير الوحيد الذي لدينا لقراءة هذين النصين .

وعليه فالصورة التي تظهر من فحص الهرقليات والتاريخ فيما يتعلق بنيدول ولیم الصوري وبالموجز هي هذه . إن أي تشابه يوجد بين مجموعتي النصوص يوجد بلا خلاف في رواية الرحلة ونص « ١ - ب » من التاريخ وهذه نقطة قوية بدرجة كافية لتقترح بعض الصلة الطفيفة الغامضة بين الاثنين ، ولكن لا شيء أكثر : وفي الواقع إن اقتراح ماس لاتري بأن الرحلة كانت ترجمة للنص الأصلي لآرنول ، وأن الموجز تكيف عنها ، بات يمكن بشكل حاسم إهماله ، والتشابه الموجود بين « ١ - ب » والرحلة يمكن التعبير عنه بأفضل صورة بالقول بأنه مع أن « ١ - ب » مستمدة من المواد التي استعملها المصنفون للروايات الأخرى في الهرقليات و « س ج و غ ج و د » من قبل مصنف الموجز ، كان عليه أيضا أن يعطي مصدا آخر ، أو مصادر تتبع تقاليد غير معروفة لهؤلاء المصنفين الآخرين ، ولكنها معروفة لرتشارد الثالث المقدس مؤلف الرحلة في الرواية التي يسميها ماير « بي ٢ » ، وهكذا فإن « ١ - ب » هو النص الوحيد من نصوص الهرقليات الذي يحمل أي قرابة بالمرّة للرحلة ، وهذه ليست إلا قرابة طفيفة ، وهذه النتيجة لا تلقي مزيدا من الضوء على مصادر الرحلة والهرقليات وهي مخيبة للآمال ، في أن النتيجة المعاكسة التي هي تأكيد لفكرة ماس لاتري ، قد وضعنا تماما على الطريق إلى إعانة بناء عمل آرنول الأصلي ، ولكن هذا الفحص للنيدول والرحلة قد قدم بعض النتائج الصغيرة التي لم يبحث عنها ، ولكنها مفيدة لبيان أشياء معينة حول النيدول ذاتها ، وقد بينت أن هناك في هذه الفترة من النيدول على الأقل ، رابطة واضحة وقوية بين روايات الهرقليات « و س ج و غ ج » والموجز ، وأن

«أ - ب» مستقل نوعا ما عنها وكثيرا ما يتفق معها ، ولكنه يحتوي أيضا مواد خاصة به تختلف عن موادها ، وأن نص «د» هو الأكثر تعقيدا من الجميع في البناء ، فهو يتفق هنا مع «أ - ب» وغالبا ما يعطي نصا مختلفا كلياً عن كل النصوص الأخرى التي ، في حالة واحدة على الأقل ، قدمت لنا في السابق المفتاح للجزء النص ، وكل هذا لا يجيب على السؤال الأصلي حول الرحلة ، ولكنه يجيب على سؤال أكثر أهمية حول تجميع مختلف النصوص فيما بينها ، ومع أن الطريق الذي تعدده لنا ملئ عن ذلك الذي تصوره ماس لاتري ، فإنه يمكن في النهاية أن يؤدي إلى المكان نفسه وإلى إعادة اكتشاف التاريخ الأصلي لاردول .

الفصل السادس

عمل أرنول

بنية النيدول

من الواضح إذا أن فرضية ماس لا تترى حول رالف الكوغشالي ليست راسخة ، وأن مفتاح الفيزيكنم بالأحرى (١) في اقتراحه الأكثر عمومية بأن تاريخ أرنول ليس باقيا الآن ، ولكن خدم كمادة مصدرية لكل من النيدول والموجز ، التي ليست بأي حال أدق تصوير ممثل لنص أرنول ، وقد حفظت بالمناسبة اسم المؤلف ، وهذه مازالت حتى الآن فرضية فقط ، ولكنها واحدة توافق كل الحقائق حول النصوص ، ويجب أن تكون قادرة على البرهنة أو عدم البرهنة ، بمقارنة النصوص مع بعضها بعضا .

مفترضين عندئذ أن عمل أرنول ينتمي إلى طبقة مختلفة تماما في تشكيل الجزء الأساسي عن طبقة برنارد ، والمشكلة في تعقب ما بقي من عمله إلى مرحلة أبكر وأكثر غموضا بالمرّة ، ومن الضروري أن تتميز من خلال هذه الكتلة من المادة المتجمعة ، محاولين التمييز بين شريحة وأخرى لفصل بين العناصر الكثيرة الداخلة في تركيبها ، بأمل معرفة ما الذي جاء به أرنول ، وكان عمله على ما يبدو مصدرا منتشرا لدى المصنفين : والقسّم الرئيس الذي يسمى فيه أربع مخطوطات (٢) يظهر مرة أخرى مع أن ذلك في كل الصور المتنوعة ، وفي كل رواية قريبة من النيدول ، وهذا مجرد دليل ، وليس تحديدا للكثرة التي استمد فيها من روايته .

ومشكلة ترسيخ الصورة الأصلية لتلك الرواية هي في بعض النواحي قريبة من المشكلة المقدمة من الرومانسيات التريستانية .

وفي كل حالة تظهر الروايات المختلفة خليط التوافق نفسه والتعارض والتدقيق . وتختلف المسألتان على أي حال بطريقتين هامتين :
في حالة أسطورة تريستان ، أيا كان قدر وزن البنية لصالح التسليم بصورة مكتوبة ثابتة تستمد منها الروايات الأخرى في النهاية ، ووجودها ما يزال غير يقيني تماما . وصورتها مائة للتخيل ومعايير ترسيخ مضمونها هي كما تبين رواية بليير بطريقته الخاصة وهي على الأقل غير موضوعية بمقدار كبير (٣) (ذاتية) . وحتى بعد تدقيق جرورود سكو بيرل ، يبقى التاريخ كيانا غامضا ، ذا تاريخ قابل للتساؤل ، وتأليف غير معروف ، ومصدر إقليمي موضع جدال . ومعرفتنا بأرذول مع أنها ضئيلة تعطينا نقطة انطلاق مختلفة تماما ، فنحن نعرف أن لديه شيء مكتوب 'cest conte fist metre en escrit'

ولينا معايير معينة يمكننا أن نحكم بها ماذا كان هذا المكتوب يمكن أن يحوي ، وإلى حد معين ما الذي لا يمكن - أعني تعاطف أرذول السياسي ، وموقعه الجغرافي ، ومنزله الاجتماعية ، صحيح أن عمله قد فقد بالتأكيد تماما ، وهو نفسه لا يعرف عنه إلا القليل . ولكن ما نبحت عنه قد وجد يوما ما كوثيقة مكتوبة ، وذلك اللوحات القليلة من حياة مؤلفها واضحة وتضعه في زمرة مختلفة تماما عن المؤلف المفترض لحكاية تريستان الرومانسية .

ولكن الفارق الثاني الكبير بين المشكلتين يرجح على الجانب الآخر .

وسيرة تريستان هي من الأدب القصصي . فإذا ظهرت بناء عليه أحداث مشابهة من روايتين ، فإن من المؤكد بكل المعاني أن كلتا الروايتين مستمدتان إما الواحدة من الأخرى ، أو أن كلتاهما في النهاية من مصدر مشترك ، لأن التشابه بين مؤلفين يخترعان منفصلين بدقة الأدب القصصي نفسه من الممكن إهماله ، ومع التواريخ من جانب آخر ، هناك دائما إمكانية أن كلا منهما يروي

الحقيقة مستقلا عن الآخر ، مع رؤيتهما مرة واحدة في الضوء نفسه ، وبكلمات أخرى هناك إلى حد ما دائما بركة مشتركة من المادة ، أعني الأحداث كما حدثت بالفعل ، والتماثل بين روايتين مكتوبتين يجب أن يكون شديدا ومفصلا أبعد من التماثل الأساس في مادة الموضوع ، قبل أن نجد تسويغا في افتراض وجود علاقة بين الاثنين .

كيف لنا أن نقرر ، بين المصادر المختلفة التي يبدو أن كل مصنف قد أفاد منها كثيرا بحرية ، بالضبط ، ما الذي ينسب لأرذول ؟ ونقطة الانطلاق الوحيدة الممكنة هي الاحتفاظ العرضي تماما باسمه في المخطوطات الأربع المسماة بمخطوطات أرذول ، وهذا توافق بمعنى أنها بشكل عام بعيدة جدا عن أن تكون الرواية الأكثر تفصيلا للنص ، ولكنها تزودنا بنقطة انطلاق وهي حادثة فردية يرتبط بها اسم أرذول بإحكام على أنه اسم راويها ، والتي منها يمكن العمل في كل اتجاه بدوره ، في محاولة لاكتشاف إلى أي مدى قبل ، وإلى أي مدى بعد هذه النقطة توسعت حكاية أرذول ، والطريقة الواضحة التي تقدم نفسها هي فحص كل الروايات في كل من الموجز والتاريخ ، ومحاولة فصل هذا الجزء من نصهما بخطوط حدودية ، وبالطبع ليس هناك شيء يمنع مصنفا ما من أن يتوقف فجأة قبل أن يصل إلى نهاية مصدر معين ، أو أن يبدأ عند جزء ما خلال آخر . ولكن إذا تحولت روايات عديدة لتتفق على نقطة التحول من مصدر لآخر ، عندئذ تكون البيئة بقوة لصالح افتراض أنها كانت نهاية - لمصدرهما المشترك .

كيف يمكن إدراك مثل هذا التحول في أي تاريخ واحد ؟

كما رأينا إن تفاصيل سيرة أرذول الذاتية غير معروفة لنا ، ولكن هناك شيئين مؤكدين : أنه كان من عامة الناس ، وأنه كان مواليا لابلين ، وسيكون من غير الحكمة تعليق أهمية أكثر مما ينبغي على الحقيقة الأولى ، لأن أرذول كسيد كبير لابد أنه كان لديه الكثير من

المعونة الكهذوتية التي تحت تصرفه ، وهكذا فإن المصادر اللاتينية المكتوبة التي لا يمكن أن يكون قادرا على قراءتها كانت مع ذلك سهلة المنال عنده ، والفقرات التوراتية الطويلة التي كثيرا جدا ماتظهر في اجزاء معينة من التصانيف التي تعرض بمعرفة أكثر تفصيلا ودقة بالترجمة اللاتينية المقبولة Vulgate من أي رجل عامي عادي يمكن توقع معرفته بها ، ولا يمكن إسقاطها حبالا كاستيفاء كهذوتي متأخر في عمل أرذول ، وعلامة أرذول المميزة الأخرى ، ولاؤه لقضية ابليين ، الذي يمكن الاعتماد عليه أكثر كثيرا ، مع أنه هنا مرة أخرى توجد حدود معينة يجب معرفتها . وكون الابليينيين إحدى العائلات الهامة في بلاد ماوراء البحار فقد كانوا مقبدين بالظهور في أي تاريخ معاصر ، وكانت أعمالهم إلى حد ما مائة من المعارف العامة ، ولن يكون من الاستطاع كتابة تاريخ لفرنجة ماوراء البحار في هذه الفترة دون ذكرهم بقدر جيد ، ولكن ليس كل الكتاب يقدمونهم على نحو مرض بأي وسيلة ، أو حتى بشكل حيادي كما سبق أن رأينا ، وبشكل خاص حوالى وقت سقوط بيت المقدس ، عندما كان سلوكهم حتى أكثر غموضا من المعتاد ، وما الذي يبحث عنه المرء بتعقب عمل أرذول ، بناء عليه ؟ إن فقرات غير متذبذبة مواتية للأبليينيين ، والأفضل ذلك التي تحوي معلومات حولهم لن تكون متوفرة على الفور ، أو غير ذات أهمية ، بالنسبة لأي شخص لم يكن على صلة وثيقة بالعائلة .

وقد سبق فحص الموجز في هذا الضوء من قبل ماس لاتري ، الذي لاحظ أنه يحتمل أنه كان هناك فاصل في التدقيق حوالى ١١٩٢ أو ١١٩٤ (٤) ، وليس لهذا أن يقرر مسبقا الحكم في قضية تاريخ لتصنيف أبكر لرواية الموجز ، تشير في وقت مبكر إلى سقوط القسطنطينية الذي ثبت على أي حال بعد ١٢٠٤ ، ولاهي تستبعد إمكانية استيفاء المائة من مصادر أخرى قبل هذه النقطة ، ولكن هنا إن كل ذكر للأبليينيين يوقف فجأة ونهايا ، وباليين دي ابليين الذي كان الشخصية المركزية في التاريخ حتى هذه النقطة ، والذي يخفى الآن فجأة يمكن أن يكون قد مات في حينه . ويذكره التاريخ

لآخر مرة في بذود المعاهدة المبرمة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد في ١١٩٢ (٥) ، و ١١٩٣ وهو التاريخ الذي سمع فيه عنه آخر مرة حتما ، ولكن بقية عائلة ابلين الكبيرة تابعت تقاليدھا في البروز السياسي ربما حتى كان بتمايز أكثر ، وفي بقية الموجز مع ذلك بشكل عابر من حين لآخر كما لو كانت قليلة الأهمية أو لا أهمية لها بالمرّة ، والنتيجة التي لا مفر منها : إنه عند أو حول هذه النقطة يغير مصنف الموجز المصادر ، ويبدأ في استعمال مصدر غير ابليني ، وهذا ينطبق بالطبع على كل الروايات الثلاث للموجز - ز - أ (ب ٢) ، وال (ب ١) المفقود - إذ إنها جميعا متفقة في هذا .

وفي حالة تاريخ ما وراء البحار ، إنه لأكثر صعوبة بكثير القول أين يحدث التوقف ، لسببين . الأول : كان مصنف هذا الخليط معنيا في الحد الأدنى بالأهمية التاريخية للكتاب كما نفهم التعبير أو كما يبدو أن معاصريه قد فهموه ، لهذا فإنه سيكون تهورا افتراض أن تغييرا في مصدره يدل على أي شيء أكثر من نزوة من جانبه ، وثانيا : إن الشيء كله هو هكذا مزيج على أي حال حتى إن التغيرات الفجائية من موضوع لآخر ، والعوبة مرة أخرى أيضا هي القاعدة أكثر منها الاستثناء .

وبالرموز نفسها ، إن المخطوطات الباقية من التاريخ لا يمكنها أن تقدم دليلا من أجل هدفنا الحاضر ، ولكن من الضروري أن نذكر مرة أخرى في هذا المجال ترجمة ستري دي لاغويت (٦) فإذا كانت بالدقة نفسها استخلاصا من أصله في كل الأجزاء كما هي في تلك الأجزاء التي يمكننا أن نتحقق منها ، فإن هذا الأصل مختلف عن المخطوطات الباقية في ناحية حيوية واحدة ، فمكانة ستري دي لاغويت مفصلة جدا حتى خبر سقوط القدس ضمنا ، ثم تصبح أقل بمقدار طفيف هكذا حتى نقطة تلي تماما التقسيم الذي لاحظناه في الموجز ، والدقة عند وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، وبعد هذه الحادثة لا توجد قصة مفصلة بالمرّة ، بل مجرد قائمة بالاحداث الكبيرة من حينه ، الى وقت الكتابة ، الذي يبدو أنه كان بين كاذون

أول ١٢٣٩ ، وخريف ١٢٤٣ ، ويحوي النص أيضا رواية عن وفاة صلاح الدين تصل إلى المسيح تقريبا ، وليس هنا فاصل ملموس بالمرّة في الحكاية قبل وفاة هنري ، فمن أجل ماذا كانت قيمة بينة ستري دي لاغويت اذا ؟ يبدو أن مخطوطه كان يقوم على تاريخ أدخل فيه المصنف استيفاءات من القصص الأدبي (كما ذكر في استعراض النصوص) (٧) وأن هذا التاريخ انتهى في عام ١١٩٧ بوفاة هنري دي شامبين .

ونتحوّل الآن إلى النيزول الحقيقية (٨) ، وهذه تقدم بشكل عام نمونجا مختلفا نوعا ما ، من التواريخ القصيرة - الموجز والتاريخ ، وتختلف أيضا بقدر كبير فيما بينها ، كما يمكن أن يرى من الجدول على صفحة ١٠ - ١١ ، وأجمالا فإن العناصر المكونة تندمج معا بطريقة أكثر تعقيدا بكثير مما في الحالة التي في التاريخ ، أو الموجز وتجعل تمييز البنية أكثر صعوبة ، ولكن هناك ، استثناءات مدهشة لهذه القاعدة (أبرزها في د) وهناك أيضا ميزة أنه مع نصوص عديدة تغطي بشكل جوهري الأساس نفسه وتستمد إلى حد بعيد من المصادر نفسها ، فإن المقارنات الدقيقة بينها ممكنة بطريقة لا تكون ممكنة بالنسبة للتاريخ ، المعزول نسبيا والموجز . تاركين جانبا الفروق اللفظية بين المخطوطات من العائلة نفسها ، والتنوع بين عائلة وعائلة من نوعين : تلك التي تكون حيث تغطي رواية واحدة ما هو ظاهر أنه مجرد رواية أشمل أو أكثر إجازا للعامة نفسها كالروايات الأخرى ، وتلك التي يكون المصنف على ما يبدو قد استعمل فيها مصدرا جديدا ، ولم يستعمل من قبل المصنفين الآخرين ، أو أضاف مادة أصلية خاصة به ، في حين أن الأولى هامة في توطيد العلاقات بين النصوص بقدر ما يعتمد كل منها على الآخر ، والثانية تبين أين يبدأ هذا الاعتماد وأين ينتهي .

والروايات الخمسة الرئيسية في النيزول المدرجة أعلاه يمكن تقسيمها للفترة موضع البحث ، أعني حتى ١٢٣٢ ، إلى ثلاثة مجموعات « أ و ب » (نيل كولبرت فونتنبلو كما يسميه ماس

لاتري) ، « س . س . ج . و غ . ج ، و د وحدها ، والزوج الأوسط س . ج . و غ . ج يوافق بشكل تام تماما الموجز ، وبالكاد يختلفان مايا عن بعضهما بعضا في هذه الفترة ، في حين أن الأخير « د » متميز كثيرا لدرجة أنه يتطلب أن يعتبر منفصلا تماما ، والروايات د ١ و ب لا تقدم فروقا ماية عن بعضها بعضا في هذه الفترة ، ومع أن فروقا صغيرة في القراءة بينها سيشار إليها من حين لآخر ، ويمكن عموما أن تؤخذ كرواية واحدة . وعلاقة هذه الرواية برواية س . ج . و غ . ج تتغير جذريا عند نهاية الكتاب ٣٠ الفصل ١٠ ، حتى أن مقارنتين منفصلتين لهاتين الروايتين تكونان مطلوبتين ، أولا حتى تلك النقطة ، ثم من هناك حتى نهاية الفترة موضوع البحث .

ولندرس أولا بناء عليه العلاقة بين « ١ و ب » من جانب و « س . ج . و غ . ج » من جانب آخر من بداية النيدول ، أي ١٣ / ١ من التاريخ حتى ١٠ / ٣٠ ضمنا ، مصنفين المذوعات لا بحسب الترتيب الذي ترد فيه ، بل بحسب النوع ، وحسب أهميتها للمسألة الراهنة .

وبعض الفروق بين هاتين الروايتين يمكن أن يرى بسرعة أنها لا تعطي دلالة بالمرّة على الاختلاف في المصدر . وفي ٢٧ / ١٤ - ١٦ على سبيل المثال تعطي « س . ج . و غ . ج » رواية أكثر اختصارا للمعارك المتتابعة التي أعقبت وفاة تانكرد وحقيقة أنهما (و د أيضا) أعطيت هنا النص نفسه مثل برنارد مهمة في ذاتها ، وستدرس أكثر فيما بعد ، ولكن ليس هناك شيء في هذه الرواية لا يمكن أن يكون قد استمد من رواية « ١ - ب » أو من مصدر مشترك ، وعليه فالي الحد الذي تذهب إليه مسألة المصدر فإن هذا التنوع غير هام ، والشئ نفسه صحيح عن ٢٧ / ٦ - ١١ التي تتعامل مع محاولة اغتيال عموري في ١١٩٨ والاستيلاء على بيروت في السنة نفسها : ويتفق س . ج بالضبط مع برنارد في حين أن غ . ج و د يختلفان في مجرد القول أن هيو صاحب طبرية الذي

اشتبه في تحريضه على محاولة الاغتيال ونفي بالتالي من المملكة ،
بينما « س . ج » وـرنارد يقـولان ببسـاطة أنه
كان

وتعطي رواية ١ - ب الاحداث بترتيب مختلف ، بيروت أولا
ومحاولة الاغتيال ثانيا ، وتقول ان راؤول صاحب طبرية قد اتهم
ونفي . ولكن مرة أخرى بصرف النظر عن اسمي الآخرين اللذين
كثيرا جدا ما يختلط بينهما بأي حال ، جزئيا في عملية كتابة
الحروف الاولى فقط ، وجزئيا لانهما كثيرا جدا ما عملا معا ، لا
توجد مادة في أي رواية لا توجد أيضا في الأخرى .

ومثلان آخران متشابهان هما ٢٣ / ٢٢ التي يحوي فيها غ . ج .
نص برنارد في حين أن « س . ج و د ، أ ب » مع أنهما لا يتفقان
على ما حدث يعطيان تفاصيل مختلفة بصورة طفيفة عن رفض
بلدوين صاحب الرملة . تقديم الولاء لغسي ، و ٣٤ / ٢٣
حيث « س . ج و غ . ج » ورنارد حذف خبر وفاة الامبراطور
الاماني وأعطت رواية موجزة عن الأرض المقدسة ، وأخيرا هناك
التدوع في ٢٣ / ١٣ فيما يتعلق بوفاة لانغوس واندرونيكوس واعتلاء
اسحق انجيلوس العرش وتسلمه سدة الحكم . وهنا كما
في ٢٣ / ٢٢ . يتفق برنارد و « غ . ج » ضد النصوص الأخرى ،
حيث تكون الفروق في هذا التدوع ملحوظة أكثر قليلا عما في تلك
التدوعات التي لوحظت حتى الآن ، وعلى سبيل المثال في « غ . ج »
وبرنارد ، يأخذ اسحق بنصبيحة أخـويه ،
وفي ١ - ب وس . ج و د « تساعده امه (٩) . ولكن الحكايات مازالت
من الرتبة نفسها ، وتوحي أيضا بتنقيح أكثر منه بوجود مصدر
جديد .

وكل التدوعات الخمس ، تشير بالاختصار الى النتيجة نفسها ،
وهي تشبه بعضها بعضا الى درجة تدل على مصدر مشترك ..

وعندما تنقسم في مجموعتين تميل المجموعتان للايحاء بروايتين مباشرتين ، من احدهما استمد « س . ج و غ . ج » و برنارد ، ومن الأخرى « غ - ب » .

ويبقى هناك ثلاثة أقسام توجد فيها فروق هامة في التدقيق بين « أ - ب و س . ج و غ . ج » واهتمت هذه مرة أخرى بالترتيب حسب الأهمية وليس بترتيب الوقائع : الحملة الصليبية الثالثة وهدنة ١١٩٢ ، وفاة هنري دي شامبين ، ومعركة حطين .

وقد سبق أن قورنت حكاية الحملة الصليبية الثالثة في فصل سابق (١٠) ولتلخيص نتائج تلك المناقشة : الفروق الممكنة ملاحظتها بين الروايتين (رواية أ ب من جانب ، ورواية «س ج و غ ج» من الجانب الآخر) ليست فقط في تفسير الوقائع ولكن ماهو أهم في بيان ماذا كانت تلك الوقائع ، ومن هذه الفروق يظهر أنه من أجل تاريخ الحملة الصليبية الثالثة كان لهاتين الروايتين مصدر مشترك ، ومن الممكن أيضا أن يكون مصنف « أ - ب » استعمل مصدرا اضافيا أيضا غير معروف لمصنف رواية «س ج و غ ج» واستعمل مصدر اضافي لهذا القسم من الحكاية ليس شيئا مذهشا فعلة ، لأن النصوص التي لم تفعل ذلك (س ج و غ ج) هزيلة عند هذه النقطة .

وهذا الاختلاف بين أ - ب و س ج و غ ج ينتهي بـرحيل رتشارد قلب الأسد من الأرض المقدسة وهدنة ١١٩٢ أي عند تلك النقطة بالذات من الموجز ، حيث ينتهي الانحياز المواتي لابلين ، وكما يجب أن نتوقع الآن يتفق غ ج (بأقل دقة هذه المرة) و س ج بالضبط مع برنارد وفي تعداد ليس بذود المعاهدة فقط ، بل أيضا في مختلف عمليات تعداد الأملاك والتعويض عنها ، التي قام بها صلاح الدين نحو أفراد معينين أعني : حيفا وقيسارية وأرسوف ، ويافا ، إلى أصحاب كل منها كل على

الخاف من خلالها ، ويسقط معه قزمه وهو يحاول التمسك بثيابه
ويقتلان كلاهما ، وقد دفن هنري في كنيسة الصليب المقدس مع
القزم عند قدميه .

وفي « د » كان هنري في عكا من أجل حشد الجيش لرفع الحصار
عن يافا ، وبينما هو مرتكز على نافذة ذات حاجز ، وفي هذه المرة
ينظر نحو الخارج وينهار الحاجز ويلقى القزم بنفسه وراء هنري في
حزن ، ويقتل ويعلق مؤلف رواية « د » أيضا أن بعضهم زعم أنه
لولا سقوط القزم فوق هنري ما مات هنري على الفور ، ويضيف
الى هذا تأيينا قصيرا للكونت .

ونرى في « س . ج . و . غ . ج » والموجز (ز) كل
الروايات (القزم(غلاما)خادما كان يمسك بالندشفة بينما كان هنري
يغسل يديه قبل العشاء ، وعندما يسقط هنري من النافذة التي بدون
حاجز قفز الخادم وراءه :

'por ce qu'il ne voloit mie que l'en deist qu'il l'eust bouté'.

ومرة أخرى يذكر الراوي أنه لو لم يفعل ذلك لما مات هنري
بالمرّة ، ولا يقتل الخادم بل يهرب بعظم فخذ مكسور ويطلق
الانذار ، الذي يؤخذ في البداية خطأ على أنه اقترب
المسلمين ، وتضيف هذه الرواية أن هنري قد أمر عدة مرات بأن
يركب حاجز النافذة ويضيف س . ج والموجز أيضا ان هذا قد تم
فعله في الواقع بعد وفاته .

والحقائق الأساسية التي تظهر هي هذه : سقط هنري من نافذة
وسقط معه خادم من نوع ما ، والفروق بين الروايات يمكن أن
تلخص هكذا : مالذي كان يفعله هنري قبل أن يسقط ؟ هل كانت
هناك نافذتان أم واحدة ؟ هل كان الخادم قزما أولا ؟ هل جرى
جذبه وراء هنري أم أنه القى بنفسه ؟ هل قتل أم أصيب فقط
وبعض هذه الفروق يمكن نسبتها بوضوح الى محاولات لاعطاء

حنة ، وإعطاء الصرْفند الى ريموند صاحب صيدا ، والداروم الى بالين دي ابلن (١١) .

وبدلا من كل هذه التفاصيل تقول رواية ١ - ب عن ريدوانه لم يعط فقط الصرْفند بل أيضا نصف كل الأراضي في صيدا ، ويخصص أن هذا كان من أجل اجراء تسويات للمناسبة التي تراجع فيها صلاح اللين عن كلامه بأخذ ريدو أسيرا بعد أن أعطاه الامان (١٢) وبالنسبة للبقية تقول الرواية فقط « سلم للمسيحيين يافا وأرسوف وقيسارية ، وحيفا وعكا وصور » (١٣) .

وكانت المدينتان الأخيرتان المسميتان في أيد مسيحية في زمن الهدنة على أي حال ، وتركنا نستنتج أن الأربعة الأولى قد سلمت كجزء من المعاهدة ، ومرة أخرى نلاحظ اتفاقا مايا عاما بين « ١ - ب » ورواية « س ج و غ ج » ، مع فروق في التفاصيل والتأكيد ، ومرة أخرى فإن الاستدلال هو من مصدر أصلي واحد ، مع أن « س ج - غ ج » يستمدان من وسيط مختلف عن « ١ - ب » ، ونقطة جديدة هي أن إنهاء هذا النوع الطويل الهام في هذا المكان الخاص يجب أن يبقى في ذهن كبينة مفرزة لوضع تغير في التنقيح الجاري على النيدول هنا .

والاختلاف الرئيسي الثاني بين هاتين الروايتين من النيدول موجود في سردهما لواقعة وفاة هنري دي شامبين وهنا فإن رواية د يمكن أن تلخل بشكل مريح في المقارنة مع الروايات الأخرى ، وترد القصة في ٢٧ - ٣ - ٤ (١٤) وهناك ثلاث روايات لها : واحدة في « ١ - ب » وأخرى في « س . ج ، غ . ج » وبرنارد والثالثة في « د » .

وفي القصة كما أعيد سردها في ١ - ب كان يرتكز هنري على نافذة ذات حاجز ذي قضبان ، ويتقدم لاستقبال وفد من بيزا ويرجع بطريق الخطأ الى نافذة مختلفة ليس لها حاجز ، ويسقط الى

معنى للحادث بعد وقوعه ، فعلى سبيل المثال إن أيا من الرواة لم يكن قادرا آنذاك أن يعرف حقا الذي وراء فعل القزم في وقتها ، وبواعثه يمكن تخمينها بـ « *ad infinitum* » وما هو أسهل من استبدال تخمين بآخر أنسب لذوق المصنف (١٥) .

وواضح أن أيا من هذه الروايات الثلاثة حول وفاة هنري لم تتمكن من أن تبرز للعيان حتى مع تكيف كبير مع الاثنين الآخرين ، فهل يجب أن نفترض وجود مصدر مشترك كيف بصور مختلفة ، أو مصادر عديدة مختلفة؟ وبالنسبة إلى المدى الذي تمضي إليه مسألة النوافذ ، تذكر رواية أصيلة الثنتين : أحدهما ذات حاجز والثانية بدون حاجز ، يمكنهما أن تفسحا مجالا لكل الروايات الثلاثة الموجوبة، وتحتفظ رواية ١ - ب بكليهما ، وتحذف الثانية ، وتحذف س ج و غ ج الأولى ، والشئ نفسه بالنسبة للأسباب المختلفة لوجود هنري في عكا ومشاغله في تلك اللحظة ليست متغيرة حصرا ، ويمكننا بسهولة أن نفترض أن الروايات الثلاثة تتخير ثلاثة تفاصيل مختلفة : زيارة وفد بيزا ، حشد الجيش وغسل اليدين من مصدر أطول كثيرا وأكثر تفصيلا مما قدم كل الثلاثة .

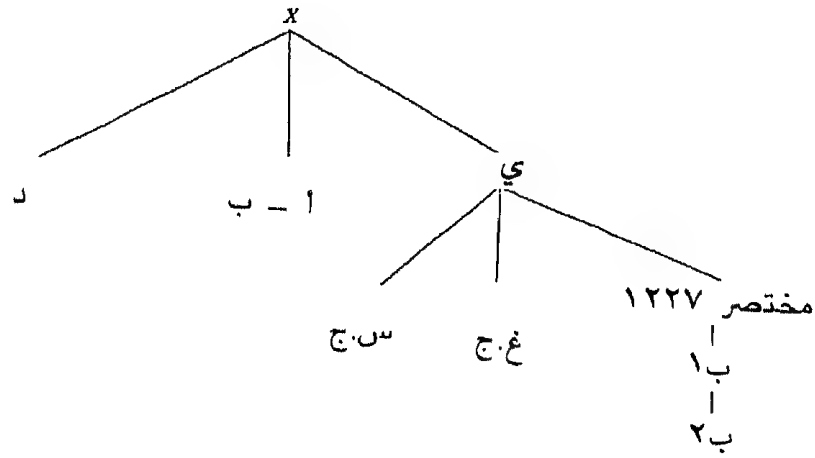
ومن جانب آخر هناك تعارض مباشر بين الروايات حول موضوع الخادم ، قزم ميت أو خادم يساق مكسورة ؟ وهنا يجب ببساطة أن نختار من أجل « ١ - ب و د » تفصيلا على س ج و غ ج على أساس أنها على الفور أقل تفصيلا وأكثر دقة وخاصة من رواية ١ - ب عن مكان وطبيعة الدفن وهي تفاصيل يمكن علاوة على ذلك أن تكون مختلفة في ذلك الوقت ، ويحتمل أنها كانت مسألة معلومات عامة ، وبالنسبة للساق المكسورة والانتذار ، من الممكن تماما أن تكون ساق القزم قد كسرت عند سقوطه ، ولكنه لا بد أن يكون قد مات بسرعة نوعا ما ليدفن مع هنري في اليوم التالي كما تطلب الطقس ، ولا بد أن يكون الانتذار هو صراخه عندما رأى هنري يسقط : وسقوطه هو نفسه ، ونجاة القزم وإطلاق الانتذار بعد

السقوط يظهر هكذا كتفصيل غير ضروري ، وقد اخترع الاول لتفسير الثاني ، فإذا كان هذان الاثران : الانذار الذي أخذ خطأ كتحذير من جيش مقترب ، واصابات القزم الميت - قد ذكر بشكل عابر في الاصل ، فإن حذفها في «أ - ب و د» ، وتفصيلها في «س ج و غ ج» تفسير معقول وكاف للروايات المراهنة ، وهكذا يصبح واضحا ان كل هذه الروايات أمكنها في الواقع أن تأتي من مصدر نهائي واحد ، وأنه لا حاجة لافتراض وجود أكثر من واحد ، وواضح أيضا مع ذلك أنه كانت هناك روايتان وسيطتان لهذا المصدر ، على أساس أن الأقدم أكثر خلافاً صغيرة بين النصوص مما أوحى بأن س ج - غ ج والموجز قد استمدا من أحدهما وأ - ب (مع التحفظ) و د من الأخرى ، ويجب أن نضيف هنا مع ذلك أهلية جديدة لهذه الفرضية ، أعني أنه في التاريخ ككل ، كما في مثال وفاة هنري التي جرى تحليلها أعلاه . فإن «أ - ب و د» قد أعطت بتساوق رواية أبسط في حين أن «س ج و غ ج» والموجز كان ليهما بشكل عام قصة فنية أكثر ، مع اغراء أكثر درامية ، ومثل هذا الحكم بالطبع ، مثل حكم بديير على التريستان ، وهو على الأقل حزبي ذاتي (١٦) ، ولكن من جانب التصديق للجدال ، يجب أن يضاف أن في مسألة التواريخ هناك قدر كبير يقال لتفضيل الرواية الأقل زخرفة واتجاهها نحو الأدب ، على أنها أقل اغراء شعبيا ، وبناء عليه أكثر عرضة للتزقيح لمصلحة الاثارة والتشويق .

وإذا كان للمرء أن يختار رواية واحدة على أنها الأقرب للأصل ، فهذا هو الأمر الذي يجري الاختيار من أجله ، والاحتمال بناء عليه يقدم نفسه أن «أ ب و د» قد استمدا مباشرة من الأصل في حين أن «س ج و غ ج» والموجز يستمدا من تكيف لهذا الأصل وهما على درجة واحدة من البعد لما عليه أ - ب و د وهذا أيضا يفسر حقيقة أنه بينما «س ج - غ ج» والموجز في المجموع ، عادة على اتفاق لفظي مع بعضها فإن الاتفاق بين «أ - ب و د» متنوع جدا ومتقطع ، وأحيانا يتفقان أيضا حرفيا ، وفي أحيان أخرى لا تكون حتى مادة حكايتها هي نفسها بكلمات أخرى بينما تكون المجموعة

- ٣٦٣١ -

الاولى للنصوص في هذا القسم (حتى ٣٠ - x) على أي حال ، ببساطة تدرج عن نص واحد ، فإن المجموعة الثانية هي بالاحرى تكييفات لمصدرها المشترك وهذه العلاقات يمكن ان تمثل بصورة تخطيطية مؤقتة هكذا .



ويجب التأكيد على أن هذه الصورة صالحة فقط للنيول حتى نهاية ٣٠ / ١٠ ، وليس بالمرّة بعد هذه النقطة ، عندما تصبح علاقة النصوص مختلفة تماما ، علاوة على ذلك فإن المكان المعين لـ « د » مؤقت جدا . وتبقى دراسة المتنوعات من « د » في هذا القسم مرة أخرى مقتصرة على الفروق المادية تاركين جانبا في الوقت الحاضر القراءات المختلفة التي تدل فقط على العلاقات بين المخطوطات العينية لنيل واحد .

وليس بين نيل وآخر وفي الواقع ان (د) تصوى كثيرا من المعلومات الواقعية التي لا توجد في أي نص آخر بالمرّة ، واستعراض موجز لهذه الخصائص سيمكننا من دراسة ما الذي تدل عليه حول مصادر « د » طالما ان تصنيفها « ١ - ب أولي » لطلب السؤال ، وفي هذه الحالة سوف نعدها بالترتيب الذي ترد فيه في النص ، ومقارنة نص « د » بالنيول الأخرى ليست سهلة ، لأنه حتى المقارنة الخاطئة تظهر ان النص مشوب جدا ولا يقوم على علاقة بسيطة مع النص - ووص الأخرى ، وعليه فمن الأصعب وصف تقلبات دون وضع معايير للمقارنة التي يمكن ان تثبت في النهاية انها مضللة أي بدون وصفها فيما يتعلق بنصوص أخرى ، التي بالنسبة لها يمكن ان تبدو ممكنة المقارنة ولكنها في الواقع قليلة الارتباط بها ، ومع ذلك فإن بعض المقارنة يجب أن تتم من أجل الوضوح ، وحيث أنه في قسم النص موضوع البحث ، أعني حتى ٣٠ / ١٠ إن نص د بالنسبة لكثير من الحكاية متفق مع حكاية « ١ - ب » ، وأنه لهذا النص سوف نقارنه الآن ، ولكن يجب التأكيد بأن الطريقة المتبناه لم تعد أكثر من ذريعة ، ولا تلمع الى أن « د » بأي حال معتمد على ١ - ب أو أنه حتى بالضرورة تكيف آخر المصادر نفسها بالضبط

وأول تباعد بين نصوص « د ١ - ب » يأتي دوما بعد بداية ٢٢ / ٤٠ لجزء من الطريق عبر قصة حطين (١٧) ويستمر هذا الاختلاف من خلال عشرة مقاطع مغليا استسلام طبرية وعكا ، ورحلة بالين

دي ابلين الى بيت المقدس وتاريخ جـوهان غيل وكونراد أوف
مونتفرات المؤقتة في القسطنطينية ، ووصله الى فلسطين وتنظيمه
الدفاع عن صور .

وكل هذه الموضوعات تعالج ايضا في القسم المقابل في « ١ - ب »
باستثناء جوهان غيل الذي يظهر فيما بعد (١٤ / ١٢) (١٨) وعن كل
موضوع يعطي « د » رواية أكثر تفصيلا بكثير ، ولكنها رواية
لا تتعارض مطلقا مع رواية « ١ - ب » وفي كل هذه الفصول العشرين
يوجد فرق واحد فقط في الوقائع بين النصين : لوحظ وصول كونراد
الى عكا ثم مغادرته لها في « د » كمسيحي من قبل مسلم مرتد ، في
حين أنه في « ١ - ب » كان المسلمون الذين تصرى (١٩) منهم عن
الوضع السياسي قد افترضوا أنه صديق لصلاح الدين وخلافا لذلك
إن « د » في كل حالة ببساطة رواية اكمل عن القصة نفسها وهكذا
نميل في هذه الحالة الى تأكيد الخطط اعلاه ، وأن نوحى بأن « د »
يستمد من المصدر نفسه مثل « ١ - ب » مغطيا على أجزاء الأداء
الكامل لها ، واحيانا يمكننا حتى أن نرى من « د » بالضبط أي
نوع من التداخل قد أنجز في تكيف « ١ - ب » وعلى سبيل
المثال ، طبقا لـ « ١ - ب » ، كان رينودي شاتيلون (أرنات) قد
أخذ اسيرا في حطين ، وقطعت رأسه من قبل صلاح الدين ، ولكن
« د » يحدد أن صلاح الدين نفسه هو الذي طعن أرنات
بسيفه ، وأن المماليك الواقفين بالاستعداد اندفعوا نحوه وقطعوا
رأسه (٢٠) .

والفقرات الثلاثة التالية المختلفة في « د » في الفصول
٥٢ ، ٦٢ ، ٦٤ ، هذا الكتاب نفسه (٢١) ، كلها حكايات متصلة
بالأحداث التي جرى وصفها وهي ترد في رواية مماثلة ، بصرف
النظر عن وجودها في الأقسام المقابلة من « ١ - ب » وتتوافق بسهولة
في القطعة كصور أو تعزيزات للنقاط القائمة ، وأول قصتين من هذه
القصص تتعلق بحصار بيت المقدس - وكيف أرسل صلاح الدين في
طلب توماس ابلين ووليم صاحب جبلة ، وبكى من أجل هذين

الطفلين المسيحيين اللذين كان انتصاره الوشيك سيحرهما من حقوقهما (١٢) الانسانية ، وكيف أن رجلا فقيرا كما يبدو قد اكتشف وهو يحاول خداع شروط الاستسلام بأخذ مال الى خارج بيت المقدس معه (٢٢) وتصف الحكاية الثالثة حادثة أثناء سير المسيحيين الهاربين من بيت المقدس ، عندما نصب رجال صاحب هونين كمينا لهم وسلبوهم ، وقد عاملهم أبناء بينهم - حسبما سارع المؤرخ للقول - أسوأ مما فعل العدو المسلم (٢٣) ، وهناما هو المصدر وما هي أهمية هذه الحكايات ؟ هذا ما سوف نراه .

ويغطي الكتاب الرابع والعشرون الأحداث التي تلت سقوط بيت المقدس ويحوي سبع مذوعات من « د » ، وأولها في الفصل الثاني (٢٤) ، ويتعلق بتطهير صلاح الدين للمسجد الأقصى ، وباستثناء أنها تحوي بعض التفاصيل التوضيحية الموجزة حول المعتقدات الدينية للمسلمين ، فإنها تافهة ، ومرة أخرى فإنه من الممكن شرح ذلك ببساطة كتكليف أكمل للمصدر نفسه الذي استعمل في « أ - ب » ، والفقرة الثانية المختلفة مثل ذلك تحوي اختلافات عديمة الأهمية في التفصيل في روايات الاستيلاء على قلعة الشقيف وحصار صور ، ولكنها أيضا تخفيف رواية فريدة حول حصار الشوبك (٢٥) ، والثالثة في الفصل التالي عديمة الأهمية بالكامل ، لكنها ببساطة (٢٦) رواية مختلفة الصياغة للقصة نفسها بالضبط الواردة في « أ - ب » ، إنه في الفصل الرابع نلتقي أولا باختلاف كبير حقا في الكتاب الرابع والعشرين حيث رواية طويلة ومفصلة حول الحيلة التي استعملها صلاح الدين للاستيلاء على الشقيف (٢٧) وأنه لبالغ الأهمية أن نجد أن نص يضع الاستيلاء على الشقيف عند هذه النقطة ، لأنها تتفق مع تواريخ المؤرخين العرب في تأريخ هذا الحدث في السنة نفسها مثل سقوط الكرك والشقيف في ١١٨٩ (٢٨) ويخطئ نص « أ - ب » تماما في وضع كل هذه الأحداث في ١١٩٢ خلال الحملة الصليبية الثالثة (٢٩) ، وأن هذا غلط واضح من حقيقة أن « أ - ب » يقول أنها جميعا قد حوصرت سنتان ، مما يتفق مع المصادر الأخرى (انظر اعلاه)

ولكنه يخالفها في أنها جميعا تضع حصار القلاع في عام سقوط بيت المقدس ١١٨٧ ، عندما كان صلاح الدين يعزز مواقعه الأرضية وهكذا يضع الشيء كله أبكر ثلاث سنوات ونحن مضطرون لاستنتاج أن روايات هذه الحصار كانت موجودة في (x) في المخطط أعلاه (ص ٨٩) ، وأن مصنف « ١ - ب » قد حذف في البداية ، ثم عكس قراره فيما بعد ، احتمالا لأنه أدرك أن بذود معاهدة ١١٩٢ قد أشارت إلى حادثة الشقيف .

والنص المخالف ١ - « د » الموجود في الفصلين الثامن والتاسع من الكتاب نفسه ليست أقل توضيحا ، والاشارات الإضافية العابرة إلى الحروب بين فرنسا وإنكلترا ، والواردة في « د » قليلة الأهمية ، والسمة البارزة هي حذف « د » موت بربروسا الذي يعطيه كل نص آخر في النيدول عند هذه النقطة ، وهذا الحذف من « جانب مصنف » هام لأن موت بربروسا سوف يروى فيما بعد في الفصل السادس والعشرين من هذا الكتاب نفسه (٣٠) من قبل « د » وأيضا من قبل « ١ - ب » وهكذا فإن « د » يتجنب إيراد حكايتين لهذا الحدث نفسه ، ويفعل ذلك لا بحذف الثانية منها بل الأولى ، وما هو أكثر أن الاثنتين كما يعطيها « ١ - ب » تناقض أحدهما الأخرى .

Un jour se estoit li empereres herbergerz en Ermenie, sur une riviere. Si li püssi talens de baignier soi. Si entra ers, en tel maniere que il fu noïés (٣١) ... et l'empereres se mist a passer le flum, et li dui chevalier devant lui, et de ses homes devant et derriers lui a grant plenté. Si come il fu el mi luec dou flum, li chevauz sus cui il chevauchoit trabucha et il chei ou flum. Par la force de la cholor que il avoit sofferte et par la froidure de l'eve ou il chai, il perdi sa vertu, que il ne se post aider. Les veines de son cors s'ovrirent, si que il nea. (٣٢)

والرواية الأولى الموجبة في ١ - ب وس ج و غ ج مبتدرة ، وواضح أن الرواية الثانية المفصلة الموجبة في « ١ - ب » و « د » (٣٣) في مكانها حسب الترتيب الزمني هي النموذج الأصلي ، في حين أنها حسب الماع ٢٤ / ٩ (الفقرة الأولى من

- ٣٦٣٦ -

النص المقتبس أعلاه) هي استيفاء ، وقد تفادى مصنف « د »
بطريقة ما أخطاء النسخ والتناقض .

فإذا كان المزيد من البرهنة على نظرية أن د وا - ب قد تبنتا
بصورة مختلفة مصدرا واحدا ما زال مطلوبا ، فإنه قدم بواسطة
الفقرة المختلفة التالية في الفصل نفسه إنها قصة اعدام عدد من
فرسان الداوية الذين أخذوا أسرى من قبل صلاح الدين ، والذين
يفترض أنه عرض عليهم أخذهم لخدمته الخاصة ، شريطة أن
يرجعوا عن بينهم ، وقد رفضوا ثم اعدموا ، وهنا حذر الأمير بهاء
الدين قراقوش ، صلاح الدين من أن هذا الفعل غير حكيم لأنه
سيحفز على الانتقام معبرا عن نفسه باستعارة خاصة تماما:

‘Je vos fas assavoir que
les Templiers naistront o toutes lor barbes. (٣٤)

وهذه الحادثة بكاملها موجودة فقط في «د» ولكن بعد ذلك بوقت
قصير ، في د وهذه المرة أيضا ١ - ب علق قراقوش هذا التعليق
حول وصول جاك دي الهيدس الى بلاد ما وراء البحار .

: ‘Sire, dist Caracois,
ce est le secors qui vient as Francs. Je vos di(s) bien, quant vos
comandastes a occirre les Templiers, que il Templier naistreent
o toutes les barbes. (٣٥)

وكما في حالة أخذ الشقيف واضح انه هنا مرة أخرى إن مصنف
١ - ب قد حذف حادثة ما مع أنه لم يعرفها ، سيعود مصدره الى
الاشارة اليها فيما بعد وفي المثال الاول يعالج هذا باستدراك ويضيف
الحادثة مباشرة قبل الاشارة اليها وهنا يترك اسم المصدر ، إلا أنه
ليس هناك شيء يشار اليه .

وبصرف النظر عن حكاية الحملة الصليبية الثالثة وهي مسألة
منفصلة ، قد تم التعامل معها في مكان آخر (٣٦) ، هناك ثلاث
فقرات مختلفة أخرى في « د » بين هنا ونهاية القسم الذي تحت

الدراسة ٣٠ / ١٠ الأول منها طويل جدا من ٢٦ / ٧ الى ٢٧ / ٥ ، ومثل تلك التي سبق فحصها تتكون أساسا من الحكاية نفسها مثل « ١ - ب » مع إضافة قدر كبير من التفاصيل الإضافية ، وبعض هذه عبارة عن تفاصيل إضافية حول أحداث مغطاة في كلتا الروايتين ، وبعضها يمس أمورا لم تعالج في « ١ - ب » أو في الواقع في أي رواية سوى « د » ومع ذلك فإن زمرة ثالثة من تلك الفقرات المتنوعة هي مادة غير موجودة في « ١ - ب » ولكنها موجودة في « س ج - غ ج » وفي الموجز أو في الثلاثة جميعا في نقطة تالية ، وهي تعاود تأكيد ارتباط « د » بهذه النصوص الثلاث ، وإن يكن ذلك بعد مسافة ما في هذا القسم ، ومثل كل المنوعات حتى الآن فإن هذا لا يتناقض مع « ١ - ب » وهو الاستثناء الطفيف الوحيد في أمر وفاة هنري دي شامبين المفصوص أعلاه والذي به يصل هذا الاختلاف المطول الى نهايته .

وبعد هذه النقطة لا يقدم « د » معلومات أكثر مميزة لذاتها ، ولا حتى أي من تدقيقات المادة الموجودة في مكان آخر ولكنه يعبر عنها بطريقة مختلفة وحيثما يختلف « د » عن « ١ - ب » من الآن فصاعدا فإنه يتفق مع « س ج و غ ج » (٣٧) ، وعلى ماذا يأتي هذا الاتفاق ؟ والاعتماد المباشر له « د » على « غ ج » يمكن استبعاده ، بسبب تواريخ تأليفهما ، في حين أن العلاقة العكسية يجب أن تستبعد أيضا كحل مباشر ، طالما أنها لا تفسر التماثل القوي بين س ج و غ ج لا سيما في أجزاء أخرى من النص حيث لا يتفق « د » معهما ، والتفسير الممكن الوحيد أن لدينا هنا علاقة مختلفة تماما عن تلك المصورة بالمخطط الموجود على صفحة ٨٩ : « د وس ج و غ ج » تستمد الآن من مصدر مشترك لم يستعمل من قبل « ١ - ب » الذي هو هنا في زمرة مستقلة به ، ومن المناسب أن نذكر هنا أنه من ١٢٠٥ الى ١٢٣١ هذه هي الحالة بشكل ثابت ، وفي الحقيقة إنه لصحيح القول أنه لتلك الفترة ، فإن « س ج و غ ج » و « د » هي رواية واحدة متشابهة ، و « ١ - ب » غير مرتبطة بها كلية .

ومن أجل القسم المتخلل ، من ٣٠ / ١٠ الى عام ١٢٠٥ تتدفق كل الروايات مع بعضها ، وعليه فمن الواضح أن علاقة النيدول الواحد بالآخر لا تخضع لتغيير جذري عند وفاة هنري دي شامبين وبعد ذلك تكون الامور بسيطة لدرجة كافية ويستمر الاتفاق بين كل الروايات الى ١٢٠٥ (وفاة أمالرك دي لوزنغان) ثم حكايتان فقط حتى ١٢٣١ واحدة في « أ - ب » والاخرى في « د س ج ، غ ج » والموجز ، وأنه حتى الفترة ، ١١٨٦ - ١١٩٧ يمكن أن تختزل القسم الأكثر تعقيدا من النيدول ، وقد اقترح المخطط الذي في صفحة ٨٩ على أنه يمثل النصوص في هذه الفترة ولكن هناك بعض التعديلات التي يجب أن نجريها الآن .

أولا : إن المخطط كما يبدو يظهر مصدرا واحدا « x » مع ثلاثة نصوص مستمدة منه هي : « د و أ - ب » والنص « ي » المفقود هو المصدر الوسيط المشترك لكل من س ج و غ ج والموجز ، ولكن قد أصبح واضحا أن « أ - ب » لديهما تماسك معين مشترك في تكيفها عن هذا المصدر ، الذي لا يشترك « د » معها فيه ، وبكلمات أخرى ، إذا كان المخطط صحيحا كما يبدو تماما ، فإن المرء يتوقع أن بين هذه الثلاثة ، أ - ب و د و ي « لا بد أن يوجد توزيع عشوائي نوعا ، للمادة التي توجد أصلا في « x » ، ولكن كما رأينا مع أن هذه هي الحالة في أحوال كثيرة جدا ، فإن هناك كتلة كبيرة من المادة فقط في « د » أكبر كثيرا مما يمكن تفسيره عن مستوى الصدفة ، وهي بشكل دائم غائبة عن « أ - ب » أو أي من النصوص التي تعتمد على « ي » ولكن من جانب آخر لا يوجد شيء حقا في « أ - ب » أو نصوص ي مما يسمح لنا بافتراض أي نوع من اعتماد واحد على الآخر ، أن نرى « ي » على سبيل المثال كأنه قائم على « x » بل إنه متأثر بـ « أ - ب » أو العكس بالعكس ، ماذا إذا يفسر الاستبعاد المشترك لكتلة كبيرة من المادة من قبل هذه النصوص ؟

والاحتمال الذي يقترح نفسه هو بالطبع أن المادة الخاصة بـ

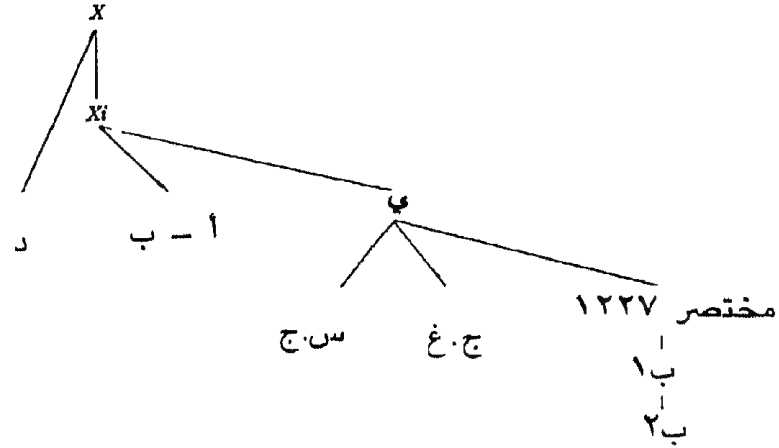
« د » لم تكن في « x » ، بالمرّة ولكنها استمدت من قبل مصنف « د » من مصدر آخر معروف لديه فقط وليس للمصنفين الآخرين ، والاعتراضات على هذا هي أولا ، أن اضافات « د » إذا كانت هكذا تتواءم مع مسار القصة بيسر ونعومة لم تتوفر عند وجودها في النصوص الأخرى التي تستبعضها ، ولن تتوفر لدى المرء فكرة أنها كانت اضافات ، ويبدو بالكاد ممكن التصديق أنه كان هناك تاريخ آخر الى جانب x ، وكان يغطي نفس الاساس للفترة ١١٨٦ - ٩٧ بدقة كبيرة حتى يمكن للمصنف أن يملأ فراغ منه بقليل جدا من المتاعب وكثير جدا من الاقتناع .

ثانيا : والأكثر جدية ، لقد رأينا من قبل مثلين معينين : الاستيلاء على الشقيف واعدام الداوية ، حيث لا يوجد شك بالمرّة أنه بعيد عن « د » مضيفا مادة جديدة لما كان في « x » و « أ - ب » من مادة معلوماتية حذفت من ذلك المصدر ، ومن المحتمل جدا بناء عليه أن الشيء نفسه قد ورد في أمثلة أخرى أيضا ، مما ليس من السهل جدا اكتشافه ، وذلك حيث كان يوجد في د حكاية مشابهة ومادة إضافية ، وهي مادة كانت في x واستبعدت من قبل مصنف « أ - ب » .

وتبدو امكانية وصول « د » الى مصدر اضافي منفصل تماما عنه ومع ذلك يشبهه بدقة بصورة مدهشة جدا ، تبدو في الواقع غير محتملة ، ومع ذلك فإن روايته أكثر اختلافا عن الاثنين الآخرين مما لا يمكن تفسيره بمجرد الاختيار العشوائي لمادة من x ، خاصة مع ما في الفقرات المحفوظة في « د » وحده ، وكما سنرى من عدد من المميزات المشتركة ، ونحن مضطرون لاستنتاج أن استبعاد هذه المادة قد تم عند مرحلة بين x وي من قبل مكيف ما كان عمله في حينه متكيّفا أكثر من قبل مصنفي « أ - ب » و « ي » وهكذا فإن مصنف « د » استعمل x ، في حين أن مصنف « أ - ب » و « ي » قد استعملا كلاهما تكيّفا ل x يمكن لنا عن إقتناع أن نسميه x ، وما هو موجود في « أ ب ، د » والاشتقاقات

- ٣٦٤٠ -

عن « ي » لابد أنها كانت في X ، وأنها كانت محفوظة من قبل كل من « د » و « X » ، في حين أن الفقرات الموجودة فقط في « د » كانت في X ، ولكنها استبعدت من قبل X ، ومن ثم كانت كلها غير متوفرة لـ « أ - ب » و « ي »



من الممكن بالطبع أن مصنف رواية « د » كان لديه إمكانية وصول إلى « X » وأنه قد سايرها من أجل الكثير من الحكاية ، متحولاً فقط إلى X عندما أدرك أنها كانت متميزة وتحتوي مزيداً من المعلومات مثل حكاية مسلية وتفصيل مكينة تصلح العرض ، ومن المستحيل أن نحسب بدقة كافية درجة التوافق وعدم التوافق بين « د » والنصوص المستمدة من X كي نقول فيما إذا كانت هذه هي الحالة أم لا ، وفيما إذا كان ذلك يهم كثيراً .

وما يهم إلى الحد الذي تتعلق به مشكلة تعقب أرنول ، هو أنه من المؤكد أن كل النيول لديها في النهاية مصدر واحد مشترك ، وهو الذي بالحكم من التغير التام في العلاقات بين النيول بعضها ببعض ، بعد وفاة هنري دي شامبين قد انتهى في حينه . وهذا يدعم بقوة فرضية ماس لاتري .

'Peut-être faudrait-il alors réduire aux années antérieures à 1197, si ce n'est la chronique primitive d'Ernoul, du moins une chronique antérieure employée par Ernoul.(٣٨)

- ٣٦٤١ -

والسؤال الآن هو هل « التاريخ الاساسي لارنول » هو الذي ينتهي هنا في الحقيقة ؟ وتظهر منوعات « د » الآن كبنية جنية على طبيعة ذلك التاريخ المصدري « x » ومع أننا يجب أن نسمح لأذواق مصنف « د » الذي كان يعمل في اختيار المائة من « x » مزخرفا إياها قليلا أيضا بصورة يمكن فهمها ، فإننا يمكن على الأقل أن نجد في هذه المنوعات بعض الدلالات الواضحة على تلك الخصائص التي في « x » والتي اعتقد مصنف « x » الذي تعتمد عليه كل النيدول سوى « د » أن من المناسب حذفها ، فهل اختار x بشكل نزوي أم هل أمكن لاستبعاده تلك التي تحجرت في « د » أن تتميز ؟ وإذا كان كذلك هل تسمح لنا بأن نعرف x على أنه التاريخ الأصلي لارنول؟.

الفصل السابع

تاريخ أرنول الأصلي

عندما نأتي لنقوم بدراسة خصائص x كما هي ظاهرة في
منوعات النيل الوحيد المستمد مباشرة منه وهو x ، فإن شيئاً
واحداً يصبح واضحاً على الفور إن مؤلف x كان من أهالي المملكة
اللاتينية في بيت المقدس ، وهناك للبداية ، كان استعماله لاصطلاح
« ما وراء البحار » . والاستعمال الطبيعي لهذا الاصطلاح من قبل
المؤرخين الأوروبيين ، ومن قبل مصنف كل النيل الأخرى هي أنه به
يشيرون إلى فلسطين أو الشرق الأدنى بشكل عام ، وفي الواقع إلى
الأراضي الأعلى من أوروبا . ولكن x يستعمله دائماً ليعني أوروبا
وهي أراضي ما وراء البحر من فلسطين . وعلى سبيل المثال في نهاية
٢٣ / ٦٤ فإن المسيحيين الهاربين من بيت المقدس يشتون في
الاسكندرية .

ب	س ج (مثله غ. ج)	د
... et demorerent ilec jusques au mars.	... jusques au mars qu'il entrèrent en nes pour passer en terre de Crestiens.	La furent jusques au marz que il entrèrent es nez por aler Outre mer en terre des Crestiens. ١١

ومرة أخرى عندما سمع صلاح الدين بالاستعدادات لحملة
صليبية ثالثة فإن خلافاً وجهات النظر واضحة بجلاء في « د » .

١ - ب (س ج و غ ح مثله)

Noveles li vindrent que L. emperere
d'Alemaigne estoit croisez, et li rois
de France et li rois d'Engleterre et
tut li haut home de Crestienté...
por aler sur lui.

د

... et li emperere d'Alemaigne
d'Alemaigne et le rei de France et
le rei d'Engleterre, et tut li haut
baron d'Outre mer estoient croisié
por venir sur lui. (٢)

وفي هذا المثال إن اصطلاح « ما وراء البحار » يمكن بالطبع أن يكون إضافة أو تحشية من قبل مصنف « د » إذا كان هو نفسه وليس مؤلف x هو الذي عمل في فلسطين ، وأن هذه ليست الحالة جلي من كامل التصور العقلي الواضح في كل مكان من مذوعات «د» واعني اصطلاح « بوليان (٣) » الذي عرف به الفرنجة البلنديون ، وذلك حسبما كان الصليبيون الأوربيون يسمونهم وهذا التوجه الفلسطيني في x ، كثيرا مايكون واضحا بالذات بالطريقة التي كان يروى بها حدث ما قارن على سبيل المثال في ٢٦ / ٢٣ :

السب

Quant li empereres ot tout apresté et il dut mover, si le prist une maladie de quoi il fu morz a Brandis, ou l'assemblée estoit, si que l'en dist que sa feme l'empereris Costance l'avoit enpoisoné.(٤)

د

Dedens ce que les Alemans atendoient a avoir le chastel dou Toron, novele lor vint que l'emperere Henri lor seignor estoit mort, et que le secors de Babiloine venoit a ciaux dou chastel. Et ensi com il aparsurent le secors il orent conseil entr'iaus; si se departurent come ciaux qui avoient perdu les cuers et la volenté por la mort de lor seignor.(٥)

وأثر آخر لـ x ظاهر هنا وفي كل مكان وهو كراهيته للصليبيين الأوربيين الذين يعتبرهم متطفلين حمقى ، خاصة الألمان ، وكامل الذوع الذي تأتي منه الفقرة أعلاه هو مقال طويل حول مختلف السمات الباعثة على الأسي للشخصية الألمانية ، بداية بتدنيهم العسكري :

'Ensi come les Alemans virent le poeir des Sarasins qui estoit si grant, il furent esmaïé.(٦)

وشجاعة وحكمة البارون السوري هيو صاحب طبرية هي فقط التي حالت دون الهزيمة الكاملة التي كان سببها الأعظم زعر الألمان ، وعلاوة على ذلك أخفق الألمان في فهم أي شيء حول عقلية أهل الأرض الذين عاملونهم بعجرفة ورعونة ، ومن موقع السياسة والتسلط ، أو حسب عقلية المسلمين ، الذين كانوا يستخفون بهم

- ٣٦٤٤ -

باستمرار ، والذين كانوا يرفضون التعامل على قدم المساواة ويضع
× على لسان المسلمين واحدا من انتقاداته الخاصة ، قائلا إن
المسلمين كانوا يخشون قسوة الألمان (٧) ، وفي مكان آخر يقوم
ببساطة بانتقادات واضحة وبشكل مطلق للشخصية الألمانية
ولتأثيرها الشائن على الدبلوماسية الألمانية .

Les Alemans se fient moult en lor force et en lor fausse vertu, ne
n'orent pitié des esclaves Crestiens que l'on lor devoit rendre, ne ne
conurent le bien et l'onor qui lor avenoit. Car se il eussent receu le
chastel en la maniere que li Sarasin le voloient rendre, les Sarasins lor
eussent des puis rendu le chastel de Biaufort, qui est en la terre de
Sayete, et les autres chastiaus. (٨)

ويمكن للمرء أن يعتقد أن هذه الانتقادات نمونجية لأي كاتب
فرنسي سواء أكان سوريا أولا ، ولكن انتقادات × المتميزة بكراهية
« الوافدين الأوربيين » تبين ولاءه بدقة أكثر ووضوح أعظم .

وفقط في تنوع « د » نجد الاغنية السياسية التي من تأليف
الوافدين الأوربيين ضد :

*ciaus de cest pais: 'Maugré li
Polein avrons nous roi Poitevin.' Ceste haine et cest despit
firent perdre le roiaume de Jerusalem. (٩)*

ومرة أخرى لا يتردد المؤلف في التعميم ، وأخذ وليم بارليس
نمونجا للوافدين الأوربيين

: 'A tant s'en parti
dou conte Guillaume Barlais, et si s'en ala por saisir Japhe.
Mais il fist come Peitevins, que dou conseil et dou comande-
ment dou conte il ne fist mie le disme. Car il euvrent de lor sens
et s'aseurent en lor poeir. (١٠)

وتظهر مذوعات « د » ، في هذا وفي أمثلة كثيرة أخرى باستمرار
موقفا يمكن أن يأتي فقط من فرنجي سوري عارض لقاء ، الملك

- ٣٦٤٥ -

غني « الملك الوافد من أوربا » وانتمى إلى العصابة التي كان ريموند كونت طرابلس الزعيم غير الرسمي لها .

ومرة أخرى كان مؤلف × يعي أن عادات مملكة بيت المقدس خاصة ، وكثيرا ما أجهد نفسه في تفسيرها لقرائه ، وعلى سبيل المثال إن رواية إجراءات انتخاب بطريرك بيت المقدس تظهر في كل النيول (٢٣ / ٣٨) ، ولكن « د » فقط يروي أيضا الفضيحة التي انتشرت فيما بعد ونتج عنها تغيير الإجراءات (١١) ومثل ذلك شرح « د » بدقة أكثر من النصوص الأخرى ، لماذا قاد ريموند كونت طرابلس مقدمة الجيش في حطين .

'Ce est le droit des barons dou roiaume. Quant il i a ost banie en lor seignorie, li baron en cui terre se doit faire le bataille, il a la premiere eschiele et la premeraine pointe, et a l'entrer de sa terre fait il l'avant garde, et au retourner l'ariere garde. Por ce ot le conte de Triple la premiere pointe, que Thabarie estoit soue. (١٢)

وعندما وصل كونراد أوف مونتفرات ورجاله إلى مشارف عكا اكتفى « أ - ب و س ج و غ ج » بالقول بأنهم لم يسمعوا صوت أجراس ، ولم يروا قاربا يأتي للقائهم .

'... si en furent moult corrocez, ne n'oserent ancrer, ains se traistrent arriere'. (١٣)

وفي « د » نجد رد الفعل هذا مشروحا

En le tens que il furent arivés devant la cité d'Accre, il estoit costume en la devant dite cité que on sonoit une campane quant aucune nave ariveit d'Oltre mer, et une gamele aloit a la nave, et grant piece avoit que nave n'en estoit venue. Quant le marquis ariva, il n'en oi point de campane soner, si fist geter une barche en mer, et mist des plus sages homes de sa nave et les envoia en la cité por savoir que ce devoit que il n'avoient point oie la campane soner, et quels noveles il i avoit ou pays. (١٤)

وبصورة لافر منها أظهر × اهتماما خاصا بالسياسة المحلية ، وهذا الاهتمام ظاهر إلى حد ما في كل النيدول ، ولكن فحص منوعات « د » يظهر أنه كان هناك أكثر بكثير من هذا النوع من المعلومات في × مما اعتقد مصنفوا × أنه يستحق الحفظ ، وبالضبط مثل ما اعتبر مؤلف × أن الأوربيين متطفلين ، وأن مآثرهم أقل نفعا من العمليات التي أديرت من قبل السوربيين ، وهكذا فإن المؤرخين الأوربيين يميلون للنظر بشكل رئيسي إلى الخطوط العريضة للحرب المقدسة على أنها الأكثر أهمية ، وأن البقية نزاعات صغيرة بين قادة الحرب المحليين ، ولكن عندما تؤثر مثل هذه النزاعات بشكل خطير على القضية الأكبر ، كما في حالة رفض ريموند كونت طرابالس الاعتراف بغبي ملكا عليه ، يتوقفون عن إعطاء التفاصيل ثم يروونها بأسلوب روتيني مختلف جدا عن أسلوب × ، كما رأينا من قبل في كثير من المنوعات التي في « د » المفحوصة أعلاه . وهكذا في النيدول الأخرى ، فالتنافس بين الفرنجة البلبيين والفرنجة الوافدين ورد بشكل عابر تماما ، وسوء أعمال أصحاب هونين عديمة الأهمية عند الذين لم يعرفونهم ، ويحتمل أنهم لم يسمعوها حتى بهم ، لا بل أكثر من ذلك إن حدثا بالغ الأهمية لدى المؤرخ هو تأسيس أول كيمونة في أنطاكية ترك جانبا ، وربما كان الخوف الأكثر إثارة للدهشة من هذا النوع هو الرواية التي حفظت فقط في « د » حول النزاع بين هنري دي شامبين وإيمري دي لوزنغن مفاوض جيش مملكة القدس وكافلها ومن ثم مغادرته ونهايه إلى قبرص (١٦) .

وهذه المعلومات ضرورية بلا ريب إذا كان لنا أن نفهم كيف تسنى لإيمري أن يكون في قبرص في وقت وفاة غي وقد انتخب بناء عليه ملكا ، لسبب رئيس هو أنه كان متاحا على الفور ، ومثل هذا ما اتصل بأسر رتشارد من قبل دوق النمسا حيث أضاف « د » حكاية تعلق بسلوك رتشارد تجاه الدوق في الأرض المقدسة بعد حصار عكا ، وقدمها بشكل صحيح أو خاطئ ، ولكن بالتأكيد بشكل

مقتنع ، على أنها سبب شعور الدوق السيء تجاه رتشارد ، ولديه أيضا تفصيل أكثر حول جمع فنية رتشارد ولكنه اعاد روايتها كشيء معروف لديه بصورة غير مباشرة كاشاعة ، مع أربعة جمل من كل ستة متعاقبة في النقطة الواحدة تبدأ بكلمات :

(١٧) 'I'en dist que.

وغريب حقا ، أن مظهرها أخذ لضيق الأفق في x هو العكس تماما لهذه الشروح المفيدة أعني افتراض المعرفة من جانب قرائه ، وفي صورة تلميحات عابرة لما يفترض أنه حسم للمعلومات العامة ، وهذا الافتراض كان مسوغا دون شك في المكان والزمان الذي كتب فيه ، ولكنه يتركنا نخمن ونفترض ، وعلى سبيل المثال حول اتفاقية الوراثة المبرمة عند زواج ايزابيل وهنري حيث يقول :

'L'on dit que la greignor partie et le miaus des gens dou reiaume jurerent au conte Henri que il fereient de ses heirs seignors et reis de Jerusalem. Car ciaux qui jurerent au conte Henri n'en esteient neent tenus au marquis ne a ses heirs; se il l'ont d'autre maniere fait, il est bien seu.(١٨)

واحد أكبر النواحي بشاعة في هذا العنصر المحلي في x ، وهو الذي كثيرا ما يفسر استبعادات x وتكيفاته ، وهو موقفه تجاه المسلمين بشكل عام وصلاح الدين بشكل خاص ، وقد كان صلاح الدين «الطيب» مشكلة كل مؤرخ أوروبي : وقد أخفق تماما في أن يتواءم داخل أي من الزمر المعتاة وكثيرا ما كان المؤلفون الذين يشكلون مصدرا لليأس يجدون ملاذا في القصص الأدبية الموائمة ، إن لم تكن اعتباطية ، وهكذا كما رأينا في استعراض النصوص الباقية (١٩) فإن مصنف « تاريخ بلاد ماوراء البحار » قام باستيفاءين خصصا في حالة أولى منهما لبيان أن صلاح الدين قد منح مرتبة فارس بالطريقة الصحيحة من قبل بارون مسيحي اسير ، لم يتمكن من افتداء نفسه بأي طريقة أخرى ، وفي الحالة الأخرى أن جلة صلاح الدين لأمه كانت فرنسية ، وهكذا فإن

مؤرخا زائفا آخر أيضا هو المنستر آل دي ريمز أكد ان صلاح الدين كان في الواقع مسيحيا سريا ، وانه قد عمد نفسه وهو على فراش الموت (٢٠) ولكن x بعيدا عن الانغماس في هذه الخيالات لم يع حتى هذه المشكلة ، وعنده أن صلاح الدين خصم عسكري ولكن هذا لا يعني أنه يجب أن يصور كشريير تماما ، ومـرتان حـوى « د » روايات حول السياسة الاسلامية الداخلية وكرر ثلاث مرات رواية الحوادث التي ألقت ضوءا مختلفا تماما على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين وعن ذلك الطرح الدقيق من قبل مضيبي النيول ، فقد ذكروا باختصار ، وان كان بوضوح ودقة معقولين ، بعض التصرفات المتضمنة نقل الملكية التي قام بها صلاح الدين بالنسبة لأرضه عند وفاته ، وايضا الوفاة في حادثة صيد التي جرت لابنه الملك العزيز (٢١) ولكنهم لم يهتموا ، بالقتال بين المسلمين الذي ملا الفاصل بين هــنين الحادـثين ، الذي يعيد « د » روايته ببعض التفاصيل ، وهذا النوع في « د » يصور أيضا النوع الموازي لـ x الذي غالبا ما قارن بين العادات الاسلامية والمسيحية ، وإشراح المتقدم بلغة التالي ، وجعلهما بذلك قابليين للفهم السريع وإشراح المتقدم باصطلاحات التالي ، وبذلك جعلها قابلة للفهم السريع من قبل القارئ المسيحي .

: 'Ensi come le patriarche corone
le rei de Jerusalem de corone d'or et l'enoint, en itel maniere
(chez) les Sarasins le plus grant hoine, qui est en icele seignorie
porte devant celui qui deit estre soutan une housse devant lui,
mostrant la et disant au pueple: Vees ci nostre seignor. (٢٢)

وعلاوة على ذلك فإن « د » وحده بين كل منظمي النيول يذكر المنازعات بين صلاح الدين وأخيه سيف الدين ، وتخلي عدد كبير من المماليك الساخطين عن خدمته والتحاقهم برتشارد ، واستخدام بداية عرب كجواسيس (٢٣) ومع أن كل هذا متعلق مباشرة بفهم واضح لسياسات رتشارد فإن من الواضح أنه أدخل من قبل x لذلك الغرض ، وفي هذه الحالة فإن مصنف « د » ليس فقط مؤرخا أفضل ، ولكنه ينتج حكاية أفضل ، بمعنى واحدة أكثر قابليته للفهم

بسهولة ، واهتمامه بالمسلمين إكراما لخواطرمهم ، و ليس لكونهم مجرد مساعدين للشخصيات الرئيسية من الفرنجة يمنع عدم التوازن وعدم قابلية الفهم التي كثيرا ماتلي ، والتي يشيع وجودها بين مؤرخي الحروب الصليبية والتي أعفى منها بشكل بارز مواطن آخر أكثر شهرة من ما وراء البحار هو وليم الصوري ، والحياد النسبي لـ « د » واضح من ثلاث حوادث أخرى موجودة فقط في روايته وهناك أولا القصة العربية المذكورة في وقت سابق (٢٤) عن معاملة صلاح الدين لطفلين مسيحيين ، توماس دي ابلين ووليم صاحب جبلة . التي تظهر صلاح الدين كرجل شرف - فهو يستجيب لطلب من بالين دي ابلين أنه يجب أن يأخذ الأطفال تحت حمايته - وأنه مؤهل بالمشاعر الرقيقة الى جانب ما هو عليه من بسالة عسكرية ، وهو على الفور واثق من النصر الوشيك ، ومدرك لمضاعفات الهزيمة على أطفال أعدائه ، والقصة كلها علاوة على ذلك تجذب الى دائرة الضوء علاقة شديدة الاحكام وأكثر ضمانا بين المسلمين والمسيحيين مما يسمح به عادة ، مع أنه على نحو لا يمكن إنكاره كانت العائلة ذات العلاقة عائلة معروفة بأنها للخير والشر كاليد في القفاز ، مع أن صلاح الدين والابليتيون ليسوا على أي حال مشمولين في النوعين الآخرين من هذا الصنف وعندما أصبح ، غي لوزنغان ملكا على قبرص أرسل الى صلاح الدين كما يقول «د» طالبا النصيحة حول كيفية ادارة مملكته الجديدة ومرة أخرى ايضا تصرف صلاح الدين بأفضل تقاليد الشهامة ، وأعلن فضلا عن ذلك احدى اسس اخلاقيات سلوك الفروسية بوضوح في العملية

:: 'Salahadin respondi as messages que il n'ameit gaires le rei Guy, mais depuis que il li requereit de conseil, il le conseillearit au miaus que il savreit. Car puis que l'on demande conseil a autrui, soit ami, soit henemi, leiaument li doit conseillier.(٢٥)

وهذا لا يخبرنا بالضرورة بشيء عن صلاح الدين الذي يمكن أو لا يمكن أن عبر مطلقا عن مثل هذا الاحساس ، ولكنه يخبرنا بقدر

كبير تماما عن مصنف « د » الذي اعتقد أنه يستحق أن يضمن ،
وعن « x » ، الذي صدق صلاح الدين بالقول من المقام الأول .

وأخر الأضواء الجانيية المقصورة على صلاح الدين في « د » هي
أيضا الأكثر أهمية تاريخيا والأكثر إرباكا لوجهة النظر التقليدية
لكل المسيحيين باعتبارهم الأعداء العنيدون المؤكدين لكل المسلمين .
وتعلق بالزواج الذي اقترح ، مع أنه لم يعقد مطلقا بين أخي صلاح
الدين سيف الدين وجوانا صاحبة صقلية ، الأخت الأرملة لريتشارد
قلب الأسد ، والآثار المحتملة لهذا الزواج ، والتحالف الذي كان
ينطوي عليه بين ريتشارد وأخي صلاح الدين كان واسعا في
الحقيقة ، وكان يمكن أن يرسم نهاية سيادة صلاح الدين في الشرق .

et se icelui mariage se feisoit, il
[Salahadin] doutoit que il ne perdist toute sa conquete.^(٢٦)

وكان هذا الخوف صحيحا حتى أنه أدى بصلاح الدين إلى أن
يعرض على ريتشارد هدنة على شروط مواتية للغاية للمسيحيين ،
تتضمن أن يعاد لهم جزء من مملكة بيت المقدس . ولكن ريتشارد
أجاب بأنه يجب أن يحصل على كل المملكة كما حكمها عموري الأول
قبل فتحها من قبل نور الدين أو لاشيء بالمرة ، وكان رفضا طائشا
سرعان ما ندم عليه عندما أرغمته الأوضاع في انكلترا لأن يقبل
معاهدة غير مواتية ، وهي معاهدة ١١٩٢ ، وقبل أن يترك بلاد
ما وراء البحار ، كان الكسب الكبير الذي يمكن أن يكون ريتشارد قد
حققه لقضية المسيحيين لو أنه قبل عرضه ، وهو معيار لنقص حدة
ذهنه ، أو ربما للمبالغة بثقته بنفسه ، وقد رفض ، وقد حظيت هذه
الحادثة بالصمت من قبل الجميع سوى مصنف « د » .

وسيكون على أي حال مضللا تصوير « x » على أنه موال لصلاح
الدين وفقا لمبدأ ما ، وما يسمى بموضوعيته على أنها مجرد بندول
يتأرجح بين هذا الطرف وذاك ، فقد كان قادرا على نقد صلاح الدين
بقدر ما كان قادرا على منحه ، حسبما كانت تقضي الظروف وكشاهد

على قصة مذبحه فرسان الداوية التي كما رأينا من قبل كانت في x ولكنها حفظت فقط في « د » (٢٧) وهذا تصوير من الدرجة الاولى لموقف x ، فقد بدأ بذكر حكمه على فعل صلاح الدين بوضوح

: 'Quant Salahadin fu en la cité de Domas il ot en sei un mauvais apenssement. Car il fist ocire tous les Templiers, qu'il avoit pris en la bataille. (٢٨)

ورفض فرسان الداوية إنقاذ أنفسهم بالارتداد عن بينهم فاعدموا ولكن x على الرغم من رأيه المعلن في فعل صلاح الدين على أنه « عمل انتقامي » بين الآن باعث صلاح الدين الخارج على المفهوم المعتاد . 'un mauvais apenssement' عارضا الآن موقفه غير الإعتيادي في تفهمه لدافع صلاح الدين

'Mult fu grans la doulor et la mortalité et la confusion de sanc. Car il cuida faire grant sacrefice a Deu en ce que il faiseit ocire les Crestiens. Car ensi le dist Nostre Seignor en l'Evangile a ses deciples: "Encore venra l'ore que cil qui vos tueront me cuideront avoit fait grant sacrefice. (٢٩)

والآن فإن x بعيد عن أن يكون سياسيا سانجا ، ويمكننا بأمان أن نفترض أنه قد أدرك تماما ماذا كان باعث صلاح الدين الحقيقي ، أعني الرغبة في إبادة أحد أهم العناصر في الجيش الفرنجي ، ولكن x رقيق بقدر كاف ليتمكن من نقد صلاح الدين دون أن يشعر بضرورة لتسويد صفحة شخصيته كلية : مع أنه عمل بدافع الانتقام ، يجب أن يبقى محظيا ببعض الاخلاص الديني وذلك خلافا لما رسيل الذي قال ن هذا العمل لن يغفره الله له (٣٠) ، ولم ير صلاح الدين هنا كعدو لله ، بل بالضبط على أنه اعتقد أن فعله يرضي الله ، ومرد ذلك لأنه ضلل من قبل بيانة مزيفة ، لكن من أجل ذلك كله بإيمان طيب ، وتتناظر براعة x في هذا ، وفي أمثلة أخرى وتتشابه - مع أن ذلك بطريقة مختلفة نوعا ما - فقط مع براعة وليم نفسه .

ومن الحقائق الأخرى لدوعات « د » إنه مع ارتباطها باهتمام المؤلف بفلسطين وما وراء البحار بشكل عام إن ما يستحق الذكر

الخاص . أن كل النيول بها قدر كبير تماما من المادة حول قبرص بشكل لا يمكن تفاليه ، ولكن في « د » أكثر من الباقي . فبعد طلب غي من صلاح الدين ، المقتبس أعلاه على سبيل المثال ، يمضي ليخبرنا ماذا كانت النصيحة ، وكيف نفذها غي بإعطاء الاقطاعات الكبيرة للذين كانوا يرغبون في المجيء من فلسطين والاستيطان هناك ، وهكذا حدث بفضل الرب ورحمته أن قدم إلى جزيرة قبرص عدد كبير من الفرسان وأصبحوا فيها من كبار الملاك (٣١) .

هل هناك ملاحظة ذات مصلحة شخصية هنا ؟ يبدو من الصعب أن نؤسر تماما بأي طريقة أخرى هذا التغيير المفاجيء في القلب تجاه « غي » الوغد حتى الآن والذي كان « واحدا ممن أضاعوا الأرض » فهو الآن تحول إلى حاكم طيب وحكيم فهل كان × نفسه أحد الذين استفادوا من سياسة غي ، ومن أصبحوا من « كبار الملاك في جزيرة قبرص » ؟ وهل كان هذا في الحقيقة أحدا غير أرذول دي غيليت ؟ إن كل بيانات المنوعات في « د » التي امتحنت حتى الآن تشير إلى هذه النتيجة : الاهتمام الوثيق في الشؤون المحلية في بلاد ما وراء البحار ، والمعلومات المضبوطة حول عادات المسلمين والموقف غير الأوربي جدا تجاههم ، والتشابه مع الزمرة المناهضة لغوي في فلسطين ، ولقد حان الوقت الآن لفحص المنوعات في ضوء تلك المعايير الدقيقة التي رسمناها من قبل (٣٢) ، أي منزلة أرذول كرجل ليس من رجال الدين والتزامه بقضية آل ابلين ، ومعلوماته الداخلية عن العائلة ،

ولكي نبدأ بالأولى توجد في المنوعات سمات كثيرة تميل عند النظرة الأولى إلى الأيحاء بتأليف مدني غير كهنوتي ، وبتعابير عامة إن نص « د » له مظهر أكثر احترافا بكثير من أي من النصوص الأخرى ، فهو على سبيل المثال يظهر بعثه في التواريخ السنوية في القسم موضوع البحث ، بينما ليس للموجز مثل ذلك ففي النيول في الفترة حتى ١٢٣٢ ، في ١ - ب اثنان وفي « غ ج » واحد ، ولا شيء بالمرّة في الأخرى ، ومثله هذا إن أسلوب « د » أسمى بكثير

من الأسلوب في النصوص الأخرى وهذا سيناقد بشمولية أكثر في مكان آخر (٣٣) .

وباختصار فإنه يعرض مفردات أغنى بلا حدود ، مع صور علمية من حين لآخر (مثل : *pecunie, nave*) وحبا للحكم والاقوال الماثورة المدهشة ، والتعابير التي تجرى مجرى الأمثال والاستعدادات ، وهناك أيضا اقتباسات توراتية - على سبيل المثال تلك المضافة كتعليق اعدام فرسان الداوية ، (٣٤) والندب على بيت المقدس المقحم في القصة التحذيرية عن أصحاب هونين (٣٥) ، وفي مكان آخر نجد بيئة على الاهتمام بالأمور الكنسية ، ومعلومات دقيقة حولها (٣٦) مع أنها ليست غير عابية بمعايير مؤرخي العصور الوسطى اللاتينيين ، وتبرز بالمقارنة مع المسيرة العامة للمؤرخين بالغات الدارجة ، ومع النيدول الأخرى بشكل خاص ، ويقدم سؤالان نفسيهما : هل هذه السمات بالضرورة من عمل رجل ديوان ؟ وإلى أي مرحلة من العمل تنتمي : إلى مؤلف x أم إلى مصنف « د » .

وبالنسبة للأسلوب العام فإنه غير مشابه لعمل ذلك الرجل غير الكاهن لكن سريع التأثير المشوش أعني روبرت دي كلاري الذي خلاصه وصفه أن تقول إنه كان عاجزا عن الوصف ، ولكنه كرجل مدني نكي كان بإمكانه أن ينجز أفضل من ذلك ، كما يبين تاريخ فيلها رين ومع أن أسلوب « د » أسهل كثيرا وأكثر حيوية في القراءة وأكثر تنوعا بكثير في الوسائل التي يستخدمها فإنه ما يزال أكثر مهارة من أسلوب فيلها رين ، وهو ليس وراء حدود المستطاع بالنسبة لمثل هذا الرجل من المدنيين . ويجب أن نتذكر أيضا ، إذا كان عمل أرذول هو ما نبحث عنه والذي يصفه فيليب دي نافار ككاتب فصيح جدا (٣٧) ، فإن من المفترض أنه قد أحرز في البلاط على بلاغة أهله لاحتلال مكان مفيد عندما حول يده إلى كتابة مذكراته ، والمعرفة باللاتينية أمر آخر على أي حال ، واستخدم ذلك ووضع بالجملة التالية : *'Car ensi le dit Nostre Seigneur' etc.* (٣٨)

والاقتباس ترجمة ليوحنا ١٦ / ٢ مع أنه ليس دقيقا بشكل مطلق ، إنه يسـتـخلص المـفـرد مـنـ الجـمـع
'cū qui vos tueront' 'omnis qui interficit vos' ويضيف الصنفه grant,

حيث لا يوجـد في الأصـل سـل سـوى
obsequium ويبدو مع

ذلك قريبا جدا من أن يكون مجرد مدد من الذاكرة لرجل مدني كان قد سمع هذا القول (لقد كان الشعر جزءا من الانجيل من أجل يوم الأحد التالي ليوم عيد الصعود - خميس الصعود) وهو لا يعبر عن مجرد فكرة الشعر بل يأتي بالصياغة الفعلية ، وعليه يجب أن نستنتج أنه قد استمد مباشرة من اللاتينية ، ويدل على يد « د » يد كاتب» أثناء العمل في النص عند نقطة ما .

ويقلد ندب بيت المقدس - بشيء من التصرف - الشعر الافتتاحي
لمراثي إرميا

Quomodo sedet sola civitas plena populo! Facta est quasi vidua
domina gentium; princeps provinciarum facta est sub tributo.

Qui vos porreit conter le plor et la doulor de si grant mesaventure qui
avint a la sainte cité de Jerusalem? Cele qui esteit nomée dame des autres
citez devint serve et ancelle; cele qui deveit regner en franchise fu puis
tributaire. (٣٩)

ومع أن هذا كان يتصرف بالمقارنة مع المثال الأول ، فإنه يبقى بلا شك اقتباسا توراتيا ، وله يضاف تعقيد آخر ، هو أن كتاب المراثي خلافا للأناجيل ليس في الطقوس الدينية أي ليس من الأجزاء التي تقرأ كثيرا جدا من التوراة .

- والتواريخ لم تأت بالطبع بالضرورة من مصدر مكتوب ، أو اثبتت بواسطة « كاتب » فهي كلها مستمدة من الذاكرة ، وهي على أي حال دقيقة بالتقريب فقط باستثناء حطين ، التي ذكرت بيومها وتاريخها مع الشهر والسنة (٤٠) وغير ذلك هناك أمثلة وفاء غي ، وهي ليست فقط بعيدة سنة ، بل قيل إنها حدثت في السنة

نفسها التي توفي فيها صلاح الدين (٤١) ، بينما في الواقع كان بينهما أربعة عشر شهرا (في أيار ١١٩٤ . وفي ٣٠ آذار ١١٩٣ كل على حده) .

هذا هو حجم الخطأ الذي يمكن بسهولة أن يقع بـزلة من الذاكرة ، وقائمة الاحداث المعطاة جميعها تحت ١١٩٦ (٤٢) تظهر عند النظرة الاولى ببساطة خطأ ، ولكن من وجهة نظر حقيقية إنها وقعت كلها تقريبا ، على سبيل المثال وفيات غي وصلاح الدين ، وهي الى حد بعيد مترابطة بسببها أيضا ، ويبدو أن التاريخ قد جرى تذكره خطأ ، أو أنه حتى أستندسخ خطأ (٧ × بدلا من ١ ×) وليس أن مسار الاحداث قد أسيء فهمه تماما ، فقد توفي كليمنت الثالث وخلفه كليستين الثالث في آذار ١١٩١ وتزوج هنري السادس امبراطورا رومانيا مقدسا من قبل البابا الجديد سهل الانقياد في ١٥ نيسان التالي ، وأسر رتشارد في فينا في كانون الاول ١١٩٢ ، وسلم الى هنري بعد ذلك بثلاثة شهور .

وبشكل عام يمكن أن نقول إن كل هذا كان يمكن تذكره بسهولة بهذه الدرجة من الدقة من قبل أي شخص جيد المعلومات يكتب بعد وقوع الاحداث بعام واحد فقط ، وتختلف الأمثلة الهامة الكثيرة حول الامور الكنسية بالذوعية ، ولدى الحديث عن الاستيلاء على قبرص نجد هذه الملاحظات :

(1) Mais le Rei de Gloire, qui avait conduit le rei Richart jusques la et voleit planter iqui la bone plante, ce est assaveir Sainte Yglise et la Crestienté de la loi de Rome en la devant dite isle, et arachier la mauvaise racine des felons Griffons, il manda son bon conseil au rei Richart . . .

(2) Mais la porveance et l'aie dou Rei de Gloire, qui ne deguerpist pas les siens, dona force et victoire au devant dit rei.

(3) Et ensi par l'aie de Dieu sousmist le rei toute la seignorie de Chypre a son pooir et la torna a la lei des Latins, et fu fait archevesques de Nicossie Salein, qui estoit arcediaque de Sa nt Jorges de Rames (٤٣)

وهذه اقوال موالية بقوة وفي « د » فقط من ... اور الاس ... تيلاء على

قبرص في هذا الضوء ولكن من الممكن أن يكون أيضا يمثل قوة شعور فارس مثلما يمثل شعور « كاتب » وكان أحد واجبات الفارس الدفاع عن الكنيسة المقدسة والايمان الحقيقي ضد غير المؤمنين ، الذي كان لا يعني لدى فرنجة بلاد ما وراء البحر المسلمين فقط بل أيضا الهراطقة القبارصة « ومجد الملاك وفخاره » لم يكن عنوانا شائعا فقط في المزامير ، بل في الأحاديث الدينية بشكل عام واستعارة عبارة الزرع مع شيوع وجودها في الكتاب المقدس ، ليس بالتأكيد تحولا كتابيا في العبارة ، وما هو أكثر إن كل هذه التعليقات تتعلق بقبرص ثم وما هو أكثر طبيعية من ذلك لا بد أن « الملاك الكبير في جزيرة قبرص » قد تملكه شعور قوي بشكل خاص نحو الاستيلاء على الجزيرة حيث اتخذ منها موطنها وحل فيها محل « اللصوص الهراطقة الرافضين لشرعية روما » ، أو أنه رغب بشدة بمعرفة اسم رئيس أساقفة نيقوسيا ومن أين جاء ؟

وما يختلف نوعا ما مع ذلك هو الاستطراد الطويل حول الكنيسة ونزاع الدولة الذي عرض عن طريق شرح التغيير في اجراءات الانتخابات البطريركية لبيت المقدس وشرحت صيغة الانتخاب بالطبع في الموجز وفي « غ ج » اللذان اعتقد مؤلفهما أنها كانت ما تزال متبعة (٤٤) ولكن « د » بعد رواية وقائع الاجراءات استند على التعابير نفسها تماما ، مثل تعابير الروايتين الأخريين ، ثم ابتعد في انعطاف طويل بشأن تنقيح الاجراءات الذي ادخله كلاستين الثالث في ١١٩٤ بعد النزاع بين هنري دي شامبين والكهنة ، والفضيحة التي تلت ذلك ، وأعطيت إشارة خاصة الى مراسيم وفتاوى البابا كلاستين حول الموضوع :

: 'Dont le Pape Célestin reprist le conte Henri,
et fit une decretale, si comence enssi: Com la terre, qui est
commeue et apelée l'heritage et la partie de Deu. Des adonques
en ça le rei de Jerusalem n'en est pas sort (٤٥)

ثم تبع ذلك عرض قصير للمشاكل بين البابا والامبراطور خلال

السنوات المائة السالفة ، وهي بشكل غريزي منحازة لصالح الكنيسة وهذا الآن لا يشبه تماما الخلاصات الثلاثة عن الاستيلاء على قبرص المقتبس أعلاه ، ففي تلك إنه بينما يمكن بسهولة رؤية أنه من عمل واحد من عامة الناس ، لا يمكن حقيقة أن تكون هذه الفقرة قد جاءت من قلم رجل من العامة ؛ ولا بد أن يكون شخص ما له ارتباط بالبلاط قد عرف بالقدر نفسه ما يقال حول إزالة دور الملك في الانتخابات ، ولكنه توسع في نقطه بعيداً جداً يمنعنا من أن نتخيل أن رجلاً من العامة قد عرف عنذوان الفتاوي المتعلقة ، وتاريخ عدم اتفاق الكنيسة والدولة وأن يكن مختصراً خلال كامل فترة وجود مملكة بيت المقدس اللاتينية ، والمعلومات إجمالاً في هذه الحالة فنية دقيقة جداً وتعطي فترة أطول جداً مما يجب ، فكيف تفسر على أنها معلومات مباشرة أو مبنية على مصدر شقوي ، وهي تكشف بمالاً يرقى إليه شك عن يد كاهن .

من كان هذا الكاهن ؟ ولاي طبقة من التشكيل التراكمي للنص ينتمي عمله؟ الى x أم الى تصنيف د من x ؟ ومن الضروري الآن أن ننظر بامعان الى الفقرات التي أشرنا اليها على أنها فوق الشك ذات مصدر كهذوتي ، ومن السياق إن المسألة الأكثر وضوحاً ، والتي يمكن بناء عليه أن تحسم أولاً هي مسألة ندب بيت المقدس :

Ensi come il orent passé le Pui dou Conestable, et entrerent en la terre dou seigneur dou Botron et de Nefin, Renaut, qui sires estoit de Nefin, fist metre ses serjanz en un destreit de sa terre et lor comanda que il deussent rober et tolir as genz de Jerusalem quant que il poreient avoir, ensi que il pristrent le remanant que Salahadin aveit laissié a ciaux de Jerusalem. Qui vos porreit conter le plor et la doulor de si grant mesaventure qui avint a la sainte cité de Jerusalem? Cele qui esteit nomée dame des autres citez, devint serve et ancelle; cele qui deveit regner en franchise, fu puis tributaire. Cil qui eschaperent de la maisnée dou seignor de Nefin alerent envers Triple et cuiderent avoir recet dedens Triple.(٤٦)

ويبين اقتباس التفجع والنص المحيط به بتمامه وطوله بالضبط كيف أنه لا يتعلق بسياقه ، وكيف كان توضع سيئا ، وكم هو

صارخ قطعه لتسلسل الحكاية وواضح أن هذا اقحام عند نقطة ما ، وهو لا ينتمي لـ x .

وفي الامثلة الأخرى لا يمكننا أن نأمل في قطعه من التصنيف غير البارع الى حد بعيد (حتى بمعايير مصنف « د » هو أننى نوعا ما في هذا المجال) لتمكنا من التأكيد بشكل قاطع أن اقحاما ما قد جرى ، وفي حالة فرسان الداوية على سبيل المثال ، كل ما يمكن قوله هو أن الاقتباس من يوحنا (٤٧) يمكن ازالته دون اضرار بالمعنى ، وهكذا يمكن أن يكون هناك احتمالا اضافة أخرى مثل التفجع ولكن ليس بداهة كذلك .

وتبقى هناك الفقرات الثلاث المتعلقة بالبابوية ، وفي حالة اثنتين منهما من المستحيل تقرير ما إذا كانت في x أو إذا ما كانت اقحامات تمت من قبل مصنف « د » وهذه الفقرة التي تتعامل مع الفتاوي البابوية لكلاستين الثالث (٤٨) وذلك التي تصف الحزن الحادث في كل الانحاء النصرانية بسبب اخبار حطين . وبشكل خاص وفاة اوربان الثالث التي رويت كنتيجة مباشرة للصدمة ، وخلافة غريغوري الثامن وحكمه مدة شهرين وانتخاب كليمنت الثالث .

'A cui Joce l'arcevesque de Sur li
porta ceste novele veraïement, ensi com vos le troverés escrit
ça en avant (٤٩)

وكل ما يمكن أن نقوله حول هاتين الفقرتين هو أنه يمكن ازالتهما دون اضرار بتسلسل الحكاية ، ولكن لا يمكن بشكل حاسم بيان أنهما قد اضيفتا من قبل مصنف « د » الى مادة مصدره x . وثالث الفقرات مختلف في النوع على أي حال لكونه ملخصا سريعا لعدد من الاحداث خلال ١١٩١ - ١١٩٢ (٥٠) التي قد روي معظمها كاملا إما قبل أو بعد هذه النقطة ، وواضح نوعا ما أنه من تلخيص المصنف الذي يتخطى على أي حال قدرا كبيرا قي ترتيبه

الزماني لهذا الجزء من التاريخ ، علاوة على ذلك فإنه يمكنه أن يؤرخ بدقة بالرجوع الى فريدريك الثاني غير الشعبي لـ « *le derain* » وقد تدوّن في فريدريك في ١٣ كانون أول ١٢٥٠ بالضبط حوالي الوقت نفسه الذي صنف فيه « د » الذي يتضمن حوادث حتى ١٢٤٨ ، وعليه فإن هذه الفقرة يمكن أن تدسب حتما للمصنف .

ولتلخيص مسألة الملامح غير الكهذوتية في نص « د » في حينه من المناسب القول أن بعض الحالات مثل تلك التي تذكر فريدريك الثاني يمكن أن تدسب بالتأكيد لمصنف « د » ليس لـ X ، وفي الحالات الأخرى يجب أن يبقى بعض الشك ولا شيء من احتياجات الفقرات وجد في X ، ولكن يمكننا التأكيد بثقة أن مامن شيء منها كان كذلك ، وهذا لا يستبعد امكانية أن كان التاريخ الأصلي لارذول لآن مامن واحدة من هذه الخلاصات اكبر مما ينبغي لتكون اضافة جرت بناء على اقتراح كاتب الاملاء لارذول حينما كان يكتب الاملاء . ولكنه يعني اذا شبهنا في النهاية بارذول الأصلي سيكون علينا ان نراجع افكارنا حول طبيعة عمل ارذول متيجين لها درجة اعلى كثيرا من سعه الاطلاع مما يجب علينا ان نتوقعه من مذكرات جندي .

ويبقى ان نأخذ في الاعتبار الصفة الأخرى التي نتوقعها في عمل ارذول ، اعني مايمكن ان نسميه عامل ابلين ، وهنا تكون النتائج اكثر ابعاشا . فمذوعات « د » تحوي عددا كبيرا من الارشادات الإضافية وبعضها تافه ، وأخرى ذات أهمية شعبية عامة ، لكن الكثير منها في الواقع تاريخ عائلي فقط دون أهمية اوسع وقد استبعدت بناء عليه بعد التنقيح الاكثر قوة في Xi وعلى سبيل المثال الحكاية المتعلقة بالطفل توماس دي ابلين . المقتبسة من قبل في مكان آخر (٥١) ، وهي في الاساس قصة عاطفية هامة فقط للمؤرخين الذين يريدون اظهار نوعية شخصية صلاح الدين ، او للمعنيين بشكل خاص بالابلينيين . ومن اجل هدف هذه الدراسة فان

- ٣٦٦٠ -

لها أهمية أخرى تماما ، في أنها تعطينا إشارة لطفل من بيت غيبليت اسمه وليم قد تربى في بيت ابليني ، وبذلك تصور مرة أخرى الروابط المحكمة بين اردول والابلينيين ، ولكن هذه قصة أخرى ، ويظهر ان القصة قد حفظت من قبل مصنف « د » على اساس ذوقه لان « تذوقه الادبي » هو الذي يمكن ملاحظته في مكان آخر (انظر معاملته لهنري دي شاسبين) وكما بينا من قبل المصنف الاكثر صرامة في x الذي رآها بحق بدون أهمية عامة .

واحيانا بالطبع - ان المعلومات عن الابلينيين الموجوبة في « د » ليست اكثر من دليل على عنايته بالتفصيل ولاهتمامه في « ciaux de cest païs » اوليله لذكر الناس بالاسم . وهكذا وصف بالتفصيل نظام زحف ريتشارد نحو يافا « وقام بتنظيم قوات المقدمة وقوات الساقة ، وقاد بالين دي ابليين ووليم صاحب طبرية قوات المؤخرة » (٥٢) .

ومرة أخرى لاشك ان الدقة هي وحدها التي ادت به الى ان يخصص ان بالين دي ابليين كان المفاوض في هنة ١١٩٢ (٥٣) ولايمكن اخذ هذه الاشارات على انها قد سجلت لتعطي أهمية خاصة لبالين دي ابليين ، ولكنها دقة اكبر فقط ، مما حفظ في اعادة العمل في x ، وهو بسيط تجاهله مصنف « د » لحسن الحظ ، ولكن في امثلة أخرى هناك ميل لايمكن اغفاله ليس فقط لافساح مجال لتوافه آل ابليين مثل قصة توماس ، بل ايضا لربط احداث واناس بالابلينيين بلا مسوغ ، مفترضين انها نقطة الانطلاق بطريقة تجعلها اكثر مركزية مما كانت ، خذ على سبيل المثال هذا الوصف لجوسلين الثالث .

... le conte Joscelin ,
qui avéit esté bailli en Acre, et esteit eschapé de la desconfiture
o Balian d'Ibelin, qui faiseit l'arriere garde, vint en la cité.(٥٤)

والان كان جوسلين شخصية سياسية كبيرة في المملكة ، تماما بمثل

- ٣٦٦١ -

اهمية الابليينيين ، وكان هناك سبب جيد جدا لنتذكر وصايتة السيئة
المصير على الطفل بوللين الخامس ، وانه لغير ضروري بالمرّة ربط
اسم بالين هنا .

واشارة اخرى لاتقدم بالين فقط ، ولكن تسميه باسمه الاول ،
ونفترض اننا نعرف من هو المقصود ، وجرى هذا لدى حسيته عن
حفيده ، بالين صاحب صيدا :

'Icestui Balian, seignor de Seete, il fu fis de la fille Balian, qui
avoit non Helvys, et de la reyne Marie. (٥٥)

وحيث ان الحكاية التي تقدمت مباشرة ، قد تعاملت مطولا مع
ريزو صاحب صيدا ، فلا بد انه كان كافيا تماما لكي يعرف بالين
صاحب صيدا على انه ابنه ، كما كان النص في الواقع من قبل ،
وبدون هذه المعلومات الفائضة عن اصول امه .

ومثال اخير عن تدوع « د » يجسد حادثة يشكّل فيها ابليني
الشخصية المركزية ، وهي بالاحرى حذف مدهش من جانب
Xi, مع اختطاف اسكيفا ابنه بلدوين دي ابلن وزوجة ايمري
لوزنغنان وكانت اسكيفا ملكة قبرص في ذلك الوقت ، وبناء عليه
شخصية لها بعض الاهمية العامة ، والقصة ليست بدون اهمية
سياسية ، وقد اعيدت اسكيفا في النهاية من خلال نفوذ لاون صاحب
ارمينية الذي تحرك « لحبه للملك ايمري لانه كان صديقه ، وحبا
بلدوين دي ابلن الذي كانت السيدة ابنته » (٥٦) ونجم عن هذا
الحادث تأسيس علاقة طيبة بين لاون واقرباء اسكيفا :

: 'Illueques conquist Lyvon
de la Montaigne l'amor dou rei Heimeri et del parenté de la
dame por le servise que il lor avoit fait. (٥٧)

ويتبين من هذا كله ان القصة بالاساس ذات اهمية لتعلقها «
بأبي السيدة » وقد استبعدت من قبل x مع قدر كبير من المادة

- ٣٦٦٢ -

الآخري حول دولة ارمينية - وهي بلاد كانت عديمة الاهمية في اعين
الاوروبيين - ومنازعاتها الخاصة التافهة مع الدول الصليبية في
بيت المقدس وانطاكية .

وما هذه سوى امثلة للاهتمام بعائلة ابلين تعرضها مذوعات « د »
وهناك اخرى كثيرة للاقتباس من النوع نفسه ، وفوق ذلك هناك
تحيز تجاه العائلة ومصالحها مما يجعل الشيء كله يبدو كدفاع عن
مسلكهم في العمل في الاحداث الكبيرة ، في تاريخ المملكة اللاتينية ،
وفي الحقيقة انه دفاع مهما بلغ من حد قد جاء واقعا ، وهو وان لم
يكن اعد عن سابق نية للمؤلف ، لا يمكن ان يخامرنا شك معقول في
انه كتب من قبل صديق مقرب من الابلينيين ، وبدون الحراف ،
واحيانا بلا نقد ، مواليا لهم ، ومهتما فوق كل شيء بذكر قضيتهم .

وكان هو نفسه « فرنجيا بلنبا » معارضا لغي وعصبته ، ولكنه
عاد فعلا موقفه من غي عندما افاد هو نفسه على ما يبدو من سياسة
غي في توزيع الاقطاعات على مقياس كبير في قبرص ، وقد كان
بالتأكيد على معرفة جيدة بشكل ملحوظ بقبرص ، وكان لديه اهتمام
خاص بالجزيرة ، ووصفه للمعارك ومعرفته بالامور العسكرية
بشكل عام يوحي بانه فارس او انه قد كان في فترة من حياته فارسا
عاملا ، ولكن من جانب اخر توحى مهارة التأليف ، واسلوبه البليغ
نسبيا في روايته في الوقت نفسه برجل على مبلغ من العلم ، مع انه لم
يكن كاهنا بالضرورة ، وهذا كله يتطابق باحكام مع ما نعرفه عن
ارنول حتى اننا يجب ان نستنتج ان x كان هو المصدر المباشر
لنص « د » من تاريخ هرقل للفترة ١١٨٤ - ١١٩٧ ، وهذا لم يكن
في الواقع شيئا اخر غير التاريخ الاصلي لارنول

لكن هل انتهى هذا التاريخ في ١١٩٧ ؟ يجب ان نؤكد ذلك ،
ذلك ان مذوعات « د » تتوقف بدقة في تلك السنة ، تماما بعد وفاة
هنري دي شامبين ، ومع اخبار وفاة هنري السادس (ايلول
١١٩٧) (٥٨) وواضح ان المصدر الذي استمد منه « د » فقط قد

توقف هنا ، وبعد هذه النقطة فان اي مذوعات في « د » باتت مشتركة مع نص اخر واحد على الاقل في كل حالة ، ولم يعط مطلقا شيئا مختلفا من ناحية المادة كان خاصا به . وكما لاحظنا من قبل ، ان كل مجموعة العلاقات بين النصوص تتغير هنا فجأة وكلية ، وفي الواقع ان مخططا مختلفا تماما يجب ان يفترض ليفسرهما بعد هذه النقطة ، وأحد الفروق الرئيسية هي ان « د » حتى اليوم هو حالة قائمة بذاتها ويبدأ الان في التماثل مع « غ.ج » بشدة حتى انهما في الواقع متماثلين من هنا حتى النهاية .

والتاريخ الاصيلي المفقود لارنول ، محفوظ لنا بافضل طريقة في رواية « د » مع ان كل النقول الاخرى لوليم الصدوري ، ونص الموجز قد استمد منه بصورة غير مباشرة ، وهكذا تتوفر نقاط قيمة للمقارنة ، كثيرا ما تسمح لنا بالقول فيما اذا كانت سمة ما في « د » اتت من « x » أو أنها اضافة من قبل المصنف أو الناسخ ، وحيث لايمكن اجراء مثل هذه المقارنة ، يجب ان نقبل رواية « د » على اساس المبدأ العام على انها ادق اخراج او اعادة انتاج لارنول الاصيلي ، ومنها يمكن ان نستنتج ان ارنول الاصيلي كان عملا ساميا من نواح كثيرة على ماتلاه ، فهو اكثر تدويعا وحيوية في الاسلوب ، مع كثير من المعلومات التاريخية القيمة ، من ذوع كان في الراي المعاصر للأسف متخصصا اكثر مما يجب لينجو من دقة التقيح . ونحن ندين لمصنف « د » بقدر كبير ، ويجب هنا اضافة انه يبدو ان المصنف كان مقيما ان لم يكن مثل المؤلف الاصيلي واحدا من سكان ماوراء البحر ، حيث وحده من بين كل مصنف الهرقليات شاطر ارنول ضيق الافق ، (٥٩) أما ما الذي لم يحفظه من مصدره ، يمكننا فقط ان نتساءل ونحن نخمن بأسف حول محتويات ذلك المصدر المفقود نفسه ، الذي من اجله كان على كل حال لحسن الحظ الاحتفاظ بنص « د » في مخطوط مفرد ، لا بد ان يغرينا بعض الشيء ، وهذا المخطوط الفريد هو ايضا من اصل شرقي ، وتعد منمنماته احد الامثلة القليلة الباقية من ورشة رسم عكا (٦٠) ومعروف انه في الربع الثاني من القرن الثالث عشر ، كانت هناك

- ٣٦٦٤ -

فترة احياء قصيرة لورشة النسخ العائدة للضريح المقدس في بيت المقدس ، وليس خياليا جدا ان نرى ان المخطوط « د » من تاريخ هرقل قد صنف بالضبط حوالي منتصف ذلك القرن كأحد منتجات ذلك الاحياء .

وهكذا يمكننا ان نحصل من النص « د » على كثير مما احتواه تاريخ اردول ، الذي لولا ذلك كان سيضيع منا ، وبمقارنة النيول مع بعضها يمكننا ان نستنتج ان عمل اردول قد انتهى بعام ١١٩٧ .
فأين بدأ؟

ويبدو السؤال على الفور أكثر صعوبة وأقل أهمية ، فهو صعب لان الانقطاع الواضح في التنقيح في ١١٨٤ ، مشترك بين كل النيول ، وهو قد حدد بنهاية تاريخ ولیم ، وهذا ليس بالضرورة بناء عليه ، اشارة للبداية في المصدر او المصادر التي تحول اليها في حينه . وهو اقل أهمية لانه بينما القسم ١١٨٥ - ١١٩٧ من تاريخ اردول هو على الأقل بقدر كبير رواية شاهد عيان ، فالواجب ان يفترض ان المادة التي تغطي الفترة التي تسبق فترة حياة اردول (كما يمكن بالتقريب ان نؤرخها) لا بد انها لم تكن اصلية ، ان كانت قد وجدت اصلا بالمرة ، ولكن اذا كان لنا ان نعيد بناء خطوطها الخارجية العامة حيث لا يمكننا تعقب تاريخ اردول بالتفصيل ، يجب ان ننظر الى التاريخ الوحيد المرتبط بارذول ، الذي لم يستعمل للجزء الاكبر ترجمة مباشرة لوليم الصوري ، وهو الموجز (١١) .
وفقط هذا النص الذي من الممكن له تقديم اي مفاتيح لما احتواه قسم تاريخ اردول الذي تقدم على ١١٨٥ ، وبتحليل تركيبه ومصدره يمكن ان يبرهن على امكانية تحديد الحد الاقدم وكذلك الاخير لعمل اردول .

الفصل الثامن

مصادر الموجز وبنيته

١- البداية حتى ١١٩٧ ، إعادة بناء تاريخ أرنول

من كلمات (١) « أرسلت ملكة طرابلس » حتى نهايته ، يمكن مقارنة الموجز بشكل صحيح ، كما رأينا في الفصول المتقدمة بالأقسام المقابلة في النيول ، التي ترتبط بإحكام في ذلك الجزء من نصها ، ومن بدايته حتى تلك الكلمات ، يقف الموجز على أي حال مستقلا تماما عن النيول . وفي حين أنها جميعا تضم ترجمة من تاريخ وليم الصوري ، فإنها تقدم بدلا من ذلك نصا غير مرتبط بالمرّة ، أقصر كثيرا جدا ، ولكنه يخدم تقريبا الغرض نفسه من حشو تاريخ الحروب الصليبية ، منذ بدايتها الى الفترة التي تتعلق بها بشكل رئيسي وهي الثمانينات والتسعينات من القرن الثاني عشر ، (١١٨٠ - ١١٩٠) . وهذا النص المغطى لبعض الوقت ونصف فصول طبعة ماس لاتري ، هو في الأساس تاريخ موجز أو مسودة لتاريخ المملكة اللاتينية في بيت المقدس ، ولكنه موشى بوفرة بكثير من المادة جزئية التعلق ، أي المرتبطة بطريقة ما بالأرض المقدسة ، لكن ما هي هذه الفصول التسع الأولى ؟ هل تمثل بداية تاريخ أرنول ، محذوفة من قبل مصنف الهرقليات لأن ترجمة وليم عدتها فائضة ، ولكنها حفظت من قبل مصنف الموجز ؟ أو هل هي العمل الأصلي لهذا المصنف نفسه ، الذي وجد في مصدره نصا بدأ في الواقع حوالي عام ١١٨٤ ، وأضاف هذه الفصول التمهيدية إقحاما ؟ فإذا كان البديل الأول هو الحالة ، حينئذ يكون x ، التاريخ الأصلي لأرنول ، قد بدأ حوالي النقطة التي عندها يبدأ الموجز والنيول في السير المتوازني ، وذلك عند الكلمات

التالية : « أرسلت ملكة طرابلس » في العام ١١٨٥ ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، اذا كان مصنف الموجز قد وجد الفصول التسعة الاولى مع القسم المركزي في الحكاية كلها في x ، واختزل كل ذلك عندئذ لابد أن يكون مستملكو الهرقليات قد بدأوا عندما وجدوا ذلك مناسبا لأنفسهم ، بعد نهاية ترجمة تاريخ ولیم ، ولا بد أن يكون تاريخ أرذول قد بدأ في وقت أبكر بقدر كبير من ١١٨٥ .

وهكذا إنه بفحص هذه الفصول المبكرة من الموجز ، لنرى بدقة ماذا تكون ، ومن الذي يمكن أن يكون قد كتبها ، واذا ما كان هناك أي انقطاع ملموس بينها وبين الجزء المركزي ، الذي يسمى فيه أرذول ، يمكن أن نأمل في ترسيخ بداية عمل أرذول الأصلي ، كما رسخت مقارنة النيدول نهايته .

وبدراسة احتمال أن x بدأ في أو حول عام ١١٨٥ ، يكون من الموائم أن نذكر النظرية المقدمة من قبل أ. س . كراي (٢) أن أرذول كتب كمكمل لولیم ، ويجب أن نضيف على الفور بالطبع أنه عندما أعد كراي هذا الرأي اعتقد أن الموجز من عمل أرذول نفسه ، لأنه يذكر اسمه ، ولكن مع أننا نعرف الآن أن الحالة ليست كذلك ، يبقى الاحتمال أن العمل الحقيقي لأرذول ، x ، بدأ حوالي ١١٨٥ ، وبهذا كان فعلا نبلا لتاريخ ولیم ، وفحص حجج كراي بناء عليه دليل مفيد لدى قوة الاقتناع الممكنة بالضبط لنظرية التذييل هذه حول تاريخ أرذول .

ويؤكد كراي أن الموجز أخذ يصبح مفصلا حوالى عام ١١٨٣ ، تماما في الوقت الذي كان فيه تاريخ ولیم يتجه في الرواية نحو النهاية بدون الكتاب ٢٣ الذي يفترض أن أرذول ، طبقا لكراي قد استعمله (٣) ، ويتخذ كراي من هذا بينه على أن كاتب الموجز قصد أن يقدم نبلا للتاريخ ، وهو في الحقيقة يمضي بعيدا جدا الى حد أنه يؤكد فيه أن كل مؤرخي الحروب الصليبية بعد ولیم كتبوا كخلفاء له ، وهناك عنصر حقيقي في

هذا ، من حيث أنه كما رأينا من قبل أن التاريخ والأكثر خصوصية نصه الفرنسي ، « الهرقليات » كان شائعا بقدر كبير في زمانهما ، وقد أضيف إليه الكثير بحيث بقي دائما مناسبا للعصر ، وكان يشكل في الحقيقة العمل القياسي حول الحروب الصليبية ، كما بقي المرجع المعياري المعاصر ، ولكن من أجل التأكيد بثقة بأن كل المؤلفين التاليين كتبوا في ضوء عمل وليم ، فإنه من الضروري أولا بيان أنهم عرفوا ذلك العمل ، وفي حالة أردول فإن هذا ليس مؤكدا بأي حال من الأحوال .

ويمضي كراي الى بعض الابعاد ليوضح بأن أردول ربما قرأ ، لابل قد قرأ تاريخ وليم الصوري ، وهو مقتنع حول النقطة الأولى : وقد اقترح أن إحدى نسخ تاريخ وليم كانت متداولة بين الصداقاء وليم ، وبينهم بالين دي ابلين ، ولا يمكن القول أنه قد برهن على ذلك ، ولكن يبدو مقبولا جدا في الظاهر أن بيت ابلين لابد أنه كانت لديه نسخة من تاريخ وليم ، وأنها هكذا كانت ولا بد في متناول يد أردول ، ولكن هذا يفترض أن أردول كان يعرف اللاتينية وهو اعتقاد يؤيده كراي في مكان آخر (٤) ، ولكنه مرة أخرى بغير برهنة ويبقى احتمالان آخران : إما أن أردول كان على معرفة بالترجمة الفرنسية لتاريخ وليم أو أنها ترجمت له ، ربما شفويا ، من قبل أحد الكتاب في اطار البيت ، ومع هذا يوحى الاقتراح الأول بشيئين حول الترجمة من المعلوم الآن أنهما غير صحيحين ، وأعني أنها جرت في وقت مبكر جدا لنقل حوالى نهاية القرن ، طالما أننا نعرف أن تاريخ أردول قد انتهى بأحداث عام ١١٩٧ ، ويفترض أنه قد كتب بعد ذلك بوقت غير طويل جدا ، وأنه جرى في بلاد ما وراء البحار ، إما في سورية بالذات أو في قبرص ، وبالنسبة للتاريخ ، فإن عمل السيد غولدن قد حسده بالسنوات الأخيرة من حكم فيليب أغسطس (٥) ولنقل حوالى ١٢٢٠ الى ١٢٢٣ ، وبالنسبة للموقع بين أوست (٦) بشكل حاسم أنه قد كتب في فرنسا ، وأن المترجم كان فرنسيا ، والاقتراح الثاني أن تاريخ وليم قد قرئ بصوت مرتفع ، وربما ترجم على الفور ، ودون تأخير ، يمكن

تصديقه ، معروف جيداً أن القراءة بصوت مرتفع كانت إجراء شائعاً في تلك الفترة ، وأن التواريخ مثل أنواع الأدب الأخرى كانت تقرأ بصوت مرتفع ، وهذا واضح من مقدمة « تاريخ القدس » لروبرت الراهب :

‘Universos qui hanc historiam legerint, sive legi audierint, et auditam intellexerint, deprecor . . . ut concedant veniam. (٧)

وأن يكون القارئ قد ترجم على الفور أمر لم يتفق عليه مطلقاً ، ولكن الشعبية البالغة الانتشار لعمل وليم تويحي بوجود قراء أكثر من الأقلية المتكلمة باللاتينية ، وبلا شك أن الطلب الكبير على قصص الحروب الصليبية باللغة الدارجة قد بز قدرة النساخ على انتاج تراجم مكتوبة مثل تاريخ هرقل ، وربما ملئت الثغرة بالأجزاء الذي اقترحناه ، وهذا بالطبع ليس أكثر ممن تخمين ، ولكنه على كل حال يعطي كراي فائدة الشك ، ويفترض أن أرنول ربما كان يعرف أو استطاع بوسيلة ما أن يعرف ، عمل وليم الصوري .

ولنفترض الآن أنه كان يعرف ، أن تاريخ وليم الصوري انتهى فجأة في عام ١١٨٤ ، وعليه فإن أرنول قصد بالابتداء بقصته عند هذه النقطة ، ولكنه مثل أغلب مؤرخي القرون الوسطى كانت لديه كراهية للدخول المباشر في مادة موضوعية . فهو كان يريد الاستمرار بهدف اعطاء انطباع المعرفة المبرمجة والسمعة الثقافية ، وكان هذا من الممكن أن يتحقق فقط بالابتداء بطريق جيد رجوعاً ، لذلك مع أنه لم يتبين ما اعتبره كثير من الكتاب المعاصرين على ما يبدو معالجة شاملة حقاً بأن يبدأ بأدم - أو على الأقل بيدوليوس قيصر ، وقد شعر بحق أنه من الضروري تحديد إطار تاريخ المملكة اللاتينية ، فهل استمد من أجل هذا من المصدر الواضح الـ *magnum opus* الذي يفترض أنه نموذجاً أصلي ؟ ويعتقد كراي أنه فعل ، ولكنه اضطر للاقرار أنه في بعض الأمور ، اختلفت الفصول

المبكرة من الموجز بمقدار كبير عن رواية وليم ، بما في ذلك كما يقول كراي - مسألة وفاة وليم نفسه! وقد فسر الاختلاف بافتراض اعتماد اردول على نسخة ناقصة من تاريخ وليم لم يكن فيها الكتاب الثالث والعشرين ، و اردول بالاساس - كما أكد لنا متفق مع وليم في الاجزاء الاكثر تبكيرا - وهذا التأكيد في الواقع مركز على بيئة ضئيلة جدا ، وأي مقارنة صعب القيام بها ، لان ما ذكره وليم في ثلاثة وعشرين كتابا غطاء الموجز في تسعة فصول قصيرة ونصف الفصل كل ذلك بما فيه مواد الوصف الجغرافي والاساطير والخرافات ، مع أحداث تاريخية لم تعالج بالمرّة من قبل وليم ، وما يبقى للمقارنة قليل جدا ، وعلاوة على ذلك إنه مع توفر الفرق الكبير في طرق تعبير المؤلفين ، لن يكون أمرا سهلا كشف الاستعارات إن وجدت . ومرة أخرى لا بد بين أي روايتين عن الأحداث نفسها من وجود بعض التماثل القليل الذي ينجم بكل بساطة بحكم الضرورة عن موضوعهما المتشابه ، وليس بين وليم وبين الفصول الافتتاحية للموجز ، هناك كثير من التباين الصارخ ، وليست هناك سمة واحدة ، كخطأ مشترك ، يمكن أن توحى ، دع عنك أن نقيم علاقة مباشرة ، مثل تلك التي ادعى كراي أنه شعر بها واحدس .

هل هو صحيح بأي حال أن رواية الموجز أصبحت مفصلة في عام ١١٨٣ ؟ إنه بالطبع من الصعب تطوير أي طريقة دقيقة للحكم على التفصيل أو النقص فيها ، ولكن كمـرشد غير مصقول ولكنه جاهز ، ويمكن أن نأخذ عدد الصفحات في طبعة ماس لاقري التي استغرقتها كل سنة ، وبتعابير عامة يمكن أن نقول أنه حتى ١١٨٠ كان التوزيع عشوائيا تماما ، فلم يكن هناك اتجاه ثابت محسوس سوى ذلك الذي كان نحو أواخر السبعينات من القرن الثاني عشر ، حيث أن الحكاية بدت بشكل عام تتحرك بسرعة أقل ، وعدد الصفحات التي شغلتها الثمانينات من القرن نفسه هي كما يلي :

1180: 6½	1186: 12
1181: 1	1187: 59
1182: 10½	1188: 13
1183: 7½	1189: ½
1184: 3	1190: 11½
1185: 3	

وهنا مرة أخرى لا يوجد تحول محدد ، في اتجاه ثابت واحد ، يمكن ادراكه بالمرّة ، والشئ الوحيد الذي ظهر هو العامل الذي يمكن توقعه ، في حـولية تاريخية تتعامل على الأقل ظاهريا ، مع ضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، وهناك في الواقع الحاح كبير جدا ، ولكنه متفاوت حول السنة المصيرية ١١٨٧ ، وبالنسبة للنقطة حيث ينتهي تاريخ وليم ، لا يمكن للمرء بالتأكيد القيام حتى بتخمين حولها من البيئة التي في الجدول أعلاه ، ومع انعدام هذه الدعامة فإن نظرية « التنييل » المقترحة من قبل كراي بالكاد يمكن أن تبقى صامدة .

وهذه النظرية هشة من نواح أخرى أيضا : فلا قارئ حتى من لدنوع غير المبالي يمكن أن يخفف في أن يصدم بالفروق الواسعة في الأسلوب والميول نحو عمليهما ، أي ما يفصل وليم عن الذي ندعوه خليفته ، ففي وليم لدينا رجل ذو مواهب طبيعية عظيمة ، تطورت الى حدّها الأقصى بالتعليم الرائع الذي تلقاه ، كما يخبرنا هو نفسه ، على أيدي رجال مثل غيلبرت دي لا بوريه وموريس دي سولي ومينيروس الذي كان هو نفسه تلميذ أبيلارد^(٨) وقد أردف وليم هذا التعليم بخلفية واسعة من القراءة ، إضافة الى أنه جاء الى عمله باحساس دراسي : تدقيق من أجل الحقيقة وحياد ، وإحساس بمسؤولية المؤرخ تجاه قرائه ، مما أسهم بقدر كبير في منح صفة الديمومة لتاريخه ، ولم يكن نجاحه عفويا ، فقد توقع دوام عمله ، فكتب للذرية بوضوح : « نحن لا يهمنا كثيرا ما سيكون انتقاد الأجيال المقبلة لنا ، كما لن نهتم أيضا بالحكم الذي سيصدر على أسلوبنا »^(٩) .

ولن يدهش إذا عرف أن قراءته ما زالت مستمرة طيلة ثمانية قرون بعد وفاته ، وبالنسبة لمؤلف الـ *الوجز* من جانب آخر ، يبدو أن الخلود الأدبي لم يكن بعيدا عن فكره ، ومن الواضح أن العمل وسيلة لغاية . أعني نشر المعلومات ومن الواضح أنه لم يكن لدى المؤلف وعي بذاته ككاتب بالمرّة .

وهذا تعارض مباشر مع وليم ، الذي ذكر نفسه بتواضع أسقفى كاف ، عند كل النقاط ذات العلاقة ، وكثيرا ما حلل احساسه الخاص لنا بطريقة تغرينا بأن نرى فيه نزيها متبصرا يتطلع الى الامام .

والآن لا يتوقع المرء بالضرورة مؤلفا قصده تكميل عمل رجل آخر كي يقلد محاكاة أسلوب ذلك الرجل بشكل مطلق ، ولكن المرء يتوقع أن يكون اختيار المائدة دقيقا ومناسبا ، لتفادي التمييز القوي بين الشطرين ، للدعاء على الأقل بالتماثل ، وباختصار يتوقع المرء محاولة صغيرة للمعارضة ، والموجز لا يفعل شيئا من ذلك ، وفي الحقيقة إن المؤلف لم يذكر حتى تاريخ وليم عندما تكلم عن وليم ، وإذا كانت المسألة مسألة تفاخر للمؤلف فإنه لغريب بشكل خاص أنه لم يفعل ، فمؤلف الموجز يعجب بوليم ، لكن هذا الاعجاب العفوي من الصعب الحكم على مقداره أو على مقدار الحكمة فيه : والسياق الذي ذكر فيه وليم هو سياق الظروف القامضة لانتخاب هرقل بطريركا لبيت المقدس في ١١٨٠ ، وجهد كي يوضح ليس فقط تفوق وليم الاخلاقي الذي لا يذكر على هذا الاسقف الفاسق ، بل أيضا كان هو نفسه في جانب الحق في هذا الامر ، ووصفه لوليم مؤيد بلا تحفظ ، ولكنه غير مبالغ فيه كثيرا بشكل يجعل منه نفاقا واضحا :

'Li archevesques de Sur ot a non Guillaumes, et fu nés en Jherusalem,
et ne savoit on en Crestiienté mellour clerc de lui, a son tans. (١٠)

ولا بد أن هذه كانت اللحظة المناسبة لاضافة أن وليم كان مؤلف التاريخ ، فإذا كان هو نموذج مؤلف الموجز والهامة فمن الصعب تصديق أنه لم يكن ليضيف ملاحظة الى هذا الواقع هنا ، ويؤدي صمته حتى بالمرء الى التساؤل فيما إذا كان في الحقيقة قد عرف تاريخ وليم بالمرّة ، وبالتأكيد واضح أنه لم يكن حاضرا في ذهنة .

وكل حجج كراي من أجل تسمية أرذول منيلا لتاريخ وليم ، تقوم بالطبع على افتراض أن موجز ١٢٢٩ كما هو قائم ، هو تاريخ أرذول وكما رأينا^(١١) إن قضية تصديق أن الموجز نفسه قد كتب كنيل للتاريخ ، هزيلة للغاية ، لكن هل هناك امكانية للاعتقاد بأنه ليس الموجز بل مصدره « X » هو الذي كتب نيلا شروعا من سنة ١١٨٥ عندما « أرسلت ملكة طرابلس » وقد استعمل هكذا من قبل مصنفى الهرقليات ، ولكنه تكيف بصور مختلفة من قبل مصنف الموجز ؟ فلو كان الأمر كذلك ، لتوجب تمييز انقطاع واضح في تدقيق الموجز عند النقطة التي افترض أن المصنف قد أتم فيها مدخله الخاص ، وبدأ بعملية نسخ X ، مختصراً إياه في هذه العملية ، وبكلمات أخرى لا بد من وجود بعض الفروق التي يمكن ملاحظتها بين الفصول التسع والنصف الأولى من الموجز ، التي يفترض أنها من عمل المصنف الخاص ، والبقية من جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » وما بعدها استمدت مثل الجزء المماثل في تاريخ هرقل ، من التاريخ الأصلي لأرذول أي « X » .

وفي الحقيقة إنه عند النظرة الأولى نرى أن الفصول المبكرة من الموجز تعطي الانطباع بكونها مركبة بصورة مختلفة نوعا ما عن بقيته وعن النيدول بالذات . في حين أن النيدول والموجز بعد ١١٨٥ هي تقريبا حكاية تاريخية صريحة ، والفصول التسع الأولى من الموجز مختلطة جدا في محتواها ، على الأقل عند القراءة الأولى ، حيث تعطي القارئ انطباعا بعدم التنظيم وعدم الوحدة ، ولكشف إذا ما كانت كيانا مستقلا بذاتها ، أو إذا كان لها بعض الروابط ببقية الموجز وبالنيدول ، من الضروري بناء عليه أن نفحص بدقة أكبر

مم تتكون بالضبط تلك الفصول المبكرة ، وإذا أمكن ، ماهي مصادر
المادة ؟

وتقع محتويات هذه الفصول المبكرة من الدوجز في أربع زمر
عريضة : مقتطفات توراتية ، وأوصاف جغرافية ، ومادة أسطورية
وثقليدية ، وتاريخ حقيقي .

وتختلف المادة التوراتية كثيرا جدا في الاتساع والتفصيل
ولا تتعدى بعض الامثلة أكثر من إشارات عابرة إلى قصص
توراتية ، كثيرا ما كانت حوادث مرتبطة بمكان ما في الأرض المقدسة
قام المؤلف بوصفها ، ولكن أخرى كانت طويلة وربما قريبة من
الكتاب المقدس ، كلا العهدين القديم والجديد ، وعرف الكاتب
بالتفصيل على الأقل أجزاء من كل الاناجيل الأربعة (مع أنه لم يرقم
بأي إشارة نصية إلى أي رسالة إنجيلية) (١٢) وعرف من كتب
العهد القديم وأسفاره : الخروج ، والعدد ، ويوشع ، ويهوئيل
والكتابين الثالث والرابع من الملوك . (١٣) .

ومقتطفات العهد الجديد ذات معالجة دقيقة جدا بالفرنسية عن
الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، مع بعض الإضافات ، عادة
حوار ، بطريقة مفعمة بالحياة وقصص العهد القديم على أي
حال ، في الحقيقة مستمدة من مصدرين : العهد القديم وأعمال
فلافيوس يوسيفوس - واستمد الصنف كثيرا ، من العصور
القديمة ، ومرة واحدة من الحرب اليهودية عند يوسيفوس ، وهكذا
على سبيل المثال قصة أبناء إسرائيل الذين عبروا البحر الأحمر ،
وهي بوضوح قائمة على الرواية الواردة في سفر الخروج ١٤ وليس
على تلك التي أعطاها يوسيفوس (١٤) بينما قصة يشع أسد
المياه (١٥) ، ممكنة التشبيه بفاتحته ، وغير موجودة بالكتاب
الثاني من أسفار الملوك الأربعة وهي تكييف للكتاب الرابع الفصل ٨
قسم ٣ من الحرب اليهودية .

- ٣٦٧٤ -

والحالة الهامة بشكل خاص هي حالة ابراهيم من قصة وجدت في الفصل ١٨ / ١ من سفر التكوين : « وتجلى له الرب في بلوط ممرا وهو جالس بباب الخباء عند احتداد النهار » ، وتحول هذه في الموجز إلى

'Abraham se seoit desous un arbre qui avoit a non Mambré,'

وهكذا أضاف ماس لاتري كلمات على أنها ضرورية للمعنى ، وجعل الجملة ترجمة صحيحة للفصل ١٨ / ١ من سفر التكوين (١٦) وفي الواقع إن لدينا هنا ترجمة ، لأنواع من يوسيفيوس مرة أخرى (العصور القديمة ١٠ - ١١ - ٢) : « إلى جانب بلوط ممرا عند باب خبائه » (١٧) وتذقيح ماس لاتري تذقيح فائض . وقد حصل المصنف على أشياء خاطئة بشكل طفيف جدا ، فقد اعتقد بالتأكيد أن ممرا هو اسم الشجرة . وابتعانه البالغ الصخب عن النص ورد أيضا في هذه الفقرة ، كان له هدف واضح . ذلك أن نص الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس عند هذه النقطة غريب قواعديا :

سفر التكوين : ١٨ / ١ - وتجلى له الرب في بلوط ممرا وهو جالس بباب الخباء عند احتداد النهار .
سفر التكوين : ١٨ / ٢ - فرفع طرفه ونظر فإذا ثلاثة رجال وقوف أمامه ، فلما راهم بادر للقائهم من باب الخباء وسجد إلى الأرض .

سفر التكوين : ١٨ / ٣ - وقال : يا سيدي إن نلت حظوة في عينك فلا تجز عن عبيدك .

وهذه فرصة يجب عدم تفويتها لتفسير نمط العهد القديم من الثالوث المقدس ، وأفاد منه المصنف استفادة كاملة :

'Tout si que il vint pries de lui si l'aoura. En l'aourer qu'il fist s'en vit .iii. Un en vit et .iii. en aoura; li .iii.

estoiient en un, et li uns estoit en .iiii., et tout en une personne.
Il li proia qu'il herbergast avec lui . . (١٨)

وفي أمثلة أخرى لا توجد التفاصيل التي أعطاها مؤلف الموجز في العهد القديم ولا في يوسيفيوس . ولم تحسن القصة دائما ، وفي الحقيقة إنها تبدو أحيانا غير قادرة على التفسير إلا كتفصيل لاسموع له ، ورواية الموجز حول حصار السامرة في زمن اليشع على سبيل المثال هي أداء دقيق للرواية في أسفار الملوك الرابع : ٦ ، مع تفصيل واحد مضاف غير موجود في النص الأصلي بالمرّة .

Quod cum audisset rex, scidit
vestimenta sua, et transibat per
murum, viditque omnis populus
clicium quo vestitus erat ad carnem
intrinsecus. Et ait rex: Haec mihi
faciat Deus et haec addat, si steterit
caput Elisei, filii Saphat, super ipsum

Dont fu li rois si dolans qu'il
descra ses dras, et se laissa caoir de
son cheval a tiere et manda par .i.
sergant Elyseu le prophete pour
ocure, pour che que c'estoit venu a
son tans. (١٩)

وهذا بحد ذاته غير محتمل ، وهو على الأقل لا يتواءم مع بقية القصة كتفصيل ، وهو في الواقع يجعلها بالأحرى لا معنى لها ، ولا يمكن أن ينظر إليه كسوء ترجمة للأصل ، ولا يمكن أن يرى تفسيراً خاطئاً للأصل ، وهذا في الواقع تفسيراً آخر أشد غرابة .

(Genesis 18: 1): Apparuit ei Dominus in convalle Mambre sedenti in ostio tabernaculi sui in ipso fervore diei.

(Genesis 18: 2): Cumque elevasset oculos, apparuerunt ei tres viri stantes prope eum; quos cum vidisset, cucurrit in occursum eorum de ostio tabernaculi, et adoravit in terram.

(Genesis 18: 3): Et dixit: Domine, si inveni gratiam in oculis tuis, ne transeas servum tuum.

هل من الممكن أن يكون المصنف قد أخطأ قراءة يوشع ٦ : ١

autem clausa erat atque munita', as 'clausa erat magne', or as 'clausa erat atque magnetica'?

حيث أن مفرداته في الترجمة لها حدودها حسبما تأكد ذلك في أماكن أخرى ، فبعدما أخبر حمار بلعام ، بلعام أن الملاك يسد ممرهما ، قام بالفعل بالعوبة ، وهذا شيء لم يرد حدوثه لافي العهد القديم ولا عند يوسيفيوس (٢٠) ، والمخرج هنا هو أن المصنف ربما اقدم على إضافة هذه التفاصيل من عنده معتمداً على ذاكرته ومستمداً منها ، بما كان قد قرأه في وصف ما للمدينة لها في بنائها مثل مدينة نربونة :

A) meris fet soner .xxx. olifans,
Bondir en fet Nerbone la plus grant,
La mestre tor et lo dur aymant.(٢١)

وبصرف النظر عن يوسيفيوس والتوراة ، هناك عدد من الأقوال ترجع إلى تقاليد مصدقة كثيرا ، على سبيل المثال تعريف سبسطية بأنها مكان دفن يوحنا المعمدان ، ويهوشافاط على أنه مكان دفن سيدتنا وأشياء أخرى كثيرة من مثل هذه التعاريف المتعلقة تقليديا بأمكنة في فلسطين كمسرح لهذا الحدث أو ذاك ، وفي الحقيقة إن معظم المادة التوراتية ممزوجة مع الأوصاف الطبوغرافية لفلسطين ، وهكذا فإن ذكر أريحا يستدعي ذكر مكثف لقصة يوشع ويشكل أيضا استطرادا مضحكا حول عادات أفاعي معينة أكد المؤلف أنها تعيش في تلك المنطقة (٢٢) ويبدو أن تحديد الموقع كان من اختراعه هو ، ولكن المعلومات عن الأفاعي استمدتها من كتاب « أصول الكلمات » لايذيدور الاشبيلي (٢٣) وأعطى الموقع نفسه لهذه الأفاعي في كتاب جاك دي فيتري « الكتاب الشرفي » (٢٤) ولكن هذا لايمكن أن يكون مصدر الموجز ، مادمننا تاركين جانبا المسألة التي ذوّشت مطولا ، والتي تتعلق بتاريخ الموجز ، الذي يعطي معلومات غير موجودة لدى جاك دي فيتري ، فهو يقول عن الناشر (الصل المصري) وهو أفعى صغيرة سامة إنه يستخدم لصنع الترياق ، في حين أن الموجز به أيضا قطعة أخرى من المعلومات التي يعطيها ايزودور ، هي أنه يتجنب الأسر بنصب أننية ، والآخرية قصة شائعة جدا ، أصلها في المزامير : ٥٧ / ٥ - ٦ ولا توجد فقط عند ايزودور والموجز ، بل أيضا مثلا في المؤلف الرمزي عن الحيوانات لفيليب دي تاؤون الذي حصل عليها من ايزودور ، الذي استغل تماما إمكانياته الرمزية ، (٢٥) وبالنسبة لمصنف الموجز يبدو مؤكدا من النصوص ، أنه لايمكن أن يكون قد حصل عليها من أي مكان إلا من عند ايزودور ، وأن موقع الأفاعي في أحواز أريحا ، هي فكرته هو ، ويحتمل أنها في الحقيقة مقلدة من قبل جاك دي فيتري ، كما

سوف نرى عندما يصبح تاريخ تأليف هذا الجزء من الموجز ، أكثر وضوحا .

والاوصاف الطبوغرافية ذاتها كانت موضوعا لكثير من البحث ، الذي تأوج في الطبعة التي حققها ميشلان ورايزود مع مقدمة راينت (٢٦) ، ويستنتج راينت أن وصف الجليل هو العمل الاصيلي لارنول نفسه ، في حين أن وصف بيت المقدس هو توسع في النص الاقدم الذي احتفظ التاريخ بجزء منه في تدقيق مختلف .

ويجب أن يؤخذ في الحسبان بالطبع أنه عندما كتب راينت هذا ، في ١٨٨٢ ، اعتقد بأن الموجز بحد ذاته كما حققه ماس لاتري قبل ذلك بإحدى عشرة سنة ، هو تاريخ أرندول وعليه يكون من المناسب أن نذبح أطروحته في ضوء الفصل السالف ، والقول بأن وصف الجليل كما هو في الموجز ، ليس له مصدر مكتوب باق ، ولا يمكن لمصدر مفقود أن يخمن ، لكن مصدرا مكتوبا مفقودا يمكن تخمينه في حالة وصف بيت المقدس ، بمقارنة الرواية الموجودة في الموجز بتلك الموجودة في التاريخ ، وبكلمات أخرى يمكننا أن نعدل نسبة راينت لوصف الجليل إلى أرندول بالقول بأنه عمل المجهول الذي كتب هذا الجزء من الموجز ، ومن المناسب أن يضاف هنا أن الشخص نفسه هو الذي صنع أيضا المقتطفات التوراتية والمقتطفات المأخوذة من يوسيفيوس وايزودور ، لأنها بصورة لا مفر منها تتداخل وصف الجليل ، وكثيرا مايكون ذلك إلى حد أن الحدث المروي من التوراة أو من يوسيفيوس ، هو المعلومات الوحيدة المعطاة حول المكان موضوع الوصف ، ولا يمكن أن يكون هناك تساؤل عن وجود سالف لوصف طبوغرافي موسع مأخوذ من الكتاب المقدس والتقاليد ، لأن مثل هذا النص لم يكن له أن يقف بذاته ، وفي الحقيقة إنه لصعب وجوده بالمرّة ، بصرف النظر عن الرسوم الشارحة التي تتكون منها في الواقع في أقسام كبيرة .

والشيء نفسه ، غير صحيح بالضرورة بالنسبة للاجزاء التاريخية

الدقيقة لهذه الفصول المبكرة ، مع انها متداخلة كثيرا مع الانواع الاخرى من المادة التي وصفناها توا ، ومن الممكن استخلاصها وان يشكل منها حكاية مستقلة ، مع ان هذا سيكون هزيلا جدا ، ومع أن فصلها هكذا عن النص المحيط بها سينطوي على فعل عنيف جدا بالموجز كما هو قائم ، والفصل الذي لا يمكن تحقيقه هو بين هذا الجزء من الحكاية التاريخية والقسم الذي يتمركز على حطين وسقوط بيت المقدس ، هو العمل الفني التاريخي ، الذي يحقق القصد المحدد للمؤلف ، ليخبر قراءه كيف سقط الصليب المقدس وبيت المقدس في بيت المسلمين . وكحكاية تاريخية هو متجانس بشكل ملحوظ لان التفاصيل التي يعطيها تختلف بقدر كبير فهي تتكون في البداية في مجرد الماعات ، ولكنها تصبح بشكل ثابت أكثر تفصيلا حتى اوائل الثمانينات من القرن الثاني عشر عندما يمكن ان يقال انها تخوض في الاحداث المركزية التي تتعامل معها ، لتصبح تاريخيا صحيحا أكثر منه موجز ظهرانه اصليا ، على الاقل لا يمكن تعقب اي مصدر له وانه ليس كما اكد كراي ملخص تاريخ وليم ، فان اجزاء كبيرة منه هي بالطبع روايات موجزة لحقيقة يمكن ان تكون مأخوذة من وليم (على سبيل المثال ، زواج عموري وماري كومينا)^(٢٧) وكثير مما لا يوجد بالمرّة في وليم (مثل ، تاريخ حياة جيراردي رد فورت واعماله)^(٢٨) وغطى بعضها الساحة نفسها واعطى رواية مختلفة تماما عن رواية وليم .

وهكذا على سبيل المثال ان روايته كل منهما المتعلقة بتأسيس طائفة فرسان المعبد لا تشبه بعضها بعضا في ادنى حد (٢٩) . ويحتمل ، مع عدم القدرة على البرهنة ان عمل وليم المفقود « تاريخ اعمال امراء الشرق » قد قدم المادة للفصول المبكرة عن حياة صلاح الدين وصعوده الشهرة ، ولكن تاريخ وليم ليس المصدر لبقية التاريخ.

وفي حالة عدم وجود اي عمل يمكن تعريفه على انه مصدره ، يجب ان نفترض انه عمل اصلي مستوفى باستعارات ليتمكن تحديد هويتها ، من اماكن اخرى ، اعني من ايزودور ، ويوسيفوس ،

والتوراة ، والوصف مجهول المؤلف لبيت المقدس ، الذي رسخ راينت كونه مأخوذا من عمل أبكر ومكيف جزئيا ٣٠١ .

وليس ممكنا ان يتحرى في هذا الجزء من الموجز اي انقطاع في المادة او الطريقة مثل ما اكتشفنا في النصوص في ١١٩٧ ، وبصرف النظر عن التغير في المشهد ، مثلا من بيت المقدس الى بيزنطة او القاهرة حسبما كان يتطلب الموضوع ، فان الترتيب الزمني متتابع بدون انقطاع ، خلافا للترتيب الزمني للأجزاء التالية من الموجز ، او من النيدول ، لتلك المادة ، حيث تتحرك رجوعا وقدميا بأسلوب مشوش وغير منظم ، كثيرا ما يكشف عن مجرد نقص في مهارة التأليف أكثر من ان يكون تنقيحا فنيا متعمدا ، يسمح بتغيير في الموضوع واستيفاءات للحكاية الصحيحة من مختلف العناصر الأخرى ، التي سبق تحليلها ، ويعطي التاريخ انطبعا بوحدة الرواية حيث تبدو كلها كقطعة واحدة مع القسم الذي يذكر انزول بالاسم ، وكلها تتحرك في اتجاه تلك الأحداث التي كان حاضرا فيها ، متطلعين اليها ومهيئين ايانا لتقدير المفاجعة تماما عندما ترد ، وكون هذه هي في الواقع الحالة امر يمكن بيانه ، وهو امر بالغ الغرابة عند مقارنة الموجز مرة أخرى بالنيدول ، اذ مع انهم ظاهريا لا يعالجون هذه الفترة ، قبل ١١٨٤ ، سوى من خلال ترجمة وليم لدى ذكره بعض الروايات المتداخلة في حكاية الأحداث التالية ، هناك ايضا ثلاثة اقسام في تلك الفصول الافتتاحية من الموجز .

وهذه الأقسام الثلاث كلها مرتبة زمنيا في الموجز ، ولكنها في النيدول تعمل كقواطع للسلسلة التاريخية ، وفي كل حالة اختار مصنفوا النيدول فقرات تتعامل مع الأحداث التي كانت ضرورية لفهم واضح للأجزاء التالية في التاريخ ، وهي معالجة بصورة غير وافية او لم تعالج بالمرّة من قبل وليم الصوري ، وهكذا فان تاريخ « زواج سيده البترون والمحاولة المجهضة التي قام بها جيرار دي رد فورت وريموند كونت طراباس » ٣١ ، بالضبط توفر السبب نفسه لذكر هذه القصة على انها كانت عاملا مسهما في ضياع المملكة ، وقد

- ٣٦٨٠ -

اعطي من قبل مصنف الموجز ايضا (٣٢) ومثل هذا انتخاب هرقل بطيركا لبيت المقدس ، وحياته الماجنة ، ووصف باسل دي ريفيتي «البطيريك» مذبذب في «أ.ب.» و«د.» وفي «غ.ج.» هذه المرة ايضا ، (٣٣) لتبيان ممر خلال الحركات العسكرية في حطين ، قاطعا العمل بصورة غيرمواثمة وبشكل بالغ الارباك ولكنه يخدم الغرض نفسه ، وهو توفير تفسير ضروري جدا لسألة لماذا خسر المسيحيون :

nation of why the Christians lost: 'Dont toz li clergés en prenoit mauvais eissample a la vie dou mauvais cheveteine; por les pechez des quels Nostre Seignor se corroça moult durement a ceauz qui habitoient en Jeruſalem et ou roiaume de Surie et netoia sa terre de ceauz qui le peché ovroient. ٣٤

والقطعة الثالثة من المادة المقحمة بهذه الطريقة هي قسم من التاريخ البيزنطي ، الذي لم يغطه وليم بقدر كاف ، والذي وضع على نحو مواثم في المحل المناسب لدى الحديث عن دفاع كونراد دي مونتفرات عن صور ، ومرة أخرى من الضروري اعطاء القارئ هذه الخلفية اذا كان له ان يفهم بشكل صحيح الحالة التي كانت عليها السياسة البيزنطية في ايام اقامة كونراد الجبرية في القسطنطينية وهربه ، وحقيقة انه بناء عليه وصل الى فلسطين متأخرا جدا ، عندما كانت المملكة بكليتها تقريبا قد اصبحت في يد صلاح الدين ، والملك غي لوزنغان اسير لدى المسلمين ، لان جزءا من هذا القسم «غ.ج.» اعطت الحكاية نفسها كما هي موجودة في نقطة ابكر ، في الموجز ، في حين ان النيول الاخرى اعطت رواية اكمل الا انها ليست باي طريقة رواية متناقضة في كل اجزائها (٣٥) .

ولا تتركنا هذه المقتطفات بالمرّة في شك حول حضور «x» على الاقل في بعض الحكاية التاريخية لما قبل سنة ١١٨٤ ، الموجودة في الموجز . ولم تستمد النيول هذه الاقسام مباشرة من الموجز واقدمتها في حكاية مصدرها المشترك ، لان لها دائما تقريبا رواية

اكمل مما لدى الموجز نفسه . ونصيا يمكن للمرء فقط ان يفسر هذه الاقسام في الموجز والنيول على انها تكييفات مختلفة لمصدر مشترك ، بين فيها كل نص معالجته الميزة الخاصة للمصدر : الموجز يلخص ، و« د » يحتفظ كما في رواية وصول كوزراد الى مشارف عكا (٣٦) ، وتفسير موضوع الجرس الذي كان يتوقع سماعه ، وهكذا دواليك . وباختصار ، ان هذه الاقسام الثلاث على الاقل لابد انها كانت في x ، وانه لمن المعقول تخمين ان بعض الباقي على الاقل من المادة التاريخية الموجودة في الفصول الافتتاحية للموجز قد استمد ايضا من x ، من قبل مصنف الموجز ، وفي الواقع طالما ان الحكاية تشكل كلا متجانسا بشكل ملحوظ في قسمه ، كما لاحظنا من قبل ، وتؤدي بشكل مباشر الى داخل القسم الذي يسمى فيه اردول دون اي انقطاع ملحوظ او تغيير في التدقيق ، من المعقول تأكيد انه ليس هذه المقطوعات الثلاث فقط ، بل كل الرواية التاريخية التي تنتهي اليها انت من تاريخ اردول .

وماذا بشأن المادة الأخرى في الفصول التسع الأولى ، أي الأوصاف الجغرافية والمستخلصات الدورانية ، والنقول بتصرف من يوسيفوس وايزودور ؟ وطالما أنه يمكن فصلها بشكل ملموس عن الحكاية التاريخية الأصلية ، لا يمكن بالضرورة افتراض أنها هي أيضا أتت من x فقد استطاع مصنف الموجز بشكل جيد اقامها في التاريخ ، ربما بقصد اخراج رواية أكثر تدوعا ، مبع اغراء أوسع ، ولقد باتت حقيقة اقتطاعه لمصدره الى درجة كبيرة غالبا ما أضعفت الأهمية التاريخية لعمله بشكل كبير ، واضحة بدرجة كافية ، حتى أن القيمة المعلوماتية الصرفة لعمله لم تأخذ عنده أولوية على جاذبيته لجمهور عريض ، مثلما لدى المهتم في أيامنا بالتأريخ للحروب الصليبية ، وفي حين أن التاريخ الصحيح ينتمي لاردول ، فإن الباقي يمكن أن ينتمي الى مصنف الموجز .

فهل كانت هذه هي الحال ؟ مهما يك من أمر إن المرء يتوقع أن يجد أن حكاية النيول الصحيحة كانت تاريخية صرفة ، وهذه ليست

الحالة ، وإن المادة غير التاريخية في الفصول التسعة الأولى من الموجز موجودة فقط بالطبع في ذلك النص ، ولكن كل القصص التوراتية التي جاءت في الموجز بعد جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » وهي بركة سلوان ، وصدوم اليشع ، وبناء سليمان للأمكنة المرتفعة وقصة بلعام موجودة في النيول الصحيحة أيضا (٣٧) وفي الواقع إن النيول أيضا تحوي قصة أخرى من النوع نفسه ، وهي قصة جدعون وهو منكب على جز الصوف (٣٨) ومرة أخرى كما هو في حال ما قبل ١١٨٤ من الأحداث الموجودة في كل من الموجز والنيول ، ليس هناك خلاف حول استعارة مصدفي الهرقليات هذه القصص مباشرة من الموجز ، لأن الهرقليات لديها مرة أخرى من روايات « أ - ب » و « د » اقتباسا أكثر دقة ، وعادة أكمل من العهد القديم أو من يوسيفوس مهما تكن الحالة ، مما لدى الموجز ومرة أخرى فإن التفسير الوحيد الممكن هو أن المصدرين نقلوا واستفادا مستقلين من مصدر مشترك ، ومرة أخرى نحن مضطرون لاستنتاج أن الاقتباسات من يوسيفوس والتوراة الموجودة في كل من النيول والموجز كانت موجودة في X ، ومرة أخرى يمكننا أن نخمن أن المادة الأخرى من النوع نفسه الموجودة في الفصول التسعة الأولى من الموجز قد استمدتها مصنف الموجز من القسم من X الذي أخذ منه مصنف الهرقليات فقط الخلاصات التاريخية الثلاث المذكورة أعلاه (٣٩) ، وطالما أنه قد سبق لنا أن عرفنا X على أنه تاريخ أرندول الأصلي ، يجب الآن أن نأخذ بالاعتبار كيف توصل أرندول لأن يعرف التوراة بمثل هذا التفصيل ، وأيضا أعمال يوسيفوس وايزودور .

وليس بالضرورة أن يكون قد عرف اللاتينية فغالبا ما توفرت شرائح مترجمة إلى اللغة الدارجة من ايزودور ويوسيفوس في مصنفات تلك الفترة ، ولنأخذ على سبيل المثال عمل جاك دي فيتري وفيليب دي ثاؤون اللذان ورد ذكرهما من قبل ولكن طالما أنه ليس هناك بيئة إيجابية على تكوين مثل هذا النص الذي كان يحوي بدقة القول التي استخدمها أرندول ، فإن هذا الاحتمال يجب أن يبقى تخمينيا ، ويجب أن نفترض حتى يمكن إثبات العكس ، أن أكثر

التفسير وضوحاً صحيح ، وأن استعارات من يوسيفوس وايزودور أتت من أصل لاتيني (٤٠) .

ومن أجل القول من الكتاب المقدس ، خاصة نصوص العهد القديم ، تتوفر لدينا اشارات أكثر تحديداً ، فكل أسفار العهد القديم التي استخدمها أرنول موجودة أيضاً في الترجمة باللغة الدارجة المعروفة باسم تورا عكا ، وأقدم مخطوط لهذا النص هو « أرسنال ٥٢١١ » ، وقد أعد من أجل القديس لوييس ويمكن أن تكون نسخ أقدم من النص نفسه ، أو على الأقل أجزاء منه كانت متداولة جيداً قبل هذا التاريخ ، وكانت عكا جغرافياً داخله بشكل محكم في مجال أرنول ، وطالما أن لدينا نصاً باللغة الدارجة يوفر كل الأجزاء الصحيحة من العهد القديم ، في المكان الصحيح في نحو الزمن الصحيح سيكون من الخطأ افتراض أن أرنول بالضرورة قد استعمل الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، إلا أنه هذا يترك القول من العهد الجديد بحاجة إلى تفسير ، وهنا مرة أخرى نتراجع إلى التخمين ، ويمكن أن تكون جميعاً قد جاءت من حياة المسيح ، وهذه شاع وجودها في تراجم التوراة إلى اللغات الدارجة ، ولكن في هذه الحالة لا توجد بيئة إيجابية حول توفر مثل هذا النص ، كما يوجد في حالة تورا عكا ، ويمكن أن نعتبره ممكننا تماماً ، وحتى محتملاً ، إنه لم يكن هناك شيء متوفر ، ولكننا لا يمكن أن نستبعد الاحتمال المعاكس ، أن أرنول أخذ مباشرة من الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، وطالما أن الأمر يبدو هكذا أن هناك على الأقل فرصة جيدة لأن يكون أرنول كان على معرفة باللاتينية ، ويجب أن نضيف هذه السمة لصورتنا العقلية عنه ، ويمكن بالطبع أنه كان لديه كاتب يدون ما يملي عليه ، ترجم له النصوص المناسبة ، ولكن يمكن بالدرجة نفسها أن يكون قد فعل ذلك بنفسه .

وبناء عليه روي بوضوح أن كل عنصر من الفصول الافتتاحية التسعة من الموجز غير خاص بهذه الفصول ، وكذلك الحال أيضاً في بقية النص ، وفي مصنفات الهرقليات أيضاً ، وليس هناك انقطاع

ملموس في نص الموجز بين الأجزاء المبكرة والمتأخرة ، وفي أقسام الجزء المبكر الذي يمكن أن نقارنه بالهرقلات لأن مصنفى الهرقلات قد نقلوا أقسام تتبع الجزء الأبعد من مصدرهم المشترك x ، ويمكننا أن نلاحظ أن مصنف الموجز قد قام بثبات بتقطيع مصدره ، وحذف قطعاً أحياناً (مثل قصة جدعون) ، ولكنه لم يضيف مطلقاً شيئاً مادياً ، بقدر ما يمكن أن نرى ، ويجب أن نستنتج أن قسم ما قبل ١١٨٤ من x ممثل مع المحذوفات ولكن بدون إضافات بوساطة الفصول التسعة والنصف الأولى من الموجز كما حققه ماس لاتري ، حتى أنها بدأت ، مثل الموجز بملخص سريع لتاريخ المملكة اللاتينية من تأسيسها إلى أواخر القرن الثاني عشر ، وأنها حوت - وكذلك التاريخ الصحيح - الخليط نفسه من المائة المرتبطة ونصف المرتبطة مثل بداية الموجز ، وبكلمات أخرى نجد في الفصول التسعة الأولى من الموجز إخراجاً مصغراً للجزء المبكر من تاريخ أرنول ، ومحتويات هذه الفصول إن لم تكن من عمل عالم فإنها على الأقل من عمل رجل واسع الاطلاع ، وهذا هو أرنول الذي وصفه فيليب دي زوفار بقوله :

‘... messire Harneis et messire Guillaume de Rivet le
jeune, qui moult estoient grans plaideors(٤١)
aussi apte, comme la plupart des
chevaliers des Assises, a dicter un livre qu’à soutenir une
discussion féodale(٤٢)

وتحديد هوية المصادر التي استعملها أرنول قد برهن على أن ماس لاتري مرة أخرى أنه متبصر حقيقي ، لأنه وضح لنا أن الكتاب الذي وضعه أرنول كان عملاً أكثر علمية ، وأكثر أناقة ، وكل متماسك أكثر مما أمكن لماس لاتري - مع البيئة التي توفرت له في زمانه احتمالاً - أن يعرف وبالتفكير في المناسبة المفجعة في ١٢٣٢ حينما ترك أرنول متولياً لأمور قبرص فأظهر عدم كفاءة عسكرية بإخفاقه في تموين قلعة « رب الحب » وأوشك أن يتسبب في مقتله هو ، ومقتل أخوات الملك اللاني كن تحت

- ٣٦٨٥ -

رعايته ، مما يجعلنا نستنتج بشكل جيد أنه كان في الواقع موهوبا بالعلم اكثر بكثير منه بميدان السيف (٤٢) ، وبالتأكيد إنه بين مؤلفي يومه يبرز ببراعته الخاصة .

وهكذا فإن تاريخ أرذول ، كعنصر بين الكثير ، يظهر من بين المواد الخام المصنفة لختلاف التواريخ الفرنسية لمجموعة وليم الصدوري ، وبجمع القطع المختارة من كل جانب نستطيع في النهاية أن نعيد تركيب عمل أرذول ، وهو عمل مثقف بصورة غير متوقعة في مصادره ، إلا أنه في تصنيفه متحرر على نحو مرض من قيود التقاليد ، ويمكننا أن نلخص بنيته بإيجاز هكذا :

- البداية حتى ١١٨٥ : الفصول الثمانية الاولى ، من الفصل التاسع ، من الموجز كما تظهر في طبعة ماس لاتري ، حتى الكلمات 'li enfes fust d'eage' (م . ل - ص ١١٦) ولكن مخطوط القديس أوامر ٧٢٢ (أوراق ٤ ظ - ٢٦ ظ) الذي لم يكن معروفا لماس لاتري ، يجب أن يستعمل مرجحا على أصله المخطوط (بروكسل ١١٤٢) وأيضا على المختارات الثلاثة الأخونة من « x » من قبل مصنف الهرقليات وهي روايات أكمل من الأقسام المقابلة في الموجز ، التي لابد أنها أخذت من مخطوط ليون ٨٢٨

وتشكل هذه الأقسام في طبعة الاكاديمية الفصول ١١ - ١٦ و ٢٤ و ٣٨ و ٣٩ من الكتاب ٢٣

- ١١٨٥ - ١١٩٧ : من جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » حتى نهاية الكتاب ٢٧ الفصل الخامس من طبعة الاكاديمية ، من مخطوط ليون مخطوط القديس أوامر ٧٢٢ قبل رواية حصار بيت المقدس مباشرة (أوراق ٣٩ - ومايلها) يجب أن يضاف عند النقطة نفسها ، والأقسام التي سبق أخذها من المخطوط « د » وأعيد وضعها في ترتيبها الزمني الصحيح (أي ٢٣ - ١٦ ، ٣٤ - ٣٩) يجب حذفها بالطبع .

ويحتمل أيضا أن يتوجب على المرء أن يدخل في إعادة التركيب هذه في المواضيع الموائمة الأقسام الواردة في تاريخ بلاد ماوراء البحار والمتعلقة بحروب صلاح الدين ضد ملك النوبة (٤٤) فالبيانات الموجودة حول النص الحاوي لها وحده توحي أنها كانت موجودة في «x» ولكن هناك بيئة أدنى بكثير حولها مما حول بقية نص إعادة البناء ، وعليه لا يجب بالتأكيد أن تضمن دون تحفظات على الأقل حتى يعرف المزيد عن تاريخ بلاد ماوراء البحار في المخطوطين الباقيين .

وما توصلنا إليه هكذا لا يدعي بأنه حرفيا التاريخ الذي وضعه أرنول 'fist metre en écrit' أو حتى «د» و هو أقرب نص إلى تاريخ أرنول الأصلي ، ما يزال تصنيفا ، وإعادة اخراج لأرنول وليس أرنول نفسه ، لكن أين هو اقترابه من الأصل أكبر وأين هو أقل لا يمكننا القول ، و الذي يمكننا قوله هو أنه أفضل اخراج متوفر ، ومثل هذا إن الموجز ، في الأقسام التي يمكن مقارنتها بالنيول ، من الواضح أنها قد اختصرت مصدرها x . بقدر كبير ، ويمكننا أن نستخلص بأن الفصول المبكرة الشائنة في الموجز هي بالقدر نفسه من التأكيد خلاصة أكثر منها نسخة عن الفصول المقابلة في «x» وهكذا إنها تزوينا بظل ، وليس بصورة لهذا القسم من «x» ولكنه مرة أخرى هو أفضل إخراج ، والوحيد في الواقع الذي لدينا في الوقت الراهن ، ويمكننا على الأقل أن نعرف أنه مع أنها ليست مشابهة دقيقة إنها ليست تحريفا مشوها لها ، وإعادة بناء أرنول هذه باختصار لها حدودها ولكنها أفضل ما يمكن أن نحصل عليه مطلقا ، ما لم تكتشف مخطوطات جديدة تقدم ليس مجرد قراءات مزوغة للنصوص الباقية الآن بل فروقا جذرية في التأليف ، وحتى مع هذه التحفظات القليلة ، بات النص وبنائه هكذا أخيرا ذا معنى بين التشكيلة الكبيرة من نيول تاريخ وليم الصوري في الفترة الأولى هذه التي كانت ترى من قبل على أنها مرتبطة بطريقة مشوشة وغير محبذة ، والتي يمكن أن ترى الآن على أنها تستمد مباشرة أو غير مباشرة من نموذج أرنول الأصلي .

وما هو أكثر ، لدينا أخيرا في إعادة البناء هذه نص يلبي المهمة التي أعد المؤلف لها نفسه ، في الحملة الافتتاحية للموجز ، وقد أصبح شيئا شائعا في دراسات أرنول ملاحظة أن الكلمات الاستهلالية في الموجز ليست سوى بيانات دقيقة عما يحويه الكتاب : (٤٥) (والآن سأحدثكم كيف استولى المسلمون على أراضي القدس والصليب المقدس وهم—زموا المسيحيين » (مخطوط ز ورقة ٤ ظ)

ومن المسلم به أن عام ١١٨٧ شغل حيزا أكبر بكثير وكثير من أي سنة مفردة أخرى ، (٤٦) ولكن يبقى مضللا جدا أن نعلن أن هذه الأحداث كموضوع للموجز ، لأنه حتى في أقصر رواية من العمل ، تلك التي تنتهي في ١٢٢٧ ماتزال روايتها تشكل قسما واحدا فقط بين كثير ، وفي الواقع إن مصنف الموجز بعيدا عن أن يكون لديه سبب جيد لتلخيص هذه الافتتاحية غير الموائمة لاسيما من أجل تصنيفه الخاص ، ولعلها انزلقت انزلاقا لتدخل فيه وهي بلا شك قد نشلت جاهزة الصنع من مصدره ، من عمل كانت حقا موائمة له ، وكان يتعامل فقط مع الفترة التي تتعلق مباشرة بضياح بيت المقدس والصليب المقدس ، والتي بدأت والمملكة اللاتينية على ما يبدو محكمة الرسوخ ، وانقهرت بها وهي خراب ، ومن هذا العمل يأتي توجيه الفصول الافتتاحية للموجز نحو ضياح الأرض المقدسة وضمونها وصف جيرارد دي رد فورت .

‘por ché . . . que ce fu .i. de ciaus par coi la tiere fu perdue’

ونذكر « للأغنية السياسية ضد الفرنجة البلبيين كتصوير لاندقسام المملكة على نفسها: » على الرغم من البلبيين»
لدينا ملك من الوافدين

فإذا افترضنا أن التنظيم الجديد لـ « x » أعلاه هو تاريخ أرنول ، تكون كل هذه السمات للموجز والهرقيات معقولة ، ويكون لوصف المحتويات نص يشار إليه .

وبالقراءة خلال النص الذي نسبناه الآن لأرنول ظهر التأكيد على عائلة ابلين حتى أكثر وضوحاً من ذي قبل ، وفي الواقع بدأ التاريخ يأخذ مظهر مايشبه مسوغ لسلوكهم في الفترة موضوع البحث ، ويمكن حتى أن يكون قد كتب هكذا بناء على طلب الابلينيين للدفاع عنهم ضد المشاعر السيئة والالتهامات الخاصة التي وجهت كثيراً ضدهم ، وارتبطت بهم أكثر بكثير من الارتباط بالوقت ، الذي بكل دقة فقدت فيه القدس مع الصليب المقدس فقد كان هناك أولاً معارضتهم لغسي ، وبعض الذين اتفقوا مع أرنول في أن المملكة سقطت لأنها كانت منقسمة على نفسها ، خالفوه مع ذلك ، في القاء اللوم على زمرة أكثر منه على الأخرى ، وكان هناك أيضاً حقيقة أنه في حطين بينما أخذ هو وكثير من البارونات أسرى ، هرب بالين دي ابلين وريموند صاحب طرابلس إما بالحظ أو بالتخطيط ؟ ثم أدار بالين بنفسه المفاوضات مع صلاح الدين لتسليم بيت المقدس : لماذا بالحري - لم يصمد أمام المسلمين حتى النهاية المرة ؟ وكان بالين أيضاً هو الذي وضع بنود معاهدة ١١٩٢ بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد ، وهي معاهدة لا يمكن لأحد أن يدعوها مرواثة للمسيحيين بل إنها حوت بين بنودها الهدية الشخصية من صلاح الدين إلى بالين وهي قلعة الداروم ، وباختصار بينما كانت المملكة اللاتينية تتهاوى على مسمع منهم احتفظ الابلينيون لأنفسهم بوضع مأمون نسبياً ، وأولئك الذين خرجوا بحظ أقل كانوا أكثر من مستعدين لبيان الأسباب الأكثر وضوحاً في الاختلاف ، ويمكن أن تكون هناك أسباب أخرى أجدر بالثناء ، ولكنها كانت أقل كثيراً جلاء بذاتها ، وكانت تحتاج لبيانها بصورة أوضح ، فما الذي حدث حقاً في ١١٨٧ ؟ هذا بالضبط ما شرع أرنول في قوله لنا : « كيف استولى المسلمون على أراضي القدس والصليب المقدس وهزموا المسيحيين » ، وعرض هذه القصة من وجهة نظر الابلينيين تجيب ضمناً على انتقادات الذين رأوا في الابلينيين أنذالا وليس أبطالاً ، وهي تؤدي للابلينيين ماأداه قناة الحملة الصليبية الرابعة .

وينبغي أن يلاحظ أخيرا أن تاريخ أردول هذا يجب أن يعترف به واحدا بين قلائل ، قلائل جدا من الأعمال الأدبية التي أنتجت في بلاد ما وراء البحار الفرنجية وكما بين رنسمان لم تسهم بلاد ماوراء البحار إجمالا إسهاما كبيرا في ثقافة الغرب ، وبين الاستثناءات تاريخي وليم الصدوري وأردول (٤٧) ، والآن إن عمل أردول يمكن أن يفترض كشيء أسمى كثيرا من الموجز الذي كان يعزى إليه حتى الآن ، ربما يمكن لنا أن نأخذ نظرة أكثر تفاهولا بصورة طفيفة جدا ، إلى حجم إسهامه ، فهو نوع من المنتجات الثانوية للاهتمام الباقي والشامل بالشؤون القانونية التي كانت تميز الفارس في الدول الصليبية ، وأدت إلى تجمع الكتلة الهائلة من الكتابات عن « قوانين بلاد ماوراء البحار » التي تعرف إجمالا باسم « مجموعة القدس » فإذا كانت مهنة أردول كجندي أعطته مادة لتاريخه ، فقد كانت خبرته في المحاكم هي التي أعطته دون شك وسائل التعبير عنه ، وعليه فإن الثقافة الخاصة ببلاد ماوراء البحار بإصرارها على ربط هذين الاثنین قد أعطته خلفية فريدة لم يكن له أن يجدها في مكان آخر ، وتاريخه هو نتاج تلك الثقافة ، التي أعطته على الفور بصيرة أعظم في طبيعتها وتقديرها أكبر للجدارة الخاصة به ، ومنها في الحقيقة آثار قليلة باقية في نواح أخرى .

٢ - الموجز والنيول ، ١١٩٧ - ١٢٣١

وبناء عليه تعطينا الفصول المبكرة من الموجز رواية لأنواع بداية تاريخ أردول . ويبقى الآن في تحليل الموجز ، توضيح البنية ، والمصادر إذا أمكن لبقية الموجز ، من عام ١١٩٨ حتى نهايته ، وهنا يمكننا مرة أخرى أن نأخذ بشكل مفيد الموجز والنيول معنا ، والحقيقة كما سوف نرى ، أن بعض روايات النيول تتعلق بأحكام الموجز في هذا القسم ١١٩٨ - ١٢٣١ حتى أنها وإياه يجب أن تعتبر بمثابة نص واحد .

ولكن الموجز والنيول ليست بأي حال كلا موحدا طيلة هذه

الفترة ، وفي الواقع إن هناك انقطاعا آخر في التنقيح ، وتحولا آخر في العلاقات بين النصوص بالنسبة لبعضها بعضا وهو ملحوظ بالضبط مثل ذلك التحول الذي أثبتناه في ١١٩٧ ، وهوية قسم الفترة ١١٩٨ - ١٢٣١ بوضوح إلى فترتين ، وخلافا لفاصل ١١٩٧ على أي حال ، إنه لم يحدث ببساطة في سياق حكاية تبنت موحدة ومرتبة زمنيا ، وفي الواقع إن قسمي النص في هذه الحالة يتداخلان زمنيا ، وبكلمات أخرى ، إن الانقطاع في التنقيح في ١١٩٧ يمكن أن يلاحظ فقط بمقارنة بنية مختلف النصوص الواحد بالآخر ، ولكن الانقطاع الآخر ظاهر في أي نص مفرد بسبب أن الترتيب الزمني متتابع ثم يأخذ فجأة قفزة رجوعا إلى الوراء ثم يبدأ مرة أخرى وهكذا يتوفر لدينا مباشرة بعد القسم الذي يقوم على أرذول وينتهي في ١١٩٧ ، الذي انتهينا للتو من تحليل حكايته ، مع أنها تذكر أحداثا في القسطنطينية متأخرة حتى ١٢٢٨ ، وتغطي بشكل أساسي الفترة ١١٩٨ - ١٢١٦ ، التي تنتهي بوفاة أوتو الرابع وانتخاب فريديريك الثاني امبراطورا ، ثم تبدأ الحكاية مرة أخرى في ١٢٠٥ وتستمر مرة أخرى في ترتيب زمني إلى ١٢٣١ والعلاقات بين النصوص في هذين القسمين تختلف كليا ، وسوف ندرس كلا منها على حدة بدوره .

والقسم الأول من الحكاية ، الذي يلي مباشرة بعد نهاية أرذول ويمتد في مصنف راشيل من ٢٧ / ٦ إلى ٣٠ / ١٠ (٤٨) بسيط نسبيا في تركيبه وتغطي النصوص كلها الأحداث نفسها : مملكة بيت المقدس في عهد عموري ، والأحداث المعاصرة في الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية حتى ١٢٢٨ و ١٢١٦ كل على حدة والمعارك الأخيرة لريتشارد قلب الاسد ، والحملة الصليبية الرابعة ، والاستثناء الوحيد من هذا الاتفاق العام بين النصوص يحدث عند بداية القسم الذي يقسم فيه « س ج » و « غ ج » و « د » كمية معينة من المادة حول أرمينية (٤٩) . التي سبق أن أعطيت من قبل « أ - ب » في صورة أقصر ومختلفة قليلا ، بما فيه عند ٢٧ / ٢٥ - ٧ ، وتقريبا كل الأحداث المحلية في هذه الفقرات قد

- ٣٦٩١ -

سبقت روايتها من قبل « د » (٥٠) في صور أكمل كثيرا ، حيث فيها هذه الرواية الثانية مجرد تلخيص واضح تماما وبدقة ، وبكلمات أخرى إن هذه المادة كانت في الحقيقة موجودة في « و » وحفوظ عليها من قبل « د » فيما يمكن أن يفترض أنه كان مكانها الأصلي في قسم ما قبل ١١٩٧ من تاريخه ، ولكنها على ما يبدو قد اختصرت من قبل « و » الذي انتقلت منه مع البقية إلى « أ - ب » وأيضا مع أن ذلك كان لدى نقطة مختلفة - إلى « ي » ومن ثم إلى « س ج » و « غ ج » (٥١) والشيء المهم هو بالطبع أنها وجدت بطريقة ما طريقها إلى « د » هو نص للفترة التي تنتهي في ١١٩٧ ، أو غير معتمد على « ز » وسبب ذلك واضح : بعد ١١٩٧ عندما يتوقف « و » ويأخذ « د » مصدرا جديدا ، وذلك المصدر هو « ي » الذي كان كل من « س ج » و « غ ج » يستمدان منه باستمرار ، ومتبعا هذا المصدر مع النقص المعتاد في قدرته على تصنيف نص حقيقي متماسك ، يذسخ « د » بشكل أعمى هذه الأقسام عن أرمينية ، غافلا عن حقيقة أنها ليست أكثر من رواية متنبية لجزء أبكر من نصه .

وبصرف النظر عن هذا التنوع ، هناك فقط فقرتان قصيرتان أخريان ، حيث ليس هناك أي تباعد بين مختلف النصوص ، وتغطي الأولى الاستيلاء على جبلة وبيروت ومحاولة اغتيال عموري (٥٢) وهنا يعطي « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز بشكل أساسي الرواية مثل « أ - ب » ولكن بصورة موجزة جدا وترتيب الأحداث معكوس : والفقرة الثانية ، رواية محاولة ختن تانكرد ، غوتير دي برين . إعادة الاستيلاء على أبوليا (٥٣) ، وهي حالة صريحة لاختصار قاس من قبل « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز للنص الذي أعطى في « أ - ب » ، ومن أجل بقية قسم ١١٩٨ - ١٢١٦ فإن كل النصوص تغطي الرواية نفسها ، مغطية الحملة الصليبية الرابعة والأحداث في الامبراطورية البيزنطية حتى ١٢٢٨ ، التي وصفت على شكل مقتطفات ، ورواية أكثر شمولاً عن الامبراطورية الرومانية المقدسة من عام ١٢٠٨ إلى ١٢١٦ ، وهنا بعد وفاة

اوتو الرابع وانتخاب فريديريك الثاني ، يقدم انقطاع طبيعي نفسه :

'Ci endroit dist li contes que il vos laira a parler
dou roi Fedric d'Alemaigne . . . si dirons de la terre de
Jerusalem.^(٥٤)

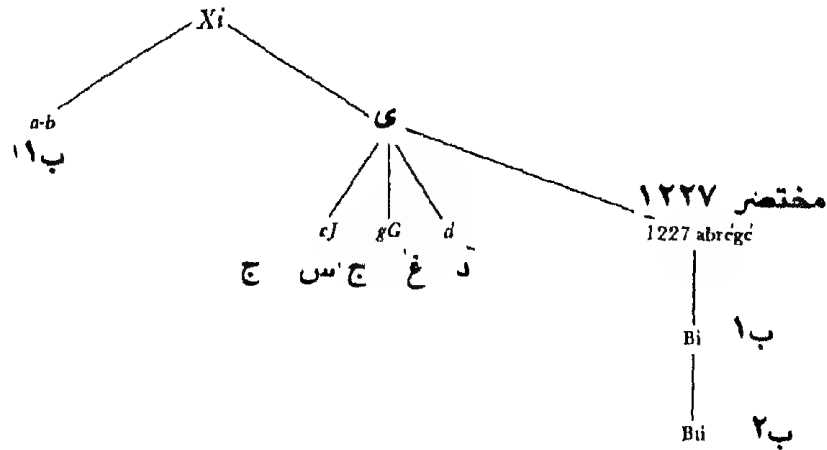
والترتيب الزمني لكل الحكايات متعاقبا بشكل معقول ، وقد
توقف فجأة فقط بسبب انقطاع في مادة الموضوع ، وقفز الان من
١٢١٦ رجوعا مباشرة الى ١٢٠٥ حيث بدأت الحكاية من جديد
بوفاة عموري .

وبالنسبة للقسم الاول التي انتهى عند هذا التحول المفاجي؛ في
الترتيب الزمني ليس هناك مزيد كبير ليقال حول الموضوع وعلاقة
النصوص ببعضها بعضا ، وكما اصبح واضحا في وصف محتويات
هذا القسم فان جميع النصوص لها مصدر واحد مشترك مع
وسيطين ، « ا - ب » إستمدتا من الاول ، وكل النصوص الأخرى
س.ج « و غ.ج » و « د » والموجز من الآخر ، وليس الوسيطان في
الواقع مختلفين كثيرا الواحد عن الآخر ولا توجد مادة في اي منهما
غير موجودة ايضا في مكان ما من النصوص التي يعتمد الواحد منها
على الآخر ، والآخرى انها تختلف فقط في ان المصدر الوحيد
« س.ج » و « غ.ج » و « د » والموجز يحوي مادة تمت معالجتها في
وقت أبكر في « ا - ب » وتلخص فقرتين لدى « ا.ب » صورة اكمل
منهما (٥٥) .

وهكذا فان المخطط لهذا القسم من النصوص لا يختلف كثيرا عن ذلك
الذي سبق اعطاؤه (٥٦) للقسم المنتهي في ١١٩٧ والاختلافان
هما ان « x » ، التاريخ الاصل لارنول المنتهي في ١١٩٧ لم يعد
يظهر بالمرة و « د » الذي كان حتى ١١٩٧ معتمدا مباشرة
على « x » يرى الان انه معتمد على « ي » وهكذا ارتبط باحكام
ب « س.ج » و « غ.ج » وبالموجز ، وعلاقات النصوص ببعضها
بعضا: القسم ١١٩٨ - ١٢١٦ / ١٢٢٨ التي تغطي من تاريخ

- ٣٦٩٣ -

هرقل ٢٧ / ٦ الى ٣٠ / ١٠ ضمننا ، يمكن بناء عليه ان تعرض
كما يلي



ومن اجل الجزء الباقي من النيدول الذي يأتي ضمن موضوع هذه
الدراسة ، اي الحكاية التي تبدأ في ١٢٠٥ «هرقل ٣٠ / ١١»
وتنتهي في ١٢٣١ لا يمكن العثور على مثل هذا التفسير البسيط
ويقدم النص سمات هامة سواء من وجهة النظر التاريخية او
النصية ، وتتطلب فحصا ادق واكثر دقة مما تطلبه قسم ١١٩٨
- ١٢١٦ وشيء واحد يمكن ان يقال عن حكاية ١٢٠٥
/ ١٢٢٩ / ٣١ عند الاستهلال ، وذلك هو ان هناك في الاساس
روايتان في هذا القسم واحدة في « ا.ب » والاخرى في كل النصوص
الاخرى (س.ج ، غ.ج ، د.د) والموجز وكلها تتفق بدقة كبيرة في
كل اجزائها والتي يمكنها في الواقع ان تعتبر تماما انها تحوي نصا
واحدا من ١٢٠٥ الى ١٢٢٧ حيث تنتهي اقصر رواية للموجز ،

والفضل طريقة موائمة لتحليل هذا الجزء من النيدول بناء عليه هي
النظر الى علاقة رواية ال « ا.ب » بروايات النصوص الاخرى .

وتتمت معالجة اربعة موضوعات رئيسية في « ا.ب » هي : جين
دي برن ، وفريدريك الثاني سواء مستقلين او في تعاملهما مع
بعضهما ، وحرب فريدريك ضد قبرص ، والعلاقات بين ارمينية
وامارة انطاكية ، وحصار دمياط ، ولأن كل واحدة من هؤلاء علاقة
« ا.ب » بالرواية الاخرى مختلفة ، والحرب الامبراطورية
- القبرصية محذوفة تماما من قبل « س.ج » و « غ.ج » و « د » الخ
مثل القسم القصير حول ارمينية ، الذي على كل حال اخذ في
« ا.ب » مظهرا كليا على انه مقحم في الجسم الرئيسي من النص ،
وتختلف الروايتان كليا في روايتهما لحصار دمياط ، والتماثل
الوحيد بينهما في الحقائق الاساسية ، وحتى هذا كثيرا ما يكون
بعيدا عن الوضوح ، ومن اجل الحكاية المتعلقة بجين دي برن
وفريدريك مع ذلك فان الحالة معقدة اكثر كثيرا ، والحكايتان غير
متماثلتين عند النظرة الاولى ، ولكن التحري الدقيق يظهر ان
مادتهما - وان لم يكن ليس طريقتهما في شرحهما متماثلة جدا في
الواقع ، والفقرة التالية هي مثال نموذجي :

المختصر (س ج و غ ج و د متماثلة) ١ ب

Ne demoura gaires puisque li rois
Jehans fu en France que li rois
Phelipes morut Si laissa grant avoir al
roi Jehan, et grant avoir a envoier en
le tiere d'Outremer. Li rois Jehans fu
a Sainte Denise a l'enfour le roi
Phelipe. Apries si fu au coroner le roi
Loys sen fil a Rains. Puis prist congie
en France, si s'en ala a Saint Jakme.
Al reventur k'il faisoit de Saint Jakme
fu li rois d'Espagne a l'encontre a
Burs, qui grant honor li avoit faite en
terre et en mer. Li rois Jehans
rois a feme une sereur qu'il avoit, si
l'espousa et grant avoir li donna.
Quant li rois Jehans ot epousee se
feme si prist congie si s'en ala en
France. Quant il ot esté une piece en
France si prist congie al roi Loys et
as barons si dist qu'il l'en estoit
raler, que li emperere l'atendoit en

li rois Johans se parti de France et s'en
ala en Espagne en pelerinage a mon
seignor Saint Jaque. Et quant il ot fait
son pelerinage, si ala voir le roi de Castele,
qui moult li fist grant onor, et li dona de
beaux dons, et en la fin se acorderent a
ce que li rois Johans esposa une suer dou
roi de Castele et s'en revint o tout lui en
France. Quant il fu venus ne targa gaires
que li rois Phelipes acocha au lit de mort,
si que il fist sa devise et laissa a la Sainte
Terre C L mille mars d'argent, les L mille
en un dou Temple, et les L mille en
la main de l'Ospital; et moult de autres
aumones fist en sa devise beles et granz.
Ensi trespasa li bons rois Phelipes qui
longuement et honorement avoit vescu.
Ne targa guerres apres que ses fiz Loys
fu coronez a Rains hautement et a grant
honor.

Puile por passer mer et por se fille
espouser Il s'en ala, et erra tant qu'il
vint en Puille a l'empereur, (٥٧)

Et quant li rois Johans sot que li
termes aprochoit dou mariage de sa fille
et de l'empereur, s' s'en vint en Puille (٥٨)

لبننا هنا في الأسس الأحداث المروية نفسها في كل
حالة : وفاة فيليب أغسطس وتويج ابنه لويس الثامن ، وأسفار
جين دي بريين في فرنسا واسبانيا حوالي زمن هذه
الأحداث ، وزواجه من برنغاريا الكاستيلية ، وترتيب الأحداث مع
ذلك مختلف تماما ، ويختلف الاختيار أيضا بدرجة طفيفة ، فعلى
سبيل المثال فإن الموجز والنيول متفقان معها عند هذه النقطة
لايذكرون بنود وصية فيليب أغسطس ، ولكنهم من جانب آخر
يصفون بايجاز (تماما قبل الخلاصة المقتبسة) زيارة جين للبلاط
الانكليزي وهي محذوفة من قبل « أ - ب » ولكن ليس هناك عدم
اتفاق كبير في الواقع بين الروائيتين ، وفي هذا أيضا فإن الفقرة
المقتبسة نموذجية في أن الروائيتين تختلفان فقط حول ما إذا ما كان
جين دي بريين قد زار اسبانيا قبل أو بعد وفاة فيليب
أغسطس ، وإذا ما كان قد ذهب الى بورغوس لرؤية ملك
كاستيل ، أم أن الملك قد جاء خصيصا للاقائه وكتلتا النقطتين غير
حيويتين بالنسبة لسياق الحكاية ولتفسير المؤرخ
للأحداث ، والتعارض الكبير في الواقع بين الروايات في معالجتها
الكلية لموضوع جين دي بريين وفيردريك ، هو الباعث الذي يعزونه
لفيردريك لعدم ابحاره في برنديزي مع اسطوله ، فأحداها تؤكد أنه
كان مريضا ، والآخرى تراها كقطعة من التحايل ، ولهذا النوع من
الاختلاف حلقة مألوفة ، وهو مثل آخر للتخمين التساهف بعد
الأحداث ، ويعود الى زمرة حكاية البواعث المعزوة الى قزم هنري
دي شامبين للسقوط أو ربما كما قيل الى اللقاء نفسه من النافذة
ذات الحاجز أو بدون حاجز ، (٥٩) ومثل هذه الفروق الصغيرة
لاتحتاج بأي طريقة ضد مصدر نهائي مشترك للروائيتين ، وانما
تدل فقط على وسيط مشترك لتلك النصوص يتفق بدقة مع كل
منهما (أعني « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز ، وفي
الواقع إن جميع التماثل والاختلاف الموجودين بين رواياتهما

- ٣٦٩٦ -

ورواية « ١ - ب » ، هو الشيء نفسه بالضبط مثل ذلك الملاحظ من قبل من مذوعات قسم ١١٩٨ - ١٢١٦ فيما يتعلق بأخذ بيروت وجبله ، ومحاولة اغتيال أمالك (٦٠) ، والمخطط (٦١) الذي يشرح العلاقة بين الروايتين في هذا القسم مفيد أيضا لروايتهم عن جين دي بريين وفريدريك في هذا القسم الأخير أعني الحرب الامبراطورية مع قبرص ، ومعاملات أرمنية مع انطاكية ، وحصار دمياط . و من أجل هذه الأجزاء من قسم ١٢٠٥ - ١٢٢٧ كما سبق أن لاحظنا (٦٢) لاتعطي الروايات بينة على كونهما مرتبطتان ببعضهما بالمرّة .

ويبقى هناك مشكلة واحدة صعبة ، وهي تتعلق بالنهاية بالقسم ١١٢٠ - ١٢٢٧ من النيول ، وهذه واحدة صعبة ، وهي تتعلق بالنهاية ذاتها لهذا القسم من النصوص ، التي كما يمكن أن يستخلص ناجمة ببساطة من الصعوبة في تقريرها نهاية للتأريخ للفقرة (١٢٢٧ ؟ ١٢٢٩ ؟ ١٢٣١ ؟) المتباعدة في مختلف النصوص ، والوصف المفصل بشكل جيد لمحتويات مختلف النصوص في هذا القسم وفواصل التدقيق الملحوظة فيها ضرورية اذا كان لدالتها أن تصبح واضحة (٦٣)

ولتلخيص الحالة بإيجاز : إن نصوص « س ج » و « غ ج » و « د » كانت على اتفاق محكم وقد أظهرت في الواقع العملي نصا واحدا منذ وفاة أمالك عام ١٢٠٥ مبتدئة في ٣٠ - ١١ في راشيل (٦٤) وأعطى هذا النص نفسه أيضا في الموجز ، مبتدئا في الفصل ٣٥ من طبعة ماس لاتري ، (٦٥) والاتفاق بين « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز يستمر حتى نهاية أطول رواية في الموجز وهي « ب ٢ » هذا وعالجت الفقرة الأخيرة من النص الكامل كما نشره ماس لاتري ميثاق سان جرمانو وغفران فريدريك الثاني (٩ تموز و ٢٨ آب ١٢٣٠) ، وفي الفصل الأخير من برنارد ، والفقرات المقابلة في النيول ، العروض المقدمة الى جين بريين من قبل المواطنين المكروبيين في القسطنطينية ، وتردده في

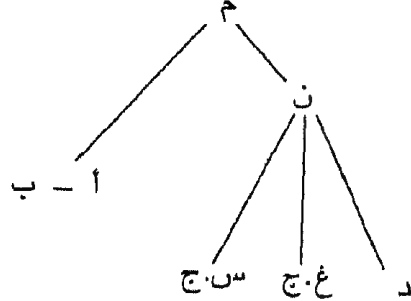
قبول دعوتهم ، وأخيرا رحلته الى هناك وتزويج ابنته للامبراطور
الطفل بلدوين الثاني (أيلول ١٢٣١) ووعده السيادة الشخصية
لجين نفسه مدى حياته ، وفي راشيل (٦٦) ينهي هذا التنوع
الطويل في « س ج » و « غ ج » و « د » ، وفي الواقع ان رواية
« س ج » ، مثل الموجز تتوقف هنا ولكن « غ ج »
و « د » تمضيان في أخذ النصف نفسه مثل « ا - ب » عند ٣٣
١٣ ، ومع أن هذا يشغلهم بالتكرار في ٣٣ ١٤ ١٥ ، فان
معظم المادة التي أعطوها لتوهم هي حياة جين دي بريين السياسية
الجديدة في الامبراطورية البيزنطية ، وبكلمات أخرى هناك نسخ
طبق الاصل واضح ، من نوع يوحى بدين شك بوجود تغيير في
المصدر من قبل مصنف « غ ج » و « د » .

وبنية أخرى عن الفاصل الواضح من النص—وص بين ٣٣
١٢ و ٣٣ ١٣ تعطيها عائلة من المخطوطات ، تقع بشكل عام
خارج اعتبارنا ، ولكن بإمكانها أن توضح عند هذه النقطة بنية
النصوص التي نحن معنيون بها ، وهي العائلة التي تحوي النيل
المعروف باسم روثلين وهو نص سبق لنا وصفه
بإيجاز (٦٧) وهو مختلف كلياً عن كل النيول الأخرى ، وعدا
الأوصاف الجغرافية التي يضمها إنه غير مرتبط تماماً
بها ، والنقطة أنه يبدأ في المخطوطات التي تحوي عليه بالضبط عند
هذه النقطة ، بعد نهاية ٣٣ ١٢ وعليه هناك نيل واحد مشطور
بين عائلة روثلين و « ا - ب » ينتهي عند ٣٣ ١٢ وبعده يبدأ نص
روثلين النيل الخاص به والتميز عن كل النصوص الأخرى ، بينما
يبدأ كل من « ب » و « غ - ج » و « د » عند ٣٣ ١٣ نيلاً
جديداً ، وفي « ب » يتابع هذا من النص المتقدم بشكل مقبول ، وفي
الواقع انه يمكن أن يكون قد كيف لهذه الغاية ، أو على الأقل تكيف
بشكل شامل من قبل المصنف ، ولكنه في « غ ج » و « د » يتابع
بشكل سيء جداً .

والآن عندما نأتي لننظر الى قسم «د» الذي ينتهي

- ٣٦٩٨ -

في ٣٣ - ١٢ (٦٨) نرى مباشرة أن نهايته بالذات تشبه معالجة الأحداث نفسها من قبل « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز بالطريقة الغامضة نفسها التي لا تذكر مع ذلك ، مثل بقية رواياتهم عن فريديريك وجين دي بريين ، حتى أنها في الواقع أحد أجزاء « أ - ب » التي استمدت من المصدر المشترك مع الزيول الأخرى ، والموجز ، وليس أحد الأقسام غير المرتبطة بالمرّة ، والعلاقة بين النصوص من أجل روايتها عن جين وفريديريك هي كما سبق أن رأينا ، (٦٩) تلك نفسها التي بين النصوص للفترة ١١٩٨ - ١٢١٦ - ١٢٢٨ ويمكن أن تمثل بالمخطط نفسه مع أنه من الضروري استعمال حروف مختلفة للمصدر المشترك غير المعروف ، ومن أجل النص الوسيط المفترض ، ومن أجل تفادي الانطباع بأن الوثائق نفسها كانت بالضرورة مشتركة في كل حالة ، وعليه من أجل الموضوع محل البحث وليس غيره ، في القسم ١٢٠٥ - ١٢٢٧ ١٢٢٩ / ١٢٣١ من الزيول ، يمكن أن نمثل اشتقاق المادة التي تشترك فيها هكذا :



يجب الآن أن نأخذ في الاعتبار حقيقة أخرى حول مضمون ١٢ / ٣٣ في نص « أ ب » ، أعني النقطة التي عندها ينتهي ، طالما أننا قد سبق أن ثبتنا أن هذه كانت نهاية مصدر نصي ، المصدر الذي كان مشتركاً بين « أ - ب » وعائلة روثلين ، وينتهي النص هكذا :

: 'Dont il avint puis
que des princes d'Alemaigne, li patriarches d'Aquilée, et li
arcevesques de Sausebore, et le duc d'Osteriche, et le duc de
Merain, et moult d'autres hanz homes vindrent a Rome et
firent la pais, par quoi li empereres fu iust. En y ot plusieurs
covenances en cele pais. (٧٠)

- ٣٦٩٩ -

والدهش ، أنه عند هذه النقطة بالضبط ، أن ببينوا يخبرنا أن مخطوطه عن برنارد قد انتهى ، وفي الواقع إن كلماته الأخيرة قبل الملاحظة على برنارد تعبر مع أنها كما هي عادته ، أكثر إيجازا عن المعلومات نفسها بالضبط :

'Interim Dux

Austriac inter Papam et Imperatorem pacem composuit, et
sic tunc imminens cessavit quassatio Haec de gestis Regis
Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii Qualis
autem fuerit exitus non inveni, vel quod Historiam non
compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus. (٧٨)

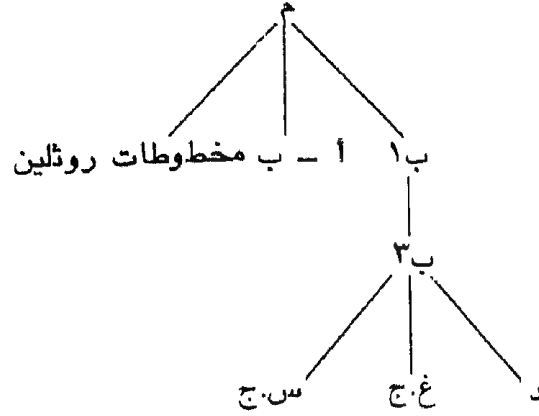
وكما أثبتنا من قبل لم يكن مخطوط ببينوا كاملا ، والآخرى أنه كان نسخة من أول تدقيق أجراه برنارد على تاريخه ، وقد اسمينا النص المفقود « ب - أ » ، وعليه فإن الصورة التي تبدأ في الظهور هي هذه : النص المعطى من قبل « س ج » و « ع ج » و « د » للفترة ١٢٠٥ - ١٢٣١ هو بالضبط نص أطول رواية من الموجز - ب ٢ - النص الذي نشره ماس لاتري ، ولهذا النص ، بالقدر الذي يتعلق بجين دي بريين وفريدريك الثاني ، يحمل له نص « أ - ب » تماثل ، مع أن وجوده لا يمكن إنكاره ، هو مميز ومتنوع ، ساعة قريب ، وساعة باهت ، ويوحى بقرابة بعيدة بين النصين كما هو ممثل في المخطط على صفحة ١٤٥ وعندما تعالج الزيول أي موضوع آخر - مثلا الحرب الامبراطورية ضد قبرص أو حصار دمياط - تبدوان كأنهما مستقلتان تماما وغير مرتبطتين ، ويبقى هذا صحيحا حتى عندما يكون هناك تحول سريع من موضوع الى آخر ، وعليه يجب أن نستنتج أن مصدرها المشترك « م » في المخطط ، كان وثيقة متعلقة حصرا بالتعامل بين جين وفريدريك وأنها انتهت ، كما نستطيع أن نخمن من تغيير التدقيق من نصوص « أ - ب » وروثلين ومن التداخل في « غ ج » و « د » في أب ١٢٣٠ ، النقطة التي عندها يخبرنا ببينوا أن « ب » قد انتهى أيضا . ولكن « ن » النص الوسيط الذي أخذ عنه « س ج » و

« غ ج » و « د » للموضوع نفسه ، يتابع بدون انقطاع ملحوظ خلال أيلول ١٢٣١ .

وجواب النص واضح الآن وفي وصف « م » و « ن » ووصفنا بدقة في الواقع روايات جين دي بريين وفريدريك بأنها موجودة في « ب » كما نعرف من ببيزو ، وفي « ب ٢ » كما هو بابق في الوقت الحاضر ، هل هو إذا صحيح أن نص « م » هو « ب » و « ن » هو « ب ٢ » ، وهذا للمبالغة بالتبسيط ، إذ بينما لا معارضة هناك في تشبيه « ب ٢ » بذاته « ب » ن « فإن كل البيئات في الواقع تؤيد ذلك ، و « ب » فقط يشبه « م » لأن المادة حول هذا الموضوع واحدة ولا شيء آخر ، وهكذا يبدو أن « م » كان حريا به أن يكون المصدر الذي أخذ عنه برنارد ، عند تصنيف « ب » ، من أجل المعلومات حول جين وفريدريك التي أخذ عنها أيضا ، للغرض نفسه من قبل مصنف « أ - ب » والنصوص التي بعد ٣٣ / ١٣ تنحرف في تكمله روثلين ، وهذا الجواب يفسر كل الحقائق التي يمكن ملاحظتها : الطبيعة الغامضة للتشابه بين الروائيتين ، الطريقة التي يختلف بها التوافق في هذا الموضوع ، بالاستقلال التام في كل المواضيع الأخرى ، وتبديل التنقيح عند ٣٣ / ١٣ في « أ - ب » ونيل روثلين ، وغياب مثل هذا التغيير عند هذه النقطة مع التكرار الثاني للمعلومات ، في ع ج و « د » كان الوسيط « م » هو « ب » وكان المصدر المشترك لكل النقول « م » ، وبدقة كانت تتعامل مع موضوع واحد فقط انتهى في آب ١٢٣٠ ، وهو الذي خلطه مختلف المصنفين بما فيهم برنارد بمواد الموضوعات الأخرى ، وهي ربما من مصادر أخرى ، أو ربما مكتوبة من قبلهم هم أنفسهم ، ليخرجوا إلى محصلة واحدة هي أن النقول التي لدينا الآن للفترة ١٢٠٥ - ١٢٢٧ في رواية « أ - ب » ومخطوطات روثلين ، وفي الآخر أي نص « ب » المفقود ، المعروف لدى ببيزو ، وهذا الأخير قد وسع بالتالي من قبل برنارد إلى ١٢٣١ مشكلا النص الذي نعرفه على أنه تاريخه « ب » ومن هذا استمد مصنفو روايات الهرقليات الموجودة في « س ج » و « د » لكامل الفترة ١٢٠٥ - ١٢٣١ .

- ٣٧٠١ -

وعليه من أجل تاريخ جين دي بريين وفريدريك الثاني ، والغفران لفريدريك في آب ١٢٣٠ ، يمكن أن نصور انتقال المعلومات من نص إلى آخر هكذا :



وتوضح لنا هذه المعرفة أكثر ، كلا من البنية في تلك الفترة للذيول ، وأيضا المصادر ، وتركيب تاريخ برنارد ، والطرق التي استعملها في تصنيف روايته ونحن واثقون الآن أنه من أجل تاريخ جين دي بريين وفريدريك ، حتى آب ١٢٣٠ ، كان لديه مصدر مكتوب - م - وبالقدر نفسه يبدو واضحا أنه بعد هذه النقطة باتت مادته أصلية ، ومازلنا لا نعرف بالطبع من أين جاء هو أو بالأحرى مصنف موجز ١٢٢٧ ، ببقية المائة للفترة ١٢٠٥ - ١٢٢٧ ، أو إذا ما وجد نصا مكتوبا بالمرّة ، ومرة أخرى واضح الآن أن تاريخ برنارد ، في تنقيحه الثاني ، عمل كمصدر لنص تاريخ هرقل الوارد في روايات « س ج » و « غ ج » و « د » على الأقل من أجل الفترة التي تسبق مباشرة ١٢٣١ ، والأكثر احتمالا ، بحكم استمرار نصوصها من ١٢٠٥ إلى ١٢٣١ ، من أجل كامل هذا القسم ، وبكلمات أخرى ليس ببيدو في الواقع أول مؤرخ يستعمل عمل برنارد كمصدر ، فقبل أن يكتب بزثن طويل استخدم ثلاثة من مصنفي الهرقليات بالفعل جزءا جوهريا من تاريخ برنارد كجزء من عمل أكبر ، وبتكليف أقل كثيرا مما وجد ببيدو فيما بعد أنه مرغوب ، وأقدم مصنف الهرقليات . هو الرجل الذي أنتج رواية « س ج » التي تنتهي في ١٢٢١ ويمكن أن يكون قد عمل بعد وقت

- ٣٧٠٢ -

قصير نسبيا بعد برنارد ، وإجمالاً يبدو مع ذلك ، كما يجب أن نقر ، أن برنارد لم يكن أصليا بوجه الاجمال وكانت مقدرته على تصنيف تاريخ متماسك ، وهام ، ومفيد اعتمادا على انتاج أناس آخرين ، هائلة . وموهبته ، وقيمة عمله ، كان معترفا بها كما يبدو بسرعة جيدة من قبل مصنفين آخرين ، وهم الذين حكموا بأنه جدير بأن يشكل قسما من المصنف الذي استمد أيضا من التاريخ الهائل القيمة لشاهد العيان أرذول والذي امتدت بداياته الى مؤلف ليس أقل قيمة ومكانة من وليم الصوري نفسه .

الفصل التاسع

مكانة النذول في الادب الفردي القديم

من دراسة الفرع الاول من النذول والتواريخ المرتبطة به ، كادب ، ومن محاولة لاصدار اي نوع من الحكم الادبي عليه ، نواجه على الفور بعدد من الصعوبات ، والصعوبة الرئيسية اننا هنا لانتعامل مع مؤلف واحد ، لديه هدف واضح تقريبا من الكتابة ، يمكن الحكم عليه بالمدى الذي توصل اليه في بلوغ هذا الهدف ، ولانقدم نحن عرضا ملموسا لنوع ادبي خاص ، له معايير الخاصة ، المتصلبة او المرنة كما هي الحالة لنقل : مع تراجيديا كلاسيكية ، ولانحن حتى نتعامل مع عمل قصصي خيالي ، يرى بسهولة أكثر من قبل النقاد الحديثيين على أنه فن أكثر منه كتلة مواد قدمتها احداث حقيقية ، او على الأقل اتت من احداث يزعم انها حقيقية ، وماعندنا في هذه التواريخ هو كتل من الكتابات ذات المضمون المتنوع ، مرت عبر ايادي كثير من الكتاب ذوي الاعراض المختلفة ، والنظرات المتباينة نحو مهامها والطرق المتعددة لانجازها ، وواضح ان اي جدارة ادبية يمكن ان تتوافر في هذا الخليط يمكن فقط احتمالا ان تكون خاصة بالقطع المتفرقة ، اذ ان الكل هو على الاكثر ناتج عن المصادفة اكثر منه عن التصميم .

حتى ولو قررنا ان نأخذ كل عنصر من التواريخ على حدة بقدر الامكان ، فان مهمتنا ماتزال غير واضحة المعالم . ان نعتبر انه من الادب بالمرّة جذسا هو المقام الاول اخباري اكثر منه تزييني ، اجراء صلاحيته هي احيانا موضع جدل .

فرو داف برومر مثلا في استعراض للنثر القصصي القديم ، استبعد عامدا كل التواريخ من دراسته من بدايتها .

'da es sich bei ihr
nicht um erzählende Prosadichtung handelt, sondern um eine
Gattung, die der wissenschaftlichen Darstellung' nahekommt.
Aber es gibt auch Grenzfälle . ')

وعلى الرغم من هذا الوصف الأخير ، مع ذلك لم يقر برومر
كحالات جانبية أيا من النصوص التي هي موضوعنا ، مع ان اثنين
منها على الأقل ، الموجز وتاريخ بلاد ماوراء البحار ، ليهما
ادعاءات غير قابلة للتغيير لهذا الوصف ، ان يحتويان على نسب
عالية جدا من التوجهات الأدبية ، وهما ليس حقيقة كتابة تاريخية
حرفية وبالطريقة نفسها ان للذيول كلمة *wissenschaftlich* ،
وهي آخر كلمة يمكن للمرء ان يستعملها لوصفها .

وعلى أسس أكثر عمومية أيضا ، يمكن للمرء ان يجادل استبعاد
حتى الاعمال غير الخيالية تماما من استعراض ظهور النثر باللغات
الدارجة ، وعدم أصالة المادة لاتوحي بالضرورة بعدم اصولية
الطريقة ، لاسيما في هذه الفترة ، وبقراءة التواريخ ، كثيرا مايمكن
للمرء ان يصدم باخفاق المؤلف في تحقيق اسلوب مؤثر مدهش يحظى
باهتمام القارئ ويساعد في تغطية مايريد المؤلف جعله يعتقد به
ويشعر حيال الموضوع الذي بين يديه ، ولكن هذا ليس القول نفسه
بان المؤلف ليس لديه احساس بالاسلوب ، وان ضعفه الاسلوبي
يأتي بفعل الاهمال أكثر منه بفعل العجز ، ولا هو يدعم بالمرء الادعاء
الذي جاء به برومر ، بان مثل هذه الاعمال ليست الموضوع المناسب
للاحكام الجمالية وما هو أكثر ، ان استبعاد الكتابة التاريخية من
اي دراسة على ظهور النثر باللغات الدارجة يبدو أكثر عدم قابلية
للتسوية طالما انها كانت واحدة من اول الحقول التي كان الوسط
الجديد مستعملا فيها على نطاق واسع ، واخيرا هناك حقيقة ان
التمييز بين الحقيقة والخيال هو في بعض التواريخ غير واضح جدا ،
وهذا بحد ذاته دالا على عقلية المؤلف ويستحق ان يؤخذ في الاعتبار

لذاته ، واجمالا يبدو ان التواريخ ليست فقط موضوعا مناسباً للفحص النقدي كأمثلة للأدب الفرنسي القديم ولكنها يحتمل ان تكون مجزية بشكل معقول في هذه الناحية .

ولنأخذ أولاً العلاقة بين الحقيقة والخيال ، ان عملاً يعلن عن نفسه انه كسجل للأحداث الحقيقية يحدث فرصة فريدة لنا لكي نرى اثناء العمل معايير المؤلف للحقيقة ، مقابل فكرته عن الواقع او الصدق وبالطبع يمكن استخدام الخيال لنقل هذه الامور الثلاث كلها ، أي الحقائق ، بمعنى حوادث خارجية قد وقعت فعلاً ، ويمكن البرهنة على وقوعها ، او انها حقيقة بالمعنى الذي استعمل فيه اورباخ الكلمة وهي الحقيقة النفسية الداخلية ، او الصدق كما رآه الشاعر ، سواء فلسفياً او شعرياً ، ففي الحقيقة لم يذهب دانتى - بالمعنى التاريخي الحرفي - ليطمش في الغابة ويقابل هناك نمرا وسبعاً وذئبة ، واخيراً شبح فرجيل ، وانه لم يبذل في الواقع اي محاولة لاختفاء قصته الخيالية ، لان اول سطر بالذات له فيها يخبرنا بان طريقه كان 'cammin di nostra vita' ولكن ما ان استرسل في القصة حتى اكملها دون ان يذكر بانها قصة خيالية واستعملها في نقل الحقيقة كما بدت له ، ومثل هذا جين دي مويين - مكتفين باسم واحد - استعمل قصة خيالية ، وضمن هذه القصة الخيالية قصة أخرى ، وينقل هذه المرة حقيقة ، بل على كل الاحوال شيئاً ما بدع له انه حقيقة ، بمعنى اورباخ ، وايضاً قد معيناً من المعلومات الحقيقية ، وبالنزول الى مستوى اكثر واقعية حتى ، لنقل الوقائع بالقصص الخيالية ، فان اولئك المؤرخين الذين يروون ان غودفري بوليون رفض ان يضع تاج بيت القدس من منطلق الاحساس بالتواضع على افتراض انه اعتقد ان الرفض كان حدثاً تاريخياً (٢) ، ولكن هذا لم يكن اهتمامهم الرئيسي في رواية ذلك والآخرى انهم كانوا مهتمين بما تقوله عن شخصية غودفري ، واذا كانت الحادثة لم تحدث (او لم تقع في الواقع) فانهم كانوا مضطرين لاختراعها ، ولم يكن الاختراع لينقص من امانتهم الخاصة او القيمة الرمزية للقصة ، وعند فحص قصة كهذه يسأل

المؤرخ نفسه هل حدثت ام لا ؟ ولكن الناقد الادبي يسأل هل اعتقد الكاتب انها حدثت ؟ وهل اهتم فيما اذا كانت قد حدثت ام لا ؟ ويهتم المؤرخ في المقام الاول بما يمكن المؤلف ان يقول حول الاحداث المعاصرة ، والعقلية المعاصرة ، ولكن الناقد يسأل : ماذا كانت معايير المؤلف عن الحقيقة ، ومالذي اعتبره كمادة موضوع جديرة باهتمامه الادبي ؟ وبهذه الطريقة فان حكاية تاريخية منتحلة تقدم مادة لتحرياته ، لم يكن توفرها بواسطة عمل قصصي خيالي صريح ، لان لديه في روايات اخرى الاحداث نفسها ، وفي الشواهد الاثرية ، مقياس لما هو حقيقي وماليس كذلك في مادة المؤلف ، ومع انه لا يستطيع دائما ان يكون واثقا بشكل مطلق ، فانه يستطيع ان يمضي في بعض الطريق نحو فصل الحقيقة عن الخيال ونحو القصة الخيالية التي يقصد بها فصل الحقيقة او الواقع ، او الصدق عن القصة الخيالية لذاتها .

وبكلمات اخرى للتخيل وظيفه في نقل ماليس خياليا بذاته ويستعمل لهذه الغاية من قبل المؤرخين ، واذا كان الكلام المباشر يعطي معنى اكثر اقناعا ، فان المؤرخ لن يتردد في وضع الحوار الضروري ، وتأكيد ان الشخصيات قالت تلك الكلمات بدرجة الاقناع نفسها التي يؤكد بها ان المشهد جرى ، حتى لو كانه نفسه يعرف بأنه قد اخترع الواحد وليس الآخر ، ويمكن ان لا يتوازن هذا مع فكرة المؤرخ التاريخي حول الدقة ، ولكنه صحيح وبشكل واضح كاجراء فني ، ويكون ناجحا عادة ولكن يجب الاقرار بان حدود الاستعمال الصحيح للخيال بعيد عن ان يكون مصورا بوضوح في هذه الفكرة ، او الاخرى انه يجب ان نقول بانه لم يصور لانه يمكن ان تكون هناك حدود وراءه ، ولذلك يصبح استعماله غير صحيح ، ويحتمل انه ليس من المبالغة القول بانه حيث تكون لدينا حكاية واقعية نسبية وغير مزوقة مثل حكاية فيلها رين ، فانها ناتجا اليا لمزاج المؤلف اكثر من كونها محاولة مقصودة لازالة غموض الافكار المعاصرة لها حول الحقيقة ، وبشكل عام فان اي شيء يمكن اعتباره قابلا للتصديق في عصر كان جيوفري اوف مونماوث قد اخذ بجديته .

والفصل بين مؤرخ كان يعمل بهذه الطريقة في حينه عن كاتب مثل كويتيان بي ترويس ، الذي كان بإمكانه أيضا ان يأخذ قصته جاهزة ، ويعد العمل فيها بشكل يبدو اعتباطيا تماما ، والمؤرخ مفيد بمادته اكثر من كاتب القصص الخيالية ، ولكن ليس الى حد ان لاشيء قد ترك الى قداته الابداعية : فاذا وفرت الحقيقة كل مادتها تقريبا ، وقررت السياسة الى حد بعيد التوجه ، فان اللزمة تخصه كلية والفرق بين كاتبين هو في الدرجة لا في النوع وكلاهما مبتكر بطرق مختلفة واعمالها بناء عليه قابلة للنوع نفسه من النقد ، والفرق هو انه في احدى الحالتين ان مثل هذا النقد سينطبق على كافة العمل ، وفي الاخرى على ناحية واحدة فقط منها : ويمكن ان يكون التاريخ بفيضا من ناحية الاسلوب ومع ذلك يبقى مديدا للمعلومات القيمة ، وعلى العكس فان الاسرة الجمالية التي نحصل عليها في عمل يمكن ان يدوم طويلا بعد ان تكون قيمته العملية قد ذوت : فما الذي يبحث عنه القارئ الحديث في كتاب « كتاب تيسوس » (٢) من النصائح العملية حول فن الحكم الجيد ؟

وبكلمات اخرى ، هناك نوعان مختلفان متميزان يمكن ان نطلبهما من عمل غير خيالي اعلامي وجمالي ، ولا يحتاج الاثنان للوجود في نسب معاكسة احدهما للآخرى ، وانها فكرة حديثة جدا الاحساس بالتزيين على انه ينقص من امكانية الاعتماد على عمل وتوقع طبيعة المضمون للحكم سلفا على الاسلوب ، وعليه فاننا لانجد ان تاريخ ما وراء البحار مكتوب بتفصيل اكثر من - لنقل - ترجمة وليم او نيل « ا - ب » مع انه اقل واقعية بكثير من اي من هذين . وفي الواقع ان النص الذي التقطناه على انه الأكثر بالمعلومات ، اي نيل (د) هو كما سوف نرى أيضا واحد من أفضل ماكتب متعة ، فالكاتب لم يكن مقيد في اختياره للأسلوب برغبته في ان يكون دقيقا .

وهو مقيد مع ذلك وبشكل جدي باللغة التي يستعملها في وسط ادبي حديث هو حتى الان غير موائم بالمرة لمهمته ، وحيث ان كاتب

ايمان سترا سبورغ وهو اول من حاول كتابة شيء يمكن ان نسميه
فرنسيا ، كان عليه ان يبتكر وسائل جديدة من اجمل المعاني
الجديدة ، وايضا كان على هؤلاء المؤرخين الفرنسيين المبكرين ان
يبتكروا تعابير جديدة باللغة الدارجة من اجل المادة الجديدة التي
كانوا يعبرون عنها للمرة الاولى نثرا باللغة الدارجة ، وقد فحص
بشكل مرض من قبل ب - م - سكون من اين حصلوا على كثير
من الوسائل وتبين انهم اخذوا الكثير من اسلافهم المؤرخين اللاتين
والكثير ايضا من الطرق والاعمال التي كانت عادة متبعة من قبل
الشعراء الجوالين ، الذين مثلهم كثيرا ما تعاملوا مع شخصيات
بطولية ومأثر عسكرية ، واحرزوا مجموعة واسعة نوعا ما من
المفردات المناسبة للغرض (٤) ، ومن اجل الباقي كان على المؤرخين
ان يحسنوا الارتجال ، وكان القصور الرئيسي في اللغة الدارجة في
امكانياتها المحدودة في تركيب الجمل قد اتضح كثيرا في الترجمة
الفرنسية لتاريخ وليم ، حيث تصور عجز القدرة على تركيب الجمل
الفرنسية باد بوضوح خاصة بالمقارنة مع الامكانيات الاسلوبية
الكبيرة في اللاتينية التي كان وليم كاتبها مقتدرا بها ، على سبيل
المثال قوله : « وعلاوة على ذلك ارسل خليفة مصر ، وهو الحاكم
الكافر الاقوى بين جميع الحكام الكفرة بسبب ثرواته وقواته
العسكرية » (٥) .

وهذه تشبه لا بل هي ، جملة لاتينية بسيطة تماما . وهناك عبارة
رئيسية واحدة ، عبارة وصفية تصف الفاعل ، وعبارة موصولة
تابعة تصف المفعول . ولكن عندما ننظر الى الترجمة الفرنسية ، فان
رقة اللاتينية البسيطة جدع ، والفن الذي يتكتم على فن ، يصبح
ظاهرا على الفور : 'Entre les autres mescreanz princes, li califes

d'Egypte estoient [sic] li plus puissanz de genz et li plus richès
d'avoir. Icist envoia ses messages as barons qui estoient en l'ost.
Si vos dirai par quele achoison. (٦)

ويتضمن هذا بالضبط كل معلومات الاصل ، ولكنه لا يحصل شيئا بالمرّة من الاسلوب ، وللتأكيد ، هناك طرق يمكن للمترجم ان يقوم فيها بوظيفة افضل بالمواد نفسها ، وعلى سبيل المثال لانرى المرء سببا لعدم اختيار .

كما هي قائمة للاداء بدلا من العبارة الاطول ولكن هناك عدم مواءمة اساسية فعبارة هي من قبل التركيب الشائع ، حتى اننا من قراءتها لانلحظ انها اداة اسلوبية بارعة ، ولكن بالتمعن بالتوسع المطلوب لتأدية المعنى نفسه باللغة الفرنسية القديمة نبدا ندرك بالضبط كم هي معبرة واقتصادية ومقدر الخسارة عندما لايمكن ايجاد تركيب مماثل ليحل محلها والفرق الرئيسي بين الاصل والترجمة على اي حال هو الذي له اعظم تأثير جذري ، وهو الافعال الرئيسية - واحد في اللاتينية وثلاثة في الفرنسية ، وآخر واحد مسبوق بكلية الوجود ويمكن ان تأتي المرادفات مستقلة في « اناشيد العمال » حيث تكون العبارات القصيرة الملائمة للنظر المناسبة للخطابة هي بالضبط ما تدعو الحاجة اليه ، وحيث يكون القراء قد نسوا ماذا كانت بداية الجملة ، اذا ادخل من العبارات التابعة (الثانوية) اكثر مما ينبغي قبل النهاية ، ولكن بالنسبة لقارئ ووجه بحكاية نثرية مطولة فانه يصعب ان يكون مثاليا . ومع ذلك فان الفرنسية القديمة ، على الاقل في الفترة التي تتعامل معها ، كانت ما تزال تعمل لان تكون في الاساس لغة مترادفات ، والمؤلف الذي حاول استعمال جمل طويلة فعل ذلك مخاطرا بقرائه كما سيبين هذا المثال من تاريخ هرقل :

Il avint quant Androines ot copée la teste a Alexe, qui avoit l'empire
de Costantinople en se garde et l'enfant, qui fu fiz de l'empeor Manuel;
vint lors Androines, si se pensa d'une grant traison, et par le conseil d'un
suen escrivain, qui avoit nom Langosse. Adonques fist il prendre le juene
enfant, qui baron estoit de la fille dou roi de France Loys, que il devoit
garder en bone foi, et le fist metre en un sac, et porter en un batel par
mer et le fist gecter ens, et fu noïés. (٧)

والمشكلة هنا أن هاتين الجملتين هما في الواقع لا شيء سوى سلسلة طويلة من السبارات المتتابعة ، وكلها مترابطة بكلمة (أ) أو باسم موصول وظلها تحمل الوزن نفسه مثل بعضها ولا تملأ واحدة على الأخرى .

والانتطباع الاجمالي هو عدم النظام ، وما هو أكثر انذا في « غ ج » و « د » نجد عند هذه النقطة : الجمليتين نفسيهما مملأ واحدة :

La nuit quant Androines ot la teste copée a Alex qui avoit l'empire de Constantinople en sa garde et l'enfant qui fu fis l'empereor Manuel, vint lors Androines, si se pensa d'une grant traison, et par le conseil d'un sien escrivain qui avoit a non Langosse, et fist une nuit prendre le jeune enfant qui baron estoit a la fille dou roi de France Loys, que il devoit garder en bone foi, et le fist metre en un sac et porter en un batel par mer et le fist geter ens et si fu noiiés. (A)

إن هذا حتى أكثر تلونا وتشتتا ولكنه يعطي صورة مصدولة أكثر ويجب أن تقبلها كأفضل قراءة » *lectio difficilior* « التي حاول مصنف « أ - ب » تحسينها وتوضيحها ، ولكنه لسوء الحظ أضاع المعنى (٩) في العملية وفي كليهما غموض في المعنى في النهاية : فقد كان اندروان الفاعل لكل فعل حتى الأخير منها ، والنظرة السليمة ، وليست القواعد ، هي التي تخبر القارئ بأن هناك تغيير في الفاعل عند 'et si fu noiiés'.

وهذان المثلان يصوران على الفور تأثير اللاتينية على اللغة الدارجة التي أخذت في الظهور ومحاولة تقليد توازي « *divitiis et militia* » نمونجية وأيضا إن القصور ، وهو ذلك المتأصل في اللغة ذاتها ، وفي اختيار وعرض المادة له تأثير أكثر ظهورا بكثير ، وهنا يبدو التباعد بين التواريخ

الصرفية ، والذبول الصحيحة والتصانيف « المختلطة » ،
والموجز ، وتاريخ بلاد ما وراء البحار أكثر وضوحا . وهو مرتبط
بهوية كثير من موادها ، لأنها تنتمي في الواقع الى انواع أدبية
مختلفة تماما . وليس هناك فروق جذرية في اللغة المستعملة أو في
القائمة المتحركة منها ، وكل الخصائص الموصوفة من قبل ستكون
موجودة في هذه التواريخ كما هي في التواريخ التي حللها ، وتكمن
الفروق كليا في تطبيق الوسائل نفسها على مختلف الغايات فهل
يمكننا حقا أن نسمي الموجز والتاريخ مبدئيا مصنفات تاريخية
بشكل مطلق ، أم أن الأخرى بها أن توصف كقصص خيالية
(رومانسية) تصادف أنها ذات مضمون تاريخي عالي كاسلاف
الرواية التاريخية الحديثة ؟ وللإجابة على السؤال من الضروري أن
نسأل ليس فقط ما هي محتوياتها ، ولكن ما الذي ذوى المصنف أن
يصنعه من هذه المحتويات ، وذلك بقدر ما يمكننا أن نحكم على
مقاصده من خلال تصنيفه .

ويبدو عند النظرة الأولى أن الموجز يحوي تشكيلة مدهشة من
المواد ، ويلقي على القارئ انطبعا بعدم التنظيم وعدم
الوحدة ، فهو يقفز من موضوع لآخر ويتناول وصفا طويلا لبيت
المقدس في مكان يقطع فيه التوتر الصاعد للحكاية بطريقة باعثة على
منتهى الازعاج (١٠) ، وبشكل عام يبدو وكأنه مبني على حبل طويل
من الأفكار المرتبطة مع حبال أقصر تتفرع عنه حسبما وعندما يجد
المؤلف ذلك موثما ، أكثر من أن يكون طبقا لخطه مقرر سلفا .

ولكن هنا بالضبط توحيد وحدته ، والمؤلف أو بدقة أكثر المصنف
كان لديه فكرة في ذهنه ، واختار مادته ورتبها حول تلك
الفكرة ، وقد أعلن كما أخبرنا في أول جملة له أنه سيخبرنا كيف
سقطت القدس في أيدي المسلمين ، وكيف فقد الصليب
المقدس ، وكل شيء يوحى به هذا الموضوع يعتبر متعلقا
به ، وهكذا فإن خط الترتيب الزمني للقصة ، وسلسلة الأحداث

بالترتيب الذي وقعت فيه ، ذواتها ثنائية ، ويمكن أن يضحى به بشكل صحيح ، عندما يظهر اختيار من قطار أفكار المصنف ، وهذا المبدأ الموحد الحقيقي للعمل ، وفي هذا المجال فإنه صحيح تماما القول بأنه لم يكتب تاريخا من نوع التواريخ الرومانسية ، بل كتب تاريخا أعد ليخدم هدف حكاية جيدة ، والنتيجة النهائية تشبه كثيرا القصص الخيالية النثرية للفروسية بقدر ما يعنيه شكل القصة فهو يسهب ويتسكع ، مع مكائد ثنائية وشخصيات صغيرة بوفرة ، ولكن يبقى الموضوع مع ذلك واضحا في ذهن ، وهذا صحيح بالطبع عن الموجز فقط حتى ١١٩٧ بقدر ما يستمد من التاريخ الأصلي لارنول ، الذي يأتي منه الموضوع ، وبعد ١١٩٧ فإنه يشبه كثيرا جدا التواريخ الأخرى : رواية مباشرة للأحداث ذكرت عادة بترتيب زمني ، مع درجات مختلفة من الدقة وبدون عنصر الأخبار القصصي ، والخلاصة فإن الموجز كقطعة من الأدب في حينه يمكننا أن نقول أنه حتى ١١٩٧ هو على أي حال حقا قصة ، فيها الموضوع ومعظم المادة قد أخذها المصنف من مصدره ، لارنول الأصلي ، وجعلها بالانتخاب والاختصاص وبعض الإضافات الخاصة به ، حكاية الغرض الرئيسي منها تشويق القارئ ، ولكن في مضمونها الواقعي العالي يمكن أن نتيقن أيضا رغبة قوية ، وإن تكن ثنائية ، في الإعلام والأخبار ، وبعد ١١٩٧ ، يبقى فقط ثاني هذه الأهداف ، وباقي الموجز بالتالي أقل امكانية للقراءة بقدر كبير ، وهو أجمالا ليس عملا له أي جدارة أدبية خاصة ، مع أنه شائع بقدر كاف .

وفي حالة تاريخ ما وراء البحار ، غير المنشور ، وغير المعروف تقريبا ، فإن تقنية خلط الحقائق بالخرافات وتربطها جميعا وتصورها للموضوع نفسه هي حتى أكثر وضوحا ، لأن الإقحامات القصصية الخيالية واضحة تماما ولها هدف واضح ، ولم يبال المصنف حقا بالمرّة إذا ما كان صلاح الدين حقا قد منح سرا رتبة فارس أو إذا ما كان قد تحدر من كونتات بونثيو ، ولكنه رغب في لفت

الانتباه الى ذلك الوجوه في شخصية صلاح الدين التي كان هدف هذه القصص هو شرحها ، وعلى العكس رغب في رسم صورة نفسية اكثر اقناعا لبطله بتقديم ايضاحات لما يمكن خلافا لذلك أن يرى كعناصر متنافرة في شخصية رجل كان هو فوق كل شيء العدو الرئيسي للفرنسيين ، أي لقراء المؤلف وجمهوره ، ويرى صلاح الدين بوضوح من سلوكه في مجرى التاريخ الصحيح الذي يحتويه الكتاب ، كشخصية ذات سمات معقدة ، لذا توجب أن يتزود بـماض يتوافق مع هذا ، والمعايير التي اختيرت وفقها أحداث هذا الماضي ليست لأنها قد حدثت حقا أو حتى لأنها تتواءم ببسر مع بقية القصة ، وهو ما لم يحدث ، بل مع متطلبات ليسنغ لأي قصة خيالية مقنعة » *'es hätte geschehen können.* «
وللتأكيد ، إن فكرة القرن الثالث عشر عما يمكن أن يكون قد حدث قد اختلفت بدرجة واسعة عن فكرة زمان ليسنغ ، ولكن *mutatis mutandis* مازال المبدأ الذي يطبق .

وعليه فإن الموضوع الموحد في التاريخ هو نفسه كموضوع الموجز ، موجود في ذهن المؤلف ، ولكن مع أن كليهما لديه ظاهريا الموضوع نفسه أي ضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، فإن التاريخ في الواقع مشغول أكثر بكثير وبثبات بموضوع صلاح الدين ، وهو انشغال مرئي بشكل رئيسي في الحكايتين الخياليتين المقحمتين ، وأيضا في الفقرات الواسعة نوعا ما التي تتعامل مع حروبه ضد ملك الذوبة ، والتي لم تذكر في أي من النصوص الأخرى بالمرّة . وهنا يصبح العنصر الموحد الثانوي في هذه الأعمال ظاهرا أيضا ، أي وجهة نظر المؤلف في موضوعه ، وهذا أكثر أهمية في التاريخ مما في أي من النصوص الأخرى ، وأكثر أهمية حتى من الابلينيون في « د » إذ أن ولاء المؤلف لهم جعل التاريخ الذي يحتويه بلا شك منحازا في الواقع الى حد مساعدتنا في التعرف على تغير المصدر ، وما يزال عاملا واحدا فقط في الحكاية الأوسع كثيرا . وفي التاريخ لا يكتفي موضوع صلاح الدين بمجرد تلوين الحكاية كما

- ٣٧١٤ -

فعل موضوع الابليسيين في « د » ، بل هو مهيمن على كل العمل . وهذا المعنى القوي لنية المؤلف وهو الانطباع الذي يمكن أن يستطرد فيه أحيانا مع أنه لن يزعجنا بحكاية تافهة ملتوية ، ويساعد في جعل التاريخ أخف كثيرا وأكثر تسلية من الموجز ، الذي يبدو أحيانا كأنه قد فقد كل حس بالاتجاه ، وعامل آخر في تأليف التاريخ يجعل المرء يأسف هو تعذر الوصول اليه وفقر المعلومات بسبب عاة الشرود لدى مصنف إحدى المخطوطات (ب ن ف فر ٧٧٠) بوضع التفاصيل الصحيحة في النص بصورة تنتهك احساسه بالدقة ، من ذلك على سبيل المثال :

'Sor cele mer fu
çou que Nostre Sire fist de l'aighe vin quant il fu as noces de
Sainte Eglyse, mais non pas d'Archedeclin com on dist en ces
roumans rimés. Archedeclin fu uns asaieres de vins. Nan pour
quant il estoit princes entre les mengans, et ce fu fait en la cité
de Tabarie, (١١)

وهذا ليس صحيحا فقط بل مسل ، وهكذا نغفر للمؤلف النفحة المميزة من تهنتة النفس ، التي بها صحح مصدره الخاطيء ، وأسهمت هذه الملاحظات في التنوع الواسع تماما في الأسلوب والموضوع الموجود في التاريخ ، والذي يعني لأجل ذلك كله أنه نص لا يعتمد عليه لأنه بمزجه بين الحقيقة والقصص ذات الخيال الصارخ يتركنا أحرارا في تكذيب مضمونه ، وذلك مع التأكيد أنه ممتع القراءة .

وعندما نتحول من هذين التصنيفين الى النيل الصحيح نجد أن الهدف السائد مختلف ويضفي شكلا مختلفا على العمل ، وهنا يعطي المؤلف - الى درجة كبيرة جدا - أفضلية أولى لتسجيل الحقائق والأحداث كما هي ، وهكذا تميل النيل الى استبعاد الأساطير الأكثر تلونا بدرجة كبيرة ، ولبيان فكرة الارتباط التي

تصبح أكثر قربا من الفكرة الحديثة ، وترتيب الحكاية أكثر دقة من الناحية الزمنية بكثير مما عليه الحالة مع الموجز ، والتساخير والاستثناء لهذه القاعدة بصرف النظر عن تلك التي تسببت بتغيير من التدقيق - هو من نوع نتقبله بسهولة ، إنه الاشارات الراجعة : وتشير مقدما الى تنمية الفعل الذي يجري وصفه ، والتي تسمح لنا بروايتها بإدراك متأخر ، ونوع تيار تقنية الوعي الذي ادى بمصنف الموجز الى طرق غريبة وملتوية غائبة هنا ، وفي الاغلب ان الاستطراد يتألف من فقرة أو اثنتين ، والاستثناء الوحيد هو النص المسمى بنيل روثلين (١٢) الذي لا ينتمي بدقة للفرع الأول بأي حال ، والذي هو خليط من الاساطير والأوصاف من الجغرافية والمذوق من جاك دي فيتري ، وهذه كلها كمذوعات مثلها مثل العناصر المجلوبة من بعيد التي يوفرها التاريخ ، وبصرف النظر عن هذا كله ان النيدول بكلمة واحدة كلها متماسكة بشيء من الجمود .

وليس هذا للقول بأنها على الأقل مملة فالنشر الجديد باللغة الدارجة كان عليه أن يثبت احترامه ومواءمته للأعمال الجدية في حقول كانت حتى الآن عاملا مقصورا على اللاتينية ، ولكن كانت هناك سابقة جيدة للجدية بلا ملل وحتى وليم نفسه بكل ثقله ، لم يستدكف عن تطوير تاريخه بمثل تلك الحوادث الملئية مثل قطع رأس جمل بضربة واحدة من السيف من قبل غودفري أوف بوليون (١٣) وهي حقيقة لو استمرت بصورة صحيحة لا يمكن أن توفر التسلية بقدر ما تستطيع القصص الخيالية ، ومع أن النيدول تفتقر الى النوع المدهش دائما في الموجز والتاريخ فإنها تجتذب اهتماما كافيا بالمادة نفسها للتعويض عن هذا ، وبعد كل شيء إن المادة التي يستعملوها قادرة بشكل متأصل على إثارة مجال واسع من العواطف لدى القارئ ويخبرنا جوسلين أوف بريكلوند عن رد فعل الأب سامسون .

us of the reaction of Abbot Samson, '... qui, audito rumore
de capta cruce et perdicione Jêrusalem, femoralibus cilicinis
cepit uti, et cilicio loco staminis, et carnibus et carneis
abstinere (١٤)

وبالتأكيد ان نهوض وسقوط الرخاء الفرنجي في الشرق كان
موضوعا حيويا ، كان بإمكانه دائما أن يسيطر على الاهتمام
بسهولة أكبر ، وبفضل مائة موضوعهم ، كانت النديول مضمونة
النجاح تقريبا ، والعدد الكبير جدا من المخطوطات التي ما تزال
باقية ، الى جانب حقيقة انها قد نسخت وأعيد نسخها حتى دخول
الطباعة ، ثم طبعت (١٥) تشهد على هذا النجاح ، وقد تمتع
تاريخ هرقل بكل وضوح بشعبية دائمة واسعة الانتشار .

ولكن مع ان شيوع مادتهم ، تفسر هذه الشعبية للسنوات المائة
الاولى ، او نحوها لوجود التواريخ يجب أن نبحث بعد هذا عن
تفسير آخر ، يبدو انه يكمن في المهارة التي قدمت بها المائة
والطريقة التي استمدت بها الامكانيات المسهلة للقصص التي
أعطيت الشمول والدوام ، وبناء عليه فان هذه الصفة هي التي يجب
أن تكون موضوع حكم إجمالي ، بعد سبعمائة سنة أزال كل الزخم
المباشر للأحداث المروية ، وقد استبدلت بالطبع بشيء ما لم يوجد في
ذلك الوقت ، وهو اهتمام أثري ، ولكن هذا لا يمكن أن يفترض
بشكل معقول أنه كان في نية المؤلف ، وهكذا يصلح موضوعا لسؤال
آخر ، وفي الوقت الراهن هناك بعض الأمثلة على الطريقة التي قدم
بها مصنفو النديول مادتهم ، ستصور كيف أعطت هذه الطريقة
اهتماما دائما لأحداث كان مقدرا لأهميتها الاولى أن تذوي مع مرور
الوقت .

ويشكل المثال الاول في تاريخ هرقل الفصل العشرين من الكتاب
الخامس والعشرين (١٦) ويروي قصة فارس نورماندي أنقذ

عددا كبيرا من الحجاج من الموت على يد اسحق كومنيدوس ، مع أنه كان عارفا أن فعل ذلك يعني موته المؤكد ، إذ أنه كان مرتزقا في خدمة اسحق ، وهي قصة درامية بحد ذاتها ، الا أن الأسلوب الذي رويت به صريح تماما واستعمل عددا من الكلمات والعبارات العاطفية بشكل لامفر منه مثل : قاسي (مرتان) و « شهيد » (مرتان) « وشعر نحوهم بعاطفة كبيرة وبرحمة عظيمة » وهكذا هلم جرا ، ولكنها استخدمت جميعا دون مزيد من التأكيد ، ولم ترتب كلمات الجمل أو تصمم بشكل خاص لجعل تأثيرها دراميا ، فقد رويت حادثة تلو أخرى بطريقة واقعية جدا حتى البطل لم يذكر اسمه ، ولكن أشير إليه بمجرد القول : « فارس من أصل نورماندي » .

ويحتمل أن المؤلف لم يكن حتى يعرف اسمه ، وباختصار فإن كامل الفكرة الأساسية للحادثة هي انقاص الأهمية ، أو حتى يمكن أن نقول تقنية الطرح جانبا التي ترسو دراما المحتوى فيها بالرفع بلا مبالاة ، وتدعه ينفذ بدون أي من التزيين البلاغي أو المبالغة التي في كتاب دي كلاري على سبيل المثال ، والتي غالبا ما كان لها أثر معاكس لما بدا أنه كان يرمي إليه ، وبإقامة دعائم مفرطة فوق أخرى مفرطة تبدل احساس القارئ وتنقص من زخم الموضوع نفسه ، ويساعد مصنف تاريخ هرقل في هذا المثال حقيقة أن الصفات التي تمتع بها من أجل أن يثير إعجابنا مقبولة عالميا على أنها مثيرة للاعجاب بأي حال : وفي الواقع تغدو القصة من وجهة النظر هذه واضحة إلى حد ما ، ولكن بالتقنية غير الدرامية يجعلها تقول الشيء نفسه .

ومثال آخر على الإيجاز والبساطة التي تعطي فاعلية لحادثة غير جذيرة بالملاحظة نوعا ما ، وهو وصول برنغاريا النافارية إلى عكا وروايتها هكذا في جميع نصوص تاريخ هرقل باستثناء « د » و الموجز :

Quant li rois de France sot que li rois d'Engleterre venoit, et que il avoit feme espousee, si en fu moult dolenz. Et por ce ne laissa il mie que il n'alast encontre lui. La fu li rois de France de si grant humilité que il descendi de son cheval a terre et prist la feme dou roi Richart entre ses braz et mist a terre hors dou batel, si come l'en dit. (١٧)

وتتوفر معارضة هامة بالمعالجة التي في رواية « د » لهذا الحدث بالضبط الذي يروى بالتعبير نفسها بالضبط تقريبا ، ولكن مع وخزة بالذيل :

Au descendre la feme dou roi Richart, le rei de France fu de si grant humilité que il ala encontre yaus au rivage. Il meismes enbraça l'espouse et la descendi en terre, et n'i vost descouvrir son corage, ne semblant n'en fist de l'outrage que le rei Richart li avoit fait. Ce est assaveir de ce qu'il avoit laissié le mariage de sa seror por le mariage de Berengiere la suer dou rei de Navarre. Il li mostra bien quant il torna en France (١٨)

وهذا مثال رائع لعادة تمييز مصنف « د » عن كل المؤرخين الآخرين ، وهي اضافة تعليق موجز مفاجيء ومناسب يلقي ضوءا مختلفا تماما على كامل الحادثة ، وتظهر بالتضاد الذفحة الرقيقة للرواية التي تعطيها النيول الأخرى ، ومرة أخرى تعتمد على انقاص الأهمية لاعطاء تأثير الوخز .

وهذان الاثنان كلاهما حادث صغير في تاريخ الحروب الصليبية ، ولكن هناك حادثا كبيرا شكل واحدا من أقوى النقاط في قيمة النيول تاريخيا ، وقدم ايضا واحدا من افضل الصور للوسائل الأدبية الصرفة المستعملة بنجاح ، وجعل القصة حية بصرف النظر عن المعلومات التي احتوت عليها ، انها حكاية مفاوضات بالين دي ابلين مع صلاح الدين من اجل اقتداء فرنجة بيت المقدس قبل تسليم المدينة في ١١٨٧ ، وكان هذا ذا أهمية سياسية عظيمة ، وتعطينا النيول رواية كاملة بشكل خاص عنها . ولكن الغريب ان الناحية

السياسية في المفاوضات أهميتها منتقصة ، ويمكن للمرء ان يقول انها تقريبا مهمة ، بينما يركز المؤلف كل جهوده على جعل القصة شخصية ، حتى انها تصبح كما لو كانت جزءا من كتلة القصص حول صلاح الدين كفرد ، اكثر منه كشخصية عامة ، وتغطي القصة فصلين طويلين (١٩) والقسم الرئيسي فيها هو بالكلام المباشر في صورة حوارات بين صلاح الدين وبالين دي ابلين . وهذا وحده يجعلها مباشرة ودرامية . ولدينا بسهولة الانطباع بان المشاهد قد مثلت امامنا ، وترى الشخصيات كأشخاص حقيقيين ، يتصرفون على سجيتهم اكثر من ان يكونوا دمي للمؤلف ، وهذا اسلوب مقنع جدا لتقدم فيه الحادثة ، وله ايضا فضيلة السماح بقدر كبير من التفاصيل التي يعبر عنها بدون ضجر مفرط ، وتميل الفقرات التي بالكلام غير المباشر ردا على العكس - الى درجة شديدة من الرتابة مع كثير من التكرار في

dist que and distrent que.

ولم تضيف ثروة التفاصيل التي ضمنها المؤلف في روايته شيئا للمعلومات التي أعطاها لنا ويمكن ان يكون قد عبر عنها كلها كثيرا جدا بإحكام اكبر ، ولكنها تفيد في اشغال القارئ بتطور المفاوضات - فنحن نراها تجري خطوة خطوة ، بدلا من ان نخبر بكل شيء على الفور بتقدير مباشر - وهي اضافة الى الجونصف المسرحي الذي بناه المؤلف ، وهذا بدوره يضيف شيئا ما لوجهة نظرنا عن الاستيلاء كحدث تاريخي ، وليس الى معلوماتنا الحقيقية حوله ولكن الى تقويمنا لأهميته ، والاهمية التي كانت له عند الفرنجة في ذلك الزمان وربما تكون هذه الحادثة : افضل مثال في كل النيول عن قطعة من المادة كان مقدرا لها ان يكون لها بعض القيمة - كمعلومات، صرفة - لاي قارئ وبناء عليه للاستمتاع ببعض النجاح حتى اذا عولجت من قبل مؤلف معتدل ولكن هذا المؤلف بالتقنية التي استعملها ، وبالنظرة الى موضوعه ، التي ساعدت تلك

التقنيات على نقلها ، لم يعطها قيمة واحدة بل اثنتين ، دون التوضيح بأي معلومات كانت تنطوي عليها ، وقد جعل منها تقريبا قطعة من المسرح النظري ، وقد رأى أي امكانيات درامية لدى القصة واستثمرها بكفاءة ، حتى ان ما كان يمكن ببساطة ان يكون حادثة في الحرب مع اهتمام سياسي غير شخصي فقط ، قد اصبح ايضا صورة سيكولوجية باهرة لرجلين وللعلاقة بينهما ، ورواية ململمة مدهشة عن معركة في المهارة الدبلوماسية ، مع الابقاء على التوتر عاليا بمعرفة ان حياة وحرية الاف من الفرنجة في خطر . وانه بفضل مهارة المؤلف كمؤرخ ، أي مقدرته على تنظيم الحقائق وتقديمها بوضوح ، فاننا بقينا في نهاية الرواية على معرفة جيدة باستسلام بيت المقدس ، واننا نشعر ايضا بانغماس في النتائج ، وباننا مهتمون بمصير الفرنجة ، وهذا معيار لمهارته كقصاص .

وحتى الان ، ان كل هذه الامثلة كانت مشتركة بين كل النذول ، وبالتضمين الذي يمكن ان يعزى الى مصدرهم المشترك اردنول الاصلي ، ولكنه يمكن ان يكون بالطبع خاطئا تماما ان تعالج كل روايات تاريخ هرقل معا كما لو ان لها جميعا اسلوبا مشتركا واغراء واحدا للقارئ ، وهذا صحيح عن الفقرات المشتركة بينها ، مثل تلك المقتبسة ، ولكن هناك ايضا الاقسام الطويلة الموجودة فقط في واحدة او اثنتين من الروايات وليس في الاخرى ، والرواية المتفردة الأكثر إثارة للدهشة من وجهة النظر المتعلقة بالاسلوب وايضا في محتواها هي « د » ، وهنا كل الحيوية والبداية وذووعية التقنية التي تذهب لجعل كل الروايات ممكنة القراءة مضاعفة ، وبقبول أن هذه هي الرواية الأقرب في مضمونها للتاريخ الأصلي لاردنول ، يجب أيضا أن نقبل أنها تعطينا الانطباع الأكثر دقة لما كان عليه أسلوبه ، وبفعل ذلك يجعلنا نأسف أكثر مما كان أبدا لأن الأصل قد فقد منا ، وهذا أقرب من اردنول يقدم المفتاح للأسلوب المفعم بالحياة للعمل : إنه ينطلق من اشتغال المؤلف في القصة التي يرويها ، والتي هي أقل ذكوة في هذه الرواية عما في الأخرى ، ويأتي انشغال اردنول الخاص إلينا بوضوح هنا ، حتى أننا نحن أنفسنا

نتمثل بسهولة أكثر معه أكثر مما في تلك الروايات التي أصبحت نزيهة أكثر وهادئة أكثر ، وهكذا أقل أخبارا ، وقد سبق لنا أن رأينا مثالا في « د » يضيف تعليقا شخصيا إلى حكاية شبيهة بتلك التي في الروايات الأخرى ، وبذلك يحول كامل القصة بضربة واحدة ، في قصة وصول بيرنغاريا إلى عكا (٢٠) وهي رواية حتى أكثر تشخيصا ، فيها في الحقيقة يشكل الاهتمام الشخصي الظاهر للمؤلف السمة الرئيسية للعرض ، ويتعامل مع تقسيم غي لقبرص إلى إقطاعات بعد أن اشترى الجزيرة من رتشارد في ١١٩٢ (٢١) ، وكل روايات النيدول تقسم بـبعض التعليق على معالجته للحالة ، ولكن رواية « د » تمضي بعيدا جدا أكثر من البقية .

ورواية « د » وحدها هي التي تخبرنا أنه عندما استحوذ غي على الجزيرة أرسل إلى صلاح الدين في طلب النصيحة حول كيفية إدارتها وقد تعلم على ما يبدو من أخطائه ، وقد رأينا من قبل أن موقف المؤلف من صلاح الدين كما هو مبين هنا نموذجي : أعلن صلاح الدين أن غي عدوه ، ولكنه مع ذلك تصرف تجاهه بشرف و *leiaument* هي الكلمة المهمة ، وبقيّة القصة هي بيان كيف أن غي وضع موضع التنفيذ النصيحة التي أعطاه أياها صلاح الدين (٢٢) بمنح الاقطاعات للفرسان الذين فقدوا أراضيهم في سورية نتيجة لفتوحات صلاح الدين .

Les chevaliers et les serjans et les borjeis, cui Sarasins avoient deserités, oirent le comandement dou rei Guy. Il murent et vindrent a lui, et des dames juenes et des orfenins et orfenines a grant planté, iceles cui les barons et les peres estoient mors et perdus en Surie. Il lor dona riches fiés, et as Griffons et as chevaliers que il avoit menés o lui, et as corversiers et as massons et as escrivains en Sarrasineis, ensi que la Deu merci, sont devenus chevaliers et grant vavassors de l'isle de Chypre. (٢٣)

وهناك ملحوظة شخصية لا تخطيء في هذا الاقحام لعبارة « رحمة الرب » التي صدرت عن حوار في المفاوضات بين بالين وصلاح الدين لتعطينا تبصرا بأهمية الحدث بالنسبة للناس

- ۳۷۲۲ -

المعنيين ، وهي أيضا بالمصادفة بينة وموثقة ، من أجل مطابقة أرذول المؤلف مع أرذول صاحب جبلة والقول انهما الشخص نفسه الذي حرم من اراضي عائلته بالفتح الاسلامي واصبح « ملاكا كبيرا » في جزيرة قبرص (٢٤) والكسب الشخصي من سياسة غي ، يفسر ايضا كيف ان المؤلف الذي كان من قبل يري في غي الحاكم الضعيف الذي اضاع فلسطين ، وجد فجأة أن لديه بعد كل شيء بعض المؤهلات .

وبعد هذا التعداد للناس الذين جاءوا لاستعمار قبرص تحت حكم غي قامت رواية « د » مثل كل الروايات ، بمقارنة بين نجاح غي في قبرص واخفاق السياسة المضادة التي مارسها بلديين في امبراطورية القسطنطينية ، ومرة أخرى اضافت رواية « د » ملاحظة من عندها ، هذه المرة المثل القائل « من يحاول احتضان كل شيء يخسر كل شيء » (٢٥) ، ولعل هذا عاطفيا بعض الشيء ، تعوزه البراعة ، ولكنه مع ذلك ربط المؤلف مباشرة بموضوعه بإظهار اهتمامه بمضمونه خطأ بلديين ، وأعطاه تحريفا خاصا من أجلنا ليزيد من حدة الزخم كثيرا ، ويظهر هذا أيضا سمة أخرى لاسلوب «د» وهي شغفة بالعبارات المحسورة بمهارة ، وبالعبارات الموجزة أو حتى بالكلمات المفردة المستعملة بصورة مثيرة للعواطف ، وارسال صلاح الدين بالنصيحة الى غي يزودنا بمثال جيد على هذا الاستعمال للكلمات :

Salahadin respondi as messages que il n'ameit gaires le rei Guy, mais depuis que il li requereit de conseil, il le consellereit au miaus que il savreit. Car puis que l'on demande conseil a autrui, soit ami ou henemi, leiaument li doit consellier, et sur ce dist as messages: 'Je conselle au rei Guy que, se il viaut que l'isle soit tote soue, que il la doigne toute. (26)

وهنا في هذه الفقرة أولا كان اســـــــــــــــــــــــعمال
 « leiaument » الذي سبق ملاحظته والذي يشير
 على الفور هنا موقف صلاح الدين الكامل ومسلكه تجاه غي في هذا
 الامر ، والمعيار الخلقى الذي عمل به والذي كان بعد كل شيء معيار

- ٣٧٢٣ -

الفرنجة أنفسهم ، وهذا يذكرنا بغسانلون وهو فارس كان مثيرا
للاعجاب بشكل مثالي له كثير من الفضائل ، وهي مع ذلك لم تتوفر
له شيئا لانه كان يفتقر الى الفضيلة اللازمة والتي لا يستغني عنها ،

وتقدم الكونت غانيلون ووقف أمام الملك
كان جسمه جميلا وبدا لونه يذبض بالحياة
لقد بدا رجلا نبيلًا ، لكن ذلك كان زائفا (٢٧) .

وقد جعلنا مؤلف « د » باستعمال صلاح الدين لكلمة ذات معاني
عديدة جدا ، وتتضمن بذاتها مجموعة أخلاقية كاملة ، نرى صلاح
الدين كما كان يريينا هو أن نراه ، بفعالية أكثر مما يستطيع وصف
مطول حول الأخلاق وبلطف أكثر وقد قبلنا تقويمه حتى دون أن
نشعر أنفسنا أننا قمنا بذلك

ثانيا تقدم كلمات صلاح الدين مثالا آخر لنوع التوازي الذي
تؤثره رواية « د »

كلمتان متضادتان في المعنى ولكنهما متماثلتان في النغم ولهما
التأثير نفسه بناء عليه مثل 'qui tout coveite tout pert'
بنغم ايقاعي مع الحرف المتحرك نفسه في المثال الاول ، وفي المثال
الثاني الكلمة نفسها مكررة في نصفي العبارة وهذا النوع من تركيب
الجملة شامل تقريبا في الامثال الشعبية والحكم المأثورة ، وواضح
أن رواية « د » تؤثر كثيرا وفيه دليل على غرامه بالسجع وتناغم
القوافي ، ونبين له بالمحافظة على الأغنية السياسية الشعبية :

Maugré li Polein
Avrons nous roi Poitevin.

وهنا مرة أخرى تعبر الكلمتان متماثلتا النغم بوليان
وبواتفين عن التناقض الذي يكون جزر معنى الجملة (٢٨) .

- ٣٧٢٤ -

والنقطة الأخيرة في كلمات صلاح الدين والتي تصور خصائص أسلوب « د » هي الطريقة التي صيغت بها النصيحة ذاتها .

'se il viaut que l'isle soit tote soue, que il la doigne toute'

وهنا لا يوجد تلاعب بالكلمات ، ولكن الفكرة صيغت بعبارة ظاهرية التناقض ، وحيث أنه يمكننا أن نفترض بثقة أن المؤلف لم يكن يعرف حرفيا ماذا قال صلاح الدين ، ويمكننا أيضا أن نفترض أنه بمعرفة ما قيل في جوهره ، اختار هو نفسه هذه الطريقة للتعبير عنه •

أن هذا الشغف بالعبارات الأسيرة بمهارة ، وبلاستعارة والمثل هو الذي أدى برواية « د » في فقرة ذات جذب خاص إلى خليط مسل من الشخصيات ، فهي تصف «نصار عكا من قبل المسيحيين في ١١٨٩ ، وكانت محاولة اليأس ظاهر عليها عندما بدأت طالما أن الجيش المحاصر كان صغيرا بصورة تدعو للاشفاق ، والمدينة جيدة للدفاع ، وفي جهد لتزقل لنا التساوي بين القوتين مضت رواية « د » بعيدا بفضل بلاغتها الخاصة :

Grant fu la fei des feaus de Deu, quant ensi poi de gent oserent
enprendre si grant fait com de metre siege devant Accre. Car tant i
avoit des Sarazins dedens la cité d'Acre que a peine i avoit un Crestien
a dix Sarazins. Il se mistrent entre le mail et l'enclume, et se cil de la
cité voissent, il eussent devoré les Crestiens et pris si come fait
l'espervier le petit oiselet (٢٩)

وهنا للأسف يمضي المؤلف بعيدا، وحيثما حقق في معظم الحالات تأثيرا دراميا أو واضحا ، لدينا في تلك الحالة فقط تسلية غير مقصودة وغير مناسبة ، ولكن الاستثناء من القاعدة العامة هو أن مؤلف « د » يقف ورأسه وكتفاه فوق كتاب الهرقليات الآخرين ليس فقط بالاهتمام الفعلي بمادته ، بل أيضا ببراعته الفنية في التعبير

عنها ، وإن براعته هي الأكثر إثارة للاعجاب بين كل النذول في هاتين الناحيتين .

ومزايا نيل « د » كما رأيناها كبيرة - هو ادق تقليد لدينا لمزايا عمل أرنول الأصلي ، والحكم على ما احتفظ به « د » لنا ، يمكننا القول بأن أرنول ككاتب كان بارعا الى درجة كبيرة ، وفي كتابته حيوية روبرت دي كلاري ولكن بدون النقص الوحيد في مجموعة الألفاظ الوصفية العجز الذي اتسم به دي كلاري ، هذا وإذا كان وصف دي كلاري البالغ القوة هو ما يؤكد أنه كان لا يستطيع حقا وصف موضوعه بالمرة ، بالمقابل ندر أن كانت تعوز أرنول الكلمات ، وكمؤرخ جمع في الواقع بين فريية دي كلاري وذكاء فيلهاردين ، وككاتب هو أكثر براعة من كليهما ، حيث لم يعبر أي منهما عن نفسه بشيء له مثل سعة مجال الطرق التي استعملها أرنول ، فعندما أمر صلاح الدين بقتل الداوية أعطانا أرنول رأيه الخاص بأنه كان خطأ في الحكم ، ولكنه أضاف أيضا تحليلا محايدا لبواعث صلاح الدين (٣٠) وحول موضوع الصليبيين الألمان من جانب آخر كان منحاذا بلا خجل (٣١) ، وهو ماهر في تفسيره ، دقيق التفصيل للموضوع المعقد ، فهو على سبيل المثال تتبع بوضوح مشير للاعجاب تطورا إجراءات انتخاب بطريرك بيت المقدس (٣٢) ولكنه أيضا استطاع أن ينقل معناه ببضع كلمات كما في مسودته الموجزة والمثيرة للعواطف عن هنري دي شامبين (٣٣) فهو عاطفي وساخر ، صافي التفكير وانطباعي حسبما كان يتطلب الموضوع أو المناسبة ، ضيق الأفق وكريم بالتناوب ، وفي الحقيقة أن القلب ربما كان ميزته الرئيسية ، سواء في وسائل التعبير التي استعملها أو في مجال الموضوعات التي تعامل معها .

واختلاف عن معاصريه أيضا في فهمه لموضوعه وكلمة « كيف » هي بدقة الكلمة المناسبة لعمله لأنه كان قصاصا كما كان مؤرخا بالفطرة ، وقد بين سكون بصورة مقنعة أن المؤرخين القدامى

باللغة الدارجة قد أخذوا من تقاليد « نشيد الأعمال » الكثير من الالفاظ والكثير من الحيل الاسلوبية (٣٤) ولقد شاطرهم أرنول ايضا في مختلف الاحوال في معالجته لموضوعه وللتأكد هو أكثر دقة بلا حدود مما كان عليه الشعراء المتجولون ، ولكنه مثلهم كان يرى ابطاله كأبطال بالمعنى الفني والتاريخي ، وينقل مفهومه المزدوج الى قرائه وسمح له هذا بدوره بكثير جدا من الرقة وحدة الذهن في تعامله مع الشخصية مما هو ممكن في اطار معظم التواريخ من أجل شطري رؤيته - التاريخية والفنية - حيث يمكن فصلها عند الضرورة ، وهكذا فان رتشارد قلب الاسد بطل بالمعنيين ، في حين كان صلاح الدين سياسي قاسي ، ولكنه بطل فنيا بالمقدار نفسه ، وبهذه الطريقة فان التقسيم غير المرن للشخصيات الى فرنجية وبناء عليه هم طيبون ، ومسلمين وهم بناء عليه سيئون ، قد تم تفاسيه ، ولدينا على الفور صورة أغنى اخباريا عن الحالة الحقيقية للأمور ، وأكثر اقناعا من الناحية النفسية ، وهنا فان الناحيتين الفنية والتاريخية بعيدتان عن الصراع مع بعضهما ، وتمضيان يدا في يد وهكذا تفيد تقنية واحدة العمل بكلتا الطريقتين .

وفي الحقيقة ان هذين الهدفين : الاخباري والادبي هما الباعثان الرئيسيان لعمل أرنول ، وعلى وجه الاجمال فانه كان يوازن الاثنين بشكل جيد ، فهو لم يسمح لضرورة الاخبار بطمس الرغبة في التسلية ، ولم يحمله الخيال بعيدا جدا عن الحقيقة ، وبالمقارنة مع هذين الجزئين من الهرقليات وهما غير معتمدين على عمله ، تبدو كتابة أرنول مليئة بالتسلية ، اذا كانت ربما مفتقرة قليلا للرصانة ، وبالمقارنة من جانب آخر مع الخليط المنظم تماما ، وهو تاريخ ما وراء البحار تبدو هذه الكتابة مرتبة اخبارية وبسراقة يصورها ماس لاتري متبعا وصف فيليب دي نوفار *messire Harneis*

ومنصوره ك

‘aussi apte à dicter un livre qu’à soutenir une discussion
féodale(٣٥)

ومرة أخرى اثبت ماس لاتري أنه متنبىء حقيقي فالقيمة الاخبارية لعمل اردول ، حتى وإن لم تكن صـورته مـؤكدـة الشكل ، قدم تم الاعتراف بها طويلا من قبل المؤرخ ، أو يبقى الاعتراف ايضا بمهارته الكبيرة ككاتب لم يستحق بين معاصريه مكانا وضيعا .

هكذا اذا القيمة الجمالية للتواريخ التي تبقى حتى بعد انقضاء نحو سبعمائة سنة ، ولا شك انهم في ايامهم كانوا يقدرون لأسباب أخرى ايضا تهرب الآن من أحاسيسنا الحديثة ، ولكنهم مع مرور الوقت أحرزوا اهتماما بالنسبة لنا ماكان لهم ليمتلكوه بالأصل ، الا وهو الاهتمام بقطع المتاحف ، ومع أن هذه قد لاتعد شكلا من الجدارة الادبية ، إن لها أهمية أدبية بمعنى انها تزودنا بقدر كبير من المعلومات حول تشريح نوع واحد من أدب العصور الوسطى ، والى درجة معينة بالطبع من أي عمل مفرد يخبرنا بشيء حول الجذس ، والعمر أو المدرسة التي ينتمي اليها ، ولكن في الهرقليات والتاريخ ، والتواريخ المرتبطة بهما لدينا شيء ما أكثر قيمة بلا حدود من مجموعة عشوائية من العينات : ولدينا سلسلة من الأعمال التي بارتباطها الشديد وذوعها تصور كليا تماما تطور أنواعها ، وهي تضم معظم طرق العمل الأساسية لمؤرخي العصور الوسطى وتغطي بينها تقريبا كل القرن الثالث عشر وتعطي أو تأخذ عشر سنوات من كلتا النهايتين ، وهي فترة حيوية في تطور التاريخ المكتوب باللغة الدارجة ، وبينها نجد أكثر الأعمال تذوعا التي يصور لنا احتضانها في شجرة الأسرة نفسها كم من الغايات المختلفة يمكن تحقيقها من قبل كتاب ممن استعملوا على نطاق واسع المواد الأساسية نفسها ، فما الذي يمكن أن تعلمه التواريخ لنا في هذه الدواحي ؟

ولقد كان العنصر الاصيل في الجسم الاساسي كل ماليس في البقية : متماسك وموحد مع اجتهاد ، ومعرفة تريد قاصدة وبنجاح ان تدوم ، وكان وليم الصوري في الوضع المثالي لكتابة تاريخ

الحروب الصليبية ، فقد كان مواطنا سوريا بالمولد ولكنه تعلم كما أخبرنا في موطن أهله ، فرنسا حيث تعلم على ايدي رجال مثل موريس دي سالي وبسـطرس لومبارد وغيبـرت دي لاـبورـي^{٣٦} وانتهى تعليمه فعاد الى بلده فلسطين ، ثم أصبح على التوالي معلما خاصا للشباب بـلدوين الرابع ثم مستشارا للملكة بيت المقدس ثم رئيسا لاساقفة صور ، وهكذا كان لديه مجال للوصول الى أوراق الدولة في المملكة والى اصدقاء من ذوي النفوذ لتشجيعه في مهمته ، والى كل مصادر البيوت الاسقفية ، من النساخ والمترجمين وما الى ذلك من الذين كانوا تحت تصرفه ، وقد انتج عملين تاريخيين كبيرين هما : « تاريخ الأعمال المنجزة في مملكة ماوراء البحار » وكتاب آخر ذكره في التواريخ ، هو تاريخ مصر ، أشير اليه عادة بكلمات وليم باسم « أعمال امراء الشرق » وهو مع الأسف مفقود الآن^(٣٧) .

وعلى الرغم من كل هذه المزايا من الموهبة الطبيعية والظروف السعيدة كان وليم مع ذلك كاتباً مترددا ، وقد كتب رائعته فقط من احساس ضاغط بمسؤولية المؤرخ ، وهو مدرك بحدة لوضعه ومخاطره ، وقد يقع المرء فريسة للانحياز والتحامل ، وقد يغري بتبديل الحقيقة حتى لا يذفر الأصدقاء ، وهذه النقطة يبدو أنها ترجح لديه بشكل خاص ، وهو يستشهد بأحد مؤلفيه الأثريين سيسبيرون قوله : « الحقيقة مزعجة ، لأن الكراهية تنبع منها ، وهي سامة للصدقة ، لكن التغاضي أكثر شؤماً لأنك حين تتعامل برقة مع واحد من اصدقائك فاذك تسمح له ان ينزلق بشدة نحو الدمار^(٣٨) » وفي النهاية كان تقريبا تحت الاكراه انه قبل بالمهمة المعروضة عليه من قبل عموري ، ومن أجل سبب لا بد أن يظهر ليعمل ضد الانحياز الذي قد يجده للتو ، إنه الولاء الوطني في قوله : « لكن حبي الدائم لبلدي يدفعني ويحرضني ، فمن أجل البلاد وفي سبيلها على الانسان المخلص اذا قضت الحاجة واستدعى الوقت ان يضحي بحياته ، وأكرر القول ان بلادي تحثني وتأمرنى بالحاح شديد وبكل ماتملكه من سلطان على العمل »^(٣٩)

وكان هذا الباعث مع ذلك متوازنا مع آخر أكثر وعدا ، ظهر بجلاء قبيل نهاية العمل وكانت حظوظ المستعمرين تتردى بحدة وقد أصبح مؤلما لوليم الاضطراب لرواية اشياء ضارة بـ مواطنيه وببلاده ، وكان فقط قادرا على الاستمرار كما يخبرنا ، بسبب رغبة لا تهدف الى تمجيد موطنه بل لصنع سجل دقيق للأجيال القادمة ، وأنه لمفيد وله دلالة على عقليته ، وخلفيته ، انه اتخذ مرة أخرى المؤلفين التقليديين ، كمثال له وهذه المرة ، ليفي ويوسيفوس اللذان سجلا حظوظ شعوبهما ، ومحتنيا مثلهما ومتسلحا بدرسهما تابع ولیم العمل في كتابه حيث قال : « ان نسجل في هذا الكتاب للأجيال القادمة جميع أطوار مملكة القدس المعاكس منها والمزدهر ايضا » . . . (٤٠) .

وهذا الهدف لم يكن عاما في زمانه ، وقد نفذ خطته بنجاح كبير ، وأبقت ثقافته مع أساسها الكلاسيكي المتين في وضع المتابع مثملا فعل على ما يبدو حبه الفطري للدقة الواقعية ، ومقدرته وإرادته في رسم الخط بين الحقيقة والخرافة تطور الى درجة ملحوظة في عصر كان التمييز فيه غامضا ، إذا كان موجودا أصلا ، ولم يختلف عمله كأدب عن عمل معاصريه الأوروبيين والأحرى إنه اختلف في تماسك المظهر الخارجي للكاتب ، وكان ولیم رجل لاهوت بطبيعته كما هو بفضل منصبه ، ومع ذلك كان عليه أن يجهد من أجل حياد فكره ، وكان ملزما في النهاية بأن يأخذ نظرة أساسها رأي الحكم الديني في التاريخ ، وبالنسبة له لم تكن بلاد ما وراء البحار في المقام الاول مستعمرة فرنجية بل الأرض المقدسة ، وإذا كان لمدينة الرب أن توجد في أي مكان على الأرض فإنها يجب أن تكون بالتأكيد في بيت المقدس ، وكان حتى أكثر وضوحا لوليم من معاصريه بشكل عام ، أن الملوك كانوا يحكمون باسم الرب ، وهذا يجب أن يكون صحيحا بشكل خاص بالنسبة لهؤلاء الذين حكموا في بلاد الرب ، وعندما سجل بناء عليه بدقة تاريخ تلك البلاد على مدى حوالي ستة قرون وصل إلى وقت في العقود الأخيرة من القرن الثاني عشر عندما ، أخذ الرب بوضوح يسمح لشعبه محرر الأماكن المقدسة بأن

يتخلص تدريجيا من الارض التي كسبها باسم الرب ، واكتئاب وليم أمر يمكن تفهمه . ولكن نظامه لم يخفق ، فالرب سيحفظ فلسطين للذين يطيعونه ، وهذا ما لم يفعله الفرنجة . فقد مات الجيل القديم والجيل الجديد مختلف تماما سمعه يقول : « ونجد لدى دراستنا لهذا الوضع المعاصر بدقة وعمق ونحن متطلعون للعون من الرب ، خالق كل شيء أن السبب الاول الذي يقدم نفسه هو أن أجداننا كانوا رجالا متبينين ويخافون الرب ، فقد قام مقامهم الآن جيل شرير وابناء آثمون مزيفون للعقيدة المسيحية ، يتبعون سبل جميع الأشياء المحرمة دونما تمييز ، وهم أشبه ، أوحى أسوأ من الذين قالوا لربهم : أبعد عنا وبمعرفة طرقتك لانسر ، ويسحب الرب بعدل تأييده من هؤلاء بسبب خطاياهم ، وكأنما أشير سخطه ، هؤلاء هم رجال العصر الحالي ، وخاصة القاطنون في الشرق ، كما أن المرء الذي سيتولى بقلم حذر وصف أخلاقهم أو بالأحرى رذائلهم الوحشية المرعبة » (٤١) .

وهكذا أخرج وليم قصته حتى نهايتها بلغة اعتقاده الديني وبالتالي بالنظرية السياسية الشيوقراطية ، وهي كلها متماسكة جدا ولا بد أنه كان محزونا بلا شك ، وكان سيندهش قليلا لو أنه عاش ليرى سقوط بيت المقدس ، وفقدان الصليب المقدس ، وبالتالي سقوط الحكم المسيحي في فلسطين ، وفي الواقع إنه توفي في ١١٨٤ أو في ١١٨٥ في روما في ظروف مريبة . وقال بعضهم إنه ذهب إلى هناك في عمل خاص بالعائلة ومات ميتة طبيعية ، ولكن بعضهم زعم أنه كان في الطريق إلى الكرسي المقدس ، ليشجب هناك طريقة الحياة الفاضحة لهرقل بطريرك بيت المقدس ، وأن هرقل ، وقد أدرك أن وليم إذا وصل إلى غايته فإن هذا يعني دماره هو بالتأكيد . رشا طيبيا سوريا ليتبع وليم ويسممه ، فهذه هي القصة التي يعطيها الموجز (٤٢) ، وهي موائمة جدا للصورة المتملقة التي رسمها ذلك التاريخ لوليم ، وهكذا انتهت بعذف الحياة الفاضلة للرجل الذي لم نعرف كاهنا أفضل منه في النصرانية في أيامه ، انتهت بالقتل على يد خصمه الشرير .

- ٣٦٣١ -

ومع ذلك يمكن أن يكون التاريخ قد انتهى في ١١٨٤ مع الترتيبات من أجل الملكية بعد وفاة تلميذ وليم ، بلدوين الرابع ، وكما هو واضح إن كتاب التاريخ نموذج للتاريخ اللاتيني في العصور الوسطى في أفضل صورة : إخباري دون أن يكون جافا ، ومنظم ، ومنوع في حكايته ، براق في لغته وأسلوبه وقد رأى وليم نفسه في تقاليد الكتاب الكلاسيكيين وبشكل خاص كتاب التاريخ الرسمي الكلاسيكيين مثل ليفي ، وبهذا المعنى كان كتاب التاريخ نظرة إلى الوراء وقد ألقت مرساها بإحكام في تقليد قديم ، وعندما ترجم إلى اللغة الدارجة فإنها سرعته إلى الحاضر ، وربطته بتقليد كان بالكاد جيد الرسوم لتسويغ الاسم والرصانة ، والعبارات الموزونة والاجتهاد في التفصيل في الأصل ولكنه ذهب كله في الإهمال ، لأنه كان في ذهن المترجم جمهور لن يتحمل الأسهاب من أجل خاطر العبارات الجميلة ، ومع ذلك كان الكسب تقريبا بقدر الخسارة . وتلت هذه الشعبية الواسعة ، ومن لا يستطيع أن يقول إن تضمين التاريخ في تصانيف الهرقليات الأدنى سوية باعتراف من الجميع لم يساعد بطريقة ما في المحافظة على الاهتمام بالأصل ؟

والحقيقة الأكثر أهمية حول الترجمة ، من وجهة نظر تعزيز تقاليد التاريخ باللغة الدارجة ، هو توقيتها فإذا كان أحدث توقيت حالي صحيحا (أوائل العشرينات من القرن الثاني عشر ، وبالتحديد سنة ١٢٢٣) (٤٣)

فإنه بناء عليه يؤخر توقيت ليس فيها رنين ، بل أيضا أرنول الأصلي وربما تاريخ دي كلاري أيضا ، وهذا يوحي بأن الترجمة المباشرة من اللاتينية إلى الفرنسية ربما هي أقل أهمية لتقويم الكتابة النثرية باللغة الدارجة عما يعتقد بشكل عام ، لأن هنا جسما واحدا نجد فيه قدرا كبيرا من المادة باللغة الدارجة وفي الواقع واحد من المصادر الرئيسية لهذه اللغة ، كان موجودا قبل كتلة المادة المترجمة ببعض الوقت ، ويبدو أن تواريخ الحروب الصليبية باللغة الدارجة كانت في الواقع جزءا جيد التوطد على المسرح الأدبي قبل أن

يفكر أحد في أن يترجم إلى الفرنسية التاريخ اللاتيني المعياري للحروب الصليبية ، وليس هذا للقول بأن ترجمة الأعمال اللاتينية لم تساعد بشكل عام في أن تجعل اللغة الدارجة معترفا بها كلغة للكتابة الجادة ، وتعددها لمهمتها ، ولأن وجود تقليد التاريخ بالذثر اللاتيني كان بلا تأثير في جعل المؤلفين مدركين لامكانية كتابة التواريخ أيضا باللغة الدارجة المذثورة ، ولكنه يوحي بأن التأثير كان غير مباشر أكثر مما يفترض عادة .

وهكذا لدينا في جسم الهرقليات أمثلة من التاريخ بالذثر اللاتيني ، ومن الترجمة من اللاتينية إلى الفرنسية ، ولدينا أيضا ، مع أن هذا مكون من فئات ، تاريخ مبكر جدا باللغة الدارجة ، هو تاريخ أرذول ، الذي يجب أن نصنفه من حيث النوع مع حياة القديس لويس لجوانفيل ، وكان تاريخ أرذول على ما يبدو مثل عمل جوانفيل من ناحيتين : كان رواية لشاهد عيان واستمد قيمته التاريخية من تلك الحقيقة ، وكان مديحا تأبينيا ، وتقريبا دفاعيا ، عن عائلة واحدة ، كما كان عمل جوانفيل سيرة تقديسية من الكاتب للمترجم له .

وقد رأينا من قبل أن جدارة أرذول ككاتب كبيرة ، وكمثال على كتابة التاريخ الرسمي فإن قيمة عمله أقل ، لأنه لم يخبرنا بشيء لم نكن قد علمناه من قبل من جوانفيل - وهذا الانحياز في الموقف في اتجاه الموضوع لا يؤثر فقط على مضمون العمل ، وإنما يجعله متعاطفا أمام القارئ ، الذي يستعير انشغاله من انشغال المؤلف نفسه . ومن جانب آخر إن الطريقة التي كيف بها كل واحد من المصنفين الذين استخدموا عمل أرذول وتبنوه جرى إيضاها ، فكل واحد فرض عليها أسلوبه الخاص ، بنجاح متفاوت - فمصنف «أ-ب» على سبيل المثال كثيرا ما صاغها في قالب رسمي قيد فيه عدم الرسمية الأساسية للمصدر ، في حين الحفظ مؤلف الموجز بعدم الرسمية بصورة أكبر ، ولكنه طمس مصدره في كتلة من المعلومات البخيلة كانت على ما يبدو تغري ذوقه ، وهي لحسن الحظ غائبة عن

- ٣٧٣٣ -

الذيول . والأكثر أهمية من الجميع أن العناصر الأكثر شخصية في تاريخ أرزول على ما يبدو قد كبحت إلى درجة أكبر أو أقل من قبل كل المصنفين . ولا يمكننا الحكم بالطبع على مقدار ما استبعده « د » في هذا المجال ، ويمكننا فقط القول بأنه كان أقل من المصنفين الآخرين في الاقتطاع - ولكن من يعرف قدر المعلومات المتعلقة بالابليينيين مما يحله المؤرخ الحديث وقد فقدت حتى في هذه الرواية ؟ وكان لأعمال الحذف هذه سبب موضوعي ولم تكن مجرد نتيجة نزوات المصنفين : كما رأينا في تحليل متنوعات « د » ، فكثير من مادتهم مضحك جدا تقريبا ما لم يفترض المرء الاهتمام الشديد بعائلة ابليين .

وبصرف النظر عن هذا ، إن النصوص المتنباه التي يمكن أن نتعقبها بمقارنة الذيول الواحد بالآخر ، تعطينا بعض الدلالات على مجال ذوق المصنفين ، والأذواق التي نسبوها لجمهورهم .

ومن الواضح أنه كان هناك قدر من التنوع لا يمكن أن يتوقع ، فقد قصد أن يكون الموجز كمرشد قصير للفترة ١١٨٥ - ١٢٣١ بينما تاريخ هرقل هو كتاب أثقل وزنا بكل معنى ويمكن أن نستنتج من هذا أن الموجز كان عملا مبسطا ، فإذا كان كذلك فقد كان أخفاقا مدويا في هذا المجال ، حيث ما يزال باقيا تقريبا ستة أضعاف الموجز من تاريخ هرقل وهو اختلاف يعطي مجالا حتى لحوادث الحفظ ، وما يزال اختلافا هاما جدا ، ومن المهم أيضا أن مخطوطات تاريخ هرقل تحوي العديد من العينات الدقيقة الكتابة ، الجميلة التزيين والوضوح بينهما تلك المعدة للبلاط الانكليزي والتي يمكن أن تسمى في هذه الأيام طبعة « مائدة - القهوة » (٤٤) .

ومخطوطات الموجز على العكس كان الغرض منها الفائدة العلمية لالجمال مع أن مخطوط أرسنال ٤٧٩٧ مكتوب بأناقة كافية ،

ومنظم الصفحات ، وليس في أي واحدة منها منمنمات ذات جدارة ،
لكن في بعضها حروف كبيرة مزينة برسوم تاريخية •

وبالنظر الآن إلى تقدم التواريخ على مدى القرن الثالث عشر ، يتكرر المرء في استعمال تعبير التطور بالمرء لأنها لا تحقق في الواقع شيئاً في أي اتجاه ، والمراحل الأخيرة من تاريخ هرقل إذا قورنت بالأقدم لا تبدو أكثر إشراقاً ، وباقية أو بعداً عنها برشاقة أكثر ، وإذا حدث تردّي في التصنيف أثناء مساره ، بحيث تصبح حكاية ابنى فأننى وينصّبح أشبه بالحوليات وفي الكتاب « ٣٤ » (٤٥) الموجود فقط في « غ ج » و « ب » يجد المرء فصولاً كاملة تتألف بكاملها من قوائم للأحداث دون أي تعليق آخر ، وعندما يوجد شيء من نوع الحكايا التاريخية فإنها تكون عرضية ومفككة ، وبأخذ الهرقليات ككل فإن الفترة الأولى من النيول ، حتى ١٢٣٢ تدهش القارئ بأنها بلا شك الأكثر أهلية للتقدير من وجهة النظر التاريخية ، وحتى أكثر هكذا من وجهة النظر الجمالية .

وفي الواقع يأخذ تواريخ القرن الثالث عشر الفرذسية ككل ، ماهو صحيح بالنسبة للهرقليات ، وهي تتطور ، يبدو أيضاً صحيحاً للنوع كله في هذه الفترة وقبل أن تنتهي الرواية الأخيرة من تاريخ هرقل ، كان جوازفيل قد كتب سيرة القديس لويس (٤٦) ومع أن هذه بالكاد هي نموذج لحكاية حسنة الترتيب ، فإنها بالتأكيد عمل أقل فوضى من الهرقليات ، ذلك أنه جرى تصوره على نطاق أضيق كثيراً ، وأنجح بالكامل من قبل رجل واحد ، وباقرار هذا كله أنه ليس بأي حال قطعة سامية من العمل ، وإذا قورن بالقسم « د » المستمد من أرذول ، وهو الجزء الذي يغطي ١١٨٤ - ١١٩٧ فإنه يسقط كحل أسوأ بشكل مميز ، ويجب أن ننظر القرن التالي وقرناً آخر مرة أخرى لندرى تغييراً في المحتوى والعرض ، وذلك عندما أخبرج كومينز أخيراً شيئاً يشبه كتابة التاريخ الحديث بالفرذسية ، وحتى عند ذاك فإن كومينز المثير

للاعجاب مثل عمله لايمكنه أن يتماشى مع الحيوية والمباشرة غير المتعارضة لحكاية أرذول ، وهكذا فإنه تاريخ هرقل يعرض في مختلف فقراته مراحل نمو وتطور التاريخ باللغة الدارجة في فردسا على مدى القرن الثالث عشر ، وأسهم بعض الاعتماد على المؤرخين اللاتين على مجاله ، لكن بدرجة قليلة ، لا بل أقل صراحة مما يمكن أن نفترض ، وتميل التواريخ المستقلة ، أي تلك التي هي بقدر مانعرف من عمل رجل واحد ، لأن تكون قصيرة ، ولكنها ما برحت تنتحل الاعمال الأبرار الى حد ملحوظ ، وفي الواقع ان حرية الانتحال أسهمت على ما يبدو بقدر كبير في التقدم الذي حصل في التواريخ لأنه سمح للمؤلف أو المصنف بممارسة قدراته في اتجاه ترتيب المادة والبناء والتعبير بدون المهمة الإضافية ، وهي وضع مادة جديدة وتصنيفها في الوقت نفسه ، وكل تقدم تم بهذه الطريقة تحقق مبكرا ، لنقل قبل ١٢٥٠ أو نحو ذلك ، وما أن استتب معيار مرض ، فإنه بقي وجميع التعديلات التي جرت ، وتمت لمواءمة الموهبة الفربية للمؤلف : كان جـوانفيل أصيلا بقدر كبير ، وفرواسار مسهب للغاية وأحداثي نوعا ما ، ولكن أيا منهما لم يفعل شيئا جوهريا اختلف كثير عما انهمك فيه العديد من المؤلفين الذين تورطوا أخيرا في انتاج تاريخ هرقل الذي سبق ان تم صنعة قبلهم ، واكتشف كتاب الهرقليات فيما بين وليم الصوري وأرذول الى المصنف المجهول ، الذي جمع نص « غ . ج » الطويل جدا ، واستثمروا كل الامكانيات التي كانت هناك او التي ستتوفر لبعض الوقت في المستقبل ، واعمالهم فيما بينهم هي تجسيد لكل شيء نجده في أعمال معاصريهم ، وليس تاريخ هرقل مجموعة من المستحاثات الأثرية التي يمكن من خلالها تعقب تاريخ أنواعها ، إنه بالأحرى عرض كامل مثل تطوره الخاص الذي يمكن أن نراه يتتابع أمام أعيننا ، وهو بالنسبة للمؤرخ لأدب التاريخ يحتل بين المؤرخين مكانة تعدل أن لم نقل تفوق على مكانة جزيرة غالاباغوس لدى شارل داروين .

الفصل العاشر

النصوص كبيانات تاريخية

يبقى ان نسأل : ماهي مضامين هذه الدراسة للمؤرخين الذين اعتادوا على استعمال هذه النصوص كمصادر ؟

وبأي الطرق ان كانت هناك طرق غيرت النتائج المستمدة نظرتنا الى النصوص كبيانات تاريخية ؟

كما سبق ان رأينا ، لقد عملت كل النصوص كثيرا جدا كمادة مصدرة لمؤرخي الحروب الصليبية والدول الصليبية ، وبالكاد نحتاج الى ذكر التاريخ نفسه وقد جرى استخدام الهرقليات والموجز ايضا كثيرا ، ولقد نهلت التواريخ العامة للحروب الصليبية خاصة الرئيسية منه مثل مؤلفات : روهريخت وغروسية ورتشارد ورنسمان وبروور ، واستمدت من هذين النصين بدرجات متفاوتة في الصغر والكبر ، وفي حالات عديدة خدمت كمصدر رئيسي لاواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، وقد استمدت الاعمال الأكثر تخصصا أيضا بقدر كبير منها مثل أعمال لين بول وسميل وكاهن التي تقفز مباشرة الى الذهن ، وليست حالة الامور هذه مثيرة للدهشة عندما نتذكر مقدار قيمة هذه التواريخ كمصادر للمعلومات عن الابلينيين وعن الشخصيات الهامة في أي رواية عن المملكة اللاتينية في تلك الفترة ، وأكثر أيضا عن المشاكل السياسية والعسكرية ، والاقتصادية يوما تلو آخر .

ولكن السؤال الذي يعنينا في الوقت الحاضر ، ليس كثيرا مدى استخدامهما وطرائق ذلك ، بل ان النتائج التي ظهرت تقترح اجراء بعض التعديلات الكبيرة ، وفي هذا المجال ان التواريخ نوعا ما في

الحالة مثلها مثل كتاب « جين دي ابلن » (٢) الذي هو نص آخر ، ومع أنه في الحقيقة منجم غني بالمعلومات ، هو ليس بالضبط كما ظهر في البداية وكان يقدر كبير أساس الاعتقاد بأن مملكة بيت المقدس قدمت نوعا من أنواع مستحاثات الاقطاع ، وهذا النص بلغ درجة من الدقة دفعت الى الاعتقاد أنه كتاب الاسس لأنه من خلاله يمكن إعادة تشكيل هذه الاسس ، ولكن كما بين برور (٣) ، لم يكن جين دي ابلن يكتب عن التركيب المؤسسي والاداري للمملكة منذ زمن سحيق ، بل حول الاعراف القانونية حسبما كانت سائدة في أيامه ، ومثل هذا يجب أن نسأل أنفسنا اي نوع من النصوص نتعامل معه هنا ؟

وما الذي أراد مؤلفوها ومصنفوها تحقيقه في كتاباتهم ؟ وتقع التغيرات في الاستعمال الجاري في الوقت الحاضر للنصوص الذي تقترحه هذه الأسئلة في أربعة زمر كبيرة : أولا ، يجب التعامل مع النصوص كفتات وليس كوحدات قائمة بذاتها ، ثانيا ، يجب إلغاء التأكيد الموضوع على بعض النصوص على حساب أخرى ، ثالثا ، يجب على الأقل تعديل النهج المؤلف للوائح الكلمات ، وأخيرا لكن ليس آخرأ أبدا يجب تبني موقف أكثر حذرا تجاه هذه التواريخ المتقلبة ،

والسمة الأكثر اثارة للدهشة في التواريخ من وجهة النظر النصية هي تلك التي تؤثر بشكل جوهري بالغ في قيمتها كمصادر ، وهي الطبيعة المركبة لكل منها ، ومع أن هذا معترف به عالميا من قبل المؤرخين (٤) فإن هناك بشكل لامفر منه ميل لمعاملة كل كتاب كوحدة قائمة بذاتها ، وهذا النوع من الاستعمال يمكن أن يصور بشكل أفضل على أنه مشابه لاستعمال الأصوليين للكتابات المقدسة ، الذي يعتمد على الاعتقاد بأنه ليس فقط كل أجزاء الكتاب المقدس صحيحة بالقدر نفسه ، بل انها صحيحة بشكل أكثر حيوية بالطريقة ، نفسها وكما رأينا في الفصل المتقدم تتباين تواريخنا في الواقع كثيرا في معالجتها لمواضيعها ، وما هو أكثر انه بين كل

النصوص الفرنسية لجسم تاريخ ولیم الصوري ، لا يوجد واحد ليس إما تصنيفا من مصادر عديدة ، أو ترجمة تمت بدرجات مختلفة من الدقة ، أو شكلا من أشكال التبني لأعمال أبكر .

ولسنا بأي حال نتعامل مع تاريخ لنقل مثل تاريخ جوانفيل ، وهو عمل رجل واحد في موضوع واحد ، خطط له ، ونفذ من قبله بالصورة التي نملكها الآن ، وبناء عليه إنه أساسي فوق كل شيء من الأشياء أن نعامل الموجز ، وتاريخ ما وراء البحار ، والروايات العديدة للهرقليات ، على أن كلا منها مجموعة من المصادر ، وليس كل واحد منها مصدر واحد قائم بذاته .

وتبسط هذه المعالجة في الواقع الأمور بفعالية وذلك بقدر ما يعني المؤرخين ، وتجيب عن السؤال المتعب دوما عن ارتباط النصوص ببعضها بعضا ، وباعتبار كامل الجسم كمجموعة من الشذرات كل منها يمكن أن يظهر في نص واحد فقط ، أو في العديد منها ، ونؤكد في وقت واحد مزيتين حيويتين هما الطبيعية المستقلة لكل شذرة ، وتعلق مختلف النصوص ببعضها ، وهي التي تعاود هذه الشذرات باستمرار الظهور فيها ، ومن ثم من المرغوب فيه كثيرا محاولة تجنب إصدار بيانات عامة حول قيمة نص كامل كمصدر موثوق للمعلومات ، والتركيز بالاحرى على تقويم الأقسام المختلفة التي سبق لنا فصلها ، وبكلمات أخرى أن ننظر الى النصوص افقيا ، آخذين الشذرة نفسها عبرها كلها ، لا أن ننظر رأسيا الى نص واحد على امتداد طوله الكامل ، وحتى نضرب مثلا لناخذ الحملة الصليبية الرابعة ، حيث نجد أن لكل النصوص قيمة متماثلة ، طالما أنها جميعا تعطي أساس الرواية نفسها ، بينما من أجل الفترة ١١٨٤ - ١١٩٧ يمكننا القول أن رواية « د » تقارب بدقة أكثر تاريخ أرذول الأصلي من الروايات الأخرى ، ومن أجل غزو قبرص لدى « أ - ب » مادة ليست موجودة في أي مكان آخر بالمرّة ويجب أن نأخذ كل عنصر من هذه العناصر بحسب جدارته الخاصة ، أي حسبما يستحق ، باذلين دوما جهدا واعيا لفصل

العنصر حسب تقديرنا عن المكونات الأخرى التي اختارها كل مصنف لاحاطته بها .

وبأخذ النقاط السلبيّة أولاً ، يمكننا عملياً أن نقتطع من أجل البيئة التاريخيّة الصريحة مثلما كان المؤرخون يفعلون دائماً^(٥) ، كل ذاك الجزء من تاريخ هرقل ، الذي هو ترجمة لتاريخ وليم ، ومن الواضح أن المؤرخين لن يقرأوا ، بشكل طبيعيّ الترجمة عندما يتوفر لهم الأصل ، هذا وإن الأجزاء الأخرى من المصنّفات هزيلة جداً بحيث تكاد تكون عديمة الفائدة ، والجزء الأكبر من الموجز ، على سبيل المثال سطحي جداً حتى أنه يصعب أن يكون ذا فائدة حتى كوسيلة ضبط ، على مصادر أخرى أكمل ، فإذا وجدنا تعارضاً - لنقل - بينه وبين وليم ، فإنه سيكون قد أساء نصحنّا بأخذ وجهة نظر الموجز بصورة جدية كبيرة ، طالما أن المؤلف لم يعتبر بكل وضوح هذه الفترة عمله الرئيسيّ ، بل إنه تعامل معها بالأحرى كشيء مقحم على موضوعه الحقيقيّ ، وبالنسبة لأخذ هذه الفصول المبكرة كبيئة على تذوق الغرب وتصوره آنذاك للمملكة اللاتينية ، وأيضاً وجهة نظر مصنف الموجز حول قيمة عمله ، سيكون لدينا المزيد لنقوله فيما بعد ، وكمصادر للمعلومات المحضّة ، فإنهم قد وصفوا بشكل جيد من قبل بلدوين^(٦) على أنهم يمكن أن يكونوا مفيدين في تكملة التاريخ ، ولكن لا يمكن قبولهم مطلقاً بدون جدل .

والشيء نفسه يصح ، وإن لم يكن إلى المدى نفسه بالضبط عن رواية الحملة الصليبيّة الرابعة الموجودة في كل النصوص^(٧) ، وهي إلى الحد الذي يمكن لنا أيضاً أن نقوله مستقلة تماماً عن المصادر الأخرى المعروفة من قبل ، وأعني بالأساس دي كلاري ، وفيلهاربين وهكذا كان يمكن أن تقدّم رأياً مختلفاً عن الأحداث نفسها ، وهذا دوماً شيئاً نافعا أن نستحوذ عليه طالما أنه يسمح بالحصول على نظرة مجسّمة للموضوع ، ولكن مقارنة مع هذين الاثنين تعطي النذول اهتماماً أقل كثيراً لهذه الحملة

الصليبية ، حتى أن المقارنة يمكن بالكاد أن تكون تماما اما عادلة او مسرفة ، ونقص التفصيل مع ذلك ليس بأي حال بالمعيار نفسه ، مثل ذلك المبين في الجزء الأول من الموجز ، حتى لا نستطيع تماما أن نستبعد احتمال أن النيدول يمكن أن تثبت بأن لها بعض الأهمية في هذا الموضوع ، ويمكننا فقط القول انها يجب أن تعامل ببعض الحذر ، في القسم الذي فيه تكون مصداقيتها اما غير ثابتة ببيئة خارجية أو هي غير كافية في معالجتها لمواضيعها .

وحول مواضيع أخرى للنيدول هل تمتلك بدقة هذه القيمة ، أي أنها تقدم منظورا مختلفا للأحداث التي سبق أن كان لدينا قدرا كبيرا من المعلومات عنها ، وفي هذه الزمرة تقع روايتا حصار دمياط (٨) ، ومختلف الروايات عن حملة صليبية فريديريك الثاني وحروبه ضد قبرص وضد جين دي بريين ، ولا نستطيع أن ندعي أن النيدول تبطل بأي طريقة ما سبق معرفته ، ولا أنها مصادر ثمينة بشكل بارز في هذه المجالات ، ولكنها بالقدر الذي يمكننا قوله واسعة الاطلاع بشكل معقول ، وتعطي قدرا معقولا من التفصيل ، حتى اذا في هذه الاقسام نمتلك تسويغا قويا في اخذها بجدية واعتمادها اذا لم تتفق مع مصدر آخر ، وايضا انها من المحتمل جدا أن تكون قادرة على سد الثغرات الباقية في معلوماتنا من خلال استخدام المصادر الأخرى المتوفرة ، ومرة أخرى يمكننا ان تقدم لنا ليس فقط معلومات مختلفة أحيانا ، ولكن تفسيرا مختلفا للأحداث أكثر تماسكا ، وربما أكثر أهمية ، علما أنه ما من تاريخ يقدم معلومات صحيحة بدون أي تفسير مضاف من جانب المصنف ، وانه لحيوي جدا للمؤرخ اذا كان له أن يحاول أن يقوم بينته حيايا بقدر الامكان ، أن تتوفر له مصادر تصور أكثر من ولاء واحد ، والموجز والنيدول المتفقة معه عند هذه النقطة هي - على سبيل المثال - في الواقع متعارضة مع فريديريك الثاني ، وهكذا تزودنا بتوازن مفيد مع المصادر الأخرى التي تتبنى موقفه .

وهذه الاستبعادات تتركنا - دون أن نقول - مع تلك الأجزاء من

التواريخ التي تعتمد على تاريخ أرذول ، والتي تستمد قيمتها الاستثنائية في كل مجال من هذا بالاعتماد على الأقسام التي تغطي الفترة ١١٨٤ - ١١٩٧ ، وهنا ينطبق التضمين الثاني لمصطلحاتنا ، في تحريك التأكيد والاهتمام ، لأن هذه الشذرة تؤكد تمام التأكيد أنها مستمدة من تاريخ أرذول ، الذي هو أغنى المصادر جميعا ، وهذه الشذرة أيضا هي التي تتباين كثيرا في مظاهرها المتعددة في روايات الهرقليات والموجز .

وسيكون واضحا الآن أي تحويل في التأكيد والاهتمام أنا على وشك الدفاع عنه : إنه التحول تجاه المخطوط « د » لهذه الفترة ١١٨٤ - ١١٩٧ وكان الإهمال المحزن لهذا المخطوط والنتيجة التي يؤسف لها ، وربما التي لا مفر منها ، انزاله الى الحواشي النيلية وهي كثيرا ما كانت غير مرضية جدا في راشيل ، ورنسمان وحده هو الذي حقق أي فائدة هامة من بعض منوعاته الهامة (٩) ، وتبقى منوعات أخرى كثيرة غير مستثمرة بالمرّة ، وليس هذا القول بالطبع بأن الروايات الأخرى في تلك الفترة عديمة القيمة ، فرواية غولبرت فونتبلو (١ - ب) تحتوي على سبيل المثال بشكل خاص على معلومات عن غزو قبرص (١٠) ، لا يوجد في أي رواية أخرى ، مع أنه لا علاقة لها بأرذول الأصلي ، وتبقى ثمينة مثلها مثل أي رواية أخرى عن الأحداث نفسها ، والتي اعتقد مصنف واحد على الأقل أنها أفضل من تلك التي قدمها أرذول ، لأن أرذول لم يكن شاهد عيان لكل الأحداث التي يرويها.

وقيمة « د » هي ببساطة أنها كانت في هذه الفترة ، أدق إعادة اخراج باق لنا ، من تاريخ أرذول ، وفي هذا القسم هناك بالطبع بعض أجزاء أكثر قيمة من أخرى ، والقيمة تختلف بحسب عاملين : إذا ما كانت المعلومات لشاهد عيان أم لا ، وما هو القدر المعروف أنه من مصادر أخرى تبرهن أنها ذات قابلية ثابتة للاعتماد عليها ، وهكذا مع أنه لدينا من مصادر أخرى كميات كبيرة من

المعلومات حول معركة حطين وسقوط بيت المقدس ، وحول الفترة التي سبقت مباشرة ، وتلت تلك الأحداث ورواية أرذول كما نقلها مصنفو الهرقليات والموجز ، وبشكل خاص من قبل مصنف « د » هي عالية القيمة كثيرا لسببين :

انها رواية شاهد عيان ، وانها أعطتنا التفسير الوحيد للأحداث مقدما من قبل فرنجي بلدي ومؤيد بالوقت نفسه لريموند صاحب طرابلس .

وعن الجزء المبكر من الحملة الصليبية الثالثة من جانب آخر كما سبق أن قلنا يجب افتراض أن أرذول أقل امكانية للاعتماد عليه ، مع أن تفسيره يبقى هاما ، ولكن منذ ساعة وصول كل من رتشارد ، وفيليب اغسطس الى فلسطين (١١) ، حيث كان أرذول كما تبرهن لنا انه كان يشارك مرة اخرى بالذخايات ، وتلقي صورة رتشارد بشكل خاص بعض الضوء الجديد على شخصية شهيرة ، لأن الصفات التي جعلت رتشارد ، غير شعبي عند الملوك الأوروبيين الآخرين ، ومكره الذي كثيرا ما كان يقارب الخيانة ، وانفراده بالأهداف التي وسمت بالقسوة ، وبذلك سميت ، وبراعته في التعامل مع المسلمين هي على سبيل المثال ، كانت بالضبط تلك التي ضمننت له نجاحا شعبيا مع الفرنجة البلديين ، وكانت الأفكار المثالية عن الحرب المقدسة مقبولة جدا في أوروبا وصالحة لها ، لكن في سورية كانت الأعمال العسكرية الصحيحة والسياسة الاستراتيجية هي التي تحتل المكانة .

وهناك موضوع يقدم تاريخ هرقل والموجز وبشكل خاص المخطوط « د » عنه قدرا كبيرا من المعلومات وهو مذكور بقدر صغير في المجري العام للتواريخ (خلافا للعربية) الغربية ، إنه السياسة الداخلية للشرق الأوسط ، خاصة دولة أرمينية ، وعلاقاتها مع الدول الصليبية ، وهنا تتعزز قيمة التواريخ كثيرا أمام ندرة المصادر الأخرى ، وتزداد أكثر من أي شيء آخر ، لكن لا يجوز

التقليل من قيمة هذه المصادر واذراؤها على هذا الاساس ، وفوق كل شيء هنا ربما أكثر من أي مكان آخر نحرصز أفضـل تبصر ، بالحالة التي كانت عليها مملكة بيت المقدس و امارة أنطاكية بين الدول المجاورة لها ، وهنا ندرك مدى البعد عن أوروبا وعن السياسة الأوروبية وفق ما كانت عليه آنذاك ، وعن قدر الانشغال بقارة مختلفة كليا ، مختلفة في عقليتها ، وفي أليتها السياسية ، وفي ثقافتها ككل ، وهذا بدوره يغير رأينا في أرذول وتاريخه ، ويجعلنا نرى أنه وإن كان مكتوبا بالفرنسية ، غير أن عوالمه منفصلة تماما عن عوالم التواريخ الفرنسية الحقيقية في تلك الفترة ، لنقل مثلا عن فلهاربين و جوانفيل ، إذ مع أن احدهما استقر في الشرق ، وأمضى الآخر عددا من السنوات هناك ، فإن كل منهما بقي فرنسيا لا في مجرد اللغة ، بل في العقلية ايضا ، وبالنسبة للقارئ الأوروبي الغربي ان تاريخ أرذول كما يمكن تتبعه في المخطوط « د » بشكل خاص يكشف عن عالم جديد بصورة مؤكدة بالضبط مثلما تفعل كتابات معاصريه من العرب .

وباختصار اذا ، ان تاريخ أرذول قيم للغاية كمصدر تاريخي لأنه يعطينا معلومات لا يمكن الحصول عليها من أي مكان آخر ، ولأنه فريد تقريبا في تفاسيره ، وهو يوقف في هذا المجال في منتصف الطريق بين نصين رئيسيين من التواريخ : عربي وأوروبي ، والروايات المختلفة من الهرقليات والموجز ذات أهمية بالدرجة الأولى على اساس معيار تمثيلها الصحيح لأرذول ، وبناء عليه ان القسم ١١٨٤ - ١١٩٧ من رواية « د » هو الى حد بعيد أعلى الجميع أهمية وقيمة ومع أن تاريخ أرذول قد حظي منذ وقت طويل بتقدير المؤرخين فإن هذا التقدير قد عطل ، والمدي الكامل لجدارة أرذول قد طمس بقدر كبير ، بإيلاء الاهتمام للنصوص الخاطئة ، ومن ثم ظهر أرذول أضعف كثيرا ، قد لون بالالون الغربي ، وذلك من خلال الممارسة العامة بالاشارة الى الموجز على أنه « أرذول » افتراضا على اساس ، النصف الأول من عنوان طبعة ماس لاتري ، وفي الحقيقة مال جميع المؤرخين منذ ايام ماس لاتري الى قبول آرائه

كل المداخلات الكتابية المربكة التي يتضمنها هذا ، وعليه بينما
يعترف بنص المخطوط « د » على أنه من ١١٨٤ الى
١١٩٧ اقرب مالينا من اردول يجب أن نؤكد مع ذلك أن هناك
مسافة معينة ، ويحتمل أن تكون مسافة كبيرة بينهما ، ذلك أن
تاريخ اردول الحقيقي مفقود بالنسبة لنا .

ماذا اذا نسمي النصوص ؟ ان اسم « تاريخ هرقل » غير ضار
ابدا كعنوان لمقتن الترجمة والنيول ، طالما انه لايقول شيئا عن تأليف
النص أو المصدر أو المضمون ، أو في الواقع عن أي شيء سوى
الكلمات الافتتاحية ، ولهذا لا حاجة لنا لأي تحفظات حول
الاستمرار في استعمال اسم الفئة التي ترشحه لوحدها بقوة ، هذا
ويمكن لهذا الاسم ان يتبنى بطرق مختلفة ليصف الروايات
العديدة : فنص « أ - ب » مثلا يمكن أن يسمى (كما هو الحال
بالفعل) تاريخ هرقل برواية غولبرت فونتيزبلو ويمكن أن يصبح
نص « غ ج » معروفا باسم رواية نوالي لتاريخ هرقل ، متخنين له
اسما كما فعل النص المعروف باسم « نيل دي روثلين » المستعار
من اسم أقدم ممتلك معروف للمخطوط ، ويجب بالتأكيد أن يسمى
نص « د » باسم تاريخ هرقل حسب مخطوطة ليون ، والاكثر
صعوبة هي المشكلة المثارة بفعل الروايات العديدة للموجز ، وفيما
يتعلق (١٣) بنص ١٢٣٢ إن العنوان الببهي هو تاريخ برنارد
الخازن ، طالما أننا نعرف بالتأكيد أنه قد صنفه ، وأن اردول عمل
فقط كمصدر له ، غير أنه عرف باسم تاريخ اردول لفترة طويلة
جدا ، هي بكل دقة مائة سنة بالضبط حتى الآن حتى أن مثل هذا
التغيير الكلي في الاسم سيسبب بلا شك تشويشا لا نهاية له ويحدث
خبرا أكبر من الفائدة المقابلة ، وفي الوقت نفسه إنه من غير
المرغوب فيه حقا في المضي في تسميته بتاريخ اردول ليس فقط لأنه
ليس تاريخه بل لأنه حتى ليس شبيها جيدا به في الجزء الأكثر
جوهرية ، وهو ١١٨٤ - ١١٩٧ ، وقبل ١١٨٤ يمكن الاعتماد
عليه فقط كحقيقة قائمة لعدم توفر الافضل ، وأفضل تسوية كما
يبدو هي أن ندعوه باسم « تاويخ اردول - برنارد » وهو اسم

- ٣٧٤٦ -

ممائل بشكل معقول للاسم الحالي ، ثم إنه وإن لم يحمل الحقيقة الكاملة ، فإنه يحمل على الأقل بعض الحقيقة حول النص ، وهي أن أرذول هو أحد مصادره الرئيسية ، وبرنارد هو مصنفه ، وأقصر روايات الموجز التي تنتهي في ١٢٢٧ و ١٢٢٩ ^(١٤) لا تستعمل بالعادة منفصلة عن رواية ١٢٣٢ ، طالما أنها لا تقدم شيئاً هاماً لا يوجد في أرذول - برنارد ، ولكن إذا دعت الحاجة إلى اسم متميز ، على سبيل المثال لتسهيل مناقشة هذه النصوص يمكن أن يكون هذا الاسم هو « موجز أرذول » ، مقدماً مرة أخرى رابطة ذات مثال متقدم ، وأيضاً تعديلاً لصالح الدقة ، وإذا ما أمكن تطوير مجال كامل الأسماء ، وتم تبنيه بهذه الطريقة ، فإنه سوف يعني أن استعمالاً أكثر تمييزاً من ذي قبل يمكن تحقيقه من النصوص ، لا سيما في الأماكن الحيوية حيث تتصادم مع بعضها بعضاً ، طالما أننا عندئذ سنكون متأكدين مما يعني أحد بقوله « أرذول - برنارد » ، بينما في الوقت الحالي ، إن أحد الدواحي باللغة التشويش في المناقشات النصية ، هي أن المرء لا يستطيع مطلقاً أن يكون متأكداً تماماً مالذي يعنيه ناقد واحد مثلاً ، بتاريخ أرذول ، ونظام الأسماء المقترح هنا ليس مثالاً بأي حال ولكنه على الأقل يعني أن قضية المصادقية في النصوص لن يحكم عليها تماماً مسبقاً في ذهن القارئ بالعناوين المستعملة لتسميتها وتمييزها.

ورابع المضامين المذكورة أعلاه وآخرها أن معالجة أكثر حذراً بكثير للتواريخ مرغوب فيها ، على أن يبقى في ذهن أي نوع من النصوص هم في الحقيقة . ومالذي قصده كل واحد من مؤلفيها أن يكتب ؟ وأبسط طريقة للإجابة على هذا السؤال الجوهرية هي افتراض السلسلة المتصلة ، التي لها من طرف مصادر ، هي عبارة عن تقارير معاصرة للأحداث ، أو أحوال الأمور - سجل الأبرشية أو الدائرة - مثلاً وفي الطرف الآخر كل أنواع الإبداع الأدبي الصرف ، الذي لم يكن لدى مؤلفيه تصور في أن يكون عملهم مستودعاً لمعلومات دقيقة ، إنما قصدوا ببساطة شد انتباه قرائهم

اليهم ، ويمكن لكتاباتهم مع ذلك أن تقدم عرضيا كمصادر ، مع أن هذا سيكون بطريقة مختلفة تماما عن النوع الأول من الوثائق ، وحسبما قال غلادستون : أن أشعار هوميروس في أرفع معنى تاريخية ذلك أنها سجل للأخلاق والطبائع والمشاعر والأذواق ، والأعراف والبلاد والمبادئ والمؤسسات (١٥) .

ان هذه بيئة ولكنها من أكثر الأنواع غير مباشرة ، ويجب أن تفسر بصورة مختلفة جدا عن بيئة وثائق الوقائع المقصودة والأكثر صراحة ، وبين هذين الطرفين لأي نص بالضرورة مكان دائم في هذه السلسلة ، وعلى سبيل المثال بين تحليل الموجز كيف تفاوتت انشغال مؤلفه بالوقائع الصحيحة بدرجة كبيرة من جزء في النص إلى آخر (١٦) . ولكن من الجوهري أن نسأل أنفسنا قبل استعمال أي نص : مالذي أراد مصنف النص أن يكتب ؟ والاخفاق في طرح هذا السؤال ، والتمييز بين النصوص ، مع ارتباطها السطحي ببعضها بعضا ، مختلف جوهريا في النوع ، ويمكن أن تكون له نتائج غير مرغوب فيها وسنتفحص الآن مثلا منها .

أعطى مؤرخ واحد فقط بعض الاهتمام للترجمة الفرنسية لتاريخ وليم وأعني هنا برور ، ففي بحثه عن استعمار المملكة اللاتينية (١٧) ، استخدم مرارا وتكرارا الفروق بين التاريخ وترجمته ، وتعلق استخدامه الأعظم لهذه الفروق حول تأسيس قلعة الشوبك في سنة ١١١٥ ، فقد تحدث وليم الصوري كيف جلب الملك سكانا إلى القلعة بقوله « ... وضع حامية من الفرسان والجنود المشاة هنالك وأعطاهم ممتلكات واسعة » (١٨)

وعلق برور على كلمة « ممتلكات » : لأن مـا معنى كلمة « ممتلكات » هذه لدى وليم الصوري ؟ وأزال المترجم والشارح الفرنسي جميع الشكوك ، وأضاف معلقا على الحادث بقوله :

'Il [i.e. rei] i fist remanoir de sa gent chevaliers, sergens, villains gaengneors, et à toz douna granz teneures en la terre selonc ce que chascun estoit.'

وهكذا بين أنه كان بين الذين نالوا الممتلكات بعض الفلاحين ، ومن المهم ملاحظة أنهم لم يكونوا من السكان الأصليين للمنطقة بل كانوا رجالا جلبهم الملك مع حملته الى الجنوب (١٩) والآن مالذي أراد المترجم أن يحققه في عمله ؟

يفترض برور هنا أنه كان يعمل على إخراج ترجمة بقدر ما يستطيع من الدقة لكتاب تاريخ وليم ، وفي الحقيقة يبقى أفضل أن نقول أن اضافاته غير الكثيرة الى نصه ، قصد بها أن تكون شرحا للكلمات الصعبة ، ولم تكن انحرافات عن روح نصه ومعناه ، بل كانت توضيحات تمت عن معرفة ، وفي الواقع واضح مما نعرف عنه ، وعن عمله أن كل اهتماماته تعلقت بالتبسيط الشعبي أكثر منه بالنقل بدقة ، وأنه كرجل فرنسي كان يعمل في الربع الثاني من القرن الثالث عشر ، لم يكن بأي حال في وضع يجعله يعرف التفاصيل الدقيقة من هذا النوع ، ويحتمل أنه كانت لديه فكرة صغيرة جدا عما كان هؤلاء الذين نالوا الممتلكات ، ولا تقدم أي كلمة فرنسية قديمة نفسها كترجمة مباشرة لهذا الاصطلاح ، وهكذا أخرج هذا الاداء الحر مكملا النقص في المعرفة من خياله الخصيب ، ومعطيا رواية أكثر تلاوينا عما كان عليه الاصل المحترم ، وكان يقدم للقارئ الفرنسي عملا مشهورا أكثر مما ينبغي لأن تكون حاجة للإشارات الخارجية للاحترام ، مما يعتقد أن الاسلوب الرفيع يمكن أن يمنحه ، ولعل الذي التمسه هو أن يجعله أجمل ما يمكن لجمهور كان بالطبع مهتما بالتاريخ الذي كتبه وليم أكثر منه بقصة ساحرة عن انجازات الجيوش فيما وراء البحر ، وأكثر من سجل ذي دقة مطلقة بالوقائع ، وكان تاريخ هرقل يعرف أحيانا باسم « رومان دي ايراكل » وهذا لم يكن عنوانا دقيقا لأنه كان ما يزال تاريخا في جوهره ، ولكن ليس تاريخا بدون دلالات .

وهذا المثال يخدم لبيان كيف أن المعالجة المختلفة لكاتبين (في هذه الحالة وليم ومترجمه) للمادة نفسها يمكن أن تعني أن معالجة مختلفة كانت مطلوبة أيضا من كل من يحاول تفسير معانيهما ، وفحص هذه المجموعة من التواريخ قد بين أنها تغطي كامل المجال من الكتابة التاريخية الأكثر رصانة الى القصص الخيالية ، وأوضح وليم لنا في تاريخه أنه رأى في نفسه مؤرخا ، وأن هدفه من الكتابة كان تدوين سجل للأجيال المقبلة بأدق طريقه ممكنه وأكثرها حيادا دون اخذ بالاعتبار لمشاعره الخاصة بالأمر ، وموقفه الشيوقراطي الواضح لم يخرب رؤيته للتاريخ كسياق سبب وأثر ، وهو في الواقع كما وصفه رنسمان (٢٠) كان واحدا من أعظم مؤرخي العصور الوسطى . ونحتاج فقط أن نأخذ بعين الاعتبار تعاطفه المعلن - الكهذوتي والملكي - وبعض عدم الدقة الذي لا مفر منه ، قبل أن نضع ثقتنا في عمله ، وبالمقابل كان مترجمه في اشتغاله وأنشغاله المسبق رجلا أدب ولم يكن مؤرخا ، ويمكن لعمله أن يخبرنا بشكل غير مباشر بقدر كبير حول الاختلافات في أذواق جمهور القراء ، مثلما هو الاختلاف المفترض بين مؤلف التاريخ ومترجمه ، وأيضا شيئا حول كيف تصورت فرنسا القرن الثالث عشر ، بلاد ما وراء البحار في القرن الثاني عشر ، ولكنه كمصدر للمعلومات الواقعية لا يحتاج التوصية بنفسه بالمرّة ، وإذا استعمل هكذا يجب أن يكون فقط مع أكبر التحفظات . (٢١)

وتظهر هذه المقارنة بين التاريخ وترجمته الى الفرنسية بوضوح كيف يمكن لمنتجات مختلفة جدا أن تنطلق من المادة الأساسية نفسها ببساطة لأنها استخدمت بطريقة مختلفة ، وقصد متباين ، ويصبح هذا حتى أكثر وضوحا عندما نتأمل الهوة التي تفصل بين التواريخ الصحيحة والنيول الصحيحة من جهة والمصنفات المختلفة أي الموجز وتاريخ ما وراء البحار من جانب آخر ، وسيكون افراطا في التبسيط ، ولكنه ليس بدون فائدة ، الاعتقاد بأن الاول (الموجز) يمكن مقارنته (مع أنه أبني بكثير) مع تاريخ وليم والثاني (تاريخ

ما وراء البحار) كأنه مؤلف بروح أكثر شبها بروح مترجم ولیم ، وإن التمييز بالطبع بين الجذسين من التاريخ والخيال في انهما مؤلفيهما لا بد أنه كان كالتمييز بين الحقيقة والخيال بشكل عام ، وضبابي جدا لكي يكون غير مفهوم عمليا ، ولكن مازال ضروريا لنا أن نسأل أنفسنا عندما نستعمل هذه النصوص التي يميلون بأكثر قوة نحو مناقضتها ، بالتالي أي نوع من البيئة منطقيا يمكن أن نتوقع منها ؟ ،

وهكذا فإن الموجز لكونه كما رأينا عمليا تبسيطا ، وإن يكن بالاحرى غير ناجح ، يمكن على المستوى الواقعي أن لا يفعل شيئا أكثر من تكمله مصادر أخرى أكثر اكتمالا ، ولكن يعطينا أيضا بالاهتمام الذي منحه للعام ١١٨٧^{٢٢} بعض التلميحات الى الأهمية الكبيرة التي أولاها الغرب لضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، والطريقة الدرامية التي تم التعامل بها مع هذه الأحداث ، ويرينا الاعداد المسرحي الذي هيء (والاستعارة اختيرت قصدا) لهم أيضا كيف أصبحت قصص بيت المقدس ترى من ضوء ليس غير مشابه للجو نصف الضبابي ، ونصف البطولي الذي أحاط بقصة آرثر ، وهذه ناحية قدر لها أن تجد تعبيرها النهائي والأكثر وضوحا مع كاكستون^{٢٣}

ومثل هذا في حالة مواد تاريخ ما وراء البحار ، لا يمكن لاحتجاجات المصنف بنظرته بازدياد اليهم « كحكايات روما ذسية » أن تخفي ميله الخاص اليهم حسبما تبين من الاقصاديين الخياليين ، اللذين سبق ووصفناهما^{٢٤} ، والمادة التاريخية الظاهرة التي يقدمها لنا هذا النص ، والتي ما أراد المؤلف حقها أن ينتجها كان قصصا رومانسيا عن صلاح الدين ، وفي هذا نجح بشكل مشير للاعجاب ، ونظرته للتمييز بين الحقيقة والخيال طفيفة. حتى أننا لا نستطيع أن نخاطر بالتصديق بدون فحص دقيق لأي شيء يقوله ، ولكن ما أراد لنا أن نصدق كان صحيحا ، وبشكل خاص حول صلاح الدين نفسه ، وهذه هي الناحية الأكثر أهمية في

عمله ، وهي الناحية الأجدر بالدراسة القريبة ، وبكلمات أخرى : إن هذا النص ليس لديه على ما يبدو قدرا كبيرا يسهم به في معارفنا عن التاريخ السياسي للمملكة اللاتينية ، ولكنه أضاف بينة جديدة للمسألة المساوية في الأهمية ، وهي مسألة الصورة الشعبية لصالح الدين في الغرب .

ومع النيول كما تتعارض مع هذه التواريخ القصيرة ، نحن فوق أرض أكثر أمنا بعض الشيء ، والفتح الرئيسي الواجب تفانيه هنا هو الاعتقاد أو الافتراض أن النيول قد كتبت هكذا كما هي ، لأن هذا وإن كان صحيحا بالنسبة لبعضها إنه غير صحيح بالنسبة للجميع ، فتاريخ أرذول وهو أحد المصادر الرئيسية التي استخدمها مصنفو النيول ، يبدو أنه كتب كما رأينا كمسوغ لسياسات الإبلينيين في فترة حرجة من تاريخ بلادهم ، وقد بقيت هذه الناحية بعد الآثار المعدلة للتدقيق بدرجات مختلفة في الروايات العديدة التي استخدمته ، ولكن بعيدا عن الانتقاص من قيمته بوساطة بينة انحياز أرذول ، ببساطة لأنه انحياز واضح جدا ، مما يفقده كثيرا من خطره ، ويضيف إلى القيمة الإخبارية لعمله الفرصة المتاحة لنا لرؤية المملكة اللاتينية من خلال عيني فرنجي بلدي ، ويضيف هذا بدوره قليلا لمعرفتنا الهزيلة حول مجتمع خلف القليل جدا من الآثار الثقافي ، وهو مع أنه كان أوريبيا بجذوره وموارثه ، فإنه في الحقيقة أكثر غموضا بالنسبة لنا منه للجيران العرب الغرباء كليا ، والذين لديهم تراثهم الثقافي القوي جدا ، وتاريخ أرذول هو إلى الحد الذي يمكننا فيه أن نتعقبه ، هو إلى جانب كونه سجلا لكيفية سقوط بيت المقدس ، والصليب المقدس في أيدي المسلمين هو أيضا سجل « للأخلاق والطبائع والمشاعر والأذواق » لحضارة عاشت قليلا لكنها كانت حضارة متميزة .

ولا يمكننا أن نكرر كثيرا جدا الحقيقة المؤسفة أنه حتى تظهر مخطوطات جديدة ، الأكثر احتمالا أنه تاريخ أرذول سيظل مفقودا إلى الأبد ، ولكننا نستطيع أن نخفف من وقع هذه الخسارة بعض

الشيء بتوجيه الاهتمام المستحق للنص الأكثر شـبها به وصدورا عنه ، وأعني به قسم ١١٨٤ - ١١٩٧ من مخطوطة ليون من تاريخ هرقل (أي نص د) الذي لم يتلق حتى الآن الاهتمام الذي هو جدير به ، ويمكننا أيضا أن نتفادى الأضرار بأردول باعارة اسمه لعمل قصير بسط شعيبا ذلك أنه غير لائق به بأي شكل من الأشكال ، أو إعارة مصداقيته لقطع أخرى من النص التي وضعها سوء الحظ وحده الى جانب عمله ، كما يجب أن لا نضع ثقتنا في أي من هذه التواريخ على الأقل ليس الثقة التي لا تستدعي أي تساؤل ، لأننا يجب أن نأخذ دائما في الحسبان أنه من بين كل مؤلفيها ومصنفيها فقط الأول منها والأعظم أي وليم الصوري هو الذي كتب بوعى وضمير كمؤرخ لأيامه ، وكان لدى كل خلفائه بواعث أقل صفاء بكثير ، ويجب أن لا ندع لقناعتنا بأسلوبهم مجالا لأن تدغدغنا بقبول غير متحيز بكل ما استهدفوا أن نصدق ، وليس هذا للقول بأن الهدف (أو ما يجب أن يؤمل ، أو النتيجة) من هذه الدراسة كان « إثبات سخر كل ماكتب حتى الآن واعادتنا الى الجهل مرة أخرى » بل الأحرى تقديم بعض المفاتيح لبناء هذه المتاهة المعقدة ، وفي الوقت نفسه تأكيد أننا لا يمكن مطلقا أن نتحمل التقليل من شأن تعقيدها ، ولكن الاستعمال الحكيم لهذه التواريخ يمكن أن يسمح لنا بأن نستخلص منها شيئا ما ، مع أنه ليس القصة التي تسبب أردول بأن تسجل كتابة ، يمكنها أن تخبرنا بقدر كبير مما حدث في زمانه ، وكيف بدا ذلك لمعاصريه ، وهكذا فإن عمله كعمل وليم مع أنه بأسلوب أقل مباشرة يمكن في النهاية أن يستخدم كسجل لتقدم ثم سقوط المملكة اللاتينية في بيت المقدس .

الملحق رقم ١

مخطوطتا : القديس أومر ٧٢٢ وليون ٨٢٨

المخطوط رقم ٧٢٢ في مكتبة بلدية القديس أومر ، وهو مجلد ورقسي من ١٦٣ ورقة ، وبالإضافة الى ورقتين فارغتين ، ومحتوياته كما يلي :

١- قطعة من « تاريخ القدس » تأليف جاك دي فيتري - أسقف عكا :

Incipit (f.1a): Innocens li apostoles de Rome vault savoir les usages et les costumes les contrees des passages de le terre des Sarrasins. Explicit (f.4a): Toutes ces choses manda li patriarches al apostole Innocent et a l'eglyse de Rome.

٢- الاولبياد أو فقدان القدس تأليف بيير دي بوفياس :

Incipit (f.4a): Lonc tans devant l'incarnation Nostre Segnor fu une chités en Gresse qui avoit non Elyde. Explicit (f.4b): A m ans et IIII vins et vii le reprist Salehadins. Or sont xiiij fois. Encore le tiennent Sarrasin, Dieus par sa debonaireté le nous rende.

٣- تاريخ أرذول مع ذكر اسم المؤلف :

Incipit (f.4b): Or entendés comment le terre de Iherusalem et le Sainte Crois fu conquise des Sarrasins sor Crestiens (ff. 49b ff.)

يحتوي هذا النص على وصف فلسطين والقدس ويأتي على ذكر أرذول بالاسم

f. 32b, col 2: Dont fist descendre i sien vallet qui avoit non Ernous. Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit. Explicit (f.91b): Apres s'amassa grant gens et grant ost et ala encontre le roi Jehan. Et manda son fil en Alemaigne.

٤- حياة شارلمان :

Incipit (f.92a): Ci commence le vie KM si come il conquist Espagne.

وهذا المخطوط لم يكن معروفاً لما س لا تري عندما أعد طبعته للموجز في ١٨٧١ ولكنه كان معروفاً لدى راينت الذي ضمنه كرقم ١٣ في كتابه « مصنف جامع لمخطوطات هرقل » الذي نشر في سجلات الشرق اللاتيني لعام ١٨٨٠ - ١٨٨١ وهو مفيد من عدة وجهات نظر تتجمع لتجعل منه قطعة هامة مفقودة في صورتنا الكاملة عن تطور الموجز .

ويمدنا مخطوط القديس أومر ، ٧٢٢ بنسختنا الثالثة من موجز ١٢٢٩ ، والأخرى هي بروكسل ١١١٤٢ (مخطوط ماس لا تري الأساس) وب . ن . ف . فر ٧٨١ مع ذكر واسع لاسم أرنول كمؤلف بالإضافة الى هذين الاثنين والى موجز ١٢٢٧ الموجود في برن ٤١ وهو لا يشابه النسختين الأخريين للموجز ١٢٢٩ على أي حال من ناحية هامة ، اعني أنه لا يرتبط به على أي صورة والقطعة التي تبدأ بجملة : « سنة تجسيد مولانا » ، ويحوي بروكسل ١١١٤٢ هذه بالصورة التي طبع بها من قبل ماس لا تري مثبتة في نهاية نص الموجز ويحويها أيضاً في ب ن ٧٨١ في النهاية في صورة حتى أطول تمتد لبعض الطريق بعد نهاية رواية بروكسل ، وعليه فإن مخطوط القديس أومر ٧٢٢ هو النسخة الوحيدة من موجز ١٢٢٩ الذي لا توجد فيه هذه الشريحة والتي يسمح لنا بأن نرى الشريحة لأجل ما هي قطعة من نص غير مرتبط بالموجز إلا بهوية مواضيعها ، وملتصقة بلا فائدة بنهاية من قبل أحد الكتاب الذي نسخ النص كما هو موجود في القديس أومر ٧٢٢ ، واعتقد أنه من المناسب أن يتابع الى شيء مشابه ، وهو الذي على ما يبدو لم يتمه أبداً في بروكسل ١١١٤٢ بالنظر للرواية الأطول الباقية في ب . ن ٧٨١ وبطريقة ما بناء عليه يصور القديس أومر ٧٢٢ بذاته عائلة مختلفة من النصوص (إذا كان بالامكان استعمال كلمة « عائلة » حيث يوجد فقط عضو واحد) وهذا هو موجز ١٢٢٩ قبل أن تضاف الشريحة غير ذات العلاقة اليه ، ويشوش قضية العلاقة بينه وبين القديس أومر ٧٢٢ أن موجز ١٢٢٩ له

وجود مستقل ، ويصور النص في مرحلة أبكر في تطور من أي من المخطوطات التي كانت معروفة لماس لاتري ، ويتوجب على أي محقق جديد للموجز أن يأخذ مخطوط القديس أومر بجديّة أعظم ، وهناك امكانات كبيرة في أن تقوم طبعة جديدة عليه بدلا من القيام على مخطوط بروكسل ١١٤٢ الذي يجب أن يغطي نصا تاليا دون اعتبار لتواريخ المخطوطات طالما أنه سبق للشريحة أن أضيفت هنا ، ويجب على المرء أن يضيف أنه مستحيل بشكل غير قابل للإثبات أن المصنف قد نسخ نصا من عائلة بروكسل ١١٤٢ مستبعدا الشريحة وهكذا أخرج نص القديس أومر ، ولكن يبدو أنه بكلمة واحدة ذلك غير وارد بالبتة .

أما بالنسبة لتاريخ مخطوط القديس أومر ٧٢٢ فهو قد أعطي في الفهرس ومن قبل راينت الذي يحتمل أنه قد اعتمد في هذا على تاريخ أمين المكتبة - على أنه القرن الرابع عشر ، ولكن الدكتور جارو سلاف فولدا من جامعة نورث كارولينا شابيل هل قد أثبت أن المنمنمات ومن ثم المخطوط ذاته لا يمكن أن يكون تاريخه أبعد من القرن الثالث عشر (١) .

ونقطة واحدة أخيرة حول المخطوط هي أنه أتى من بير القديس بيرتين وهو بيت بندكتي (لم يبق منه سوى الأطلال) ومكانه في القديس أومر ، وهذا يثبت حتى بوضوح ارتباط الموجز بهذه المنطقة من فرنسا ، وما هو أكثر فإن القديس أومر يقع على أقل من ١٠٠ كيلو مترا من طيران الغراب عن بيت بندكتي أكثر شهرة ، هو غوربي ، ونعرف أنه كان أجراء شائعا بين البيوت الديرية أن تعير بعضها بعضا كتباً ، أحيانا لافساح المجال لأخذ نسخة لمكتبة الدير ولدينا الآن نصان - القديس أومر ٧٢٢ وتاريخ برنارد الخازن - المثبت بأحكام ببيوت المرتبة نفسها وقريبة نسبيا من بعضها بعضا ، وعلاوة على ذلك فإن تحديد هوية (مرة أخرى من قبل الدكتور فولدا) كل من مخطوطي تاريخ ماوراء البحار وب . ن . ف . فر . ٧٧٠ و ١٢٢٠ ، بأنهما زينا في هذا الجزء

نفسه من فرنسا يعطينا نصا متعلقا آخر ، مرتبط بالناحية نفسها ، ويبدو ان شمال شرق فرنسا وفلاندرز لم تعط فقط كثيرا من الحملات الصليبية بل ايضا كثيرا من التواريخ المتعلقة بالحروب الصليبية ، لأسباب يوجد هنا فقط وقت لذكرها كتخمينات : انها ربما الرخاء العام للمنطقة وكذلك الوجود الكثيف لليوت البندكتية ، التي أمكن لفرق النسخ فيها أن تقدم كل التسهيلات الضرورية ، وفوق كل شيء الطريق الذي مالت فيه الصليبية لأن تصبح تقليدا عائليا كما فعلت في عائلة جـوانفيل وفي قاعة قلاع القديس أوامر - الفوكمبرغ ، وباختصار بأخذ القيمة الاجمالية لنص القديس أوامر بحد ذاته بالاعتبار والبنية التي يقدمها عندما ينظر اليه في علاقته بالنصوص الأخرى ، وما سبق معرفته حولها ، نرى ان راينت لم يكن مبالغا بالحد الأدنى عندما وصف هذا المخطوط بالثمين جدا (٢) .

وبالانتقال الآن الى مخطوط ليون ، نجد حتى أكثر لتتعلم منه ، لا بل حتى الكثير من القيمة كما أصبح واضحا في مجرى هذه الدراسة انه مجلد من قطع الربيع كبير « بقياس ١٢ بوصة x ٨.٥ » بوصة مكون من ٣٨١ ورقة ، بالإضافة الى ثلاث ورقات بيضاء ، وهو مكتوب بأيدي عديدة في عامودين من ٣٩ سطر للعامود وبه ٢٣ من المنمنمات ، وهذه كلها كبيرة نوعا ما ، وبشكل نموذجي بعمق ثلاث بوصات واتساع كامل العامود وذات أهمية خاصة لمؤرخي الفن ، الذين يعرفونها بأنها من عمل ورشة عكا (٣) .

وما يمكن ملاحظته ان المنمنمات ترد فقط في ترجمة وليم ، وليس في جزء النيل من النص ، والمخطوط ليس مؤرخا بالضبط ولكن الصور يعتقد من قبل بوخثال بأنها شبيهة جدا بصور مخطوط عكاوي آخر ، حتى أنه يمكن ادراك أنها من عمل المعلم نفسه ، وأعطى هذا المخطوط الثاني تاريخا هو حوالي ١٢٨٠ ، وكان هذا المخطوط في أحد الأوقات تابعا للكلية

اليسوعية في ليون ، وتذكر رقعة مكتوبة أثبتت على أول الكتاب انه قد أعطي لها في ١٦٩٨ من قبل شخص يدعى ملاكور فيلبرت وهو الآن ملك لمكتبة المجلس البلدي ويحمل رقم ٨٢٨ (من قبل ٨١٥ و ٧٣٢) في مجموعتهم .

والخط في القسم الاعظم كبير ، ومقروء بوضوح ولكن عددا من الصفحات قد بهتت وأصبح من الصعب ، ويجمل أحيانا من المتعذر ، قراءتها والصعوبات ليست على أي حال بقدر مايمكن بشكل معقول استنتاجه ، من قراءة طبعة هذا الخطوط في صور مختلفة في راشيل ، حيث الكثير من المسافات الفارغة غير الضرورية والكثير من القراءات الخاطئة بدرجة كبيرة ، ولا حاجة للأسهاب في الحديث عن أهمية هذا الخطوط للناقد التاريخي ، والنص على السواء - وقد سبق أن رأينا أن نصه فريد وحيوي لفهمنا لتعدد روايات الهرقليات ، والحاجة الى طبعة جديدة واضحة وفي الحقيقة يمكن للمرء أن يقوم ببساطة بطبعة طالما أن طبعة راشيل له غير مقروءة في صورتها ، وغير أهل أيضا للاعتماد عليها ، ولكن السؤال هو ، مالذي يجب تحقيقه بالضبط ؟ وبالنسبة للمؤرخين ماهو مطلوب هو طبعة جزئية لهذا الجزء من النص الذي يعتمد مباشرة وبدقة على تاريخ أرذول ، والذي يحوي كثيرا جدا من المعلومات القيمة لهم ، وهو القسم ١١٨٤ - ١١٩٧ ، وهذا أيضا القسم الذي يهتم به أكثر دارس النص ، ولكن تبقى حقيقة أن طبعة جزئية في كثير من الاحوال غير مرضية كثيرا له. والبديل مع ذلك هو تحقيق كامل النص ، اي جميع ال ٣٨١ ورقة منه ، وهذا سيكون طويلا ، والى حد بعيد غير مثمر تماما لانه ما من احد سيكون مهتما بقراءة الترجمة الصحيحة ، ثم إن القسم ١١٩٨ - ١٢٣١ ليس فيه خلاف جوهري عن الموجز الذي سبق تحقيقه بشكل واف ومناسب من قبل ماس لا تري .

- ٣٧٥٨ -

والقسم ١٢٣١ - ١٢٤٨ مشابه تقريبا للقسم نفسه من المخطوطات الاساسية في راشيل ، وهو مرة أخرى كاف بشكل مناسب في هذا المجال ، والمشكلات المثارة هكذا بفعل مسألة تحقيق هذا المخطوط هي في حد ذاتها ليست دلالة سيئة على التشكيلة الواسعة من الاهتمامات التي تخدمها ، وعندما نسأل أنفسنا ، ماذا تكون حالة معرفتنا حول كتاب تاريخ هرقل بدون هذا المخطوط فإن الجواب سيكون محبطا بدرجة كافية ، وفيما يتعلق بتتبع الصورة الاصلية لتاريخ أرذول ، فإن هذا يكون مستحيلا ، وقد أصدر ماس لاثري تعليقا عابرا فقط حول النص (٤) ، لكنه كان مصيبا مرة أخرى.

الملحق رقم ٢

الفرنجة البلديون - البوليانز -

لا يتصل المعنى الذي يذسب عادة لهذه الكلمة من قبل مصنفى المعاجم بدقة الاستعمال الجارى لها من قبل مؤلفى اللغة الفرنسية القديمة ، ويتفق كل من توبلر لوماتش وغودفري - والملاحظة الواردة فى نيل روثلين (راشيل - ج ٢ ص ٦٣٣ ، ملاحظة ب) فى وصف البوليانز بأنهم أبناء زيجات مختلطة بين الفرنجة ، والسوريين ، ولكن النصوص لا تؤيد ذلك ، ويقتبس كل من توبلر لوماتش وغودفري فقرة من جوانفيل قيل فيها : « الناس من الفلاحين والبوليانز » فهو لم يقل شيئاً حول تحدرهم المختلط ، وواضح من السياق أن كلمة « فلاحين » اصطلاح أراد به هنا بكل بساطة الفقراء من سكان فلسطين ، وهؤلاء « الفقراء » فى مواجهة الأوربيين مثل جوانفيل نفسه ، لم يشككوا طائفة اجتماعية ، ولم يكن من المستبعد أنها حوت أناساً من الشريحة الراقية ولدوا فى الدول الصليبية ، ولم يستبعد أيضاً الذين كانوا من سلالة فرنسية صرفة ، ويتفق هذا مع استعمال الاصلاح نفسه فى نص « د » من تاريخ هرقل (انظر راشيل ج ٢ ص ٦٣ ، « د » متذوع) حيث وصف البوليانز « بجيل الفقراء » و « بأبناء المملكة » وذلك فى مقابل الفرنجة الوافدين - البوتيفينز - وهم الذين لم يلدوا فى المملكة بل أنهم ، جاءوا من أوروبا مع غي لوزنغن ، ومرة ثانية ما من شيء محدد حول تحدر البوليانز ، ومن المؤكد أن الطائفة المواجهة البوتيفينز حوت أعداد كبيرة من الناس الذين لم يكن تحدرهم الفرنسي وأصلهم الصافي موضع أي شك ، ولنضرب هنا مثلاً بالآخوة الإبلينيين ، وريموند صاحب طرابلس ، ونكتفى هنا بالاسماء ذات الشهرة الواسعة والوصف الأكثر تفصيلاً ووضوحاً

للبوليانز موجود في « تاريخ المشرق » و « تاريخ القدس » لجاك دي فيتري حيث أن هناك فصل كامل (فصل ٧٢ من طبعة ١٥٩٧ و ٧٢ في النص الوارد في كتاب بونغراس أعمال الفرنجة) اوقف على وصف البوليانز ، ويوجد هنا عدة نقاط جديرة بالملاحظة ، أولاها أن جاك دي فيتري مثله مثل النصوص الأخرى لم يقل أي شيء عن البوليانز أنهم سلالة خليطة ، وكل ما قاله بكل بساطة أنهم انحدروا من الصليبيين الأصليين مع أنهم غير جديرين بوراثة ما استولى عليه آبائهم:

'ex supradictis peregrinis . . . procedentes', albeit

مع أنهم غير جديرين بوراثة ما استولى عليه آبائهم:

Generatio enim prava atque perversa, filii sclerati et degeneres, homines corrupti, et legis divinae praevicariatores, ex supradictis peregrinis, viris religiosi Deo acceptis, et hominibus gratiosis, tanquam faex ex vino, et amurca ex oleo, quasi lolium ex frumento, et rubigo ex argento procedentes, paternis possessionibus, sed non moribus successerunt; bonis temporalibus abutentes, quae parentes eorum ad honorem Dei contra impios strenue dimicantes, proprii sanguinis effusione sunt adepti. Filii autem eorum, qui Pullani nominantur . . . (Bongars i. 1088-9, my italics.)

وهذه الفقرة مشابهة بشكل مدهش لوصف وإليم لأبناء قومه ، كابناء متدهورين لأبناء نبلاء ، وفي الحقيقة استعمل المؤلفان الكلمة نفسها في عدة أماكن ، من ذلك قول وإليم : « ونجد لدى دراستنا لهذا الوضع المعاصر بدقة وعمق ونحن متطلعون للعون من الرب ، خالق كل شيء ، أن السبب الأول الذي يقدم نفسه هو أن أجداننا كانوا رجالا ميينين ويخافون الرب ، وقد قام مقامهم الآن جيل شرير وأبناء أثمون مزيفون للعقيدة المسيحية يتبعون سبل جمع الأشياء المحرمة دونما تمييز ، وهم أشبه ، أو حتى أسوأ من الذين قالوا لربهم : ابعدنا ، وبمعرفة طرفة لانس ، ويسحب الرب بعدل تأييده من هؤلاء بسبب خطاياهم ، وكأنما أثير سخطه ، هؤلاء هم رجال العصر الحالي ، وخاصة القاطنون في المشرق ، كما أن المرء الذي سيتولى بقلم حذر وصف أخلاقهم أو بالاحرى رذائلهم الوحشية المرعبة سيصف عاجزا أمام هول المانة وضخامتها ، وسيبدو بالاختصار بأنه يكتب مقطوعة هجائية أكثر

- ٣٧٦١ -

منه يصنف تاريخاً ، (راشيل ج ١ ص ١٠١٥ - الترجمة العربية ص ٩٧٩ - ٩٨٠) .

ولو أن البوليانز لدى رجال دي فيتري أو « الابناء الاثمنون » لدى تاريخ وليم كانوا جزئياً من أصل سوري ، لكان هذا زود هذين المؤلفين بأحسن وسيلة للاعتذار ، لكن مامن واحد منهما فعل ذلك .
ثانياً : يتفق دي فيتري مع تاريخ هرقل في فصل البوليانز كطائفة ، ليس على أساس العرق ، بل بالأحرى على أساس أنهم قد ولدوا في الشرق ، وذلك مقابل الفرديسيين المتروبوليتان ، أو أولئك الذين ولدوا في الغرب بشكل عام .

. . nisi Francos et Occidentales populos
secum haberent, plusquam sexum foeminum non formidarent' (Bongars,
loc. cit., my italics).

وفي مكان آخر ميزهم عن المجتمعات الإيطالية المختلفة في فلسطين ، وهو ما يوحي ربما بأن البوليانز كانوا من أصل فرنسي أكثر منهم من أصل أوروبي بشكل عام .

ثالثاً : ويصف دي فيتري الموقف السياسي للبوليانز نحو المسلمين كما يلي :

'Ipsi autem cum Saracenis foedus ineuntes . . . et bella
civilia inter se concitantes, et plerumque ab inimicis fidei nostrae contra
Christianos auxilium postulantes' (Bongars, loc. cit.).

وهذه بالضبط هي التهم التي وجهها المؤرخون الأوروبيون إلى بارونات الفرنجة المولودين في سورية ، خاصة ريموند صاحب طرابلس وبالين دي ابلن ، في أنهم أبرموا موثائق مع المسلمين ، وأضاعوا الوقت والطاقة وهم يتشاجرون فيما بينهم ، والتمسوا مساعدة المسلمين ضد المسيحيين .

وإذا كان دي فيتري قد عني بالبوليانز شعباً من سلالة

- ٣٧٦٢ -

فرنجية - سورية خليطة ، كان لديه فرسا عديدة ليقول
هذا - أصله السوري جزئيا يمكن أن يقدم كأفضل التفسير
وضوحا من أي من المزايا والسمات المقتبسة أعلاه ، وأيضا من
أخرى من عاداتهم التي ذكرها فيما بعد ، وهي في ابقاء زوجاتهم
تحت حراسة مشددة داخل البيت ، وهذه الأخيرة عزاها لا لتحذيرهم
من شعب كان مثل هذا لديه عاديا ، ولكن لطبائعهم الغيورة . أما
بالنسبة لاشتقاق كلمة بوليانز فإن توبلر لماتس ، فقد رآها كمعنى
موسع للاسم الشائع : *polain < pullus*,

وهو صغير الحيوان ، وهذا يتطابق بالضبط مع ما رأيناه لدى
استعماله من قبل جاك دي فيتري : كان البوليانز هم ذراري
الصلبيين ، الذين قارنهم دي فيتري مثله مثل وليم مع آبائهم
الصلبيين الأصليين ، وفي تاريخ هرقل أيضا هم ليسوا جيل
المهاجرين الأول من أوروبا ، مثل غي وأتباعه ، بل : « أبناء
المملكة » أي ، ذرية المهاجرين . منعا بأن هذا في الواقع هو أصل
الكلمة ، الأمر الذي لا يبدو هناك أي سبب للشك فيه ، والمضمون
النهائي هو أن البوليانز كانوا على الأقل مستعمرين من الجيل
الثاني ، ولم يكونوا بالمرّة من دم خليط .

نیل

تاریخ ولیم الصوری (۱۱۸۴ – ۱۱۹۷)

حققتہ مرغریٹ روٹ مورغان

تقديم

من المتوارث والمتعارف عليه أن مخطوط ونص نيل تاريخ وليم الصوري كثير التعقيد ، ولو عدنا الى ما قبل عشرين سنة لوجدنا انفسنا بعيدين عن أن نعرف كل شيء عن موضوعه ، وفيما يتعلق بالطبعة الحالية ، لها هدف واحد متواضع هو أن تضع في متناول مؤرخي الحروب الصليبية واحدا من نيل تاريخ وليم الصوري وهو المخطوط رقم ٨٢٨ في مكتبة مدينة ليون ، وليس المجال هنا متوفر الرجوع الى جميع تفاصيل الدراسة - المتقدمة - التي أوقفناها على النيل ، حيث كانت النتيجة هي لفت الانتباه الى أهمية نص ليون .

وسنكتفي هنا بتلخيص الجوهرى والمهم من دراستنا المتقدمة مضيفين اليها بعض التعليقات مع شيء من التعمق الذي توفر نتيجة أبحاثنا منذ عام ١٩٧٣ ، هذا وسيتاح للقارئ تحصيل النص المتعامل معه من بين المجموعات العائد اليها والتي لا يمكن فصله عنها ، ذلك أنه يوجد اليوم تسع وأربعون مخطوطة معروفة من تاريخ هرقل ، وجاء تحت هذا الاسم منذ زمن بعيد الترجمة الفرنسية لتاريخ وليم الصوري الكبير مع النيل التي ألحقت به ، وكنا قد أعطينا المخطوطات الرئيسية رموزا ، هذا ونجد بين التسع وأربعين مخطوطة أربع وأربعين منها مرتبطة على الأقل بالمخطوطة الكبيرة « غ » ، ولا يوجد طابع واحد يجمع المخطوطات في أسرة واحدة ، بل على العكس يمكن أن نرى عدة منها ، ومع هذا ان هذه المخطوطات وان أعطينا نصا ذات مجال قابل للتبديل ، وقراءات متنوعة ، انها تمنحنا المصنف نفسه ، وأعنى بذلك النص نفسه الذي يقدم لنا المانة ذاتها ، وتبقى لدينا المخطوطات الخمس التي غرضنا النظر عنها وهي المخطوطات : أ - ب . س . د من راشيل والمخطوطة « بلوتس »

« ٦١ - ١٠ » في مكتبة لورانتسي في فلورنسا ، وقد استُخدمت المخطوطة الأولى مع الثانية كأساس لطبعة راشيل ، وبدايتهما هي سنة ١١٨٤ (نهاية تاريخ وليم) ونهايتهما سنة ١٢٢٩ ، وهما تقدمان نصا متطابقا - فيما يخص أكبر جزء من الرواية - مع مجموعة « غ » مع شيء من الخلافات أحيانا ، ولكنها خلافات هامة ، ومنذ عام ١٢٢٩ فصاعدا يشكل المخطوطان « ١ - ب » و مخطوط « غ » مخطوطا واحدا حتى سنة ١٢٤٨ ، حيث يبدأ المخطوط « أ » بالالتحاق بنيل روثلين ، في حين يتابع المخطوط « ب » التحاقه بالمخطوط « غ » حتى سنة ١٢٦٤ حيث يتوقف ، ومن الممكن القول إن العلاقات بين الروايات « ١ - ب » و « غ » غير ثابتة الى بعض الحدود ، ويمكن للقارئ أن يرى بأم عينيه في راشيل وجود بعض التشابه بالمظاهر في الصيغ ، ومن فوائد وضعها في صفحة واحدة أنه تتضح لنا السبل التي تنفصل به هذه المخطوطات أو تنتظم عدة مرات .

ولننتقل الآن الى الرواية « س » هنا ، في هذه الحالة سنتردد طويلا بالحديث عن مؤلف مستقل مادام نصه لا يمكن أن يبتعد كثيرا عن « غ » وهكذا سيجد قارئ « ي » من راشيل بعض النصوص الخاصة بمخطوط « س » ولكنه سيلاحظ أحيانا أن مصنف المخطوط « س » لم يقم إلا بتعديل نص « غ » باختصاره كثيرا دون أن يجد فيه شيئا ، وهكذا نرى في « س » نوعا من التقارب العائلي مع « غ » .

أما بالنسبة لمخطوط « د » الذي هو الأصل المعتمد لطبعتنا ، أجد أنه من غير الضروري تكرار الأسباب العديدة التي حثت بنا أن نرى فيه بيئة واحدة وثمينة جدا للحقبة ١١٨٤ - ١١٩٧ ، ولنذكر هنا بمسألة أساسية هي أن هذا النص لا يحتوي على ما كتبه أرنول مباشرة ، ومع هذا إننا من خلاله نستطيع التوصل الى تحصيل فكرة عما كان عليه كتاب أرنول ، وهنا سبب من الأسباب الرئيسية التي فرضت علينا العمل

على طباعة مخطوط « د » هذا ، يضاف الى هذا ان مصنف هذا المخطوط كان امامه أثناء عمله نموذج من عائلة « غ » ونموذج آخر من عائلة « ب » ونموذج ثالث ، ان لم يكن كتاب أرذول نفسه كان قريبا منه كثيرا .

ومن أجل حقبة ١١٨٤ - ١١٩٧ ، أحدث مصنف النص خليطا لم يكن دوما عقلانيا ، وقام ذلك على المصدرين الآخرين ، وانضم بعد هذا التاريخ (موت هنري دي شامبين وتتويج ايزابيل « سيبييل » نهائيا الى عائلة « غ » ولم يفارقها بعد ذلك ، ولهذا قد يقال بعد ذلك إن نص « د » يخلو اعتبارا من عام ١١٩٧ من الفائنة الخاصة لأنه لم يتعد كونه نسخة اضافية للمؤلف « غ » ، ويعطينا نص « د » هذا التاريخ بالمشاركة مع « أ - ب » وأحيانا مع « غ » في جزء من أخباره كثيرا من النصوص الطويلة التي هي غير موجودة في أي مكان آخر ، مما يؤكد أنها بأصولها غير متصلة نهائيا بالمخطوط « غ » ولا بالمخطوط « أ - ب » وهكذا نشكر أصالة هذا المؤلف لأنه احتفظ لنا بالشيء الذي غيره من المؤلفين حكم لأسباب ما ، أنه غير مفيد انخاله في مجموعة مصنفاتهم .

وتبقى أمامنا مخطوطة فلورانس حيث يبدو أنها منقولة عن رواية « غ » وهكذا لم نضف أولها ، وفيما يتعلق بأكبر قسم بقى من النص يبقى التناظر دقيقا ، ولكن هناك بين صفحات ٢٩١ و ٣٠٣ بعض النصوص التي لا يمكن أن تكون قد أتت من غير عائلة « د » وأحرص هنا على توجيه الشكر الى الدكتور ادبري الذي لفت انتباهي الى هذا القسم من مخطوطة فلورنس - ويتبين لنا من تفحص مخطوطتي ليون أنه ولا واحدة من الاثنتين كانت نموذجا للآخرى ، انهما بالآخرى نسختان لابل نقول انهما ايضا تكييفان من نموذج مشترك لهذا الجزء من النص فقط ، وباختصار تحتوي مخطوطة فلورنس على مجموعة خليطة لمؤلفي « غ » و « د » ، وأكبر جزء من نصها يخص فصيلة

عائلة « غ » وليس له فائدة محتملة لهذا المؤلف ، والجزء الآخر مختصر كثيرا ، ويتعلق بنص « د » ولهذا استعملناه ونشرناه مع « د » .

ومن جديد ماذا تعلمنا مخطوطة فلورنسا عن نيول تاريخ وليم الصوري ؟ انها من حيث المبدأ زادت عدد المؤلفات المعروفة في هذا الباب ، وعرفنا من قبل أن طرائق المصنفين قامت على جمع مواد وجدت في مصنفات أخرى مع اضافة بعض الشيء من لئهم ، وهذه الطريقة ذاتها اتبعها مصنف مخطوطة فلورنسا ، فقد اعتمد كأساس له نص « غ » ثم وضع محل جزء من هذا النص شطرا قابله في نص « د » وأضاف الى هذا كله تنجيلا جديدا من عنده بدأه من آخر نص « غ » حتى غاية عام ١٢٧٧ ، وبهذا توصل الى تصنيف نص جديد في مجمله ان لم يكن في عناصره .

وهكذا تطلعنا مخطوطة فلورنسا على أن مخطوطة « د » التي هي الآن وحيدة ، لم تكن دائما متوفرة ، وأن مصنف « د » قد وجد ربما منها مخطوطتان ، التي نعرفها الآن وأخرى استخدمها مصنف مخطوط فلورنسا وهي مفقودة الآن ، ونستخلص من هذا نتيجة هامة هي ان نص « د » لكونه كان قليل الاندشار لم يكن عملا محررا أبعد عن الأصل من قبل الناسخ ، وبفضله لدينا مخطوطة ليون ، ونلاحظ أيضا بما أن الناسخ لربما نسخ أحيانا بشيء من قلة العناية المؤسفة ، ويضفي هذا على مخطوط فلورنسا مزيدا من الأهمية لكن لن نستفيد في التعرف الى محتوى المخطوطة المفقودة الا قليلا لأن الذي احتفظ به مصنف مخطوط فلورنسا كان قليلا ، ومع هذا هناك بعض الفوائد الثمينة ، فصحيح عرفنا أن صاحب نص فلورنسا اطلع على أصل يشبه أصل مخطوطة ليون ، لكن في نص فلورنسا نصين اسقطهما ناسخ مخطوطة « د » ، ومع ذلك يبدو أن ناسخ « د » لم يضيف شيئا الى الأصل الذي اعتمده ، ومع هذا ينبغي علينا التمسك هنا بالجذر لأن مصنف مخطوطة فلورنسا برهن لنا في كل مكان عن اتجاهه نحو الاختصار ، فقد بتر شطرا من نصه

المتعلق بنص « غ » والشيء نفسه قام به مع الجزء الذي هو موضع اهتمامنا ، ولقد كان أحيانا يتبع مصدره كلمة كلمة ، لكنه غالبا ما اختصر وحذف ماراه زائدا من كلمات أو لأسباب لغوية ، وبتر أحيانا مقاطع مع نصوص كاملة ، لعله اعتبرها مفسرة ، ومن هنا قام بعض المعارض في روايته ، وظهر ذلك من خلال عرضه ، فمثلا روى لنا وفاة أسقف بيت لحم ودي أوبري دي ريمس وكأنه حدثنا عن ذلك من قبل ، مع أنه لم يفعل ذلك ، بل إنه قفز فوق المكان الذي له نظير في نص « د » حيث نحن أمام سفارتهم الى صلاح الدين .

لكن اذا كان هذا المصنف كان يميل الى الايجاز نعرف على العكس ان مصنف « د » كان يستطرد ثم يخرج بسهولة مبتعدا عن موضوعه ليقدم لنا منشورات تاريخية وتعليقات شخصية ، أو بكل بساطة تفاصيل جذابة أو مثيرة للاعجاب ، ونعرف أيضا أنه كان مصنفا أحرق أساء التوفيق بين مصادر وضاع في سياق الأحداث ، وكرر لنا الشيء نفسه ثلاث مرات حول أحاديث مختلفة ، وعلى عكسه كان مصنف نص فلورنسا ، لقد كان ذكيا وفنانا : قام بواجبه لينتج لنا أثرا جيد التأليف ، منسجما وواضحا وذلك انطلاقا من مادة صعبة وقاسية ، وذلك ان الحقيقة التاريخية لاتتم دائما الا بالرواية المنطقية المتسلسلة ، فهناك حوادث بعيدة الواحدة عن الأخرى بالمكان والزمان من الممكن ان تلتقي وتتربط بالتحليل السياسي ، وهنا هل ينبغي اتباع خط تسلسل الحوادث أم خط الفكر ؟ انها مسألة منهج وطريقة ، بيد أن مصنف مخطوطة ليون لم يعثر بنصه الى حد التشويه ، بل إنه أنتج من انعدام النظام لديه رواية حية هامة ومثقة ، ومع ذلك انها غامضة أيضا لكنها :وشك أثناء العرض ان تتصل بالقارئ ، وليس علينا الا أن ننظر الى الصفحة ١٠٨ ومايليها من الطبعة الحالية لنتعرف الى الطرائق المختلفة بالعرض لدى هذين المصنفين أثناء معالجة الحكاية لموضوع واحد ، ليكن مثلا احتلال قبرص أو احتلال عكا ، فهنا تتشابه الروايتان بشكل ضيق ، لكن تختلف بالوقت نفسه في وصف أحداث كثيرة في بلدان أخرى ، وبالنظر الى هذا التباين في الروايات وجبنا

من الضروري اضافة اعادات للأجزاء المقابلة الواردة في النص الآخر .

وأمام هذا التباين في العقليتين لانستطيع القول بالتأكيد فيما اذا كان هذا النص أو ذاك قد حذف من قبل أحدهما أو أضيف من قبل الآخر ، فالفصل الذي يصف وصول الألمان الى عكا موجود بالمكان نفسه في نصوص « أ - ب » وس و غ ، وفلورنسا ، ومن المحتمل ان عدم وجوده في مخطوطة « د » جاء بسبب اسقاطه من قبل ناسخها ، ان كان هذا الفصل قد وجد أصلا في مخطوطة الاصل التي اعتمدها ، وفي حالة تاريخ ملك أرمينية نكذب على استخلاص نتيجة عكسية ، حيث نعثر على هذا التاريخ في جميع النقول ولكن بصيغ مختلفة وفي أماكن متنوعة ايضا ، ويبدو لنا أن هذا التاريخ قد انتشر تحت صيغة مستقلة (نشرة دعائية بدون شك لأن لاون توج ملكا على أرمينية من قبل هنري دي شامبين) واستخدمها كل منيل اختياريا ، ففي مخطوطة « د » جاء مكان هذا التاريخ ووضعه سيئا جدا ، حيث عرض إثر الحديث عن وفاة هنري ، وذلك في الوقت الذي انضمت فيه مخطوطة « د » الى مخطوطة « غ » وعلى عكس ما قام به مخطوط « د » نجد أن مصنف مخطوطة فلورنسا - وهو منطقي دائما - فضل هنا أن يثبت هذا التاريخ في مكانه ضمن سياق الأحداث ، أي قبل موت هنري ، لكن مامن شيء يخبرنا أنه وجد ذلك في مخطوطة من عائلة « د » .

وفي الحالة العكسية التي تعني أن بعض النصوص موجودة في مخطوطة « د » ومحدوفة في مخطوطة فلورنسا يمكن القول بالتأكيد أن الاسقاط كان متعمدا من جانب مخطوط فلورنسا فقد حدثنا هذا المخطوط علنا أثناء رواية أخبار سفارة الألمان لدى اسحق كومينين عن نيته بحذف بعض التفاصيل التي تعيق تقدم روايته ، وبالعكس ان بعض النصوص الموجودة فقط في مخطوطة « د » ربما هي من عمل ناسخ هذه المخطوطة ، وهذا ما تبين لي عام ١٩٧٣ أثناء التعليق على طباع الامبراطور فريديريك الثاني ، الذي هو غير

موجود في مخطوطة فلورنسا ، وبشكل عام عمل نيل فلورنسا على اختصار مواده بمنهجية ، بينما قام نيل ليون بكل سهولة ، وهذا محال بيننا وبين معرفة المضمون الدقيق لأصلهما المشترك .

ومن أجل سعة هذا النموذج الاصل ليس بإمكان مخطوطة فلورنسا أبدا أن توضح لنا التاريخ الذي بدأت فيه الرواية ، وليس مؤكدا أن ذلك كان الوقت نفسه الذي بدأ فيه نيل فلورنسا ، وسبب هذا أننا نجد في مخطوط فلورنسا مقطعا واحدا لعله نقل بالصدفة من رواية « د » ليندخل في سياق الحديث ، وجاء هذا لدى روايته أخبار حصار القدس ، ونستنتج من ذلك أنه كان أمام عيني الناسخ أو المصنف نسخة من « د » احتوت على هذا الجزء من النيل ، لكنه لم يستخدم هذه النسخة بشكل منهجي الا من أجل الجزء الملحق بتصنيفه التنظيمي ، أما بالنسبة لنهاية النموذج المشترك بين « د » وفلورنسا لانعرف شيئا مطلقا ، وثابت بما أن مخطوط فلورنسا توقف عن اعطاء رواية « د » نفسها في الوقت الدقيق لماوت هنري دي شامبين ، أن هذا يؤكد النتائج التي استخلصناها من بينات أخرى ، ومن الممكن أيضا أن مخطوط مصنف « د » الذي كان نموذجا أصيلا لمخطوطتي ليون وفلورنسا ، قد توقف في ذلك التاريخ ، ومن أجل ذلك بدأ آنذاك مصنف نص مخطوط ليون اكمال تنييله اعتمادا على مخطوطة من عائلة « غ » ومن المؤكد الى حد ما أن نموذج أصل « د » وفلورنسا من النيول لم يقدم بعد ١١٩٧ مواد لها أهمية خاصة .

وخلاصة القول أن معرفتنا المعمقة عن مخطوطة فلورنسا لم تغير غير القليل من تقديرنا للنيول التي نعرف منها الآن خمسة مؤلفات هي « أ و ب و س » و « د » و « ف ل ، و غ » وممن مؤلف « غ » وحده انتشرت في أوروبا ، وبين الأربع والأربعين مخطوطة من « غ » ثلاث منها أتت من عكا وواحدة من لومبارديا ، وواحدة من روما ، وواحدة من انكلترا ، وأتى الباقي جميعا أي الثمان والثلاثين مخطوطة من فلورنسا ومن

فلاندرز ، ولا توجد المؤلفات الأخرى إلا في خمس مخطوطات هي التي تحمل في رأسها في عملنا الحروف الأولى « أ - ب - س - د - ف - ل » ومخطوطة « أ » وحدها أتت من عكا ، ولا يوجد نسخة أخرى عنها في مكان آخر .

وهكذا لا تتفق مخطوطة ليون ٨٢٨ في مجملها مع أي مخطوطة أخرى معروفة من النيول ، ونعامل معها هنا كمخطوطة وحيدة للنص الذي تحتويه ، ويجب أن نبين أن هذه لكونها نتاج ناسخ قليل العناية ، تحتوي على عدد معتبر من النصوص الغامضة والطنانة إلى حد أن المنضد في مطبعتي ، وأن كان ملتزما ، وجد أن عليه التدخل والتصحيح ، ولهذا هناك ثلاث طرائق تبينها أثناء النشر ، جاء كل منها حسب الحالات ، ففي الحالات التي لا يوجد المتعامل معه في أي مخطوطة أخرى أعطينا اضطرارا قراءة حدسية أو تخمينية ، وأبدلنا في مكان آخر قراءة غير مقبولة في « د » بقراءة من « ب » وذلك في أجزاء من النص حيث وجدت علاقة واضحة بين المؤلفين ، وبدت لنا أحيانا قراءات في « د » مقبولة ولكنها غامضة ، وحيدنا لم نصحح نص « د » ولكننا اقتصرنا عن التوضيح بإعطاء قراءة من « ب » في الحاشية ، ومن أجل الجزء الأخير من النص الذي نتولى طباعته استخدمنا مخطوطة فلورنسا كأداة رقابة وضبط لمخطوطة « د » وطبعنا منها النص كاملا في مقابل نص ليون ، وفي الأماكن التي اتضح فيها أن ذلك كان مستحيلا بسبب الوضعية المختلفة للمادة نفسها ، تولت الحواشي توجيه القارئ نحو الصفحات المقابلة في نص ليون .

المخطوطات التي استخدمناها هي كما يلي :

مخطوطة ٨٢٨ في مكتبة مدينة ليون ورمز اليها بحرف « د » من قبل النين تولوا تحقيق راشيل ، واحتفظنا بـرمز الحرف الأول في

جميع الحالات الممكنة ، وبالنسبة لمخطوطة عكا التي يعود تاريخها الى حوالي سنة ١٢٨٠ ، فقد كان يملكها في القرن السابع عشر ملكيور فيلبرت ، وهو تاجر من سكان مدينة ليون ، وقد اهدى هذا المخطوط في سنة ١٦٩٨ الى الكلية اليسوعية في ليون ، ومن الكلية هذه انتقل الى مكتبه بلية ليون ، وهذا المخطوط ورقي ، صفحاته ذوات عمودين ، والكتابة بشكل عام مقروءة بشكل جيد ، باستثناء بعض المحلات ، حيث هي مطموسة جزئيا ، وكلمة واحدة قاومت جهودنا لحل رموز خطوطها ، وهي اسم أسقف « دي بوي » (ص ٩٨) ويبدو أن هذا الاسم قد محي عمدا ، ووصف هذا المخطوط بالتفصيل من قبل بوختال وكذلك من قبل فولدا .

— مخطوط بلوتوس ٦١ — ١٠ في مكتبة لورانتسي في فلورنسا ، وهي نسخة ورقية كتبت على عمودين ، ونسخة من عكا تاريخها حوالي سنة ١٢٩٠ ، وقد دون على غلافها : « العبور الى الاراضي المقدسة واحتلالها باللغة الداريجة لأحد المؤلفين » وكتبت الاوراق ١ — ٨ على وجه واحد ، وامتلات بملاحق اختصرت تاريخ هرقل الموجود في بقية المخطوطة ، وفي هذه الملاحق ايضا بعض الاضافات لأحداث أخرى وقعت في دول الصليبيين ، وكانت هذه المخطوطة بين مخطوطات اسرة مدتشي ، خطها مقروء بشكل جيد في كل المواضع ، منمنماتها جميلة بشكل منقطع النظير وقد حظيت بدراسة مفصلة من قبل فولدا ، وقد رمز لها محققو راشيل بالحرفين « ف ل » وقد احتفظنا بهذا الرمز في الطبعة الحالية .

— مخطوط ٢٦٢٨ وهو ملك المكتبة الوطنية الفرنسية ، ورقي كتب على عمودين ، وقد نسخ الجزء الاول منه في عكا سنة ١٢٦٠ والجزء الثاني في حوالي سنة ١٢٨٠ ، ولقد استخدم أصلا من قبل محقق طبعه راشيل وهم النين رمزوا له بحرف « ب » .

- ٣٧٧٥ -

ولقد احترمت الكتابة السليمة للمخطوطات في كل مكان وكذلك
التقسيمات والفصول والعناوين .

وأشكر هنا بكل اخلاص الاستاذة أوبيت دي مورغوس ، والسيد
م . فوستر ، والسيد أ . كوبي ، وجميع الزملاء على كثرتهم الذين
قدموا لي المساعدة بأشكال مختلفة ، وأشكر الأكاديمية
البريطانية ، والسيد أرنست كاسل رئيس الهيئة
التعليمية ، وجامعة كمبردج التي سهلت مساعداتها مهمتنا
هذه ، ومكتبات ليون وفلورنسا وباريس ، والسيدة أ . م بولي دي
لسين - سكرتيرة القسم الروماني في معهد الدراسات التاريخية
والنصوص ، شكري لجميع الذين أعانوني ، وفيما أنا أشكرهم
جميعاً أقدم هذه الطبعة لمؤرخي الحروب الصليبية على أمل أن
تساعدهم وتكون بمثابة دليل داخل المتاهة الساحرة ، ألا وهي نيدول
تاريخ وليم الصوري .

نيل

تاريخ وليم الصوري ١١٨٤ - ١١٩٧

اعتمادا على مخطوطة مكتبة مدينة ليون

رقم ٨٢٨

١ - وجدت كراهية شديدة بين الملك وكونت يافا ، واخذت هذه الكراهية تزداد يوما تلو الآخر وبات هذا الشغل الشاغل للملك ، فسأل رئيس الاساقفة وليم الذي التقاه واشتكى اليه عن زواج اخته لانه لم يكن صحيحا ولا قانونيا ، وعلم الكونت بهذا فأتى الى القدس حيث كانت زوجته مقيمة آنذاك ، وطلب منها بالحاح أن تغادر المدينة بالحال قبل أن يعود الملك من سفره ، وكان مرتابا بأن الملك لو وجدها هناك لن يسمح لها بالعودة اليه ، لذلك ألح عليها بالرجاء أن تعود الى عسقلان الى حيث كان يريد هو الذهاب حالا ، وعندما قدم الملك الى قصره بعث اليها برسالة طلب منها فيها العودة الى البلاط ، فأجابت أنها لاتستطيع فعل ذلك لانها محتجزة بالمرض، ثم بعث اليها بعدة رسائل أخرى ، بعث بالواحدة تلو الأخرى لتعود غير أنها كانت تعتذر بسبب المرض ، وقال الملك بما أنها لاتريد الرجوع فأنا سأذهب اليها وأدعوها بنفسى ، وهكذا ارتحل يتبعه البارونات مباشرة وقصد عسقلان غير انه وجد الابواب موصدة ، فنادى وأمر أن يفتح له ، لكن لم يأت أحد ولم يستجب انسان لما أصدره من أوامر ، وصعد أهالي المدينة الى الأسوار وتسلفوا الأبراج ووقفوا دون أن يتحرك أحد ، وهكذا انتظروا بعض الوقت ، وغادر الملك المكان مزعوجا جدا ، وأخذ طريقه مباشرة الى يافا ، وتلقاه الفرسان والجنود وصحبوه الى الداخل بدون أية مقاومة ، ثم ترك المدينة بعد ما عين لها حاكما ثم سافر من هناك الى

عكا ، ودعا الى مؤتمر يضم البارونات جميعا مع كل الاساقفة ، وعندما اجتمعوا تقدم البطريرك ومقدم الداوية (جيرارد دي ردفورت) ومقدم الاسبتارية (روجر دي مولين) من الملك وجثوا امامه وتسولوا اليه بكل تواضع وتقوى ، وطالبوه أن يغفر للمنصب ، على أساس أن يمثل كونت يافا امامه ويعتذر اليه ، ولم يرد عليهم الملك ، وكل ما فعله كان الاصغاء اليهم ، ثم أجاب مصرحا أنه لم يتخذ قط صديقا له ، ولهذا عبر عن كراهية شديدة له ، فالملك وأن كان ضعيفا في جسمه الا أنه حمل حقدا عظيما في قلبه ، ثم غادر المجتمعون البلاط وتوجهوا الى خارج المدينة ، وكان على المجلس أن يجتمع ليرسل وفدا كبيرا الى فرنسا وغيرها من البلدان يطلب اغاثة بلاد يسوع المسيح وسكان الأرض ، ولكن البطريرك الذي كان عليه أن يتكلم عن هذه المسألة قد تحدث عن أمر آخر ، ولأنه لم ينجز شيئا ، فقد غادر المكان ومعه البارونات ورجالات الأكليروس ، وهكذا لم ينتج عن الاجتماع أمرا مفيدا ، ولم يتحقق ما جاءوا من أجله ، واجتمعوا للبت فيه . وسمع كونت يافا أن الملك لم يمنحه ولم يطهره وأنه لا سلام ولا مصالحة ، ففكر حينئذ بما يمكن أن يزعمه به ، فقاد أكبر عدد ممكن من الفرسان ، وذهب الى قلعة الداروم حيث احتشد عدد كبير من البداة العرب الذين كانوا يرعون الحيوانات في المراعي ، وكانوا قد قدموا للملك حصنة من دخولهم مقابل احاطتهم بعنايته ووضعهم تحت حمايته ورعايته ، وبذلك رقدوا بأمان ، ولم ينتسابهم أدنى خوف ، وباغتتهم الكونت والفرسان ولم يقتلوا أحدا غير أنهم أخذوا كغنيمة كل ما وجدوه لديهم من مواشي وأمتعة وألبسة ، وحملوا ذلك كله الى عسقلان ، ولدى عوبة الملك من عكا الى القدس بلغه الخبر كيف انقض الكونت غي كونت يافا على أرض الداروم ، ونهب البدو الذين كانوا تحت حمايته ، مما أغضبهم وخيب آمالهم وبعد ذلك وقع الملك مريضا ، وقد أودى ذلك المرض بحياته ، وراسل آنذاك أمير طرابلس ، لأنه كان يثق بشخصه وأمانته ، وفوض اليه بذلك الاشراف على السلطة وعلى بارونات الأرض والمملكة ، وحصل بذلك فرح عظيم وعم السرور بين صفوف البارونات وباقي

الشعب ، لأنهم قالوا لم تكن البلاد في وضع جيد من قبل ، لأن الملك لم يكن قادرا قويا ، ولم تكن السلطات كلها تحت وصاية كونت طرابلس .

٢ - وببينا كان الملك بلدوين على فراش الموت ، استدعى اليه جميع رجالات مملكة القدس ، وأمرهم بتأدية القسم لكونت طرابلس (ريموند الثالث) بأن تكون المملكة تحت وصايته حتى يبلغ ابن أخته بلدوين السن المناسب ، وكان قد توجه أثناء حياته ، وجعله ملكا مثلما فعل معه عمه الملك بلدوين الثالث وبهذا الشكل صار الترتيب لو أن سوء الحظ ألم بابن أخته بلدوين الملك الصغير ، الذي كان ابن أخته سيبل من الماركيز وليم بن وليم الثالث العجوز ، ومات بدون ولي العهد ، ولم يكن هناك وريثا لمملكة القدس ، عليهم تنصيب ريموند صاحب طرابلس ، وليس هناك حاجة لجلب ملك من وراء البحار ، لأن ريموند متمتع بالحكمة والارادة ، وكان الملك بلدوين الرابع يعرف جيدا ان مامن أحد آخر يوجد أصلا في مملكة القدس له الحق مثلما لكونت طرابلس ، لأنه كان ابن عم الملك بلدوين الثالث ، وسبب عدم وصوله الى الملك أنه عندما انتقل الملك بلدوين من الحياة الى الموت ، تم الاتفاق على أن يكون لأخيه عموري الملك في مملكة القدس ، لأنه كان ولي العهد الحقيقي والوريث الشرعي ، ومن بعده ابنه بلدوين لأنه كان ابن أخيه .

٣ - بعد موت من يعرف باسم الملك بلدوين الثالث ، جاء أخوه عموري الى بطريك القدس والى بارونات المملكة وطالب بتاج الملك ، لأنه كان من حقه ويعود له وليس لغيره ، فأجابه البطريرك ليس من حقه أي شيء من هذا القبيل ، والذي في مثل وضعك ليس جديرا أن تكون مملكة القدس تحت حكمه ، لكونك تحت طائلة الخطيئة المميتة ومن كان كذلك لا يمكن أن يؤول اليه التاج أو أن يحمل أي لقب شرف آخر ، والجريمة أو الذنب الذي أنب عليه

البطريرك الأمير عموري ، هو أن عموري كان قد تزوج من أغذس أخت الكونت جوسلين ، لوجود قرابة بينهما توجب الابتعاد والانفصال ، ورد عموري على البطريرك قائلا أنه يريد أن ينال المغفرة برحمة من الكنيسة ومنه أيضا ، وأنه سيعمل ما في وسعه للامتثال لأوامره ، فأجابه البطريرك إذا لابد لك من أن تتترك ابنة عمك وتنفصل عنها ، لأنك تزوجتها ضد الرب وضد العقل ، وعند ذلك يمكنك أن تحصل على تاج مملكة القدس ، وبعدها وافق عموري على الانفصال عن أغذس ، اتفق مع البطريرك أن يرأس روما ويطلب له من الكرسي الرسولي المقدس الغفران ، وتبرئة زوجته وأولاده من الذنب ، وبعدها انفصل عموري عن السيدة توج ملكا وبات سيديا لمملكة القدس ، وفي الوقت الذي بعث عموري برسائل الى بلاد روما اقترنت أغذس بهيودي ابلين ، وفيما بعد تزوج عموري من ماري ابنة أخي الامبراطور مانويل (وكان ذلك في ٢٩ آب ١١٦٧) ومنها ولد ابنة سماها ايزابيل ، وهي التي أصبحت فيما بعد ملكة القدس ، ولم يكن الملك بلدوين المجذوم يرغب بدخول أي أجنبي الى مملكة القدس بدون موافقة الوصي على أمر المملكة ، فضلا عن ذلك كان يعرف معرفة أكيدة أن غي لوزنغنان ليس مناسبا أبدا لأن يحكم في القدس أو أن يتمكن من تثبيت الأوضاع فيها وفي المملكة ، ثم انه ليس لأخته سبيل أي حق بالملك لأن أمها عندما انفصلت عن أبيها لم تجر تبرئة الأولاد واعتبارهم شرعيين ، لهذا رأى أن أفضل الحلول منح الوصاية الى كونت طرابلس ، وإعطاء السلطة على بارونات المملكة ورجالاتها له وحده وليس لأي إنسان آخر .

٤ - واستجاب الكونت ريموند صاحب طرابلس ، وقال انه سيتحمل أعباء السلطة بكل رغبة ، فهو لن يخشى من الطفل خلال السنوات العشر المقبلة ، اللهم اذا لم يصبه مكروه ، أو مات أو حدث أي شيء آخر له ، وأراد أن تكون القلاع والحصون تحت حماية فرسان الداوية والاسبتارية ، وأنذاك لم تكن هناك أية هدنة بين المسلمين والمسيحيين ، وأراد ريموند أن تثبت له السلطة خلال

عشر سنوآت (حتى يبلغ بلدوين الخامس سن الرشد) انما اذا مات الملك الطفل أثناء تلك المدة فتؤول السلطة لمن هو أحق بها ، وذلك استنادا الى قرار مجمع السلطة الرسولية في روما وامبراطور المانيا وملك فرنسا وملك انكلترا ، فالذي يقرر هؤلاء أن له الحق بالسلطة من الورثة بين الاختان سيبل التي كانت ابنة الاميرة أغذس او ايزابيل ابنة الملكة ماري ، ذلك أن الملك عموري جاء من أم لها حق بالوراثة لأنها البكر بين أخواتها من الملك والملكة ، ولهذا السبب لم توكل إلا لمن له حق الوراثة بالبكورة ، أو استنادا الى أمر مجلس السلطة العليا حسبما ذكرناه ولم توكل الى قريب ملكة طرابلس ، حتى لا يقع الخلاف في البلاد اذا مات الطفل ، ولذلك أرادوا التمسك بما يقره المجلس الثلاثي الذي ذكرناه .

٥ - وكان هذا التدبير لصالح الملك والبارونات ، وقد ارتأى هؤلاء بأن يكون الكونت جوسلين وصيا على الولد لأنه كان عم أمه ، وأن يحكم كونت طرابلس مدينة بيروت وتوابعها ، وكان هذا تعويضا له من قبل بارونات البلاد ، وعندما آن الاوان أمر الملك بتتويج الطفل ، وان يحمل الى كنيسة الضريح المقدس ، ويوضع على رأسه التاج ، وحمله احد الفرسان على ذراعه الى هيكل الرب ، وذلك لأنه كان صغيرا ، وكان الفارس كبيرا وعاليا ، وكان اسمه بالين دي ابلين ، وكان واحد من بارونات البلاد ، وكانت العادة انذاك في القدس أثناء تتويج الملك ان يحمل التاج الى الضريح المقدس ، ثم يحمله راعي الضريح الى الهيكل حيث وضع يسوع المسيح ، وهناك يترك التاج ، ومن ثم الاحتفال بانقاذ الضيف ، ففي العادة عندما كانت الأم تلد اول ولد ذكر يضحى له بحمل او بحمام او بشحرور ، وعندما كان الملك يقدم تاجه الى هيكل سليمان ، حيث يقيم مقدم فرسان الهيكل ، كانت تنصب مائدة الطعام والأكل ، وما عدا اهالي القدس ، فهم الذين كانوا يتولون الخدمة ، فقد كان من واجبهم خدمة الملك ، عند تناوله للطعام بعد تتويجه .

وبعدما توج الملك مات الملك المجذوم ، وكان قبل وفاته استدعى كل رجاله للاجتماع به في القدس ، فقدموا جميعا ، وبعد قدومهم توفي الملك ، ووقتها كان جميع بارونات الارض بين الحضور . ودفن في اليوم التالي في الجلجلة حيث دفن بقية الملوك منذ ايام غودفري دي بوليون ، لقد دفنوا في جبل الجلجلة حيث صلب يسوع المسيح بعدما واجه الالام .

٦ - قبل وفاة الملك وايضا قبل تتويج الطفل تمت مراسم تقديم الولاء من قبل جميع بارونات غلبلاد حسبما يحصل بين النبيل والملك ، وقدم هذا الولاء الى كونت طرابلس صاحب السلطة ، الذي اقسم بدوره اليمين امام جميع بارونات وفرسان المملكة الذين استدعاهم ، كما حصل من الاختان على الوعد بمساعدته في الحفاظ على الارض خلال عشر سنوات ، الا اذا مات الطفل وعندما توفي الملك المجذوم ، وقبل تتويج الطفل كلف الكونت جوسلين بالمحافظة عليه واخذه الى عكا ، ليرعاه ويحافظ عليه باحسن مايمكنه ، واستلم ريموند كونت طرابلس سلطة الملك .

٧ - وكان مما حدث في السنة الاولى من بعد وفاة الملك بلدوين المجذوم ان السماء لم تمطر في القدس ، ووجد شح بالماء للشرب ، وحدث انه كان في القدس واحد من اهلها يدعى غيرمين ، كان يقدم الخير تلقائيا ، لابل الخير الكثير في سبيل الرب ، فقد احضر احواضا الى القدس للتخفيف من ضيق العيش فيها ، وكان يتركها كل يوم مملوءة بالماء ، واليهما كان يذهب كل من اراد الشرب ، وعندما رأى غرمين ان مجاري المياه قد جفت لانعدام المطر ، تألم كثيرا لانه لم يعد بإمكانه متابعة عمل الخير الذي اعتاد على القيام به .

٨ - ولم تكن مياه نبع سلوان صالحة للشرب لانها كانت ملوثة ، ففي مياه هذا النبع كان الانسان يغسل جلود المدينة القديمة كما كانوا يغسلون الالبسة ، وكان الناس يسقون البساتين القائمة

تحت النبع في الوادي ، ومياه هذا الينبوع لاتجري يا صديقي يوم السبت ، ففي هذا اليوم يكون كل شيء هادئ ، حتى لتساءل ما الذي حدث لهذا الينبوع .

وذات يوم بينما كان يسوع المسيح متوجها عبر المنطقة ، كان مولانا انذاك في القدس بين رسله ، وعندما عبروا الطريق رأوا رجلا بائسا بدون عيون ، وحينذاك توجه الرسل الى يسوع المسيح يسألونه فيما اذا كانت حالته بسبب خطأ من الاب او الام او الاهل ، حتى صار هكذا بدون عيون ، فاجاب يسوع المسيح : هذه الحالة ليست نتيجة خطأ للاب او الام او الاقارب ، ولكن ذلك ما حصل له ، ثم جاء يسوع المسيح وجلس هناك وتناول كاسا ووضعها امام عيني الرجل ثم امره ان يذهب ليغتسل في مياه نبع سلوان ، فذهب واغتسل ، فعاد اليه البصر ورأى الاشياء ، وبعد هذا قصد مدينة القدس ، ومضى الى اهله الذين اندهشوا كثيرا ، لدى رؤيتهم انه اصبح قادرا على الرؤية بعدما تعافى من مرضه ، وسألوه كيف رد اليه بصره ، فروى لهم ما حدث معه ، ولم يستطع احد ان يفهم كنه ما حدث وتساءلوا عن السر ، وتعلقت القضية بالبصيرة قبل العين .

٩ - وسأحدثكم الان عن الكونت ريموند صاحب طرابلس ، الذي كان حاكم مملكة القدس ، فهو عندما رأى انحباس الامطار ، وان الامطار لم تنزل على الارض ، وان القمح الذي بذر لم ينمو بتاتا ، خاف من هذه الحالة والوقت الصعب فاستدعى بارونات البلاد مع مقدم الدواية ومقدم الاسبتارية وتوجه اليهم بالخطاب : اي نصيحة يمكن ان تقدموا لي بشأن انحباس المطر وتأخر نمو القمح ، واخشى ان يلاحظ المسلمون مانعاني منه في هذا الموسم الجاف والصعب ، ويتعرفوا على هذا الوضع السيء ، فما رأيكم ايها السادة ، وما هي النصيحة التي تقدموها الي ، هل اقدم على ابرام هدنة مع المسلمين ، واتوسل الى صلاح الدين من اجل ذلك ؟ وبالفعل اتصل بصلاح الدين وتوسل اليه فأعطاهم صلاح الدين هدنة سنة واحدة ، وبعدما عقدت الهدنة بين المسيحيين والمسلمين ، قدم المسلمون كثيرا

من الاغنية والمؤن الى المسيحيين ، ففرجوا عنهم خلال هذه السنة الصعبة والوقت القاسي ، والذين - من المسيحيين - لم يعقدوا هدنة مع المسلمين ، ماتوا جوعا ، ولعقد كونت طرابلس هذه الهدنة مع المسلمين ، احبه سكان البلاد كثيرا وبجلوه كثيرا وباركوه .

وذسيت عندما حدثتكم عن نبع سلوان ان احدثكم عن الاحسان الذي قام به واحد من اهالي القدس . فقد قام يوم الاربعاء من الاسبوع الرابع من الصيام ، وفقا لما تحدث عنه الانجيل عن الرجل الفقير الذي اعاد له يسوع المسيح الابصار بوساطة كأس الماء وعندما امره بالذهاب الى نبع سلوان ، فلبى طلبه فاسترد بصره وبات مبصرا ، وبمناسبة هذه الذكرى ومرورها كان يتم هذا الاحسان ، فقد كانوا يحملون الاحواض الى النبع ومن ثم ملأوها بالنبيذ ثم حملوا الجنود الخبز والخمر من كل نوع ، وقدم اليهم الناس الفقراء فحصلوا على الخبز والنبيذ كما حصلوا على الماء ، وشارك الرجال والنساء وساروا ذلك اليوم للاسهام بهذا الاحسان .

١٠ - وسأحدثكم الآن عن رجل صاحب مقام رفيع أصله من لومبارديا واسمه بونيفيس وهو أبو وليم صاحب السيف الطويل ، واسمه بالحقيقة وليم الثالث وابنه بونيفيس أخو وليم صاحب السيف الطويل كان بمرتبة مركيز ، وكان هذا المركيز جد الملك بولس الذي كان ما يزال طفلا ، وكان أبوه وليم السيف الطويل ، وكان أبوهذا ملكا ايضا ، وعندما سمع أن أخوه البكر كان ملكا سر سرورا عظيما ، وقدم اليه ، وترك الأرض الى ابنه البكر ، وتوجه مسافرا الى بلاد ما وراء البحر ، وعندما وصل الى بلاد ما وراء البحر طمأنه كثيرا الملك وكونت طرابلس وبارونات البلاد ، فقد كانوا مسرورين بمجيئه ، وأنفذ قام الملك واعطاه قلعة قرب النهر حيث صام يسوع المسيح أربعين يوما ، ويبعد هذا المكان ستة أميال عن القدس وميلان اثنان أيضا عن النهر بجانب جبل يدعى جبل القديس الياس ، ويروي بالنسبة لهذا المسمى هلياس أنه صام عند الجبل عدة أيام ثم نام فأرسل الرب اليه الى هناك طبقا

فيه قطعة من الخبز مع بعض الماء ، وقد أيقظه الملاك ليأكل ويشرب ، فأكل وشرب وبعدما حصل هذا في ذلك المكان الذي يدعى بلد القديس الياس والذي كان يدعى قديما أفرام أرسل الرب ملاكه الى جدعون (هنا التباس جغرافي بين منطقتين هما : افرون وعلى مقربة منها لير القديس الياس ، وجبل الاربعين قرب اريحا حيث قرية هلياس) الذي تحرك في الهواء وقال انه سيدفي المدينين الذين جاءوا لهدم بلد القديس وتخريب أرضها ، وقال جدعون أعطني اشارة تبرهن بها وتجعلني أومن بها ، وطلب منه ذلك لانه كانت من أسرة فقيرة ، وبرهنت له اشارة المقدمة اليه مع المكافأة التي حصل عليها عن رضى الرب وأنه مرسل اليه ، فقد أصبحت أرضه مملوءة بالورد بعدما كانت جافة تقريبا ، وكان في هذا اشارة الى سيدتنا .

١١ - وكان للمركيز بونيفيس ولد يدعى كونراد ، وكان هذا قد قرر التوجه الى بلاد ما وراء البحار بعد سفر والده حيث ابن أخيه الذي كان ملك القدس ، وبعدما أصبح على ظهر البحر لم يرغب له مولانا بالعبور ، فبعث اليه من قادة الى القسطنطينية ، فهو قد فقد الأرض ، ولما اقترفه كونراد من الآثام هو واتباعه ، وللآثام التي اقترفها الناس في أرض القدس ، وللأغراق في الترف الذي أمر مولانا بالنزوع عنه والاقلاع ، آخرهم هنا بعض الوقت ، وحصل معه تماما مثلما حصل مع سليمان عندما غضب الرب عليه للخطيئة التي اقترفها مع امرأة وثنية كانت لديه ، والتي كان يجب ألا يبقها لديه ، وجعله يكفر ببناء معبد على الجبل الذي يبعد ميلان عن القدس وذلك المسافة عن جبل الزيتون ، ثم غضب الرب من بنيائه للمعبد على جبل الزيتون أكثر من غضبه من الخطيئة التي اقترفها من قبل ، فمن هناك صعد يسوع المسيح الى السماء أمام رسله وذلك بعدما انبعث من الموت الى الحياة . وقال الرب آنذاك لسليمان لقد أغضبتنى ، لكن من أجل حبه لآبيه داود هدم ما بناه ، ولهذا تألم سليمان كثيرا بالتأكيد طيلة حياته ، ولم يتسلم المملكة الا قليلا من بعده ، وتركه الرب هكذا حيا محبة لآبيه داود ، وهكذا لم تنشر المسيحية في الأرض إلا محبة البشر ، وايضا ترك سليمان بن داود ،

كما ترك أيضا المدينة باسمه، وعقد كونراد عقدا بالقسطنطينية وإذا ما سألتكم كيف حصل ذلك ؟

ولم يبرم كونراد هذا العقد في القسطنطينية عندما كان اسحق الثاني هو الامبراطور وقبل أن يفقد بصره ، فقد كان في القسطنطينية رجل كبير اسمه ليفرناس (الكس برناس) وكان ابن عم الامبراطور مانويل (كومينوس) وكان ليفرناس هذا متخفيا ومطاردا أيام الامبراطور أندرونيكوس (أندروكومينوس) وسبب اختفائه أنه كان يتعرض لما تعرض له أقرباؤه على يدي أندرونيكوس ، وعندما قيل له ان أندرونيكوس قد توفي ، وأن اسحق الثاني أصبح الامبراطور خرج من مخبئه ، والتحق بالامبراطور الذي وثق به واعتمد عليه وتعلق به كثيرا ، وصار سيدا لامبراطورية القسطنطينية ، ولم ينزعج من شيء طيلة امبراطورية اسحق .

١٢ - وحدث عندما كان أندرونيكوس وصيا على الطفل الكسوس بن مانويل امبراطور القسطنطينية ، أن تأمر أندرونيكوس هذا وخطط لخيانة كبرى وذلك بنصيحة من واحد من كتابه واسمه لانغوس (ايتين هاغيوكرستوفارايت) وفي احدى الليالي أخذ الأمير الطفل الى ابنة ملك فرنسا (أغنس ابنة لويس السابع) لتحفظ به لديها ولتضعه من بعد في كيس ثم تحمله في مركب الى قلب البحر ، وتلقيه هناك فيغرق ، ثم تمكن أندرونيكوس من وضع آل الامبراطور مانويل في السجن ، فقلع عيون بعضهم وقطع السنة بعضهم الآخر وشفاهم ، وبعدتأ فعل ذلك بكل من وصل اليه أو استطاع العثور عليه ، بعد هذا صار امبراطورا توج وأحدث كثيرا من الشرور كما قلت لكم .

١٣ - وعندما صار أندرونيكوس امبراطورا لم تبق راهبة في دير أو ابنة فارس أو سيد الا وجلبت غليه بالقوة والغضب ، وبما أنه كان مكروها لخبثه وشروره تمنى جميع سكان القسطنطينية دماره وموته ، وجاء يوم كان فيه أندرونيكوس خارج القسطنطينية ونزل

هناك في أحد القصور ، وكان معه خادم من سلالة الامبراطور ما
ذويل اسمه كيرسك (اسحق الثاني انجيلوس) وكان ابن أرملة
وفقيرا جدا ، ولقد خدم أندرونيكوس في بلاطه وتحمله على
مضض ، وأخذ منه ذات يوم أننا بالذهاب الى القسطنطينية ليأخذ
مناشفه وأغراضه الى الحمام فأعطاه أندرونيكوس الآن . وبعدما
غادر من عنده كيرسك ، غرق الامبراطور بالتفكير العميق ، فقد
أراد أن يعرف كم ستكون حياته وكم ستطول ، فأرسل يسأل
المنجمين كم سيعيش ، واستجاب المنجمون لطلبه ، وذهبوا ليسألوا
الفلك فوجدوا أنه يعيش غير أيام ، وقال أقدمهم لآخر إن يشك أن
تدوم حياته سوى أيام ، وأراد أن يخفي عنه ذلك حتى يخفف عليه
الآلم الشديد ، واتفقوا على أن يقولوا له ، إنه سيعيش
أياما ، وبعدما تطابقوا على هذا القول مثلوا في حضرته وقالوا له :
إنه سيعيش أياما ، وقد انزعج كثيرا لدى سماعه بذلك ، وسألهم
من الذي سيكون الامبراطور من بعده ، وما هو اسمه ، فطلبوا منه
امها لهم حتى يوم الغد ليخبروه ، فسأعطاهم
ذلك ، ثم عادوا اليه وقالوا له إن اسمه كيرسك ، فخل
لأندرونيكوس أن المعني هو (اسمه كومينوس) دوق قبرص في ذلك
الوقت ، فجهز جيشه برا وبحرا ، وأعلن الحرب ضد الخائن
كيرسك ، الذي قالت الذبوة أنه ضد مولاه الامبراطور ويريد أن
يسلبه عرش الامبراطورية ، وعندما أمر أندرونيكوس بهذا مثل في
حضرته لانغوس وأخبره أنه يشك في كيرسك الخادم ، وأنه له كل
الحق في قتله اذا كان مشكوكا به ، وفوضه أندرونيكوس في أن يعمل
ما يريد ، فذهب الى القسطنطينية وتوجه الى بيت
كيرسك ، وعندما سمع كيرسك صوت لانغوس قال لأمه : إن هذا
الذي يناديني يريد قتلي ، لذلك أقول له إنني نائم ، وكان أهالي
القسطنطينية يعرفون جيدا أن لانغوس عندما يطلب أحدا لا يطلبه الا
ليقتله ، وقالت أم كيرسك للانغوس إنه نائم ، فأجابها إن عليه
الاسراع والمثول في حضرة الامبراطور ، فما كان من كيرسك الا أن
استأن أمه ومن أهله ونزل ومعه سيفه قد أخفاه تحت
ثيابه ، وعندما مثل أمام لانغوس خاطبه بجدون وسأله أين

كان ، فأجابه : لماذا تسيء معاملتي ، لقد جئت برضى من
الامبراطور ، فقال له لانغوس : إذا كنت مزعوجا مما أقوله فأنا
مزعوج منك أكثر ، ورفع يده التي كان يحمل بها سوطا ليضربه به
وداراه كيرسك حتى وضع يده على سيفه فضربه فقطع رأسه .

١٤ - وفي الحال خرج كيرسك الى الطريق يحمل رأس
لانغوس ، فتجمع الناس حوله وحملوه وهو ملطخ بالدماء
الى « قصر بوكليون » ومن هناك أخذوا التاج ومضوا به الى كنيسة
أياصوفيا وتوجه امبراطورا ، وبعدما أنجزوا ذلك علا الصراخ في
المدينة : مات الشيطان ، مات الشيطان ، وسمع أندرونيكوس الذي
كان في منتجعه بذلك وعلم أن كيرسك قد توج امبراطورا ، فبادر
على الفور بعبور البوسفور والعودة الى القسطنطينية ونزل في قصر
بلاشرين ، وجهاز قوسا ، وتمركز هناك ، وقال ان كيرسك سيمر
بعد تتويجه من أمام القصر ، وعندها سيرميه ويقتله وبذلك يعود
فيبقى امبراطورا وتعيش الامبراطورية بسلام ، وحدث هذا
بالفعل ، لكن عندما مر كيرسك متوجا فوق أندرونيكوس قوسه
نحوه وعندما أراد ارسال سهمه نحوه انكسر القوس بين
يديه ، وأحبط سعيه ، واكتشف أمره ، فكان أن حاصره أهالي
القسطنطينية على الفور وقبضوا عليه ، وجاء كيرسك فأودعه في
قصر بوكليون ، وقرر أن يميتة شر ميتة لأنه أغرق سيده في البحر
مع أنه كان ولي عهد الامبراطور مازويل شرعيا ، ولأنه اقترف
اساءات فظيعة ، ثم جاء كيرسك وعراه من ثيابه ، وأخذ منه
القوس ، ثم صنع له تاجا وتوجه مثلما يتوج الملك ، ثم حاكمه ومده
على الصليب فقلع إحدى عينيه وترك له الأخرى ليرى بها ما سيحل
به من عذاب وما سيلحقه من عار ، وأركبوه بعد هذا على ظهر حمار
بالمقلوب وجعلوه يمسك بنيله ، ثم قيد عبر شوارع القسطنطينية وعلى
رأسه التاج ، وسأقول لكم ما الذي فعلته النساء ، لقد أحضرن
البول والأوساخ ورمينها على وجهه ، والنساء اللواتي لم يستطعن
الوصول اليه صعدن الى أسطح المنازل وألقوا أيضا على رأسه

البول والقاذورات ، وجرى هذا في كل شارع وأندرونيكوس حامل على رأسه التاج ثم حمل إلى خارج المدينة حيث سـالم إلى النساء ، فركضن عليه مثل الكلاب الأليفة فمزقنه قطعة قطعة وأكلنه حتى آخر جزء منه ، وبعدما جردوا عظامه وأضلاعه ، ولم يبق منه ما لم يؤكل ، قالوا إن اللواتي أكلن منه سينجن من كل عذاب لأنهن ساعدن على الثأر منه لآثامه التي اقترفها ضد الناس ، وبعدما مات وعذب كما وصفنا أخذ ما تبقى منه إلى « ساحة موكوفليس » حيث كانت هناك مزبلة ، وهناك وضعوه ودفنوه في أسوأ مكان ، وهناك وجدوا وعاء أخضر فكتبوا عليه بالآغريقية « عندما يموت امبراطورا مجللا بالعار سيدفن هكذا »

١٥ - وكان الامبراطور كيرسك محبوبا كثيرا من سكان البلاد ، والكراهية التي حظي بها أندرونيكوس مع لانغوس لما اقترفاه من اساءات لم يبق دير في القسطنطينية الا وكتب على بابها لعنات عليهما ، وعندما توج كيرسك لم تكن له زوجة ، وبناء على نصيحة من رجاله أرسل إلى ملك هنفاريا (بيلا الثالث) يطلب أخته لتكون زوجة له ، وكان هذا الملك مستجيبا ومتفهما لمطالبه ، فأرسلها إلى القسطنطينية فتزوجها كيرسك وتوجها امبراطورة ، وحدث أن الامبراطور سافر عبر امبراطوريته ونزل في مدينة القيصر فيليب ، حيث ولد الاسكندر كما قيل ، وهي قرب القسطنطينية ، ذكرها المقدس بولس في جزء من رسائله التي عرفت باسم رسائل إلى أهل فيلبس ، وكان هناك مدينة تدعى استيف كانت تعج بالأقمشة الناعمة المستوردة من سورية . وفي دير هناك عاش الكس أخوكيرسك ، وبتحريض من زوجته التي قالت له إنها إذا لم تكن امبراطورة فلن تعيش معه ، سافر الكس وتوجه إلى عند أخيه ، فاستخدمه وشرفه ، وطبعا لم يحذر منه ولم يحترس ولم يخش خيانتة ، وفي أحد الأيام دخل الكس إلى الغرفة التي كان فيها أخوه الامبراطور ، فانقض عليه وتناوله من شعره ثم رماه أرضا وجلس على صدره فاقتلع عينيه ، ثم جاء إلى القسطنطينية فتوج نفسه امبراطورا وتوج معه زوجته .

١٦ - بعدما تتزوج الكس ، قامت الامبراطورة التي كانت زوجة كيرسك فزوجت ابنتها من فيليب بن الامبراطور فريدريك (ايرين أنجليوس التي تزوجها فيليب دي سوابيا بن فريدريك بربروسا سنة ١١٩٦ كانت ابنة الزوجة الاولى لاسحق ولم تكن ابنة مرغريت) وبعثت أيضا ابنها الى أخيها ملك هنغاريا فأعتنى به ورباه وحافظ عليه حتى قدوم ملك فرنسا ، حسبما ستجدونه في المخطوطة ، وقام ليفرناس الذي ذكرته من قبل ، وكان من أقرب الناس الى الامبراطور مانويل ، فجمع زعماء الناس ، وقدم نحو القسطنطينية ، وعندما عرف الكس أن ليفرناس زاحف ضده أعلنه عدوا له ، وتـــــــوسل الى الماركيز كونراد ، الذي كان آنذاك في القسطنطينية ، أن يبقى هو ورجاله ووقف الى جانبه حتى ينتهي من حربه مع عدوه ، وطمأنه الماركيز أنه سيقى وسيقف الى جانبه بكل رغبة ، وجاء ليفرناس الى القسطنطينية وكله أمل في معاقبة المجرم ، وقبل نشوب القتال لم يرغب الكس في حشد قواته ضد ليفرناس في خارج المدينة لأن له أعوان كثر في المدينة ، ولهذا جاء الماركيز ووقف ضد ليفرناس ، ثم قام بمهاجمته ، وأثناء خيل لليفرناس ومن معه أن كونراد ترك المدينة وقدم لمساعدتهم ، لكن عندما اقترب كونراد من ليفرناس وضربه فرماه من على ظهر حصانه ميتا ، ثم عاد أدراجه نحو القسطنطينية ، وعندما رأى رجال القسطنطينية الذين أرادوا حصار المدينة أن سيدهم قد مات هربوا ، وحينئذ قدم الامبراطور الى عند كونراد وشكره في قصره ، ذلك أنه لم يرغب في أن يلحق أدنى أذى بأتباعه من أهل المدينة ، وهنا رأى كونراد أن يستأنن الامبراطور ليسافر ، ذلك أنه جاء الى ما وراء البحار ليحافظ على المدينة التي وهبها الرب الى المسيحيين.

١٧ - وفيما يخص الملك بلدوين الطفل الذي كان في عكا يعيش تحت رعاية خال أمه ، انتابه المرض وتوفي سنة ١١٨٦ في شهر ايلول ، وحينذاك فكر الكونت جوسلين في خيانة عظمى قام بها ضد كونت طرابلس ذات تأثير ، فقد قال له ناصحا اذهب الى طبرية ولا

- ٣٧٩٠ -

تذهب مع الملك الى القدس لدفنه ، ولم يسمح جوسلين بذهاب أي بارون من البلاد الى القدس ، وعوضا عن ذلك أعطوا الجثة الى الداوية الذي توجب عليهم حمله إلى القدس لدفنه ، وأخذ كونت طرابلس بمشورته وعمل بها بكل حماقة ، وحمل رجال الداوية جثة الملك لدفنه في القدس وذهب كونت طرابلس الى طبرية ، وعند ذلك جاء الكونت جوسلين فاستولى على مدينة عكا ، ثم ذهب الى بيروت التي كانت تحت حماية كونت طرابلس ، وتورط في الاعمال الخيانية بشكل مؤكد حيث شحنها بالفرسان والسيرجانتية ، ثم أرسل الى أميرة يافا التي كانت ابنة أخته لتأتي الى القدس مع جميع فرسانها ليقوموا جميعا بعد دفن ابنها بالاستيلاء على القدس والمحافظة عليها وبذلك يمكن تتويجها ملكة .

وعندما عرف أمير طرابلس أن الكونت جوسلين قد خاضه بهذه الصورة ، بعث الى جميع بارونات البلاد ليجتمعوا به في نابلس ، وذهبوا كلهم للاجتماع به باستثناء الأمير أرناط وجوسلين ، ولم يرغب الكونت جوسلين بالتخلي عن عكا ، بل احتفظ بها وذهبت كونتسية يافا الى القدس ورافقها زوجها مع جميع فرسانهما ، وقامت بالاشراف على اجراءات دفن ابنها الملك ، وكان في القدس أيضا الماركيز بونيفيس مع البطريرك مع مقدمي الداوية والاسبطارية .

وبعدما دفن الملك جاءت كونتسية يافا الى البطريرك والى مقدمي الاسبتارية والداوية وتوسلت اليهم ليجمعوا بها ، وأخبرها البطريرك ومقدم فرسان الداوية أن عليها الا تشغل بالها تجاه هذه المسألة ولتأخذ الأمور بالهونى ، فهما سييتوجانها على الرغم من آراء جميع الموجوبين في بلاد سورية ، ومرد ذلك لحب البطريرك لأمها ولكراهية مقدم فرسان الداوية لكونت طرابلس ، وبعثوا وراء الأمير أرناط صاحب الكرك ، ليأتي الى القدس ، واستجاب وجاء الى القدس ، ثم تداولوا فيما ينبغي عليهم القيام به ، وكيف عليهم التصرف .

وأقر المجتمعون أن على الكونتيسة أن ترسل الى كونت ظرابلس والبارونات الذين كانوا في نابلس تستدعيهم لحضور تتويجها ، لأن الملكية الت اليها ، وبادرت على الفور بإرسال رسول الى هناك ، وأجابها البارونات الذين كانوا في نابلس أنهم لن يحضروا ، وعوضا عن ذلك بعثوا باثنين من رعاة الديرة الى القدس للقضاء البطريرك مع مقدمي الاسبتارية والداوية يحظرون عليهم أمام الرب والرسول القيام بتتويج كونتيسة يافا حتى ينعقد مؤتمر يضم جميع الذين أدوا يمين الولاء في أيام الملك المجذوم ، وذهب الراهبان الى القدس ومعهما فارسان هما جون دي بلسم ووليم دي كيوز الذي كان والد توماس دي سينت بيرتن وأبلغوهم الرسالة .

وأجابهم البطريرك ومقدم الداوية والامير أرناط أنهم لا يحسبون أدنى حساب لقسم أو كلمة ، وبدلا عن ذلك سيدعجون السيدة ملكة ، ولم يرغب مقدم الاسبتارية أن يكون طرفا مشاركا ، ولا أن يحضر لأن كل شيء كانوا يقومون به هو ضد الرب ويمينهم . ثم أوصدت أبواب المدينة حتى لا يتمكن أحدا من الخروج منها أو الدخول إليها ، لأنهم باتوا يخشون أن يقوم البارونات الذين كانوا في نابلس (على مسافة اثني عشر ميلا من هناك) بالدخول الى المدينة أثناء تتويج السيدة ، وأن قتالا قد يندلع .

١٨ - وعندما سمع البارونات الذين كانوا في نابلس بأن أبواب المدينة قد أوصدت ، وأن مامن أحد يمكنه الدخول اليها أو الخروج ، أخذوا جنديا من الرجالة ، وكان من مواليد القدس وأهلها ، وألبسوه ثياب راهب وأرسلوه الى القدس ليراقب عملية تتويج السيدة ، وتوجه هذا الرجل الى هناك غير أنه لم يتمكن من الدخول الى القدس عبر أي واحد من أبوابها ، فمضى الى دير مالدرني المقدسي الذي كان مجاورا لسور المدينة وهنا أقنع راعي الدير بالسماح له بالدخول من باب خلفي من خلال الدير ، وقصد مباشرة الى كنيسة القيامة ، ومكث حتى شاهد وسمع وعرف كل ما بعث ليعرفه .

واصطحب مقدم الداوية والأمير أرنات السيدة الى كنيسة القيامة حيث كان البطريرك وذلك من أجل تقويجها ، وارتقى الأمير أرنات مكانا عاليا ثم وقف يخاطب الحضور من الشعب قائلا :أيها السادة انكم تعلمون أن الملك المجذوم وحفيده (ابن أخته) الذي كان قد توجه هما الآن ميتان ، وهكذا باتت المملكة بسلا وريث وبسلا حاكم ، ونحن نرغب ، من بعد انكم أن نقوج سيبيل ، التي هي موجودة هنا ، والتي هي ابنه الملك عموري وأخت للملك ، بلدوين المجذوم ، لأنها صاحبة الحق الأوفى والواضح والوريث الصحيح للملك ، وردد الشعب الذي كان موجودا هناك في صوت واحد بأنهم يفضلون أقرباء الملك عموري على أي واحد آخر ، وبذلك نسوا بالحال الايمان التي أقسموها لكونت طرابلس ، ولهذا السبب لحقهم سوء الحظ منذ ذلك الحين .

وعندما كانت السيدة في كنيسة الضريح المقدس جاء البطريرك الى مقدم الداوية وطلب منه مفتاح خزانة الذخائر حيث كان التاج . موضوعا ، وأعطاه مقدم الداوية المفتاح بكل رضى ، ثم طلب من مقدم الاسبتارية أن يحضر مفتاحه ، وأجابهما مقدم الاسبتارية أنه لن يعمل شيئا من هذا القبيل ، فضلا عن أنه لن يخطو خطوة واحدة الى هناك ، ما لم يكن التدبير صادرا عن ارادة مجلس بارونات البلاد ، ثم توجه البطريرك مع مقدم الداوية الى حيث كان مقدم الاسبتارية للحصول منه على المفتاح ، وعندما علم مقدم الاسبتارية أنهما في طريقهما اليه ، أسرع للدخول الى دير الاسبتارية ، ولم يكن من السهل أبدا العثور عليه والتكلم اليه ، وعندما عثرا طلبا منه أن يعطيهم المفاتيح فأجابهما أنه لن يسلمهما اياها ، وأقد توسلا اليه ورجوه بحرارة ليفعل ذلك مما اغضبه والقى بالمفاتيح بعيدا عنه ، ثم التقطهم وأمسكهم بكلتا يديه خشية أن يلتقطهم واحد من رهبان الاسبتارية ويعطيهم الى البطريرك ، ثم جاء مقدم الداوية مع الأمير أرنات وأخذ المفاتيح منه وذهب الى الخزانة وأخرج التاجين منها وسلمهما الى البطريرك ، فوضع البطريرك أحدهما على مذبح الضريح المقدس وتوج بالثاني كوندسية يافا .

وبعدما توجت الكونتسية ملكة خاطبها البطريرك قائلا : سيدتي إنك امرأة ، ومن الضروري أن يكون الى جانبك رجل يساعدك في حكم المملكة ، ويستطيع بالفعل أن يحكمها ، وجاءت وأخذت التاج ودعت اليها زوجها غي لوزنغان الذي وقف أمامها ، وخاطبته بقولها : مولاي ، تقدم وتسلم هذا التاج ، لأنني لا أعرف استخداما له أفضل من اعطائه لك ، وجثا الرجل أمامها فوضعت التاج على رأسه ، ووضع مقدم الداوية يده عليه وساعدها في وضعه على رأسه وقال مخاطبا اياه : إن هذا التاج أفضل لك وأربح من الزواج من سيده البترون ، وبعد هذا قام البطريرك برسمه ومباركته ، وهكذا أصبحت ملكة وأصبح ملكا ، وتم هذا يوم جمعة في سنة ١١٨٦ لتجسيد مولانا المسيح ، ولم يحدث من قبل أن جرى تتويج ملك في القدس يوم جمعة ، ولم يحدث أيضا اغلاق الأبواب وقت ذلك .

وبعدما قرغ العسكري - الذي تخفى بزي راهب - من مشاهدة عملية التتويج غادر القدس من الباب الخلفي الذي دخل منه الى المدينة ، وانطلق نحو مدينة نابلس الى كونت طرابلس والبارونات الذين أرسلوه ، وأخبرهم بالذي راه .

وعندما سمع بلدوين صاحب الرملة أن غي لوزنغان بات ملكا القدس قال : انني أراهن أنه لن يبقى بالملك سنة ، وبالفعل لم يبق ملكا لمدة سنة لأنه توج في منتصف ايلول وخسر المملكة في يوم القديس مارتن في الشطر الاول من حزيران (٤ - حزيران) .

ثم توجه بلدوين صاحب الرملة بالخطاب الى بارونات البلاد وقال : أيها السادة الكرام ابدلوا ما يمكنكم من جهد لأن البلاد قد ضاعت ، وسأقوم بمغادرة البلاد لأنني لا أرغب في أن أنتقد أو ألام لمساهمتي بأي شكل من الأشكال في ضياع الأرض ، ذلك أنني أعرف أن الملك الحالي معرفة جيدة ، إنه على درجة عالية من الحماقة ثم انه رجل سوء ، وإنه لن يفعل شيئا مفيدا بناء على مشورتكم ، وبدلا عن ذلك انه يفضل الضياع والضللال بوساطة بدع

- ٣٧٩٤ -

هؤلاء الذين لا يعرفون شيئاً ، ولهذا السبب انني سأغادر البلاد ، فرد عليه كونت طراياس قائلاً : ياسيد بلدوين من أجل الرب ورحمة بالمسيحية دعنا نجتمع ونتداول حول كيف سيكون بإمكاننا الحفاظ على سلامة البلاد ، لدينا هنا ابنة الملك عموري مع زوجها همفري ، اننا سنتوجهها ومن ثم نقتصد القدس ونستولي عليها ، لاننا نمتلك قوى بارونات البلاد مع قوى مقدم الاسبتارية ، وذلك باستثناء الامير أرنط الموجود مع الملك في القدس ، ولدينا هدنة مع المسلمين ، يمكننا أن نمددها حسبما نريد ، ولن يأتينا أذى أو ضرر من جانبهم ، لا بل عوضاً عن هذا انهم سيساعدوننا اذا ما احتجنا ، وهكذا تعاهدوا وأقسموا أنهم سيتوجهون في اليوم التالي همفري ،

١٩ - وعندما عرف همفري أنهم يرغبون بتتويجه ملكاً ، فكر عميقاً بالمسألة ورأى أنه لن يكون أبدا قادراً على تحمل هذه المسؤولية ، وعندما حل الظلام امتطى حصانه وكذلك فعل فرسانه ، وساروا طوال الليل ، وبذلك هربوا الى القدس ، وعندما جاء صباح اليوم التالي ، وبعدما استيقظ البارونات أخذوا في اعداد انفسهم لتتويج همفري ، ثم سمعوا فيما بعد أنه هرب وذهب الى القدس .

وعندما وصل همفري الى القدس مثل في حضرة الملكة ، التي كان زوجها لأختها ، ورحبت به ثم قالت انها لا ترحب به لأنه عارضها ووقف ضدها ولم يحضر تتويجها ، فأخذ يحك رأسه حياء مثل الأطفال قائلاً : مولاتي هذا ما لم أتمكن منه ، فقد احتفظوا بي وأرادوا أن يجعلوني ملكاً بالقوة ، ورغبوا في تتويجي بالحال ، ولقد هربت لأنهم أرادوا جعلي ملكاً بالقوة ، وردت عليه الملكة بقولها : ياسيد همفري أنت على حق ، إنهم أرادوا الاساءة اليك اساءة كبرى عندما رغبوا في جعلك ملكاً ، وبما أنك تصرفت على هذه الشاكلة فسأجذبك غضبي اذهب الآن وقدم ولاءك للملك ، وشكر

- ٣٧٩٥ -

همفري الملكة لأنها أعفته من غضبها وقدم الولاء الى الملك ، ومكث مع الملك في القدس .

ولدى سماع كونت طرابلس والبارونات الذين كانوا في نابلس أن همفري ذهب وقدم الولاء للملك حزنوا كثيرا ، ذلك أنهم خسروا بذهابه ما كانوا يخططون له لمساعدة أنفسهم للحفاظ على البلاد ، ولم يعودوا يعرفون ماذا سيعملون ، ثم جاء البارونات الى كونت القدس وخاطبوه قائلين : مولانا ، بحق محبة الرب ، أشر علينا ماذا يمكن أن نفعل بالنسبة لليمين الذي أخذه علينا الملك المجذوم ندوك ، ذلك أننا لا نرغب أن نقوم بأي عمل سننال من ورائه اللوم أو النقد ، فضلا عن أننا لا نود مطلقا أن نقدم على أي إجراء فيه أدنى ضرر ندوك ، وأخبرهم الكونت ان عليهم الاحتفاظ بيمينهم والا يبدلوا شيئا عما صتعوه من قبل ، فهو الآن لا يعرف رأيا أصوب ليقدمه لهم ، واجتمع البارونات فيما بينهم للتداول .

٢٠ - وبعدما تداولوا بين أنفسهم جاءوا الى الكونت وخاطبوه قائلين : مولانا ، بما أن الأمور سارت على هذا المذوال ، وأخذت هذا المنحى ، فبات هناك ملك في القدس ، لا يمكننا الآن أن نحكم ضده ، لأننا لو فعلنا ذلك فزنا بالملامة ، ولانحب أن نحصل على ذلك ، إننا نتوسل اليك ، من أجل الرب ولا تنزعج منا تجاه ذلك أو تشعر بالأذى أن تذهب إلى طبرية وأن تمكث هناك ، وسنذهب نحن إلى القدس ونقدم الولاء للملك ، وكل ما نستطيع أن نفعله لصالحك سنفعله الا ما تعارض مع كرامتنا ، وسنسعى لتأمين التعويضات عن كل ما أنفقته على البلاد ، الأمر الذي كان الملك المجذوم أعطاك ضمانة له مدينة بيروت ، ولم يرغب بلدين صاحب الرملة في مشاركتهم بهذا الرأي والمسلك .

وعندما رأى كونت طرابلس أن جميع البارونات قد تخلوا عنه ، ذهب الى طبرية وذهب البارونات الى القدس لتقسيم الولاء الى الملك ، باستثناء كونت الرملة ، فقد بعث بأصغر أولاده ، وطلب

من البارونات أن يتوسلوا للملك ليعطي ابنه حق وراثة الأرض عندما يقدم الولاء له .

وعندما قدم البارونات الولاء للملك أخذوا معهم ابن بلدوين صاحب الرملة ليمنحه وراثة أرض أبيه وليقدم له الولاء ، فأجاب الملك بأنه لن يمنحه حق الارث للأرض ولن يقبل الولاء منه حتى يأتي الأب بالذات ويقدم بنفسه الولاء الى الملك ، وعندما يقوم الأب بتقديم الولاء يمكن جعل الابن وريثا لأبيه ، وأضاف الملك أنه إذا لم يأت وليم صاحب الرملة لتقديم الولاء ، فسيصار الى مصادرة أرضه .

٢١ - واستدعى الملك غي اليه بلدوين دي ابلين (يينا) ثم وجه الدعوة الى باقي بارونات البلاد للاجتماع به في عكا ، وقد استجابوا جميعا ، واجتمعوا في مقر رئيس كنيسة الصليب المقدس ، وفي البداية ارتقى الملك المنبر وأخذ يتحدث مبينا كيف توج ملكا على القدس ، وكيف أن الرب من عليه بهذه النعمة وجعله جديرا بالتاج ، وبعدما أنهى خطابه قال له الامير أرناط الذي كان واقفا على مقربة منه : ادع الامراء لتقديم الولاء لك وادع أيضا بلدوين دي ابلين ليقدم لك الولاء ، ومالئث الامير أرناط أن توجه بالدعوة الى بلدوين عدة مرات ، ولما كان بلدوين رجلا حكيما عاقلا متزنا لم يرغب بتلبية طلبه ، ولما رأى الملك أن بلدوين دي ابلين لم يستجب لطلب الامير أرناط ناداه بنفسه وقال : أصدقائي الكرام تقدموا لتأدية الولاء ، وليكن لكم الشجاعة بأن يكون الناس الطيبون هنا على رأسكم .

ورد الكونت بلدوين دي ابلين على الملك قائلا : بما أن والدي لم يقدم الولاء لوالدك ، فأنا لن أقدمه لك ولن أكون وفيا لك ، لكن هناك ابني توماس الذي مايزال صغيرا فعند بلوغه السن المناسبة سيأتي اليك ويمثل بحضرتك كما يمثل أمام سيده ، وسيقدم لك الولاء وسيقوم بكل ما يتوجب عليه وأنا سأترك المملكة في يوم قريب .

ثم التفت الى أخيه بالين واستأذنه وكلفه في أن يتولى حفظ ولده حتى بلوغ السن وبعد ذلك أخذ الطريق وقصد أنطاكية وبرفقتة الفرسان الذين كانوا تحت إمرته ، ولدى سماع بوهميموند الثالث أمير أنطاكية أن بلدوين دي ابلين قادم اليه مع كثير من الفرسان ابتهج كثيرا ، وتوجه الى استقبالهم ولاقاهم ورحب بهم بسرور عظيم .

٢٢ - وبينما كانت الأمور تسير على هذا المنوال ، جاء رجل الى الأمير أرناط وأخبره أن قافلة عظيمة قادمة من مصر تريد دمشق لا بد أن تمر قريبا في أرض قلعة الكرك ، فما كان من أرناط الا العودة الى الكرك وبخل الى هذه القلعة وجمع أكبر عدد من رجاله ، وتوجه بقصد الاستيلاء على القافلة ، وكان فيها أخت صلاح الدين ، وتمكن من ذلك .

وعندما سمع صلاح الدين أن الأمير أرناط استولى على القافلة وأسر أخته غضب غضبا شديدا وتألم كثيرا ، وبعث بعدة رسائل الى الملك الجديد يطالب باسترداد القافلة مع أخته ، ولم يعلن الغاء الهدنة ، وأراد اعطاء الفرصة الى الملك الجديد الشاب ، وبالفعل أرسل الملك غي الى الأمير أرناط يطالبه بإعادة القافلة الى صلاح الدين مع أخته التي أسرها عند الاستيلاء على القافلة ، فأجابه بأنه لن يعيد شيء قطعا ، لأنه هو سيد أرضه كما أنه سيد بلاده ، ولا يوجد بينه وبين المسلمين هدنة ، المهم أن الاستيلاء على هذه القافلة كان السبب في ضياع مملكة القدس ، حسبما أشرنا من قبل .

٢٣ - وعقد الملك غي اجتماعا في القدس مع مقدم فرسان الداوية ، وقال له : أن أمير طرابلس لم يقدم له الولاء والطاعة ، فأشار عليه أن يرسل قواته لحاصرته في طبرية ، وعندما عرف أمير طرابلس بأن الملك غي أرسل جنده ضده انزعج كثيرا فراسل صلاح الدين في دمشق وأعلمه أن الملك غي قد أعد قواته

ليزحف ضده الى طبرية ، وتساءل فيما اذا كان يوسعه انقاذه فبعث اليه صلاح الدين بالفرسان والجند مع كثير من السلاح ، وأوصى قواته : أنهم اذا حاصروه صباحا ، أنقذوه مساء ، على هذا تدخل صلاح الدين فأرسل بقواته ، بعدما حشدتها في بانياس ، وبعث منها الى طبرية مقدار ألف شخص .

وحشد الملك غي قواته في الناصرة ، وعندما فعل ذلك قدم اليه بالين دي ابلين وقال له : لماذا يامولاي جمعتهم هذه الفيالق كلها ؟ والى أين ستزحف هذه القوات ؟ فالوقت غير مناسب للقتال ، فأجابه الملك بأنه يريد حصار طبرية ، فقال له بالين : من الذي أشار عليكم بالقيام بهذا العمل ؟ إنه رأي سيء ، ومامن رجل حكيم يوافقك على هذا التحرك ، وأعلم علم اليقين انه برأيي ورأي البارونات أنك لن تنجح في هذه المهمة لوجود عدد كبير من الفرسان داخل طبرية من المسيحيين والمسلمين ، ولديك قليل من الرجال لحصار طبرية ، ثم أعلم أنك اذا ذهبت للقيام بهذا العمل ، وعندما ستدولى حصارها سيقدم صلاح الدين الى انقاذها بعدد كبير من الرجال ، والآن اصرف قواتك وعندي عدد كبير من الرجال يمكن أن يذهبوا الى أمير طرابلس ، وسنعمل بقدر ماأوتينا من قوة لاصلاح ذات البين بينكما ، لأن الشحنةا بينكما ليست مجدية .

واستجاب الملك فصرف قواته وبعث برسائله الى طبرية ، ولدى وصول الرسل الى طبرية التقوا بالأمير ريموند وتحدثوا معه بشأن احلال السلام بينه وبين الملك ، فأجابهم الأمير أنه لن يكون هناك سلم ولن يستجيب لأي مسمى للصلح مادام الاستيلاء على حصن بيروت مستمر ، واذا مااستمروا في الاستيلاء على حصن بيروت الذي اغتصبوه ، فسيعمل ماسيراه مناسبا ، وعاد الرسل الى الملك ورووا له ماوجدوه لدى الكونت .

٢٤ - وهكذا ظلت الاحوال طيلة موسم الشتاء حتى قبيل حلول عيد الفصح ، وقبيل حلول عيد الفصح سمع الملك أن صلاح الدين

- ٣٧٩٩ -

شرع بحشد قواته على نية غزو البلاد والدخول الى اراضي المملكة ، فبعث وراء جميع بارونات البلاد ، ورؤساء الاساقفة والاساقفة للقدوم اليه والاجتماع به في القدس ، واستجابوا لطلبه ، واجتمع به البارونات وبقية السادة فأخبرهم بتحركات صلاح الدين ، وطلب منهم تقديم الرأي والمشورة حول ماينبغي القيام به ، وقال له بارونات البلاد ناصحين ان عليك الاتفاق مع امير طرابلس ، واذا لم تتفق معه لن يستطيع الجند التصدي للمسلمين ، وذلك انه لدى كونت طرابلس جيشه الكبير من الفرسان ، ثم انه رجل حكيم مدبر واثق من نفسه ، استهدف دوما ضمان أمنه واظهار انه لا يخشى من أحد حتى من المسلمين ، ثم استطرد البارونات يقولون : مولاي لقد فقدتم أعظم فارس في أرضكم وأحكم رجل في بلادكم الا وهو بلدوين صاحب الرملة ، واذا ماخسرتم مساعدة امير طرابلس ورأيه تكونون قد خسرتم كل شيء .

وعند ذلك قال الملك لابد من ازالة الخلاف والنزاع فيما بيننا واقامة مصالحة وسلام معه ، واذا ماوافق على ذلك بطيبة خاطر سيكون هذا مفيدا ، وسيكون حسنا فعل ، واثر ذلك استدعى اليه مقدم فرسان الداوية الاخ جيراردي ردفورت ، ومقدم فرسان الاسبتارية الاخ روجردي مولين ، ويوسيه رئيس اساقفة صور ، وبالين دي ابلين وريزو صاحب صيدا ، ثم أمرهم بالتوجه الى طبرية للاجتماع بامير طرابلس لعقد المصالحة معه واقامة السلام ، واعلامه ان الملك تائق لهذا السلم الذي سيعقدونه فيما بينهم .

وتحرك الوفد وذهب الى نابلس أولا ، وذلك باستثناء رينو صاحب صيدا الذي سافر عبر طريق آخر ، ووصل ليلا الى نابلس ، ثم جاء بالين دي ابلين الى مقدمي الداوية والاسبتارية والى رئيس اساقفة صور وقال لهم : ان نهار الغد قصير ، وأنه

- ٣٨٠٠ -

سيمكث بنابلس ثم يتحرك ليلا ، ويبقى مسافرا طوال الليل حتى يلتحق بهم عند مطلع النهار ، وهكذا سافر هؤلاء وبقي بالين .

٢٥ - وكان واحد من أبناء صلاح الدين عرف باسم نور الدين ، قد برز آنذاك وعبر عن نفسه كفارس شجاع ، وهو الذي حمل اسم الملك الأفضل ، وأصبح فيما بعد أمير مدينة دمشق ، وكان هذا الأمير معسكرا آنذاك عبر نهر الأردن ، على مقربة من مخاضة يعقوب ، وكان صلاح الدين ، والده قد أمره بالدخول الى أراضي المسيحيين بغية الانتقام منهم لحادثة القافلة التي استولى الأمير أرناط عليها وليثأر لأخته التي أسرها حين الاستيلاء على القافلة وأبقاها لديه سجينة ، ولأنه لم يكن بإمكانه الدخول عن طريق آخر غير خلال ممتلكات طبرية التي عادت آنذاك لكونت طرابلس ، وبسبب أن الكونت المذكور كانت بينه وبين صلاح الدين هدنة قائمة وقد تسلم منه مساعدات كبيرة ، وعطايا تدل على صداقته نحوه ، لم يرغب صلاح الدين في الدخول الى أراضي المسيحيين بدون إذن وبالنظر لوجود شقاق بين كونت طرابلس والملك ، طلب من كونت طرابلس السماح له بالدخول الى أراضي المسيحيين من خلال أراضيه ، ومن ثم القيام بغارة هناك .

وعندما سمع الكونت بهذا الطلب أصيب باضطراب عظيم ، فهو إن رفض هذا المطلب الذي قدم اليه ، بات يخشى فقدان مساعدة صلاح الدين ومساندته ، وإذا ما سمع بذلك فإنه سيوصم بالعار ويوجه اليه اللوم الشديد في أوساط المسيحيين ، وأخيرا قرر أن يتصرف وفق مايلي : سيقوم بانذار المسيحيين وبذلك لن يخسروا شيئا ، وبناء على ذلك أعلم ابن صلاح الدين أنه على استعداد لاعطائه الآن المطلوب بالدخول الى أراضيه وإلى أراضي المسيحيين في ظل بعض الشروط المحددة : عليه أن يعبر النهر عند شروق الشمس وأن يعود عند غروبها الى أراضيه بدون كرة ، ولا يسلب بيتا أو يستولي على شيء ما أو يلحق به أذى في أي مدينة أو بلدة ، ووافق ابن صلاح الدين على هذه الشروط والتقى بها .

- ٣٨٠١ -

وعندما أتى صباح اليوم التالي ، عبر المسلمون النهر حسب الاتفاق ، ومروا من أمام أبواب طبرية ، وبخلوا إلى أرض المسيحيين فأغلق كونت طرابلس أبواب طبرية حتى لا يدخلوها فيحدثوا فيها الأضرار ، وكان هذا التصرف من كونت طرابلس أحقما في ذلك اليوم ، لأنه قام به قبيل وصول رسول الملك إليه ، ولتدارك الأمور أعد الكونت رسالة وبعث بها مع رسول إلى الناصرة إلى الفرسان الذين كانوا هناك ليتنبهوا ويأخذوا حذرهم ، كما بعث ينذر أهالي البلاد جميعا لاسيما المناطق التي كان يعرف أن المسلمين لابد أن يمروا بها ، وطلب منهم ألا يغادروا مدنها ويغلقوها ويتحصنوا بها ويلتزموا بيوتهم ، لأن المسلمين لن يهاجموا مدينة مغلقة وسيلتزمون بالصمت ، لكن لسوء الحظ إذا وجدوا أحدا خارج المدن سيأسرونه أو يقتلونه ، وبموجب هذه الوصايا تصرف الكونت في طبرية وجهاز سكان مدينته ، ثم بعث بعد ذلك بالرسالة إلى حصن الفولة حيث التقوا بمقدمي الداوية والاسبطارية وبرئيس أساقفة صور ، وقدموا إليهم الرسائل التي حملوها من كونت طرابلس .

ولدى اطلاع مقدم الداوية على الأخبار التي ذكرت أن المسلمين سيدخلون غدا إلى البلاد ، بعث على الفور برسول إلى دير الداوية الذي كان على مسافة أميال من حيث كان ، وطلب من فرسانه القدوم إليه لأن المسلمين سيدخلون يوم الغد إلى البلاد في الصباح ، ولما سمع الفرسان استعدادوا واحتشدوا ونفذوا أوامر مقدمهم فساروا نحوه فكانوا في منتصف الليل لديه حيث تمركزوا أمام حصن الفولة .

وعند حلول الصباح من اليوم التالي تحركوا وقصدوا مدينة الناصرة حيث كان بعض فرسان الداوية وفرسان الاسبطارية مع مقدمهم كما كان هناك الفرسان المخصصين لحماية الملك ، وعبر الناصرة نحو من ألف فارس وأخذوا اتجاه طبرية ، فوجدوا المسلمين عند نبع ماء اسمه كرسون ، وكانوا على نية العودة لعبور

نهر الأردن ، دون الحاق أنى ضرر بالمسيحيين لأن المسيحيين كانوا قد صانوا أنفسهم بالالتزام بوصايا كونت طرابلس .

وكان في مقدمة فرسان الداوية فارس مقدم ازدرى كل الناس الآخرين واحتقرهم ، ولهذا لم يعر الاهتمام الى آراء مقدم الاسبتارية الاخ روجر دي ميلون ولا أيضا أوامر الاخ جاك دي ميالي مارشال فرسان الداوية ، حتى أنه خاطبه برعونة وقال إنه لن يسمع كلام رجل يستعد للفرار ، فأجابه المارشال بأنه سوف لن يهرب أبدا من المعركة ، وهكذا وقف في ساحة القتال ، غير أنه هرب فيما بعد مثل جندي خائن ، خلاصة القول اندفع مقدم الداوية والفرسان الذين كانوا بصحبته والقوا بأنفسهم أمام المسلمين وكان معهم أيضا مقدم الاسبتارية ، فتلقاهم المسلمون بكل شدة ، وغرق المسيحيون بين صفوفهم ، فقد كان المسلمون مسلحين تسليحا جيدا ، ولم يكن المسيحيون كذلك ، وعلى أرض المعركة فقد مقدم الاسبتارية رأسه وفقد معظم فرسان الداوية كذلك رؤوسهم ، حيث قطعت جميعا ، ولم ينج غير مقدم الداوية مع ثلاث من فرسانه ، أما الفرسان الذين كانوا يتولون حماية الملك فقد أسروا جميعا ، وعندما رأى جذود الداوية والاسبتارية أن فرسانهم غرقوا في لجة جيش المسلمين ، هربوا وأخذوا معهم عتاد المسيحيين وهكذا لم يخسر المسيحيون شيئا من عتادهم .

٢٦ - - وحدث أنه عندما كان مقدم الداوية يعبر الناصرة زاحفا ضد المسلمون أن بعث جنديا على ظهر حصان ليستنفر في الناصرة كل من هو قادر على حمل السلاح ليجتمعوا ويبادروا على الفور الى اللحاق به ، فعندما سيصلون اليه سيجدون المسلمين قد أصابهم الانهاك ، وبعدما احتشد أهل الناصرة وأسرعوا مغادرين لمدينتهم وركضوا ليصلوا الى حيث كانت المعركة ، وجدوا عندما وصلوا المسيحيين أمواتا مدمرين ، ومالئ بأنقض عليهم المسلمون وأسروهم جميعا ، وما أن فرغ المسلمون من عملهم وما أن أكملوا قتل المسيحيين وتحطيمهم قاموا بحمل رؤوس فرسان المسيحيين

- ٣٨٠٣ -

الذين قاتلوهم على أسنة رماحهم ، واقتادوا الذين أسروهم نحو السجون ، ومروا في طريق عودتهم من أمام طبرية ، وعندما رأى مسيحيو طبرية أن المسيحيين قد دمروا وأن المسلمين حملوا رؤوس المسيحيين على أسنة رماحهم وأخذوا الباقي أسرى واقتادوهم أمامهم ، أصابتهم الأم عظيمة .

وهكذا عبر ابن صلاح الدين ومعه رجاله النهر عائدين عند غروب الشمس ، وقد حافظوا تماما على مواثيقهم مع كونت طرابلس ، بحيث لم يتسبب أي منهم بأي أذى لقلعة أو مدينة أو لبیت من البيوت ، وفقط الذين صدقوهم على ساحة القتال نزل بهم منازل ، ووقعت هذه المعركة يوم الجمعة ، وكان يصادف يوم عيد القديس جيمس مع القديس فيليب ، وهو أول أيام شهر أيار ، وجرى هذا كله بسبب استيلاء الأمير أرناط على القافلة في أراضي الكرك ، وكانت هذه بداية فقدان المملكة .

٢٧ - عند حلول الظلام تحرك بالين الذي كان في نابلس حسب الاتفاق وما يقتضيه الحال باتجاه مقدم الاسبتارية ومقدم الداوية وليطارد الأعداء ، لكن بعدما قطع مسافة عشرة أميال وصل الى البلدة التي تحمل اسم سبسطية ، وعندها لاحظ أن الفجر قد بزغ فأثر التوقف لسماع القداس وبناء عليه عاد وقصد بيت الأسقف وأيقظه وجلس معه وتحدث حتى شروق الشمس ، وعند ذلك ارتدى الأسقف لباس الصلاة ورتل القداس .

وبعد ما سمع بالين القداس بادر الى السفر بسرعة نحو مقدم الداوية ، وظل مندفعاً حتى وصل الى حصن الفولة ، فوجد هناك خارج الحصن خيما منصوبة ولا يوجد فيها أحد ، فاصيب بالذهول لعدم وجود أحد فيها ليسأله عن جلية الأمر ، وبناء على ذلك بعث بواحد من أتباعه الى داخل الحصن ليسأل من يجده فيه ، وبخل التابع الى الحصن وصاح في داخله فلم يجد أحداً ، ولم ير إنساناً يطلعه عن خبر ، وفقط عثر على المرضى في إحدى الغرف ، ولم

يستطيع هؤلاء ان يخبروه بشيء مطلقا ، وعند ذلك عاد الى سيده واخبره انه لم يجد احدا يخبره عن سر الاوضاع القائمة ، وهنا امره سيده بامتطاء ظهر حصانه ويتبعه للذهاب الى الناصرة ، وما ان ابتعدوا قليلا عن الحصن ، حتى خرج منه اخو مقدم الداوية ممتطيا ظهر جواده وصاح طالبا انتظاره حتى يصل اليهم ، فانعطف نحوه بالين دي ابلين وسأله عن الاخبار فأجابه : انها سيئة ثم استطرد يقول : ان رأس مقدم الاسبتارية قد قطع مع جميع رؤوس فرسان الداوية باستثناء الذين لاذوا بالفرار ومنهم مقدم الداوية وثلاثة من فرسانه ، وقد وقع الفرسان الذين يتولون حراسة الملك بالأسر جميعا ، ولدى سماع بالين دي ابلين بهذه الاخبار تيقن ان المعركة كانت كبيرة وقاسية ، فاستدعى واحدا من جذوده وبعث به الى نابلس الى عند الكونقيسة زوجته ليطلعها على الاخبار ، وليقول لها بأن تأمر جميع فرسان نابلس لياقوا اليه ليلا من نابلس ، ثم مالبث ان تصادف مع الجذود الذين كان معهم عقاد فرسان الهيكل ، أي الجذود الذين فروا من المعركة الضارية ، ولقد أدرك بالين انه لو لم يذهب الى سبسطية ويتوقف لسماع القداس لكان أتى عليه ما أتى على الذين حضروا المعركة .

وعندما جاء بالين الى الناصرة سماع بحدوث فوضى كبيرة في المدينة بسبب سـكانها الذين قتلوا أو أخـذوا أسرى في المعركة ، وشكل هؤلاء أكثرية الذين لديهم منازل في المدينة ، وهناك وجد مقدم الداوية الذي هرب من المعركة ، وهناك أيضا مكث فرسانه ثم أعلم أمير طبرية أنه في الناصرة ، وعندما علم كونت طرابلس بما حدث في المعركة انزعج كثيرا ، وعندما جاء الغد بعث بفرسانه اليه ليصحبوه الى طبرية .

٢٨ - وعندما وجد الكونت بالين مقدم الداوية في الناصرة توجه اليه ، ومن ثم سأله كيف كانت المعركة ، فعرف انها كانت معركة حامية الوطيس قتل فيها العديد من المسيحيين من قبل

المسلمين ، فقد كان المسيحيون في وضع صعب جدا عندما اشتبكوا مع المسلمين فقد طوقوا من ثم هزموا ، وأثر ذلك تبادلوا الرأي لارسال جماعة الى مكان المعركة من أجل دفن أجساد الفرسان وفي سبيل ذلك جمعوا الخيول التي توفرت بالمدينة ، وأرسلوها لحمل هذه الأجساد الى الناصرة لأجل دفنها .

وفي اليوم التالي اجتمع بالين مع رئيس أساقفة صور ومقدم الداوية ، وتحركوا للذهاب الى طبرية ، وعندما قطعوا مسافة قصيرة عاد مقدم الداوية . فقد وجد نفسه غير قادر على السفر بسبب ما عاناه من الألم حصلت له نتيجة الضربات التي تلقاها في معركة اليوم السالف . غير أن بالين ورئيس أساقفة صور تابعا سفرهما الى طبرية ، وعندما سمع كونت طرابلس بقدوم بالين مع رئيس أساقفة صور توجه لاستقبالهما ، مبديا له الكبر و غضبه الشديد للفاجعة التي حصلت في اليوم الماضي ، فقد كان ذلك كله محصلة لرعونة مقدم الداوية ونتيجة لعجرفته ، وعندما التقى الكونت بالسفيرين استقبلهما بحفاوة عظيمة ، واصطحبهما الى قصره ، وفي ذلك الحين وصل رينزو صاحب صيدا ، وعندما دخل السقراء الى القصر ، ومثلوا بين يدي الكونت ، قدموا له الرسالة التي حملوا ، وذكر بهم الكونت أنه متألم كثيرا ويشعر بالخل العظيم بسبب الفاجعة التي حصلت ، وبعد هذا عمل على ابعاد المسلمين عن مدينة طبرية ، وعندما تحقق له هذا رافقهم وتوجه معهم لمقابلة الملك ، وكانوا قد بعثوا برسول الى الملك أعلموه بدوساطته أنهم قادمون وبصحبتهم الأمير .

وعندما سمع الملك بمجيء كونت طرابلس نحوه ، وسمع بما حدث ، تألم كثيرا وانزعج غاية الانزعاج بسبب الاضرار التي لحقت بفرسان الداوية ، ومع هذا خرج من القدس حيث كان مقيما وذهب لتلقي أمير طرابلس ، وجاء كونت طرابلس بدوره للالتقاء بالملك ، وكان أن التقيا أمام حصن يدعى حصن القديس جوب ، لأن جوب عاش كما يقال هناك ، وكانت هذه قلعته ، ومن بعيد عندما

- ٣٨٠٦ -

رأى الملك أمير طرابلس ترحل وذهب لملاقاته ، وعندما رأى الأمير الملك يترحل لملاقاته ، ترحل هو أيضا ، وذهب لملاقاة الملك ، وعندما اقترب الملك منه جثا أمامه فأقامه الملك وأحاط ذراعية برقبته وعاذقه وقبله ، ثم عادا معا الى نابلس ، وتوجها الى القصر واعتذر الملك للأمير بشتى السبل لما حصل اثناء تنويجه ومن أجل ذلك ومن أجل أعمال أخرى ، وتحدث الأمير الى الملك وأعلمه أنه اذا سار وفق نصائحه وأخذ بمشورته ستكون المملكة قوية ومستقرة ومحكومة بشكل جيد ، لكن ما لبث ذوي الحسد والبغضاء يشعرون بالآلم نتيجة اصغاء الملك لنصائح الأمير وعمله وفقها .

وبعد هذا تحرك الملك والأمير وغادرا نابلس الى القدس حيث استقبلا بحفاوة كبرى ، وأقام السكان احتفالا كبيرا ، وعم السرور بين الناس لتوطد السلام بين الملك والأمير ، ومالبت أن استأذن الأمير الملك للمغادرة ، فأمره الملك بأن يجمع جنده ويقودهم الى نبع الصفورية لأنه علم أن صلاح الدين يجمع عساكره ليقودهم الى داخل أرضه ، ونصحه الأمير أن يرأسل أمير أنطاكية ويطلب منه ارسال النجدة له ، وقام الجميع بحشد فرسانهم وتقديمهم بذلك مقدا الداوية والاسبطارية ، وذهب أمير طرابلس الى صفورية ، وأرسل أمير أنطاكية ابنه البكر ريموند مع (خمسين من) فرسانه ، وبعد وصول الأنطاكيين أمر الملك البطريك ليحضر له الصليب المقدس ، وأحضره البطريك من القدس ، ثم عهد بحملة الى راعي الضريح المقدس ، وطلب منه أن يتولى حملة ويأخذه الى الملك لأنه هو نفسه لديه عذره بالتخلف وبعدم الذهاب ، وسيكون من الصعب عليه التفكير بالالتحاق بالجيش (وترك السيدة باسك دي رفرى) وحقق هذا الملك الذبوة التي سبق لرئيس أساقفة صور أن عملها يوم جرى اختياره ليكون بطريركا ، لقد هزم هرقل الفرس وأعاد الصليب الى القدس ، وسيلقي به هرقل وسيفقد الى الأبد ، ففي ذلك الوقت ألقى هرقل (البطريك) بالصليب الى خارج القدس ولهذا لم يعد مطلقا ، ولكنه فعل ذلك في المعركة التي سنسمع عنها :

- ٣٨٠٧ -

وعندما حمل الصليب الى الملك استعدادا للمعركة ، جاء مقدم الاسبتارية ونصح الملك في أن يصدر الأوامر بحشد جميع الرجال في أرضه ليأتوا اليه ، وأن يذفق عليهم ببخوبحة وكرم من المبلغ الذي بعث به هنري الى بيت الداوية .

٢٩ - وكان عندما عذب الملك هنري القديس الشهيد توماس أوف كانتربري وسبب شهادته في ٢٩ - أيلول ١١٧٠ - اعتقده أنه اقترف اثما عظيما ، وندم كثيرا ، وراح يعمل للتكفير ، وتصدق بكثير من الخبز وغير ذلك ، على أمل أن يساعده الرب ويغفر آثامه وما اقترفه من أعمال أخرى ، لقد كان هذا ما حصل بعدما عذب القديس توماس ، وصار يرسل في كل عام واحدا من عنده ليأخذ الطريق الطويل حتى يضع بعض المال في خزانة كل من فرسان الداوية والاسبتارية في القدس .

واستهدف الملك هنري جمع كمية كبيرة من المال في القدس حتى يجد هذا المبلغ أمامه عندما سيصل الى الأراضي المقدسة ليساعدها وينقذها وأعطى مقدم فرسان الداوية خزانة المال التي كانت لديه الى الملك غي ، وقال له : أريدك أن تحشد أكبر عدد ممكن من الناس مثلكم جمع المسلمون وأكثر ، فبذلك يمكنك أن تحارب وتثأر للعار والاضرار التي سببها المسلمون لي وللمسيحيين والمسيحية ، وأخذ الملك المال وأغرى به الفرسان والجند ، وهكذا تمكن من جمع عدد كبير من الفرسان وآلاف من الرجال ، وطلب أمير طرابلس الآن ليذهب الى طبرية ويجهزها ذلك أنه سمع أن السلطان صلاح الدين قد جمع بالفعل آلافا من الرجال يمتطون الخيول ، وأراد أيضا أن يسوغ موقفه أمام الملك لأن الأخير عرف بوجود اتفاق بين أمير طرابلس وصلاح الدين لكن الآن تصالح هذا الأمير مع الملك لهذا توجه الأمير الى طبرية لتحصينها وتجهيزها بالعتاد اللازم والرجال ، وأمر زوجته التي تركها فيها ، وكذلك أمر أعوانه أنهم إذا رأوا قوات صلاح الدين كبيرة جدا الى حد أنهم لا يمكنهم

مقاومتهم أن يتحصنوا داخل البحيرة ، وهو سينجدهم في أقرب وقت .

٢- في الوقت الذي غادر فيه الملك القدس وتوجه الى عكا نجد من جانب آخر كونت طرابلس يتوجه بدوره من طبرية الى عكا ، وفيما الجميع في عكا وصلت رسالة مستعجلة بشكل مفاجيء من طبرية أرسلتها أميرة طبرية تعلم فيها الملك أن صلاح الدين قد دخل الى المملكة وحاصر طبرية بقوة كبيرة من الرجال ، وتآلم الملك كثيرا وتأثر لسماع هذا الخبر ثم أمر بدعوة الفرسان والبارونات ليتشاور معهم حول الأحداث التي علم بها ، وعندما حضر الجميع طلب الملك مساعدة الحضور من الرجال ونصيحة جميع الذين كانوا هناك ، وأشار مقدم الداوية مع الأمير أرناء ومعه عدد آخر كبير على الملك أن يزحف مباشرة لطرد صلاح الدين من البلاد ووضع خـارج المملكة ، ففـي هـذا

مدك لسلطته الملكية ، فصلاح الدين بعمله هذا جرده من سلطاته الملكية ، وبذلك اصطدم بالمسلمين ، ولقد احتقره صلاح الدين ، وهو ان لم يستطع - منذ هذه الساعة - الوقوف ضده وصده ، فهو على وشك أن يفقد المملكة ، وعند نهاية الاجتماع سأل الملك أمير طرابلس عن رايه ونصيحته ، فخاطبه على مسمع من الذين كانوا هناك قائلا :

« مولاي انني انصحك واقترح عليك أن تشحن مدذك وقلاعك بالرجال والمؤن والعتاد والسلاح والمواد الأخرى المفيدة بالدفاع ، ومع أن أمير أنطاكية قد بعث ابنه مع خمسين فارسا ، راسله ثانية ، واكتب أيضا الى بلدوين دي ابلين وأخبره أن صلاح الدين قد دخل الى أراضي المملكة مع جيش جبار ، وأن عليه القدوم لمساعدة المملكة ، فأنا أعرف أنه سيقدم ، وأنت تعرف أن الوقت الآن منتصف الصيف وهو الوقت الذي تصل فيه الحرارة الى الذروة خلال السنة كلها ، هذا وان عزلة المكان وخشونته

والطقس الحار سيهاجمونهم ، وفي تلك الاثناء سيملك بلدوين دي ابلين الوقت الكافي للوصول ، وفي الوقت الذي سيشعر فيه صلاح الدين بالامان سذكون جاهزين ، وسنهاجم ساقه قذاته وسننزل بها ضربات مؤلة ستمكفنا - بمشيئة الرب - من ابقاء مملكتكم تعيش بسلام .

٣١ - وعندما فرغ الامير من كلامه ، رد عليه مقدم الداوية مع الامير ارناط وقالوا : ان النصيحة التي سمعناها غير جيدة ، وراي غير مقبول ، فيه رائحة الخيانة ، هو مبرقع بجلد الذئب ، وعندما سمع الامير ذلك التفت نحو الملك وقال له : « مولاي اسألك لابل ادعوك ان تذهب لتقديم النجدة والعون الى طبرية » ، فرد عليه مقدم الداوية مع الامير ارناط : ان الملك سيذهب بكل سرور الى النجدة ، وحينذاك تجهز الملك ومعه جميع فرق الفرسان في مملكة القدس ، وتحركوا جميعا من مدينة عكا ، وذهبوا للتمركز قرب نبع الصفورية ، وهناك أظهر الملك كرمه مرة أخرى فحصل على عدد معتبر من الفرسان والرجال والخيالة ، ولهذا السبب أحضر الصليب المقدس من القدس ليحمله وليسير في حمايته كثير من الناس ، ووضع الملك ثقته برجاله بفضل يسوع المسيح الذي قدم الفداء على الصليب .

٣٢ - بعدما مارس الملك كرمه على هذه الصورة أراد أيضا أن يتشاور مع رجاله فبعث مجددا وراء كونت طرابلس ليستشيره وليستمع الى رايه .

وأجابه ريموند ، بحكمة وعقل ، قائلا : اعلم ياسيدي أن أي ضرر يلحق بطبرية أنا مسؤول عنه ، ويقع على عاتقي وحدي وليس سواي ، وبالنسبة لزوجتي سيدة طبرية ولأولادي ، هم في طبرية داخل قلعتها ، وأن لا أرتضي بكل ما في الدنيا من ثروات مقابل لحاق الأذى بأي منهم ، ولهذا سبق لي أن أوعزت اليهم أن إذا ما وجدوا قوات صلاح الدين أكبر من أن يستطيعوا التصدي لها ، عليهم أن

- ٣٨١٠ -

يصعدوا على ظهر قواربهم ، ويفتشوا عن ملجأ داخل البحيرة حتى يأتي وقت نستطيع فيه القدوم لتقديم العون لهم ، وبعد هذا استطرد يقول : سيدي اذا كنت ترغب أن تدخل الحرب ضد صلاح الدين دعنا نرحل ونتمركز أمام عكا ، حيث نبقى على مقربة من قلاعنا ، إنني أعرف صلاح الدين ، انه رجل متكبر ، ومتشبه وشجاع ومقدام وماظنه سيترك أراضي المملكة حتى يذنب القتال معك ، واذا ماجاء لحاربك أمام عكا وسارت الأمور لغير صالحنا ، وقانا الرب من ذلك ، يمكننا أن نطلب النجدة من عكا والمدن القريبة منه ، واذا مانصرنا الرب ، وتمكننا من الحاق الهزيمة به قبل وصوله الى أراضيه ، فسننزل به ضربة مميتة لن يتمكن من التعافي منها أبدا .

وعندما أنهى الكونت ريموند كلامه تمتم مقدم الداوية بشكل يسمعه قائلا : اني أشم رائحة الخيانة ، انه يتبهرق بجلد الذئب ، وعندما سمع الكونت قوله ، احتد وانبرى قائلا موجه خطابا الى الملك : سيدي أرجوك وأتمنى عليك أن تهب الآن للذهاب الى نجدة طبرية ، فأجابه بأنه يتمنى أن يفعل ذلك ، وفي تلك الساعة وصلت رسالة من صاحبة طبرية موجهة الى الملك طالبة القدوم لمساعدتها ، لأنها ومن معها عرضة للخطر الشديد ، ولدى سماع الفرسان لهذه الأخبار ضجوا وصرخوا جميعا في وسط الجيش : دعونا نذهب لحماية سيدات طبرية ونسائهن .

٣٣ - لقد تحدثنا عن الملك وعن كتائب فرسانه التي كانت متمركزة قرب نبع الصفورية ، وبقدر ما فعلنا ذلك نولي الاهتمام مسألة أخرى فنتساءل عن السبب في سوء التفاهم والتباغض بين مقدم الداوية الأخ جيرارد دي فورت وخصمه أمير طرابلس ، عندما جاء من قبل مقدم الداوية الى أرض القدس ، بات فارس عصره ، وقدره الملك عموري منذ أن كان أميرا ، ووعدته ثم أجاز له أفضل زواج يحصل بين فرسانه ، وكان هناك وليم دوريك الذي كان قبل موته سيد البترون ، وهو الذي كان قد تزوج من استيفاني ابنة هنري دي بوفل ، وبعد وفاة وليم تزوجها هيو صاحب جبلة ومنها

جاء غي صاحب جبلة ، وقد كان لديه ابنة من امرأته الاولى ، وقبيل وفاته قدم الى البلاد رجل ثري يدعى بليفين ، وأحضر بليفين هذا له أموالا طائلة ، وطلب أمير طرابلس منه ابنته زوجة له ، وهي طبعاً سيدة البترون ، ووعده الكونت بتلبية طلبه ، وكان ذلك بحضور جيرارد دي ردفورت ثم أعطاها له بكل سرور بحضور بليفين لأن بليفين أعطى الى أمير طرابلس أموالاً طائلة في سبيل إتمام هذا الزواج ، حتى ليقال انهم وضعوا الأذنة في الميزان ووزنوها وأعطى الذهب الذي وزنته الى الأمير ، وأكثر من ذلك ، ومن أجل هذا المال الكبير ، أعطى الأمير ابنته الى بليفين ، ولم يعطها الى جيرارد .

وعندما رأى جيرارد دي ردفورت أن أمير طرابلس بصنيعه هذا قد رفضه وحرمه من الزواج بابنته غضب غضباً شديداً ، لأنه أعطاها - كما قال - الى رجل سافل ، ولهذا السبب عامل الفرنسيون الإيطاليين بكل ازدراء ، فهذا الغني ما كان ليستفيد لو لم يكن سافلاً ، فأكثر سكان إيطاليا عبيد وقراصنة أو تجاراً أو بحارة ، والفرنسيون فرسان ، لذلك احتقروا الإيطاليين ، ولهذه الأسباب غضب جيرارد كثيراً من أمير طرابلس ثم سافر الى القدس ، وهناك أصابه مرض ولهذا التجأ الى بيت الداوية ، وبعدما توفي الأخ أرمانت صاحب قلعة الروج ومقدم الداوية ، انتخب رجال بيت الداوية الأخ جيرارد دي ردفورت مقمداً ، وأثناء حادثة تتويج الملك غي ، عندما وضعت الملكة التاج على رأس الذي سيكون ملكاً ، ساعد مقدم الداوية الملكة في وضع التاج على رأس البارون غي دي لوزنغان ، وبعدما وضعت توجته نحوه وقالت : « في هذا التاج سداد للبترون » ولقد كان هذا هو سبب البغضاء بين مقدم الداوية الأخ جيرارد ردفورت وأمير طرابلس .

بعد هذا استدعى الملك أمير طرابلس والبارونات ومقدم الداوية في المساء وتشاور معهم وسأل عما يرونه ، وأشار أمير طرابلس على الملك ألا يتحرك من عند الينبوع حيث كانت إقامته وألا يغيرها ، لأن

صلاح الدين كان لديه الكثير من الرجال والملك ليس لديه مايكفي من الرجال ليتمكن من التصادم معه ، وعليه البقاء حتى وأن هدم صلاح الدين طبرية أو استسلم من فيها له ، وسلم الملك والبارونات لصواب هذا الرأي ، وجرى اقرار ذلك في سرادقه .

وبعد هزيع من الليل دخل مقدم الداوية على الملك وخاطبه بقوله : سيدي لاتنق بمشورة الكونت ريموند ، لأنه رجل خائن وأنت تعرف أكثر من سواك أنه لا يحبك ، ويتمنى أن يلحق العار بك ، وأن تفقد المملكة ، ولهذا أشير عليك بأن تعضي من هنا ، فنحن معك ، ونحن نرى أن علينا التوجه نحو صلاح الدين للاحاق الهزيمة به ، وهذا بالأصل واجبك الأول الذي عليك القيام به ، طبعاً بمشيئتك وحسب رغبتك ، وأعلم انك اذا لم ترحل من هذا الموقع ، فسيأتي صلاح الدين ويحاربك هنا ، واذا ما انسحبت من هذا الموقع خشية هجومه فسيلحق بك العار ، وسينصب لوم الناس عليك بشكل أعظم .

وعندما سمع الملك هذا أصدر أوامره بتحريك الجيش ، ولدى سماع بارونات الجيش بأنه أصدر الأوامر بالزحف توجها اليه ، وقد استولت عليهم الدهشة ، وخاطبوه بقولهم : أيها السيد ، لقد سلف أن وافقت معنا في اجتماعنا الأخير على قرار عدم التحرك من هنا ، فما الذي جعلك تصدر الأمر بتحريك الجيش ؟ فأجابهم بقوله : ليس من شأنكم توجيه مثل هذه الأسئلة ، ما عليكم سوى امتطاء خيولكم ، والتحرك حالا ودونما ابطاء نحو طبرية :

لقد كانوا رجال صدق واخلاص ، لهذا أطاعوا أوامر الملك التي أصدرها اليهم ، وليتهم لم يطيعوه ، فذلك كان أفضل للمسيحية ، وهنا أجد لزاما علي اخباركم بأمر عجيب حدث في ذلك اليوم ، فقد رفضت جميع حيوانات النقل والخيول في الجيش المسيحي شرب الماء من نبع صفورية. وملاسته في اليوم والليلة قبل

الرحيل على الرغم من شدة الحر ، وظهر عليها الحزن الشديد كما ظهر على رجال الجيش الذين تحركوا وهم يبكون وينتحبون ، ولهذا تخلوا في اليوم التالي - اثناء العمل - عن أصحابهم لما لحق بهم من ضعف شديد ، وماتوا عطشا لانعدام الماء .

٣٥ - وعلى أيضا الا أغفل عن اخباركم بحادثة رهيبة نزلت برجالات الجيش ، مع أنها تبدو كأسطورة ، تحظر علينا الكنيسة المقدسة تصديق أمثالها والاعتقاد بصحتها : عندما انطلق الجيش من منطقة نبع صفورية ، وتجاوز الناصرة ، فكان على مسافة ميلين منها ، اجتاز سيرجانتية الجيش بامرأة مسلمة عجوز ممطية حمارا ، واعتقد السيرجانتية بأنها عبدة أبقة ، فألقوا القبض عليها ، وتعرف عليها بعضهم وقال بأنها من الناصرة ، وسألها الجميع عن وجهتها في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، ولم تتمكن من تقديم جواب واضح لجميع الأسئلة ، فهددوها وتوعدها ، فاعترفت اثر ذلك بأنها عبدة لأحد السوريين من أهالي الناصرة : فسألوها : الى أين أنت ذاهبة ؟ فأجابتهم بأنها ذاهبة الى صلاح الدين لتحصل على جائزة ، مقابل خدمة أدتها له ، فعرضوها لمزيد من العذاب الشديد ليعرفوا منها نوع الخدمة التي أدتها الى صلاح الدين ، فأخبرتهم أنها ساحرة ، وأنها نفثت سحرها على رجال الجيش لمدة ثلاثة أيام متوالية حيث دارت حولهم مرارا ، وألقت سحرها عليهم باسم الشيطان ليمنعهم من التحرك من مكان اقامتهم ، وقيدتهم بفن شيطاني ، حتى يتمكن صلاح الدين من قبضهم جميعا ، ولن يفلت أحد منهم من بين يديه ، ولقد كان حقا أن قلة من الفرسان هم الذين نجو من الموت أو الوقوع بالأسر ، ثم سألها الناس الذين وجدوها قائلين : هل تستطيعين الافراج عن الجنود الذين قيدتهم ؟ فقالت : نعم اذا أرادوا العودة الى المكان الذي تحركوا منه ، وليس هناك من طريقة أخرى ، فاعتبروها محتالة ، لأنها مسلمة ، ثم لأنها اعترفت أنها ساحرة ، وبناء عليه قاموا بجمع كميات كبيرة من الأشواك والأعشاب الجافة ثم أوقدوا نارا عظيمة وألقوها فيها ، فقفزت منها

مرتين أو ثلاث مرات ، وكان هناك واحد من السيرجانتية وبيده بلطة هولندية ، فضربها ضربة عظيمة شطّر بها رأسها شطرين ، وعندها ألقيت في النار فاحترقت ، وسمع صلاح الدين فيما بعد بقصتها فأسف أسفا شديدا لفقدانها ، ذلك أنها لو بقيت حية لفداها بمبلغ كبير من المال .

٣٦ - ولايستغربن أحد هذا الخبر لأننا نجد في كتاب الموسويين (سفر العدد) قد كتب أنه عندما عبر بنو إسرائيل صحراء سيناء ودخلوا الى مآب التي كنا ندعوها من قبل الكرك ومونتريال (الكرك والشوبك) وكان اسم ملك هذه الأرض بالاق ، وخوفا من بني اسرائيل استعان هذا الملك بأناس آخرين من الأراضي المجاورة ، وبعث اليهم برجاله محملين بالأموال وأمرهم أن يذهبوا الى بلعام الساحر الذي كان مقيما بالرها فيما وراء الفرات ويعطوه هذا المال ويعودوه بأكثر من جـاء ليلعن بني اسرائيل ويسحرهم ، ووصل اليه الرسل وأعطوه رسالتهم والهدايا التي حملوها ، فأمرهم بأن يعودوا اليه فيما بعد ، ثم قام في الليل وقدم قربانا للرب حسب العادة ، فقال له في المنام دع هذا وامتنع عن لعن بني اسرائيل ، وببذما هو يسير على الطريق أغفل الأمر الذي أعطاه الرب اياه ، وأراد أن يلعن بني اسرائيل ، فأرسل مولانا ملاكا التقى به بالطريق وهو يحمل سيفا ، وعندما رأت أتان الملك حاملا سيفه خافت وحادت عن الطريق الى داخل الحقل ، وبدأ بلعام يبحث عن الأتان ليعيدها الى الطريق ، وعندما عادت الأتان الى الطريق الضيق الذي كان على حدود كرمه ، وكان الملك ايضا أمامها حاملا سيفه ، وخافت الأتان خوفا شديدا فأوقعت صاحبها ، وعندما سقط كسرت رجله ، ثم فتح مولانا فم الأتان وجعلها تتكلم وتخاطب بلعام قائلة له : مولاي ألسنت أنا أتانك التي يجب أن تحافظ عليها ، فلماذا تضربني ؟ فقال لها : لو كان لدي سيف لقتلتك ، لهذا الكلام ، ففتح مولانا عينيه فرأى الملك حالا ، وعند ذلك قال له الملك : طريقكم هذا ضدي ، فأجابه : مولاي انني سأرجع وأعود الى وراء اذا كان هذا يرضيك ؟ فأجابه

الملاك : كلا أريدك أن تمضي في سبيلك على أن تمتنع عن لعنة بني إسرائيل .

واستقبله بالاق بكل حفاوة وتشريف واقتاده الى جبل مرتفع حتى يستطيع رؤية بني إسرائيل فيتمكن من لعنهم بشكل جيد ، وعندما توجه بلعام نحو بالاق قائلا : كيف يمكنني لعنة هؤلاء الذين باركهم الرب ، وعند ذلك تلا نبوءة سيدتنا مريم المباركة وحكى عن ولادة يسوع المسيح بأنها ستكون على الشكل التالي : أنها ستولد من نسل يعقوب ، وسيأتي رجل من بني إسرائيل ويهد أركان مأب .

وعندما عجز عن لعن بني إسرائيل وأن يتغلب عليهم بسحره وبأعماله السيئة أشار عليه أن يختار أجمل بنات أرضه وأن يعطي لكل منهن كمية من الخمر ويرسلهن الى الحانة أو النزل لأن الاسرائيليين الذي يشتغلون فيه سيشاهدون جمال الفتيات فسيأتون اليهن ويشربون الخمر معهن ، وهكذا سيأثمون فيغضبون الرب ، فيغضب عليهم » وهكذا يخطئون ويغضبون الرب فيغضب عليهم الرب ، واذا طردتموهن يعدن اليكم واعلموا أنهم يهدمكم » ، لقد منع بدوا اسرائيل الفتيات ولكنهم شربوا الخمر .

ولا يستغربين أحد اذا ضاعت أرض القدس ، فقد اقتترفوا خطايا كثيرة فيها وفي القدس بالذات حتى غضب الرب عليهم كثيرا ، وبذلك سهل عمل عبيد الشيطان فتقدموا للعمل بين صفوفهم فـرموا بالبغضاء فيما بينهم فضاعت المملكة بذلك من بين أيديهم .

٣٧ - وسأحدثكم الآن عن انتخاب البطيريك هرقل الذي كان رئيسا لاساقفة قيسارية .

عندما مات البطيريك أمالك ، جاء رئيس اساقفة صور الذي كان يخشى الرب كثيرا وطبعا يحبه وكان نائب البطيريك الى اساقفة الضريح المقدس ورهبانه وجمعهم ، ثم توجه اليهم بالقول : تعلمون

ان الرب اخذ امانته بموت ايينا البطريك ، وانتم مكلفون بانتخاب البطريك الجديد ، وانصحكم بايمان الا تنتخبوا احدا من هذا الطرف من البحر ، لانكم لن تستطيعوا ان تنتخبوا من هنا كما تحبون ، واذناك ستقع الخسائر على المملكة ، فاما ان تنتخبوني شخصيا ، او تنتخبوا هرقل رئيس اساقفة قيسارية ، واذا انتخبتموه وقدمتموه الى الملك سيستقبله بكل طيبة خاطر لان امه (اغنس دي كورنتي) تحبه كثيرا ، وانتم تعرفون كيف عينته رئيسا لاساقفة قيسارية ، وانكم على معرفة تامة بحياته وكيف هي ، تماما كما انا اعلم شخصيا ، واذا مارغبتم بانتخاب واحد من وراء البحر ، انا وسائر الاساقفة بالمملكة انصحكم بذلك بكل طيبة خاطر ، واذا شككتكم بما قلت وارتبم بالامر لاني اشرت عليكم هكذا ، اعلموا انني قرأت في واحد من الكتب : هرقل قد احضر الصليب من بلاد الفرس ووضعه في القدس ، وهرقل سياً هذه من القدس واذناك سيفقد ، ولهذا السبب دعوتكم الى هذا الاجتماع .

ثم افترق رئيس اساقفة صور عن هؤلاء اساقفة الضريح المقدس ورهبانه ، وعندما اصبحوا لوحدهم ، عقدوا اجتماعا ، فرجبتهم هنا ام الملك ان ينتخبوا المعروف باسم هرقل ، غير انهم لما كانوا مجتمعين قرروا انتخاب رئيس اساقفة صور وذلك بموافقة الجميع ودون ان يخالف احد منهم ، ثم مالبثوا ان اختاروا كل من وليم رئيس اساقفة صور وهرقل رئيس اساقفة قيسارية ليكون واحد منهما بطريركا ، وقدموا بعد هذا الاسمين الى الملك ، وقبل الملك اللائحة بكل سرور ، وهنا ترجته امه ان يقنع اختياره على هرقل ، ويتخذه بطريركا ، وقبل الملك رجاء امه ووافق على الاختيار الذي رفعه له اساقفة الضريح المقدس ورهبانه ، ولا يمكن لاحد ان يقول ان الملك لم يتلق اقتراحا من الاساقفة بشأن تسمية البطريك ، وجرت العادة انه عندما يتولى اساقفة الضريح المقدس اختيار البطريك عليهم ان يقدموه الى الملك ، فاذا ما انتخبوا احدا عند صلاة المساء يقدمون الاقتراح الى الملك فورا ، والملك يعطيهم الجواب في الساعة الاولى من صباح اليوم التالي ، واذا اختاروه في

ساعات الصباح يرفعونه الى الملك حتى يعطي جوابه عند المساء وبصراحة يقال كان الملك موجودا أثناء الاجتماع لاختيار بطيريك القدس ، وهذا ما لم أجد من يؤكدّه وما سمعت أحدا يتكلم انه شاهده ، اذا لم يكن للملك أي تأثير مباشر على الاجتماع لأنه كان يعرف جيدا أن أثره وتأثيره سيظهر عند اللزوم ، ومع ذلك قضت القاعدة بالاختيار بالقرعة فهذا ما وجد في الكتاب المقدس حيث يروى أنه عندما كان الرسل مجتمعين (أعمال الرسل : ١-١٥) في جبل صهيون بعد عيد العنصرة وذلك بعد موت يهوذا رشحوا اثنين هما يوسف العادل ومتى ، ووضعوا اختيار القرعة عليهما ، فوقع القرعة على متى ، ولهذا السبب يقول الناس أساقفة الضريح المقدس يختارون والملك يجري القرعة ويوافق .

٣٨ - وسأحدثكم الآن واصفا حياة البطيريك هرقل ، وكيف غدا بطيريكاً ، فهو كان ذكياً ، أديباً ، وكان أيضاً شخصاً جميلاً ، وكانت أغنس أم الملك المجدوم تحبه كثيراً ، وللمحبة العظيمة التي كانت تكنها له جعلته رئيس كهنة القدس ثم رئيس أساقفة قيسارية وبعد هذا بطيريكاً ، كما تحدثت عن ذلك من قبل ، وكانت هناك زوجة أحد السادة في نابلس ، التي تبعد ثلاثة وعشرين ميلاً عن القدس ، وتدعى باسك دي رفري ، وقد وقع البطيريك بحبها وهام ، حتى غالباً ما كان يأتي بها الى القدس حيث كانت تمكث لديه يوماً أو أكثر ، وكان البطيريك يقدّم عليها الأموال وعلى البارونات حتى جعلهم أغنياء ، وذلك بسبب أن البارونات كانوا متطابقين مع ارادة البطيريك ، وعندما مات زوج هذه المرأة ، لم تبق لوحدها ، لأن البطيريك أحضرها الى عنده ، واشترى لها ملكية كبيرة من الأرض ، وزرع لها فيها أشجار التفاح ، وكانت تروح دوماً وهي مزينة بالذهب داخل مدينة القدس ، وكانت كل امرأة أجنبية أميرة أم غنية تقدم لها الذهب والأحجار الثمينة لتزين بها جسمها ، وكان الناس الذين يعرفونها يقولون عندما تمر من أمامهم . « هذه البطيريكّة » .

٣٩ - وفي احدى المرات ، بينما كان البطريرك والملك وبارونات المملكة في واحد من اجتماعات مجالسهم الذي اعتادوا على عقده في قصر البطريرك للبحث في مصالح البلاد وحاجات الشعب ، جاء واحد من الناس الى حيث كان مجمع الاسياد وصاح : « مولاي البطريرك معي لك اخبار جديدة سأقولها لك إذا سمحت لي على أنفراد » ، وخيل للبطريرك والملك والبارونات الذين كانوا مجتمعين معا أنه يريد أن يقول للبطريرك أخبارا جديدة مفيدة للمسيحية لأنهم كانوا يشعرون بالانزعاج عندما لا تأتيتهم أخبار جديدة إلى القدس ، وذهب مع البطريرك ليقول له ما حملة من أخبار ، وعند ذلك قال له : هات ما عندك من أخبار جديدة ، عسى أن تكون مفيدة لنا ، فقال له : لقد أنجبت السيدة باسك دي رفري ابنة ، فقال له البطريرك : اسكت يا مجنون ولا تقل شيئا بعد ، ومن أجل هذه السيرة التي كان يعرفها عنه رئيس أساقفة صور ، قال ما سمعته من قبل الى اساقفة الضريح المقدس وكهننته ، ومع هذا تصرفوا على عكس ما نزل اليهم ، مع أن مولانا قد تعذب بسبب خطايا أهل القدس ومن أجلها .

وكان بعدما أصبح هرقل بطريركا أن قام يوم الخميس المقدس (١١٨٣) على جبل صهيون فحرم رئيس أساقفة صور ، بدون دعوة مثارة ضده أو حجة وبدون أن يستدعيه اليه ليستجوبه ، وقام رئيس الاساقفة المذكور بناء عليه بالشكوى الى روما ، وعندما كان على نية السفر الى روما ليمثل أمام البابا الكسندر (الثالث) بناء على طلبه ، وليشارك في المجمع المسكوني الذي كان سيعقده ، واستعد رئيس الاساقفة وتحرك ليسافر ، وهنا استأجر البطريرك كيماويا وأعطاه المال الكثير ليذهب الى رئيس الاساقفة وليم واستجاب المأجور وسممه .

وقام البطريرك بدوره بالسفر فعبّر البحر وذهب الى مرسيليا ، ومن مرسيليا ذهب الى جلفادان (جيفودان) في بلاده ، وهنا عندما سمع البطريرك أن وليم رئيس أساقفة صور قد

مات ، عاد من بلاده ، وجاء الى القدس ، متظاهرا بذلك أنه لم يكن موجوداً من قبل عند وقوع حادث التسمم ، ولنتذكر أن رجال الاكليروس أعطوا في كل عصر المثل الصالح لكن من أجل خطاياهم الآن غضب مولانا كثيرا ، غضب على الذين يسكنون مملكة القدس ، وطهر الأرض من الخطيئة ومن الذين أقترفوها ، وحدث أنه عندما أخذ صلاح الدين القدس ، وجد في المدينة رجالا مسنين ، يدعى أحدهم روبرت دي كودري ، وهو ممن كانوا مع غودفري دي بوليون اثناء احتلال القدس ، واسم الآخر فولتشر فويل ، وقد ولد بالقدس عندما احتلت للمرة الاولى ، كما وجد صلاح الدين رجالا مسنين آخرين فأشفق عليهم ، وأخبروه أنهم يودون البقاء في القدس وامضاء حياتهم فيها ، فأذن لهم بكل طيبة خاطر ، وأوعز أن يعطوا العمل الذي يرغبونه ماداموا على قيد الحياة وكذلك ما يكفيهم لعيشهم ، وهناك أمضوا حياتهم .

٤٠ - ونعود الان لنحدثكم عن الملك غي وجيشه ، فقد تحركت قواته من موقعها قرب نبع الصفورية بقصد التوجه نحو طبرية ، ولكن ما أن ساروا قرابة مرحلة حتى جاءهم صلاح الدين فصدمهم من الامام وأرسل بمقاتليه فتحاربوا معهم من الصباح حتى الظهيرة . وكانت الحرارة شديدة ، ولم يستطع أحد تقديم المساعدة أو القدوم بها ، وأصيب الملك وجميع الناس الآخرين بالشرور والضياع إلى حد أنهم لم يعرفوا ما العمل ، وكانوا لا يستطيعون التراجع لأن الخسائر ستكون فادحة .

وبناء عليه بعث إلى كونت طرابلس الذي كان في خط الدفاع الأول فسأله عن رأيه وما الذي ينبغي عمله ، فأجابه الكونت أنه لو سماع نصيحته بالمقام الأول كما يود سماعها الان ، لكان ذلك أعظم فائدة له ، ولأمكن انقاذ المسيحية ، ولكن الوقت تأخر الان كثيرا ولا يمكنه أن يفكر بوسيلة مجدية أو مفيدة سوى التظاهر بالتوقف هنا ، وأن يقدم الملك على نصب خيمته هناك ، وأخذ الملك بهذه النصيحة الفاسدة ، على عكس ما كان يفعله من قبل عندما كان يقدم له

النصائح الجيدة فلا يأخذ بها ، ولم يكن على هذا الجانب غير
المسيحيين ، ولم يعارض المسلمون التوقف وكذلك فعل صلاح
الدين •

٤١ - وبينما المسيحيون في خيامهم أمر صلاح الدين رجاله أن
يجتمعوا أشواكا وأخشابا وأشياء أخرى ليشتعلوا فيها
النيران ، وأوقف المسلمون القتال مع قوات المسيحيين ، وبعدما
نفذت أوامر صلاح الدين بحذاقها ، وجاء الصباح أمر صلاح
الدين بإشعال النيران بين صفوف المسلمين و صفوف
المسيحيين ، ونفذ الأمر بشدة ودون تقاعس ، واشتعلت النيران
وكان الدخان المنبعث من النار كبيرا ، وعلى هذا كانوا علاوة على
الأذى الصادر عن الدخان وحرارة النار متضايقين جدا أيضا من
حرارة الشمس ، وفي هذه الأثناء أمر صلاح الدين بأن يجلبوا
بقوافل الجمال بالمياه من بحيرة طبرية ، وأفرغت المياه أمام
المسيحيين الذين كانوا يتألمون كثيرا من شدة العطش .

وكانت قد حدثت حادثة غريبة شائعة لقوات المسيحيين يوم
تمركزوا قرب نبع الصفورية الا وهي رفض الخيول الشرب من الماء
في الليل ونهار اليوم التالي ، وهكذا أوشكوا على الموت لشدة
العطش هم وفرسانهم .

ولذلك جاء فارس الى الملك كان يدعى جيوفري دي فرانك ليوك
وقال له : « مولاي حانت الساعة أن تسقط رؤوس السادة وتقص
لجاهم جميعا » ، وكانت هذه إحدى الوقائع التي حصلت لشدة
بغض سكان هذه البلدة للملك غي والسادة ، فما أن أصبح غي ملكا
أنشد أهل هذه البلدة أنشودة في القدس ، أزعجت كثيرا أهالي
المملكة ، وتقول الانشودة :

على الرغم من البلبيين
لينا ملك من الوافدين
وجعلنا هذا البغض وهذا الحق نفقد مملكة القدس

٤٢ - بعدما اندلعت النيران ، وارتفع الدخان الكثيف تقدم المسلمون وتسللوا بين صفوف المسيحيين ، وبدأوا يأسرون من المسيحيين بين الدخان ، وهكذا حتى طوروا عملهم فضربوا وقتلوا الرجال والشجعان من الفرسان ، وعندما رأى الملك ما أصبحت عليه حالة جنوده واتباعه عموما استدعى مقدم الداوية والأمير أرناط وسألها : ما رأيكما وما العمل ، فأشارا عليه بمتابعة القتال ضد المسلمين ، فاستدعى أخاه أمير (أمالك - عموري) ليعطي أوامره لكتائبه بالحملة ففعل ذلك ، وكان أمير طرابلس في المقدمة ، يقود أول الكتائب ، وكان أول من حمل ريموند ابن أمير انطاكية وفرسان كتيبته ، وكان هناك في المقدمة أيضا أولاد سيده طبرية وهم : هيو ، ووليم وراؤول وأوتو ، وفي الوقت نفسه كان بالين دي ابلين والكونت جوسلين في ساقة القوات ، وبعدها انتظمت الكتائب واحتدم القتال واشتد ، تحرك خمسة من الفرسان من كتائب أمير طرابلس والتحقوا بقوات صلاح الدين ، ونهبوا اليه قالوا : « مولاي ما الذي تنتظره ، اذهب واستول على المسيحيين لانهم جميعا في وضع ميؤوس منه » وعندما سمع هذا أمر كتائبه بالتقدم ، وتحرك هو الى الامام نحو المسيحيين .

وعندما رأى الملك أن صلاح الدين قد زحف يريده ، وجه الاوامر الى كونت طرابلس بأن ينقض على المسلمين ، فهذا حق اسياد المملكة ، فعندما يكون الجنود مع اسيادهم على صاحب الارض أن يذنب القتال ويبدأ المعركة ، وأن تكون كتائبه أول الكتائب ، وأول من يهاجم أول الاهداف ، ويتولى عند مدخل الارض قيادة مقدمة الجيش ، وعند عوبة الجيش يكون في الساقة ، ولهذا كان أمير طرابلس على رأس مقدمة القوات ، ذلك أن طبرية كانت تحت امرته ، وهكذا هاجم الأمير وكتيبته أول هدف للمسلمين ، وكان ذلك الهدف أكبر كتائب المسلمين ، ففتح لهم المسلمون الطريق وسمحوا لهم بالمرور ، وعندما أصبحوا في وسطهم أطبقوا عليهم فلم يفلت من الحصار من فرسان الأمير غير قلة والأمير نفسه وأبناء سيده طبرية

وريموند ابن أمير أنطاكية ، ولم يجرؤ ريموند أمير طرابلس على الذهاب الى طبرية التي كانت قريبة منه ، لانه رأى انهم خذلوا وهزموا ، وهكذا خشي من أن يحاصر هناك ، فيعرف صلاح الدين بمكانه فيأتي للقبض عليه ، ولهذا سافر مع قسم كبير من رفاقه الى مدينة صور .

لقد هزمت الكتائب المسيحية ، وكان وقتها غضب الرب كبيرا على الجنود المسيحيين ، وذلك بسبب خطاياهم ، فقد هزمهم صلاح الدين بمدة ساعات قليلة ، فمنذ الساعة الثالثة بعد الظهر وحتى حلول المساء احتل صلاح ساحة القتال بأكملها وأسر الملك ، ومقدم الداوية والأمير أرناط والمركيز بونيفيس ، وإيمري كافال المملكة ، وهمفري صاحب تيرون ، وهيو صاحب جبلة . وبليفين رئيس البترون ، وساعة آخرين كثير ، مع عدد كبير من الفرسان ، وفي الحقيقة يطول الحديث اذا ما ذكرنا اسم كل واحد ممن وقع في أسر صلاح الدين ، وضاع ايضا صليب الصليبوت ، وحدث في أيام هنري دي شامبين أن جاء واحد من فرسان الهيكل اليه ، وقال له بأن كان حاضرا في معمة الخذلان الكبرى ، وقام بتهريب صليب الصليبوت ، ويعرف جيدا أين هو موجود ، وإذا سمح له ، بالذهاب الى ذلك المكان فسيذهب لاحضاره ، وأعطاه الأمير هنري الآن باحضاره ، ونهب وفتش عليه ليلا ونهارا فلم يجده ، فمن ثم عاد الى مدينة عكا .

وحدثت هذه الكارثة بالمسيحيين في مكان اسمه قرني حطين قرب طبرية ، على بعد قرابة الثلاثة أميال منها ، وكانت في سنة ١١٨٧ لتجسيد يسوع المسيح وذلك في اليوم الرابع من حزيران ، وكان يوم السبت نهار عيد القدس مارتين لي بويلان ، وكان الجالس على الكرسي الرسولي في كنيسة روما البابا أوربان الثالث ، وأيضا أيام فريدريك (الأول بربروسا) امبراطور المانيا ، وأيضا أيام فيليب أوغسطس (ابن لويس السابع) ملك فرنسا ، وأيضا أيام هنري الثاني ملك انكلترا وأيام كيرسك امبراطور القسطنطينية .

- ٣٨٢٣ -

وأثر هذا الخبر على المسيحيين وأحزنهم كثيرا ، وحز في نفوس المؤمنين بيسوع المسيح ، حتى أن البابا أوربان الذي كان في فراري مات متأثرا من الألم الذي حل به (ت ٢٠ تشرين أول ١١٨٧) وذلك اثر سماعه لهذا الخبر المؤلم ، وبعده كان غريغوري الذي كانت حياته كلها قداسة ، فقد بقي شهرا يشغل الكرسي الرسولي المقدس ، وقد توفي وانتقل الى رحمة الرب (انتخب في ٢١ تشرين أول ومات في ١٧ تشرين ثاني في ١١٨٧) وجاء بعد غريغوري كلمنت الثالث (١٩ تشرين ثاني ١١٨٧) واليه حمل جوسيه رئيس أساقفة صور هذا الخبر ، فهذا ما وجدته مكتوبا ومرويا من قبل .

٤٣ - وبعدها عاد صلاح الدين الى مخيمه وقد حقق النصر في المعركة ، شعر بفرح عظيم لأنه بالفعل نال نصراً كبيراً ، وما أن استقر في سراحة حتى امر باحضار جميع الاسرى المسيحيين الذين اسروا في المعركة ، فأحضروا له اولاً الملك ومقدم الداوية والامير أرنات والمركيز بونيفيس ثم همفري صاحب البترون ثم ايمري كافل المملكة ، ثم هيو صاحب جبلة وعدد كبير آخر من الفرسان ، وعندما رآهم جميعاً امامه توجه بالخطاب الى الملك قائلاً : انه يشعر بفرح عظيم ، وبفخر كبير لوقوع اسرى نبلاء من هذا القليل تحست سلطته ، فيهم مثل ملك القدس ومقدم الداوية والبارونات الآخرين .

وعند ذلك أمر بأن يجلب له شراب ملطس في كأس من ذهب ، وبعدهما تذوقه قدمه للملك لكي يشرب ، وقال له : « اشرب حتى ترتوي » ذلك أن الملك كان يشعر بعطش شديد ، وشرب الملك ثم قدم الكأس الى الامير أرنات ، ولم يقبل الامير أرنات أن يشرب ، وعندما رأى صلاح الدين أنه قدم الكأس الى الامير أرنات انزعج منه ، وعندئذ قال للامير أرنات : « اشرب وإن كنت لن تشرب ثانية أبدا » فأجابه الامير : إن شاء الرب لن أشرب من عندك ولن أكل. ثم سأل صلاح الدين الامير أرنات : « يا امير أرنات ، في شريعتكم اذا اسرتوني ووضعتموني في سجنكم كما عملت أنا معكم

- ٣٨٢٤ -

كيف تعاملونني ؟ فأجابه : « لئن أعانني الرب أقطع رأسك » ولأنه أجاب صلاح الدين بهذه القساوة وبهذا اللؤم تأثر صلاح الدين وغضب غضبا شديدا ، وقال له عند ذلك : « ياخنزير أنت في أسري وتجيبني بمثل هذه الرعونة » ؟ ! وكان ممسكا بيده سيفا فأدخله في جسمه ، وبأدب الحراس الذين كانوا واقفين أمامه فقطعوا رأسه ، ثم أخذ صلاح الدين بعضا من دمه ودهن جسمه به ليعلم من كان هناك أنه ثار منه ، ثم أمر أن يؤخذ رأسه إلى دمشق ، وأن يطاف به في البلدان ليظهر إلى المسلمين أن الأمير أساء إليه فلاقى عقابه الشديد .

٤٤ - ثم أمر صلاح الدين بحمل الملك والأسرى الآخرين إلى دمشق ، هذا وعندما سمعت سيده طبرية أن الملك وقع بالأسر ، وأن المسيحيين قد هزموا ، اعتقدت أن زوجها وأولادها قد هلكوا في هذه المعركة ، فكان أن أرسلت إلى صلاح الدين تعرض عليه تسليم طبرية مقابل إعطائها الأمان للذهاب إلى طرابلس ، واستجاب صلاح الدين بكل سرور ، وأرسل فاستولى على طبرية ، واقتاد السيدة وأهالي طبرية إليه بسلام .

وبعد مضي ثلاثة أيام على المعركة أمر صلاح الدين ابن أخيه الأمير الكبير الذي كان يدعى تقي الدين عمر والذي كان أميرا على حماة ، أمره أن يذهب حالا إلى عكا ، ونفذ الأمر وسافر فوصل إلى مدخل المدينة ، وهكذا عندما وصل إلى مكان عند مدخل عكا اسمه سفيران ، بادر جوسلين الذي كان مقيما في عكا ، بعدما فر إليها اثر الهزيمة العظمى ومعه بالين دي ابلين قائد ساقية جيش المسيحيين ، فهذا أيضا فر إلى هذه المدينة ، بادر عندما سمع أن القائد الكبير الأمير تقي الدين قد جاء مسرعا إلى عكا فاستدعى عددا من أهالي المدينة ، وتقرر بالتشاور معهم إرسال مفاتيح المدينة إلى تقي الدين طالبا منه الأمان حتى يسلم المدينة إلى السلطان ، شرط منح أهالي المدينة رجالا ونساء الأمان مع أموالهم ، وكان الذي حمل المفاتيح إلى تقي الدين مع عرض

الاستسلام واحدا من اهالي عكا اسمه بيبربراييس ، وعندما سمع السادة من بقية الشعب أن الأمير جوسلين قد سلم مفاتيح المدينة الى المسلمين ثاروا وغضبوا أشد الغضب ، ولكون المدينة سلمت بدون قتال رأى هؤلاء اشعال النار في جميع أرجاء المدينة على أن يسلموها الى المسلمين ، وهكذا ألقى بعض هؤلاء الناس النار في مدينة عكا ، ومهما يكن من أمر أرسل تقي الدين الأخبار الى صلاح الدين قائلا ان المملكة بأكملها صارت اليه ، وطلب منه القدوم لأن اهالي عكا سلموا اليه المدينة والمفاتيح بين يديه .

وعندما سمع صلاح الدين هذه الأخبار سر سرورا عظيما ، وجاء حالا لكنه لدى وصوله وجد النيران تشتعل بالمدينة ، فتوجه بالخطاب الى سكان المدينة بكل مودة ولطف ، وطلب منهم القدوم الى حضرته وأعطاهم الامان ، وطلب منهم اطفاء النار وأخبرهم أنهم اذا أرادوا البقاء بالمدينة يمكنهم البقاء بأمان وسلام ، واستهدف ازالة الصراع بين المسيحيين والمسلمين ، وخبرهم أنهم اذا لم يرغبوا البقاء فهو سيدقودهم سالمين الى حيث يريدون الذهاب .

٤٥ - وعندما سمع اهالي عكا هذا الكلام أخذوا بالنصيحة وأطفأوا النار وأرسل صلاح الدين رجاله فاستولوا على المدينة وأبراجها وقلاعها ، وأعطى مهلة بضعة ايام للذين كانوا في داخل المدينة حتى يستطيعوا أن يخرجوا ذساءهم وأولادهم وامتعتهم ، وبعدما استولى صلاح الدين على مدينة عكا شحنها برجاله ، وسمح للناس الآخرين بالمغادرة وقادهم الى حيث أرادوا الذهاب ثم حاصر مدينة صور التي كان فيها بالين دي ابلين الذي كان يقود مؤخرة الجيش يوم المعركة ، فهو قد استقبل بعد فرارة في مدينة صور ، ولدى اقتراب صلاح الدين من صور توصل بالين الى صلاح الدين يرجوه ويتوسل اليه بأن يأذن له ويؤمنه ليذهب الى القدس حتى يجلب امراته (ماريّا كوميتوس أرملة الملك عموري وأولادهم) ومن ثم ليذهب الى طرابلس ، وأجاب صلاح الدين

بقوله : انه معطيه الامان بكل سرور وأذن له بالذهاب الى القدس ، شريطة أن يقسم اليمين في الدير على انجيل المسيحيين الا يبقى في القدس سوى ليلة واحدة ، وأن يغادرها في اليوم التالي ، وبعدما أقسم اليمين المطلوب مكنه صلاح الدين من الذهاب بأمان وسلام الى القدس .

وأنخل وصوله السرور كثيرا على قلوب أهل القدس مع البطريرك والسانة ، ودفن بالين بعد وصوله الى القدس قسمه ، وأراد أن يغادر المدينة كما وعد صلاح الدين في الدير ، غير أن أهالي المدينة ذهبوا الى البطريرك وتوسلوا اليه باسم الرب في أن يحتفظ بالين ويبقيه في المدينة لأنه لم يبق لهم مرشد أو حاكم غيره ، فهو يستطيع أن يرشدهم ويسوسهم ، وبعث البطريرك يسأل بالين ذلك ويطلب منه البقاء معهم فأجاب بالين البطريرك بأنه أقسم يمينا لصلاح الدين ، ولن يستطيع البقاء أبدا ، فقال له البطريرك لا بأس ، ووعده بأن يحلله من هذا القسم الذي أداه لصلاح الديانة المسيحية ، ووافق بالين على نصيحة البطريرك فتحلل من هذا القسم الذي أداه ومكث بالقدس حتى غادرها فيما بعد .

وبعد هذا الحدث ذهب صلاح الدين لالقاء الحصار على مدينة صور ، والذي حصل أنه واجه عند مدخل المدينة أمرا جديدا ، فقد وجدها محمية بشكل ممتاز بالجذود والناس والفرسان الذين فروا من المعركة ووجدوا الملاذ داخل هذه المدينة ، وعندما رأى أنه لن يستفيد شيئا ذهب وتحرك من هناك فقصده مدينة صيدا للاستيلاء عليها (٢٩ - تموز ١١٨٧) وبعد ذلك قصد بيروت (٦ آب ١١٨٧) فاستولى عليها ، ثم زحف نحو جبلة ، واقتاد معه (هيو) صاحبها الى مقابلة القلعة ، وجعله يتحدث الى رجاله ليعملوا على تخليصه من الأسر بتسليمها ، وأصغى رجال الحامية في قلعة جبلة واستجابوا فأذقوا سيدهم ، ومن هناك زحف صلاح الدين ضد طرابلس فوجدها محمية بشكل ممتاز فتجاوزها ، وذهب من هناك الى أرض جبيل

فاستولى على مدينة جبيل ثم على اللاذقية ثم على قلعة صهيون ثم على القصر الأبيض (طرطوس) ثم على بغراس ثم على بكسراثيل ثم ذهب لحصار قلعة فرسان الداوية المعروفة باسم قلعة المرقب ، وكان في هذه القلعة فارس ولد في صور يدعى جوهان غالية وكان قد فر من المملكة ، وجاء الى هذه القلعة لأنه كان قد قتل سيده ، وعندما جاء الى صلاح الدين عفا عن ابن عمه ليعلمه استخدام السلاح وحمله وفق طرائق الفرنجة ، كما علمه طرائق المبارزة بشكل جيد جدا ، أما التابع الذي كان يحرس الفارس فأراد الحصول على السلاح ليعود به الى عند المسيحيين ، فحصل على ذلك بكل يسر وطيبة خاطر ، وذهب صلاح الدين بعد هذا الى منطقة حلب واصطحب معه الفارس وتابعه ، وتركهما في منطقة حلب ، وأحيط جوهان غالية بالاكرام والتشريف والهبات ، فبعث برسالة الى فرسان الداوية في قلعة بغراس يخبرهم أنهم اذا أرادوا الحصول على ماأخذ من صلاح الدين من سلاح عن طريق الشراء فهو على استعداد لبيعهم اياه بكل سرور في أي نير يريدون ، فبعد اعطائهم السلاح سيعود الى مملكة القدس ، وتجاوب معه رجالات الداوية ، كما وأعطاه المسلمون الطيبون الامان والسلام ، وبعدما طمأنه رجال الداوية جاء اليهم مع تابعه ، وبخل الى أراضي المسيحيين ، وهناك تجهز رجال الداوية وأخذ الداوية التابع واقتادوه الى القلعة .

٤٦ - بعدما هزم صلاح الدين المسيحيين وأسر الملك ، بدأت أخته تلح عليه لايجاد من يستطيع اعادة ابنه الظاهر من حلب والحق عليه كذلك بقي الدين من أجل إعادة ابنه وكان صلاح الدين يريد ذلك ايضا ، وذهب صلاح الدين ليحاصر كل من كان في القلعة ، وكان في داخلها رينزو صاحب صيدا وكان قد فر من المعركة والتجأ الى مدينة صور ، وبعث هذا بفارس الى صلاح الدين الذي كان يحاصر قلعة كوكب يقول له إنه يريد تسليم مدينة صور ، ويريد شاراته وأعلامه لتوضع فوق القلعة ، وعندما سمع صلاح الدين بهذه الأنباء فرح كثيرا ، وأعطى الشارات المطلوبة الى الفارس الذي جاء اليه وطلب

أن تسلم اليه المدينة حالا ونهب الفارس الى صور وسلم الشارات الى رينو صاحب صيدا وفكر هذا بالذي عليه ان يعمل وكان الرب لا يريد ان تسلم صور الى المسلمين ، بل أراد الحفاظ عليها للمسيحيين ، وخاف رينو صاحب صيدا من وضع الشارات والزايات على القلعة لخوفه من أهل المدينة فأرسل كتابا الى صلاح الدين حيث كان يحاصر كوكب قائلا بأنه لا يجروا على أن يضع الاعلام والشارات على قلعة صور ، اذا لم يأت هو بنفسه ، وأن عليه القدوم بسرعة اذا ما أراد الحصول على المدينة ، وما أن وصل الخبر الى صلاح الدين حتى تحرك وترك حصار قلعة كوكب ، وفيما هو في طريقه الى صور أرسل اليها الرب الماركيز كونراد مونتفرات الذي كان في القسطنطينية منذ زمن طويل فاستولى على مدينة صور ، وحصنها ضد حملة صلاح الدين ، كما أنه طرد رينو صاحب صيدا من صور ، وأخذ الشارات والاعلام التي وجدها على القلعة فمزقها ورمى بها الى خارج القلعة ضد صلاح الدين ، وعند وصول صلاح الدين الى صور كان يتأمل في أن يجد رينو صاحب صيدا في انتظاره ليسلمها له ، فلم يجده أبدا ، بل على العكس وجد المدينة محمية بشكل جيد جدا ، فكان أن سافر من هناك لحصار قلعة عسقلان .

٤٧ - أنا سأحدثكم الآن عن قدوم الماركيز ، وكنت قد حدثتكم من قبل أن الماركيز كونراد قد تحرك من بلاده على نية القدوم الى القدس ليقوم بحجة ، لكن الايام رمته في مدينة القسطنطينية ، ثم كان أن أعطاه الامبراطور كيرساك أخته لتكون زوجة له ، وذلك لأنه قتل ليفرناس ، وقد هدده أهل ليفرناس بالقتل ، وكان كونراد نفسه شجاعا بأسلا حتى أن الامبراطور الكس (أقرأ : كيرساك) كان يخاف منه كثيرا ، وهكذا أراد أن تنتزع عينيه ، وعرفت زوجته ذلك فأخبرته لأنها كانت تحبه كثيرا ، وترجته في أن يحتاط لنفسه حتى لا يصاب بأذى ، فما كان منه الا أن استدعى الفرسان الذين كان قد أحضرهم معه من بلاده ، وأطلعهم على الكلام الذي نقلته له زوجته ، وترجاهم وقال لهم : عندما سـتذهبون لتحية

الامبراطور ، عليكم أن تطلبوا منه اننا يسمح لكم بموجبه بالذهاب الى القدس والقيام بالحج ، وأوصاهم الا يقبلوا من الامبراطور أي عطاء أو وعود سخية من أجل البقاء لأنهم لو قبلوا بالبقاء سيكونون تحت خطر الموت ، أو فقدان العيون .

ونذهبوا في اليوم التالي لاداء التحية الى الامبراطور ، وكان بعدما أدوا التحية له أن طلبوا من الماركيز الانن للذهاب لاداء الحج ، فترجاهم الماركيز للبقاء ، فأجابوه بالرفض وأنهم لن يمكنوا أكثر مما فعلوا أبدا ، وسمع الامبراطور من رسوله أنهم يطلبون اننا للذهاب والمغادرة فورا فترجاهم ووعدهم بالاموال الطائلة من أجل الحروب التي كان يقوم بها ، فأجابوه كلهم بالاجماع بأنهم لن يبقوا مطلقا ، ثم قال الماركيز للامبراطور بأنهم وعدوه ، وأقسموا له بالعودة اليه بعد تسأيتهم الحج : وتلقى الامبراطور هذا الوعد بطيبة خاطر وسمح لهم بالسفر .

وكان لديه قطعة بحرية تابعة لاهالي بيزا ، تريد الذهاب الى سورية ، فطلب منهم نقلهم ، وزودهم الامبراطور باللحوم والمؤن وأعطاهم ايجار السفينة ، وأعطاهم الماركيز جميع الاموال التي كانت بحوزته في القسطنطينية ، وبينما كانت السفينة مستعدة للاقلاع ، كان الامبراطور قريبا من شاطئ البحر ، ولدى رؤية الماركيز السفينة جاهزة للسفر والبحر هادئا ، والوقت مناسباً للابحار والسفينة للانطلاق قال للامبراطور : « مولاي نسيت حاجة علي أن أعطيها الى واحد من الفرسان لينقلها الى والدي وابن عمي » فقال له الامبراطور : « اذهب بأمان الرب وقل له ماتريد » وركب الماركيز في أحد الزوارق ونهـب الى السفينة ، وعندما صعد الى ظهرها سأل بحارته عما اذا كان الوقت مناسباً للتحرك ، فأجابوه بالاجاب ، فقال لهم ارفعوا أشرعتكم وأقلعوا فورا بمشيئة الرب ، وبالفعل حركوا أشرعتهم ، ومنحهم الرب الوقت الجيد المناسب ، فوصلوا الى سورية وجاءوا الى أمام مدينة عكا ، وبذلك نجا الماركيز من الامبراطور .

٤٨ - كان في ذلك الوقت - الذي وصلوا فيه الى امام مدينة عكا - عادة في المدينة أن يقرع الناقوس ساعة وصول أحد من وراء البحار ، وأن تسير ناقة الى السفينة ، وعندما وصل الماركيز لم يسمع أبدا صوت الناقوس ، فألقى بزورق بالبحر ووضع فيه مجموعة من الرجال الأكثر حكمة في السفينة ، وأرسلهم الى السفينة ليسألوا وليستطلعوا سبب عدم قرع الناقوس ، وليعرفوا له ماهي الاخبار بالبلد ، ووصل الزورق الى امام برج موسى ، وسألوا هناك النين صدفوهم : لمن تعود الآن ملكية هذه المدينة ، فأجابوهم أنها تعود الى صلاح الدين ، وقالوا لهم أيها الأخوة والأخوات أننا أتينا الى هنا بأمان صلاح الدين ، فقال لهم هؤلاء الرجال : ما كنا قدمنا الى هذه المدينة لو عرفنا أنها بحوزة المسلمين ، فقال لهم رجل من داخل البرج : « اذهبوا الى صور حيث سيأسركم مولاي صلاح الدين الذي استولى على صليبيكم وأسر ملككم وأخذ جميع ممتلكات المسيحيين ».

وعندما سمع الذين كانوا في الزورق هذا الكلام عادوا الى السفينة ، وأطلعوا الماركيز على هذا الخبر ، فتألم الماركيز لسماعه كثيرا ، ثم اقلعت السفينة من هناك الى امام مدينة صور ، ولدى وصولهم اليها ابتهج المسيحيون الذين في المدينة كثيرا، وسروا لأن الرب أرسل اليهم السفينة في هذا الوقت وهم في أمس الحاجة اليها ، ثم بعث سكان المدينة من يستطلع لهم امر السفينة وليعرف من كان على ظهرها ، وعندما عرفوا بأن الماركيز كونه راددي مونتفرات فيها ابتهجوا كثيرا .

ونهب عدد كبير من أهل المدينة اليه ورجوه بأن ينزل ويلتحق بهم ، وأن يأتي لانقاذ مدينة صور ، لأنه اذا لم يأت الرب وهو لانقاذ المدينة ، فحالما يغادر من هناك ويسافر سيسلموها الى المسلمين « لأن قوات صلاح الدين موجودة في المدينة » وعند ذلك استجاب الماركيز لطلب أهل مدينة صور وقال : « أيها السادة انكم تقولون إنه اذا مسافرت سوف تستسلم المدينة الى المسلمين

وسخسرها المسيحيون ، اذا أردتم ان تستقبلوني لكم سيذا وان تكون المدينة بحوزتي ، وتقسمون لي بأنه بعد وفاتي سيكون اولادي اسياذكم سأنزل عند رغبتكم وبعون الرب سأدافع عنها ضد المسلمين ، وبعدها تفرق سكان المدينة ، وعلموا أن صلاح الدين قادم للاستيلاء على المدينة ، نظروا في عرض الماركيز الذي تجرأ على التعهد بحكم المدينة والقيام بحمايتها ، وقدروا حق التقدير ارادته الطيبة ، وأقسموا له ولخلفائه من بعده حسبما طلب منهم ، واثّر هذا نزل الماركيز الى اليايسة ، حيث استقبل بتشريف عظيم وبمسيرة كبرى الى داخل المدينة ، فاستولى حالا على المدينة وقلعتها والأبراج وذلك في الوقت الذي لم يتجرأ فيه ريدو صاحب صيدا الذي كان يريد تسليم المدينة الى صلاح الدين على الانتظار ، وركب في زورق وهرب الى طرابلس ، وغدا الماركيز سيد مدينة صور .

٤٩ - وما أن فرغ من انزال ماكان في السفن المحملة من مؤن وأناس وصلوا الى صور واطمأن السكان فيها ، حتى وصل صلاح الدين للاستيلاء على المدينة وفق ما تم ترتيبه مع ريدو صاحب صيدا ، وبعدها تمركز امام المدينة خيل اليه ان المدينة ستفتح أبوابها لاستقباله ، لكنه وجد نفسه مزعوجا لأن الماركيز - كما سمعتم من قبل - كان قد استولى على المدينة ، ووجد في القلعة بعضا من قوات شحنة صلاح الدين ، فاعتقلهم وحملهم الى أعلى الأسوار ، ثم وقف مقابل تمركز صلاح الدين ، وألقى بهم نحو الخنادق تحديا لصلاح الدين ، ولدى مشاهدة صلاح الدين لهذا التحدي الذي جرى له حينما أوشك أن يستولي على المدينة أرسل الى دمشق ليحضروا له الماركيز بونيفيس ، وعندما حضر هذا الأخير جعله يتكلم مع الماركيز الذي كان في المدينة ويسأله إن كان يريد أن يسلم له صور فيعيد له والده الذي أسره ، ويعطيه كثيرا من المال ، فأجابه الماركيز بأنه لن يعطيه أصغر حجر من صور من أجل أبيه ، ولكن اربطوه بوثد لاكون أول من يطلق سهما عليه لأنه شيخ طاعن بالسن ولا قيمة له أبدا » وقرب الماركيز الأب من أسوار المدينة

فصرخ : « بني ياكونراد احرس المدينة بشكل جيد » وهنا أمسك
كونراد قوسه وفوقه نحو أبيه وأطلق عليه ، وعندما سمع صلاح
الدين بأنه أطلق على أبيه قال : « هذا مجرم شديد التوحش » .

وتخلى صلاح الدين عن متابعة حصار صور ، وقصد من هناك
مدينة قيسارية فاستولى على أرسوف ثم على يافا (في شهر
تموز ١١٨٧) وذهب من هناك لمحاصرة عسقلان ولم يستطع
الاستيلاء عليها بالسهولة التي توقعها ، لأنها كانت مدينة محصنة
وقوية ، فأرسل إلى دمشق فأحضر له الملك غي ، وعندما حضر إلى
أمام عسقلان قال له : « أيها الملك إذا سلمتني مدينة
عسقلان ، أعدك بأن أطلق سراحك وأدعك تذهب سالما » فأجابه
الملك بأنه سيتكلم مع رجاله ، ولدى اقترابه من أسوار المدينة
استدعى إليه رجال المدينة لأنه لم يكن فيها ولا فارس ، وقال
لهم : « أيها السادة ، قال لي صلاح الدين إذا سلمته هذه المدينة
سيدعني أذهب سالما ، وهذا بالطبع ليس بالعمل الجيد ، وليس
مناسبا قطعا أن تسلم هذه المدينة الجميلة من أجل رجل ، وإذا
علمتم أنكم تستطيعون متابعة الدفاع عن عسقلان في سبيل المسيحية
ومن أجلها فافعلوا ولا تسلموها ، وإذا رأيتم أنكم لن تستطيعوا
المحافظة عليها ، أرجوكم أن تسلموها وتحذروني من
الأسر » واجتمع أعيان المدينة ، ورجالاتها وتشاوروا فيما بينهم
فأروا أنهم لن يستطيعوا المحافظة على المدينة ، ولا أمل لهم حيث لن
تأتيهم نجدة من جهة ما ، ولو أنهم علموا أن نجدة ما ستأتيهم
لكانوا استسلموا بالمحافظة عليها . . . وكان الرأي أن
يسلموها ، ويذقوا حياتهم أفضل من أن يجوعوا ويؤخذوا
بالقوة ، وهكذا سلموها إلى صلاح الدين الذي وفى لهم
بوعوده ، فحفظ حياتهم ومعهم نساءهم وأولادهم وأموالهم
وأوصلهم إلى أرض المسيحيين ، ثم أفرج عن الملك ، فحذر من
سجن صلاح الدين ، وجرى آنذاك اختيار إيمري كافل
الملكة ، مقدما لفرسان الداوية وهو أخو الملك ، واتخذ الملك لنفسه
أحد الفرسان كاتبا ، وأعطى الفروسية إلى واحد من

السريان ، وكان صلاح الدين قد أبقي الملك محتجزا لديه حتى نهاية آذار ، ثم أن عسقلان استسلمت في نهاية آب (١١٨٧) وبعدها حصل صلاح الدين على عسقلان أرسل الملك ليقيم في نابلس وبعث الى الملكة لتذهب الى نابلس وتقيم مع زوجها هناك ، فهو لم يرغب في بقائها في القدس عندما سيذهب لمحاصرتها ، وعندما وصلت الرسالة الى الملكة وسمعت بها ذهبت الى نابلس لتقيم مع الملك ، وظلت هناك حتى استولى صلاح الدين على القدس .

وفي اليوم الذي استسلمت فيه عسقلان الى صلاح الدين عاد اليه من القدس الوفد الذي ارسله الى أهلها يعرض عليهم شروط الاستسلام ، وكان اليوم يوم جمعة عندما تحرك ، وكانت الشمس قد مالت الى الغروب حتى بدا أنه قد حل الظلام ، ولدى وصوله الى مشارف القدس بعث الى رجالات المدينة يقول : انكم تعلمون باستيلائي على كل الأرض باستثناء القدس ، فاذا سلمتموها لي فحسننا تصنعون (لقد نسيت أن أقول لكم أنه في اليوم الذي استسلمت فيه عسقلان الى صلاح الدين سلمت اليه جميع القلاع المجاورة) ورد سادة القدس على صلاح الدين بقولهم : بمشيئة الرب لن يسلموه المدينة ، فقال لهم صلاح الدين : « قولوا لي مالذي تودون صنعه اذن اعتقد ان القدس بيت الرب ، وايمانكم هو ايماننا ، وسوف لن أحاصر بيت الرب ، ولن أضع فيه النار اذا استوليت عليه بالسلم والمحبة ، أريد ان أتسلمه بطيبة خاطر ، وسوف أعلمكم مالذي سأصنعه معكم ، سأقدم لكم ألف مساعدة ومساعدة مقابل تخليكم عن القدس وسأعطيكم الحرية لتذهبوا حول القدس الى حيث تودون ، واذا أردتم الحصول على أي بضائع أو مؤن من أي مكان في الأرض ، لن تحصلوا من أي سوق على الذي سأعطيكم اياه ، وسأمنحكم الآن هدنة من اليوم حتى عيد العنصرة ، وفي هذا الوقت اذا حصلتم على مساعدة لتحملوا أنفسكم مني افعلوا ، واذا لم تحصلوا على أي مساعدة وتعيدون المدينة الي سلاطنتكم أنتم وأموالكم بسلام الى أرض المسيحيين . فردوا عليه : بمشيئة الرب لن يسلموا المدينة

- ٣٨٣٤ -

للمسلمين ، وانهم لن يسلموا المكان الذي سفك فيه المخلص دمه من أجل خلاصهم فلهذا السبب جاء .

وعندما سمع صلاح الدين الجواب وراه ، أقسم أنه لن يأخذها بالتسليم ولكنه سيأخذها بالقوة ، وهنا طلب بالين دي ابلين أن يعطى له الأمان ولامراته ولأولاده ليذهبوا الى طرابلس ، وأعلن أنه لن يستطيع البقاء في القدس والمحافظة عليها ، وأرسل له صلاح الدين فارسا اقتادهم الى طرابلس ، وبذلك استولى على جميع ممتلكات مملكة القدس باستثناء صور والكرك والشوبك .

٥٠ - وغادر صلاح الدين عسقلان بقصد حصار القدس يوم الخميس مساء (١٧ - ايلول ١١٨٧) وبدأ بحصارها صباح الجمعة من جهة باب داود حتى باب القديس ايتين ، وفيما هو مقيم الحصار عليها أرسل الى سكان القدس يطالبهم بتسليم المدينة ، ويعرض عليهم ما وعدهم به أمام عسقلان ، وأنه على استعداد لتنفيذ وعده بكل طيبة خاطر ، وهنا أدرك أهالي القدس بتشكك جيد أنهم اذا لم يسلموا المدينة له سيشدد الحصار عليها ، وسوف لن يمنحهم الأمان وسيستولي عليها بالقوة لأنه أقسم يمينا أنه سيفعل ذلك .

وبعث سكان المدينة الى صلاح الدين يقولون مهما تفعل من خير أو شر لن نسلمك المدينة أبدا ، وحينئذ سلح صلاح الدين رجاله لحصار القدس ، وخرج المسيحيون منها وقاتلوا ضد المسلمين ، ولم تدم المعركة طويلا لأن شمس الصباح بهرت عيون المسلمين فانسحبوا الى الورا ، وانتظروا حتى الزوال ، وعند حلول المساء بدأوا الهجوم وحاصروها طوال الليل ، وهكذا بقي صلاح الدين أياما يحاصر القدس ، وليس من ضعف أو خوف لم يستطع المسلمون الاستيلاء بالقوة على المدينة وقهر المسيحيين فيها ، فهؤلاء كانوا دوما يشتبكون بالمسلمين خارج الأبواب خلال النهار وكانوا يصدونهم الى الورا حتى خيمهم وأماكن

اقامتهم ، ولم يستطع المسيحيون بدورهم اصابة المسلمين بالسلاح أو القذائف ، وقد تسألون كيف حاصر المسلمون المدينة وحاربوا أهلها ، انهم لم يحاربوهم الا بعد مرور فترة الصباح ، عندما تغدوا الشمس وراء ظهرهم وفي وجوه المسيحيين ، وعند ذلك كانوا يحاصرونهم حتى الليل ، وهكذا اعتاد المسلمون أن يفعلوا وتولوا قذف المدينة بالمواد المشتعلة والمتفجرة ، كانوا يقذفون بقذائفهم نحو الأعلى ، وبذلك كان المسيحيون يتلقون منذ الزوال المواد المشتعلة والمتفجرة مع أشعة الشمس في وجوههم .

٥١ - وعندما رأى صلاح الدين أنه لم يستطع قهر المسيحيين من هذه الجهة نقل حصارة وحول قواته من باب القديس ايتين حتى جبل الزيتون ، لأن الذي يقف على جبل الزيتون يمكنه أن يرى كل ما يجري داخل القدس ، وبذلك لا يستطيع أحد الخروج أو الهرب أبدا من باب القديس ايتين حتى باب يهوذا فاط حيث تشدد الحصار ، لذلك لم يبق باب يستطيع أن يخرج منه من هم داخل المدينة محاصرة المسلمين ، وذلك باستثناء باب مادلين الذي ترك مفتوحا للمرور بين الأسوار وداخلها ، وفي اليوم الذي تحرك فيه صلاح الدين من باب داود وجاء إلى باب القديس ايتين ، في ذلك اليوم أرسل جيشه للانقضاض على أسوار المدينة ، كما وأرسل في الليل عددا كبيرا من الجنود والرجال المسلحين ، وبذلك انقضوا بشدة واندفعوا نحو أسوار المدينة ، وعندما جاء الصباح ، سلح صلاح الدين رجاله وألبسهم الخوذ ، ودفعهم للهجوم ومن ورائهم الذبالة الذين حملوا القسي ، وانهمر الذباب المطر ، حتى أنه لم يوجد بين المسيحيين في المدينة رجل شجاع أو قوي تجرأ على أن يرفع أصبعه فوق الأسوار ، وكان المسلمون قد حفروا نفقا تحت السور ، ثم لغموا الحفرة ، وفي الصباح صدوا على الأخشاب الزيت ثم أضرمو النيران ، وهكذا سقط السور ، ولم يتمكن المسيحيون من الحيلولة دون اللغم كما وعجزوا عن المقاومة ضد هجمات المسلمين ، فقد خافوا من ضربهم بالأسلحة أو اصابتهم بالقذائف وشعروا أنهم لن يستطيعوا متابعة المقاومة .

٥٢ - وتكلم صلاح الدين أثناء حصاره للقدس بكل لباقة ، وظل يفعل ذلك لدى مخاطبته السكان، وكان بلدوين دي ابلين عندما سافر من مملكة القدس ترك ابنه الذي يدعى توماسن تحت رعاية أخيه بالين ، وكان له طفل آخر اسمه وليم من ابنة ريموند صاحب جبلة وعندما سمع والديهما أن صلاح الدين قد حاصر القدس أرسل يتوسل اليه أن يطلق سراح ولديه اللذان هما في المدينة حتى لايقعا في الاسر وفي الحال أرسل صلاح الدين الى بالين الذي كان مقيما في القدس أن يبعث اليه ابن أخيه توماسن وابن أخيه بلدوين ووليم ابن ابنة ريموند صاحب جبلة ، وعندما عرف بالين بما رغب به وأراده يبعث بهم بكل طيبة خاطر ، وعندما جلب الطفلان إلى حضرة صلاح الدين استقبلهما بكل احترام بما يليق بهما كأبناء أناس أشراف ، وخلق عليهما الألبسة وأعطاهما مالا ، وأمر أن يجلس أحدهما على ركبته اليمنى والآخر على ركبته اليسرى ثم أخذ يبكي بحنان وعندما سئله بعض قادته عن سبب بكائه قال مجيبا :لا أحد يتعجب أو يستغرب لأن كل شيء في هذا العصر أخذ وعطاء ، أو دين وسداد ، وأقول لكم لماذا بكيت ، لأنني كما أعامل أولاد الآخرين سيعاملون أطفالي بعد وفاتي ، وأضيف لكم مثلما أعامل الأجانب وكل من هو ضد سلطتي ، وأخي سيف الدين ، الذي سيحافظ على أولادي بعد وفاتي سيعاملهم أيضا بالمثل ، وكانت نبوءة صحيحة ، لانه كما قال عاملهم سيف الدين

٥٣ - بسبب رغبة صلاح الدين في الاستيلاء على مدينة القدس سليمة ، لم يشدد عليها الحصار ليلا ونهارا بدون استراحة ، مع أن الذين كانوا داخل المدينة كانوا يشعرون بالانزعاج كما وكانوا قد هدهم الارهاق من العمل المتواصل وعندما تيقن هؤلاء انهم لن يستطيعوا الاستمرار بالدفاع طويلا ، اجتمع وقتها مسيحيو المدينة وأخذوا يتداولون حول أفضل السبل ، ويبحثون عن أفضل المخرج لما هم فيه ، ثم توجهوا الى البطريرك والى بالين دي ابلين وقالوا لهما بأنهم يريدون الخروج ليلا من المدينة والانقضاض على المسلمين ، لأنهم يفضلون الموت بشرف في المعركة على أن يؤخذوا

أسرى في المدينة ، وأيقنوا أن استمرارهم بالدفاع لن يجدي شيئاً ، وفضلوا أن يموتوا حيث تألم يسوع المسيح من أجلهم ومات ، وأثروا ذلك أن يسلموا المدينة ووافق الفرسان وأعيان المدينة على هذا الرأي ، أما البطريك فقد رأى عكس الذي راوه حيث قال :أيها السادة أريد هذا الذي تريدون جيداً ، فهو القصر الذي يعجبني ، ولكن يوجد شيء آخر ، فنحن إذا تخلصنا وأخذنا معنا كل ما يمكننا من سلاح سيكون ذلك أفضل لنا. إن هذا الذي آراه شخصياً ، لأن لكل رجل في هذه المدينة زوجة وأطفال ، وإذا متنا كلنا يأخذ المسلمون النساء والأطفال ، وهم لن يقتلونهم ، بل سيرغمونهم على ترك الإيمان بيسوع المسيح ، وكلهم بذلك سوف يخسروهم الرب ، والأنسب أن نتوسل إلى صلاح الدين بوساطة أحدنا حتى نتمكن من الخروج جميعاً من المدينة والذهاب إلى بلاد المسيحيين ، وهذا عندي الرأي الأفضل من أن نذهب إلى الحرب لأننا لن نستطيع أن ننقذ منهم النساء والأطفال »

ووافق الجميع على هذا الرأي ، وقدموا الرجاء إلى بالين دي ابلين لينذهب إلى صلاح الدين ليتفق معه على السلام الذي يريدون أن يقيموه معه ، ونهب بالين هذا إلى صلاح الدين وتكلم معه حول هذا الموضوع ، وبينما هو في حضرة صلاح الدين انقض المسلمون على المدينة وقربوا بعض السلالم إلى أسوار المدينة ، وبعدما اسندوها إلى الأسوار صعدوا عليها حيث مهدوا السبيل لدخول المدينة ، ورفعوا أعلام صلاح الدين على أسوار المدينة .

وعندما رأى صلاح الدين أعلامه ورجاله وحاشيته فوق أسوار المدينة قال لبالين : « لماذا تطلب مني التباحث بشأن تسليم المدينة وأعقد معكم الصلح ؟ انظر فهاهم رجالي وأعواني فوق أسوار المدينة لقد تأخرت ، إن المدينة أصبحت لي ، إن الفقراء والحجاج وعلماء دين محمد (صلى الله عليه وسلم) سيخرجونني وسيلهون علي الا أثق بكم ، وهذا وقت الثأر للذين سفكت دماؤهم في شوارع القدس وفي الهيكل والانتقام لدماء المسلمين التي سفكها غودفري ».

وفي تلك الساعة التي كان الحديث يجري على هذه الصورة سارع مولانا فأمد المسيحيين بالقوة والنصر على المسلمين الذين كانوا فوق الأسوار ، فألقوا بهم على أرض الخندق ثم طردوهم الى خارج الخندق ، وهنا خجل صلاح الدين وتالم كثيرا ، وطلب من بالين أن يعود الى المدينة دون أن يعمل شيئا .

وعند الصباح عاد بالين اليه ، فسمع كلامه بكل سرور ، وعند ذلك توسل اليه بالين وقال مخاطبا اياه : مولاي ، أحمد الرب على كل حال لأن سكان المدينة يذسوا من حياتهم وهم يتسابقون أحدهم أمام الآخر مدافعين لئلا يؤخذوا بالقوة أن مذبة كبيرة ستقع اذا ما استطعتم أخذ المدينة بالقوة كما تعتقدون .

٥٤ - وأحدثكم أنه وقع هجوم هائل من المسلمين أضر بأهالي المدينة وأخافهم كثيرا ، وكل الذين كانوا في الداخل والخارج استبد بهم الرعب ، وكان كل منهم يصرخ ويصيح « خيانة خيانة » واعتقد الذين كانوا في داخل المدينة أن المسلمين قد دخلوا الى المدينة ، وأن المسيحيين قد هجموا وحوصروا .

وسأحدثكم الآن عما صنعه نساء القدس ، لقد أخذن أطباقا ، ووضعنها في الساحة أمام جبل الجلجلة ، وملأنها بالغذاء البارد ، ثم وضعن أطفالهن في الداخل وقطعن لهم قطعاً وألقين بها بعيداً عنهن ، وسار الرهبان والأساقفة والراهبات جميعاً حفاة الى أعلى الأسوار في موكب ، وكان الأساقفة يحملون القربان المقدس على رؤوسهم ، بيد أن مولانا أمر ألا يسمح لأصلاة وللصياح ولاحتى توسل بالدخول الى المدينة ، لأن القذارة العامة وروائح الانتان والخطيئة ضد الطبيعة لم تسمح بارتفاع الصلاة الى عند الرب ، فقد كان الرب غاضباً غضباً شديداً على شعب هذه المدينة ، وهكذا لم يبق فيها ولا رجل ولا امرأة سوى الناس المسنين الذين لم يعيشوا طويلاً .

٥٥ - ونحدثكم عما حدث بعد ذلك ، ففي هذا الجو الرهيب والرعب الشديد ذهب بالين دي ابلين الى صلاح الدين وأعلمه أن المسيحيين على استعداد لتسليمه المدينة مقابل الحفاظ على حياتهم ، فأجابه صلاح الدين لقد جئت متأخرا : « لأنني عندما أريت ذلك وقدمت لهم أفضل الشروط اذا سلموا لي المدينة ، رفضوا القبول بما تقدمت به اليهم وعرضته عليهم ، وعند ذلك أقسمت بعدما رفض هذا العرض انني لن أتحال معهم مطلقا ، بل سأقهرهم بالقوة ، والآن اذا أرادوا أن يستسلموا لرحمتي فسأعاملهم بارادتي كعبيد وقموا بالأسر ، والا فلا .

وعند ذلك جاء اليه بالين وقال له بصوت مرتفع : شكرا ، من أجل الرب أشفق عليهم ، وحينئذ أجاب صلاح الدين ورد على بالين بقوله : « محبة الله ولك سأقول لك ما سأصنعه ، سأشفق عليهم بطريقة ما حتى أبر بقتلي وأنفذه ، انهم سيستسلمون لي كأنهم أخذوا بالقوة ، وسأترك لهم أثاثهم وأموالهم طبقا لارادتي ، وسأزج بهم في سجن ، وكل من يستطيع أو يريد أن يفتدي نفسه سادعه يذهب بعد دفع فدية حرب ، والذي ليس لديه اي شيء يدفعه أو لا يريد أن يفتدي نفسه سيظل في سجنه وكأنه أخذ بالقوة » وعند ذلك قال له بالين : « مولاي ماهي قيمة الفدية ؟ » فأجابه صلاح الدين قائلا : ستكون قيمة الفدية متساوية للفقراء كما هي للأغنياء ، مع إعفاء النساء والأطفال ، أما الذي لن يستطيع دفع الفدية سيكون عبدا ، فأجابه بالين قائلا : « مولاي لا يوجد في هذه المدينة سوى القليل من الناس الذين يستطيعون دفع الفدية ، لأن المدينة مكتظة بأعداد كبيرة من الذين جاءوا اليها من جوارها ، فكيف لهؤلاء الاستطاعة في هذه الحالة التعويض عن أنفسهم » ؟ فقال له صلاح الدين : تدبر الأمر وتشاور معهم وتعال الي بالغد ، واستأنه بالين ورجع الى المدينة ، والتقى بالبطريرك واستدعى أيضا جميع السادة ، ليقول لهم الذي وجد ، وعندما سمعوا ذلك غضبوا غضبا شديدا من أجل شعب المدينة .

ثم اجتمعوا اليه وأخبروه بوجود مبلغ معتبر في مقر الفرسان الاسبتارية جاء من ملك انكلترا ، واذا ما تمكّنوا من الحصول على المال من بيت الاسبتارية ليقدّموا به قسما من الشعب سيكون ذلك عملا جيدا ، لأن الملك غي أخذ المال الذي في بيت الداوية ، وأنفقته على الناس الذين جنّدهم معه ، ولقد هلك هؤلاء جميعا وفقدوا الصليب المقدس ، واذا ما أمكن الحصول على هذا المال من الاسبتارية فسيكون أنفاقه أفضل بكثير من أنفاق مال الداوية ، وبناء عليه اجتمع البطيريك مع بالين واستدعى اليهما رجال الاسبتارية وقالا لهم : « نريد مال ملك انكلترا الموجود في بيتكم لنقدّم به العديد من شعب المدينة بقدر ما نستطيع ويرضى صلاح الدين ، وأجابهم الاسبتاري الذي التقى بهم بأنه سيتشاور مع أخوته ، فأجاباه بأن سكان المدينة ينتظرون نتيجة التشاور ، ومعرفة فيما اذا كان هؤلاء سيدفعون المال لفدية الفقراء والمسيحيين ، وتشاور الاسبتاري مع الفرسان في بيتهم ، وقال الفرسان بما أن المال يخصهم فيؤيدونهم أن يفقدوا به الفقراء ، ثم عاد الاسبتاري الى البطيريك والآخرين وقال لهم : ان الاسبتارية يرغبون في تسليم مال ملك انكلترا اليهم لفداء الفقراء ، وبناء عليه توجهوا بالرجاء الى بالين ليذهب الى صلاح الدين ويعقد معه أفضل صفقة ممكنة وليدفع له ، وهكذا توجه بالين الى صلاح الدين وسط جيش المسلمين وسلم على صلاح الدين ، فسأله صلاح الدين : مالذي جاء بك ولماذا جئت وماذا تطلب ؟ فقال : انه جاء ينشد لطفه ورحمته وتنفيز وعده من أجل الذين ترجاه ، فقال صلاح الدين انه سيكتفي بأخذ ما هو في بيت الاسبتارية ، واذا لم يكن في هذا البيت شيئا فلن يأخذ شيئا ابدا . لأن المدينة وكل ما فيها ملكي » فأجاب به بالين : حمدا للرب يا مولاي ، سير رجالك الى فقراء المدينة وسأعمل ما في وسعي كي يدفعوا لكم الفدية . فقال صلاح الدين من أجل الله من قبل ومن أجله من بعد تقرر عليهم الفدية بقدر ما يستطيعون بحيث يدفع الرجل القادر عشر قطع نقدية ، وتدفع المرأة خمس قطع ويدفع الطفل قطعة واحدة ، وسيجري تسديد هذه المبالغ عند أبواب المدينة

أثناء المغادرة ، وعند ذلك يتم احضار الرجال والنساء والأطفال ويتم طلب الفدية من الذين يستطيعون دفعها ، ويبحثوا فيما إذا كان لديهم أثاث أو متاع يمكنهم بيعه أو أخذه معهم دون أن يسبب أية إساءة أو ضرر لهم .

وبعدما هيا على هذه الصورة مسألة فبيتهم قال بالين لصلاح الدين : « مولاي إذا أخذنا الفدية من الذين هم لديهم القدرة على الدفع ، لن يبق في المدينة أحد يستطيع دفع فدية رجل واحد ، فمن أجل الرب خفض الفدية وحددها وسأطلب أنا من البطريرك ومن الداوية والاسبتارية دفع فدية الفقراء » ، وبناء عليه أجابه صلاح الدين انه سيستجيب لطلبه بكل طيبة خاطر ، وأنه أنقص قيمة الفدية وحددها بدينار بيزنطي واحد ، ممن دفعه سمح له بالذهاب ، وحينئذ قال بالين : « مولاي إن الذين يستطيعون دفع الفدية يفرج عنهم ويسمح لهم بالمغادرة ، ولم يبق سوى المبلغ الذي تطلبه من الفقراء » فأجابه صلاح الدين انه لن يتصرف خلاف ذلك ، وارتأى عند ذلك بالين أن من المستحسن ألا تدفع المبالغ دفعة واحدة ولكن على أقساط ، ففعله سيحصل على مساعدة الرب لتأمين الدفعة الأخيرة ، ثم سأل صلاح الدين عن عدد الرجال الذين سيفرج عنهم ، فقال له صلاح الدين ، كل رجل مقابل دينار بيزنطي ، فقال له بالين : « مولاي ، بحق الرب ، اجعل ذلك مقابله » . ثم تحدث بالين مع صلاح الدين عن عدد الرجال القادرين ثم احصيا عدد النساء والشيوخ والأطفال من مختلف الأعمار .

٥٦ - وبعدما تم الاتفاق ، أعطاهم صلاح الدين أربعين يوماً لبيعوا أغراضهم أو يرهنوها ومن ثم يدفعون الفدية ، وأنه من وجد بعد ذلك سيكون هو وماله لصلاح الدين ، ووعدهم صلاح الدين أنهم عندما يصبحون خارج المدينة سيرسلهم بأمان إلى بلاد المسيحيين ، وقال لبالين من كان لديه سلاح فليحمله للدفاع عن الذات أثناء الطريق ، وبعدما أبرم اتفاق السلام طلب بالين الآن

من صلاح الدين وقال له : « مولاي سأذهب الى المدينة واذا وافقوا على شروطكم ومطالبكم سأحضر لكم المفاتيح ».

ومن ثم ذهب بالين الى المدينة ، ومضى الى البطريرك حيث جرى استدعاء رجالات الداوية والاسبنتارية وأعيان المدينة وسادتها ، ليستمعوا الى موضوع السلام الذي حققه ، ويروا فيما اذا كان يوافقهم ، فقالوا بعدما شرح لهم جليلة الامر : « اذا لم يتوفر ما هو افضل من هذا ، ولا يمكن القيام بعمل آخر فليكن ذلك ، وهكذا كان بعدما شرح لهم كل شيء وبين لهم طبيعة مفاوضاته مع صلاح الدين ، أخذوا مفاتيح الابواب وأحضروها الى صلاح الدين ، وبعدما حصل صلاح الدين على المفاتيح سر سرورا عظيما وشكر مولاه (الله) و (صلى على) محمد (صلى الله عليه وسلم) وأرسل شحنة من الجند من الفرسان والرجالة الى برج داود ، وأمر الا يسمح لمسيحي واحد بالمغادرة وذلك من اجل دفع الفدية ، وبخل المسلمون الى المدينة لشراء الاغراض التي كان المسيحيون يريدون بيعها ، وكان اليوم الذي سلمت فيه القدس الى صلاح الدين يوم جمعة ، وصادف ذلك الثاني من تشرين الاول .

٥٧ - زين صلاح الدين البرج وابواب المدينة ، وما أن فرغ من ذلك ، نادى في المدينة بأن يحمل سكانها فديتهم الى برج داود ، حتى يدفعوها الى رجاله وكتابه الذين وضعهم لاستلام الفدية ، والا ينتظروا الايام تمضي ، فكل ما يوجد فيما بعد من رجال ومال سيكون حقا لصلاح الدين ، وذهب البطريرك وبالين الى بيت الاسبنتارية وأخذ المال ، ونقلاه الى برج داود لدفع فدية المسيحيين الفقراء ، وبعد دفع اموال الفدية استدعيا البارونات والسادة من كل شارع ومن كل منطقة ، وجعلوهم يقسمون الايمان باسم القديسين ليعترفوا بالآل يوفروا أحدا من رجل أو امرأة سواء من الاصدقاء أو الاهل الا ويحلفوهم بالقديسين ليعترف كل منهم بما يملك ، وألا يأخذوا معهم إلا ما يكفيهم للذهاب الى بلاد المسيحيين ، وبعدما نفذوا هذا وجدوا أنفسهم أنهم ما عادوا يستطيعون التعويض عن

- ٣٨٤٣ -

الفقراء ، ولقد سجلوا اسماء الفقراء كل حسب الشارع الذي يقطنه ، وحسب حالته المادية ، فبعضهم كان الفضل حالا من بعضهم الآخر ، واختلاف عدد الفقراء بين شارع وآخر ، واثرت ذلك وضع خارج المدينة الذين جرى التعويض عنهم ، وانقطع الاتصال بين هؤلاء والذين تخلفوا في المدينة ، ثم اجتمع البطريق وبالين وأرسلا الى القائمين على بيتي الداوية والاسبترارية والى السانة ، وتوجها اليهم بالرجاء - من أجل الرب - للاجتماع بالناس الفقراء الذين لم يتمكنوا من الخروج من القدس لتقديم المساعدات اليهم ، وقدم بيتي الداوية والاسبترارية بعض المساعدات ، ولكنهما لم يدفعوا مايكفي وما توجب عليهما ، ثم إن الداوية والاسبترارية لم يخافوا أبدا من أن يؤخذ منهم بالقوة ما كانوا يملكون لأن صلاح الدين أكد لهم الأمان ، ولو أنهم ظنوا أنهم سيعاملون بقسوة لكانوا قد دفعوا أكثر مما أعطوا ، ومع الذي أخذ من الفقراء الذين خرجوا دفع سانة القدس المزيد من أموالهم وعوضوا عن الناس الفقراء ، ولا أقدر أن أذكر لكم تعداد هؤلاء ، لكن سأحدثكم عن صلاح الدين وأصف لكم كيف حافظ على مدينة القدس ، وحرص ألا يساء الى أحد المسيحيين الذين كانوا في المدينة ، من قبل المسلمين ، فقد وضع في كل شارع عددا من الفرسان والجنود للقيام بحراسة المدينة ، وبالفعل حرسوها بشكل جيد ، ولم يسمح أحد بأي اساءة قام بها رجل مسلم ضد أي مسيحي ، خاصة اذا ذكرنا ان المسيحيين كانوا يخرجون من القدس ويسكنون امام جنود المسلمين ، ولم يحدث أن أصيب أحدهم من أحد بسهم ، فقد أمر صلاح الدين جنوده بحراسة المسيحيين ليلا ونهارا لئلا يعتدى عليهم ، أو يزعجهم أحد اللصوص .

وعندما خرج من المدينة الذين أمكن التعويض عنهم ، بقي فيها الذين لم يعوض عنهم وكان هؤلاء الذين ظلوا في المدينة من الفقراء وكان عددهم كبيرا جدا ، وقال حينذاك سيف الدين لأخيه صلاح الدين : « مولاي لقد ساعدتك في الاستيلاء على الأرض وعلى مدينة القدس ، أرجو أن تمنحني عددا من هؤلاء الفقراء في القدس

أتخذهم عبيدا لي « فسأله صلاح الدين ماذا سيصنع بهم ، فأجابه بأنه سيتصرف بهم وفق إرادته ، وبناء عليه أمر صلاح الدين أتباعه بإعطائه ما إرادته عبيدا ، ونفذ هؤلاء الاتباع أوامر صلاح الدين على الفور ، وقام سيف الدين اثر ذلك في اطلاق سراحهم جميعا وتركهم يذهبون بأمان الله ، واثّر ذلك جاء البطريك وبالين الى صلاح الدين ورجّواه باسم الرب ، أن يطلق سراح الذين لم يستطيعوا دفع الفدية ، وقال له : لقد اطلقت لنا عددا من رجال الاسبتارية والداوية والسادة وغيرهم ، فلو اطلقت لنا اكثر منهم لما كان هناك خسارة واضرار ، فالتفت صلاح الدين نحو رجاله وقال : بودي أن اتصدق واحسن مث لما فعل اخوتي والبطريك وبالين ثم أمر صلاح الدين أتباعه في القدس أن يفتحوا مخرجا خلفيا أمام دير القديس لارد ، وأن يوضع هناك بعض الجنود ليقفوا عند هذا الباب ، كما وأمر المنادي بالنداء بالمدينة بأن يخرج الناس الفقراء من المدينة ، ثم أمر أتباعه أن يوعزوا الى الجنود عند باب داود ليفتشوا في السجون عن كل من يستطيع أن يدفع الفدية لآخراجهم ، وكان في السجون أعداد كبيرة من الشباب والشابات ، ثم أخرج المسنين الى خارج القدس ، ودامت هذه العملية من شروق الشمس حتى غروبها ، وخرج من المنفذ الذي اعد خصيصا لجميع الفقراء الذين تصدق عليهم صلاح الدين ، وكانوا كثرة لم يعرف لذلك أحد عددهم .

ثم أوقف السماح بخروج الفقراء الذين بقيوا هناك ، وأقول لكم : لم يكن هذا اجراء سيئا ، فقد مشى رجل مع عدد كبير آخر من الفقراء ، وكان يحمل جرة كبيرة من الخمر على كتفيه وقد ربطها بعصاه ، ولم يكن هناك بين الحشد ولا واحد من المسلمين ، بل الذي وجد عدد كبير من رجال الاكليروس ومن الرهبان مع الذين يدعون الحجاج ، وكان هؤلاء يشربون فيما بينهم كثيرا من الخمرة ، مع أننا نعد ذلك اسرافا ، ورأى واحد من الجنود هذا المشهد وظن أن الجرة كانت مليئة بالخمرة فقال : « أما أن أن يذهب هؤلاء الخنازير وتخلص منهم ومن خميرهم ، أعاننا الله على

تنظيف المدينة منهم ، ثم ضرب الجرة بعضا كان يمسكها فأفرغ ما كان بها ، وإذا هو مال كثير ، فدهش الجنود والمسالمون كثيرا ، وأعلموا صلاح الدين أن المسيحيين كانوا يحملون الأموال ، ولم يرغبوا أبدا في دفع الفدية عن الفقراء ، وبناء عليه أوقف صلاح الدين الخروج من المدينة ، ولم يعد يسمح لأحد بالذهاب دون دفع ألفية ، وهذه الحادثة رواها لي واحد ممن بقي في المدينة ، وحدث أيضا أنه عندما علم البطريك وبالين ببقاء عدد كبير في الأسرى ، مثلاً أمام صلاح الدين وقال له : « مولاي من أجل الرب ضمنا نحن الاثنين في السجن ، ودع هؤلاء الفقراء يذهبون ، وسنبقى رهينة في سجنك حتى نرسل واحدا ليجمع لك الفدية » لكن صلاح الدين رفض أن يضع أحد في السجن أما الذين كان قد أسرهم فلم يرغب بالحديث عنهم لاطلاق سراحهم ، ولهذا مكث بعض الناس طويلا أسرى في سجن صلاح الدين .

٥٨ - وأحدثكم الآن عن الصنيع الطيب والمجاملة الرائعة التي قام بها صلاح الدين نحو سيدات القدس من نساء الفرسان وبناتهم ، الفرسان الذين ماتوا أو أسروا في المعركة ، فقد هربن إلى القدس ، وعندما دفعت فديتهن وخرجن من القدس ، ذهبن إلى صلاح الدين وشكرنه بأعلى صوت ، وعندما رآهن صلاح الدين سأل عنهن وماذا يطلبن فقبل له انهن نساء وبنات الفرسان الذين ماتوا أو أسروا في المعركة ، وسأل ماذا يردن فقبل له انهن يردن أن يشفق عليهن ، وأن يطلق في سبيل الله من في أسرهن من أزواجهن وأبنائهن ، فقد فقدوا الآن الأرض ، ويسألن من أجل الله أن يجتمع بهم ليساعدهن ، وعندما رآهن صلاح الدين يبكين ، أشفق عليهن كثيرا وقال لهن انه سيبحث عن رجالهن وسيطلق سراحهم جميعا ، وبالفعل جرى التفتيش وأطلق صلاح الدين سراح كل الذين كانوا في سجنه ، وبعد ذلك أمر أن يعطى للسيدات والفتيات اللواتي توفي أبائهن أو أزواجهن في المعركة كفاية كل واحدة منهن من المال ، وهكذا دفع لواحدة خلاف الأخرى أقل أو أكثر حسب

وضعهن ، ولقد أعطين بقدر ما توسلن لله مالا وشرفا أولاهن اياه
صلاح النين .

وبعدما أخرج جميع المسيحيين من القدس ، تجمع الذين خرجوا
من فقراء وأغنياء في الجهة المقابلة لجيش المسلمين ، وأصيب
المسلمون بالذهول لدى رؤيتهم للحشد الهائل من الشعب الذي تجمع
هناك ، وهكذا أعلموا صلاح الدين أن عدد الشعب الذي خرج من
المدينة كان كبيرا جدا ، بحيث لا يمكن أن يسافروا كلهم معا .

٥٩ - وأمر صلاح الدين أن يوزعوا على ثلاثة أقسام ، فأخذ
الداوية قسما منهم ، وأخذ الاسبتارية قسما آخر ، ثم أخذ
البطيريك وبالين الثالث المتبقي ، وعندما أخذ كل قسمه ، كلف صلاح
الدين بعضا من فرسانه أن يقتادوهم بسلام وأمان الى أراضي
المسيحيين . وسأحدثكم كيف اقتادوهم : سار بعض الفرسان
أمامهم في المقدمة وسار بعضهم الآخر من خلفهم ، وكان النين
يسيرون في المقدمة يتوقفون عندما ينامون لا عطاء العلف
لخيولهم ، وتراهم بعد العشاء جميعا قد حملوا اسلحتهم وامتطوا
ظهور خيولهم ، وهم يطوفون طوال الليل بين المسيحيين وحولهم
حتى لا يهاجمهم أحد اللصوص ، وأما الفرسان النين كانوا
يسيرون في المؤخرة ، فكانوا عندما يرون رجلا أو امرأة أو طفلا لا
يستطيعون السير يترجلون عن ظهور خيولهم ، ويسيرون على
الأقدام ويحملون هؤلاء حتى أماكن الاستراحة وكثيرا ما كانوا
أنفسهم يضعون على ظهور خيولهم من أمامهم أو خلفهم
الأطفال ، وعندما كانوا يصلون الى محطات التوقف ، كانوا
يتناولون طعامهم وينامون ، واعتاد النين يسيرون هذا اليوم في
المقدمة على السير غدا في المؤخرة ، ويتقدم النين في المؤخرة الى
الأمام ، وجرت عادتهم لدى وصولهم الى ممر ضيق أو موضع ريبة
وخوف ، أنهم كانوا يسلحون بعض المسيحيين ، ويعطوهم بعض
الأسلحة التي يحملونها بغية حراسة الممر الضيق حتى يعبر
الجميع ، ولدى التوقف كان بائعو اللخوم في الأرض يجلبون اللخوم

بكثرة حتى أن المسيحيين أقاموا لذلك سوقا كبيرا ، وبالنسبة للقسمين الأولين اللذان عادا الى أرض المسيحيين ، كان أول من وصل مقدم الداوية ومعه قسمه ، ثم تلاه مقدم الاسبتارية ، وجاء بعد ذلك البطريك وبالين لأنهما فكرا في اقناع صلاح الدين بتوسلاتهما ليطلق سراح الاسرى الذين بقيوا في المدينة ، وقد أخفقا في اقناعه .

٦٠ - على هذه الصورة جرى اقتياد المسيحيين الى أرض طرابلس ، وبعدها عبروا أراضي كافل المملكة دخلوا الى أراضي صاحب البترون وهونين ، وأمر رينزو صاحب هونين بجمع جنوده وأوقفهم في مكان محدد من أرضه حيث أمرهم بتقديم المساعدات الى الناس بقدرما يستطيعون ثم استقبل بقية أهل القدس الذين تركهم صلاح الدين .

من الذي يستطيع وصف البكاء والآلام أو رواية أخبار هذه المحنة الحزينة التي عانت منها مدينة القدس المقدسة ، هذه المدينة التي كانت تدعى سيدة المدن جميعا أصبحت الآن خادمة وتابعة ، هذه التي كان ينبغي ان تحكم بجدارة باتت محكومة .

وأساء صاحب هونين معاملة الذين التجأوا اليه ، فذهبوا الى طرابلس ، ظانين أنهم سيستقبلون بشكل لائق داخل طرابلس و لكن كونت طرابلس أمر باقفال أبواب طرابلس في وجوههم ، والا يسمح بدخول اي شخص اليها ، ثم بعث رجاله الى قلعة كوكب ، فأخذ هؤلاء سادة القدس وأغنيائها وعاملوهم معاملة سيئة ، ولا بد هنا من الاقرار ان اهالي طرابلس وهونين عاملوا أهل القدس أسوأ معاملة ، وبما أن المساعدة أمر يجب الاقرار به لم تكن معاملة أهل طرابلس وهونين مثل معاملة المسلمين لأن المسلمين كما سمعتم من قبل اقتادوهم بأمان وقدموا لهم مساعدات كبرى ، بينما أساء هؤلاء معاملتهم ولم يستقبلوهم واقتصم المولى من صاحب هونين ، لأجل ما اقترفه من أثام ، اقتص منه في حياته

حيث فقد بصره ، وخسرت أخواته أزواجهن وهن أحياء ، ولم يخلفه أحد لا هو ولا أخواته من بعده ، وحصل القصاص نفسه ونزل ليس فقط بأهالي هونين بل بكل المتأمرين والذين يعملون الشر ، وذهب فقراء أهل القدس إلى أنطاكية وبخل بعضهم إلى الأراضي البيزنطية ، وبقي قسم منهم أمام مدينة طرابلس ، وذهب سكان قادس وعسقلان مع قسم من أهالي القدس إلى الاسكندرية حيث أحسن استقبالهم في أراضي المسلمين ، بينما الذين ذهبوا إلى طرابلس لم تحسن معاملتهم هناك .

وعندما جاء هؤلاء إلى أرض الاسكندرية ، استقبلهم والي الاسكندرية استقبالا جيدا ، فوضع حرسا بينهم وحافظ عليهم ليلا ونهارا ، واستمر يعاملهم بمثل هذه المعاملة الطيبة وبحمايتهم طيلة الشتاء ، فقد مكثوا هناك حتى شهر آذار ، حيث ذهبوا اثر ذلك إلى أرض المسيحيين فيما وراء البحار .

٦١ - وأحدثكم الآن عما كان يقوم به المسلمون في الاسكندرية كل يوم ، كان اعيان المدينة يخرجون فيقدمون الهدايا والاعطيات الكبيرة إلى المسيحيين وكانت من الخبز والتمر والمال ، ثم إن اغنياء المسيحيين الذين كانوا يملكون الأموال قاموا فاستخدموهم كسلعة فربحوا منهم ربحا كبيرا عندما عبروا البحر .

وأروي لكم الآن خبر المخاطرة الكبيرة التي تعرضوا لها ، فقد ذهبوا إلى ميناء مدينة الاسكندرية ، ووقفوا أمام أهالي : بيزا والبندقية وجنوى وقوم آخرين ، فقد كان يعقد لهؤلاء في شهر آذار سوق كبير للعبور ، وعندما جاء شهر آذار استقبلوا هناك ، ثم قام مقدموهم بالذهاب إلى والي الاسكندرية ليسدوا ما عليهم من حقوق وطلبوا منه أن يعطيهم حكام هؤلاء وقادتهم ، حتى عندما يحين الوقت يستطيعون الذهاب معهم ، فقال لهم : انه لن يحرر حكامهم اذ لم يتسلموا الفقراء منهم ، فأجابوا بأنهم لن يتسلموا الفقراء لأن القوانين لا تسمح لهم بذلك ، وليس لديهم مساعدات ليقدموها

لهم ، فقال لرجاله : « ماذا تـسـرون ان نـعمـل ومـاذا تريدون ؟ » فقالوا : « نقيدهم » ثم توجه هذا الوالي بالخطاب اليهم قائلا : « غريب أمركم الا تفكرون ، هل تريدونهم أن يهلكوا ويصبحوا عبيدا للمسلمين بخرق الامان الذي اعطاهم اياه صلاح الدين ؟ هذا لن يكون ، خذوهم معكم ، وسأخبركم ما الذي سأعمله للمحافظة على الامان ، سأعطيهم الخبز والمساعات الكافية ، وتتسلموهم أنتم وتصيدوا مسؤولين عنهم ، وبخلاف ذلك لن تستطيعوا الحصول على حكامكم » .

وعندما رأى اصحاب السفن أن لامناص أمامهم ، سمحوا لهم بالصعود الى ظهر السفن ، ولقد كان الوالي حكيما وكان يخشى الله ، هل تعلم ما الذي قاله هذا المسلم للسادة وقباطنة السفن : « تقدموا وأقسموا لي على انجيلكم بأنكم ستثقلونهم نقلا جيدا وستعاملونهم بكرامة حتى يصلوا الى مرسى السلام في أرض المسيحيين ، وأن تضعوهم حيث تضعون الأغنياء والا تسيئوا اليهم أو تزعجوهم ، واذا سمعت يوما من الأيام أنكم أسأتم معاملتهم أو أزعجتموهم سأضايق تجار بلادكم الذين يأتون الى هذا البلد » وهكذا ذهب المسيحيون الذين أمضوا الشتاء في الاسكندرية بسلام الى بلادهم عبر أرض مصر .

٦٢ - وسأحدثكم الآن عن الذي صنعه صلاح الدين عندما استولى على القدس ، إنه لم يغادر المدينة قبل أن يصلي في المسجد الأقصى ، فقد بعث فجلب أخته التي أسرها وغصبها نفسها الامير ارناط حتى يصلي معه في المسجد الأقصى ، ليقدما الشكر لله وليصليا على محمد (صلى الله عليه وسلم) لعظيم الشرف الذي اولاه اياه الله ، وعندما سمعت هذا النداء حملت الجمال بالهدايا والمساعدات ، وتحركت للقُدوم الى القدس .

وقبل ان يدخل صلاح الدين واخته الى المسجد الأقصى ، عملا على تنظيف هذا المسجد وتخليقه بالعطور ، وامر رجال الاكليروس

والاساقفة بالعودة الى الكنائس التي قد انتهكت ، ذلك ان المسلمين قالوا : لاخنزير ولارجل يأكل الخنزير يجوز ان يدخل الى هذا المسجد ، الذي اوقفه صلاح الدين على عبادة الله : وتوجه عدد من المسلمين الى الضريح المقدس ، وانزلوا الصليب الذي كان فوقه ، وبعدما حطمه المسلمون سحبوه الى باب داود ، وتعالى قبل ذلك وبعده صراخ ضد المسيحيين ، ويقول بعض الناس بأنه نقل الى الكرك اثر استيلاء صلاح الدين عليه ، ويقول اخرون : انه حطم فوق المسجد الاقصى ، وامر صلاح الدين بغسل المسجد الاقصى بالطهور التي احضرت من دمشق ، ثم دخل الى المسجد الاقصى ، فصلى وشكر الله على منحه السيادة على بيته المقدس ، وبعدما خرج من القدس ذهب الى طبرية ، ثم مر من امام قلعة كان يسيطر عليها مقدم الاسبتارية واسمها شقيف اردون ، فاستردها ثم جاء الى صفد التي كان يحكمها مقدم الداوية ، وكان الداوية بداخلها فاستسلموا له ، وبعدما ان استولى على جميع المدن والقلع التي كانت على ضفتي نهر الاردن ذهب لمحاصرة قلعة الكرك ، وكان مقدرا ومعتقدا انه حين يصل اليها ستستسلم له ، وكان بداخلها اناس طيبون كانوا لا يريدون ان يصيبهم العار ، ولان يسببوا الضرر للمسيحيين ، فقاموا ودافعوا بكل قواهم ، وبينما كانوا يدافعون عن انفسهم اكلوا الكلاب والهررة وكل ما في القلعة من حيوانات ، وحاصروهم صلاح الدين وشدد عليهم الحصار ، لكنه كان يفكر بصور لانه اراد ان يستولي عليها ، وحاصر ايضا قلعة الشوبك التي تقع على مسافة خمسة وثلاثين ميلا من الكرك ، وتقع الشوبك في بلاد أدوم بينما تقسع الكرك في بلاد ماب ، وعانى المسيحيون من الحصار الى حد ان نساءهم واولادهم جاءوا يستجدون الخبز من المسلمين ، وفقد سكان الشوبك ابصارهم ولم يعودوا قادرين على النظر لانهم عاذوا من قلة الغذاء والمواد المغذية التي انعدمت من بينهم ، ولم يرغبوا بمغادرة القلعة ، وانتظروا ودافعوا الايام بالايام علّ الرب يرسل لهم النجدة ، وعرض عليهم صلاح الدين مرارا وتكرارا الاموال الطائلة ووعدهم بان يقودهم سالمين الى ارض المسيحيين فلم يقبلوا .

وتخلى صلاح الدين عن قيادة الحصار ، ولم يتابع الوقوف امام القلاع ، وذهب إلى دمشق ، وهناك جهز اسلحته وجيشه وذهب الى صور ، وارسل الى مصر فاحضر سفنه البحرية وحاصر صور برا وبحرا ، واحضر ابا الماركيز الذي كان في سجنه قرب صور ، كما احضر قسما كبيرا من سكان القدس ، وجعلهم يعبرون امام صور ، وكان امامهم فرقة من جنوده واستهدف ان يراهم الماركيز مع مسيحيي صور حتى يرتعدوا ويخافوا فيسلموه صور في اقرب وقت ، غير ان الماركيز ، المسيطر على المدينة ، لم يرتعد ولم يخف مما راه .

٦٣ - وطلب صلاح الدين من الماركيز ان يتمعن ويتفكر جيدا كيف انه استولى على القدس ، واسر والده ورماه بالسجن ، واعلمه انه لو رغب في تسليم صور لاعاد اليه والده واعطاه مالا كثيرا ، فاجابه الماركيز سيعمل ويبذل كل جهده من خير وشر ولن يعيد له ابدا صور اذا اراد الرب ، وسيدافع عنها بعون الرب .

وعندما سمع صلاح الدين هذا الكلام امر قادة البصران يحاصروا مدينة صور ، ويشددوا الحصار عليها حتى لا يستطيع احد ان يخرج منها او يدخل اليها ، وامر ان يوجه الى اهل صور الانذار بالتسليم ، فوجهوا اليهم عدة انذارات ليلا ونهارا ، لكنهم لم يلحقوا ضررا بسكان المدينة ، حيث لم يمض النهار حتى انقض المسيحيون على المسلمين بمساعدة فارس من اسبانيا كان في صور واسمه شانجه مارتين ، كان يحمل سلاحا اخضر ، وعندما خرج هذا الفارس استنفر المسلمون جميعا لينظروا الى هندامه الجميل ، وكان اهالي صور يسمونه الفارس الاخضر ، وكان يحمل قرون غزلان وضعها على ثيابه ، قد احضرها له كثير من الناس .

وصنع الماركيز مراكب مغلقة بالجلد في داخلها نوافذ جلس امامها جنود للدفاع ، وكانت هذه المراكب خفيفة جدا تقاد بسهولة الى

- ٣٨٥٢ -

الشاطيء ، والحق هؤلاء الجنود اضرارا بالغة بالمسلمين ، ذلك ان المراكب الاخرى لم تستطع الاقتراب منهم .

وعندما رأى الماركيز انه قد حوَصِر من البحر والبر سلح مركبا واخرجه من صور ليلا وبصمت ، وبعث به الى امير طرابلس يطلب منه المساعدة بالرجال والعتاد ، وما ان سمع امير طرابلس هذا الخبر حتى جهز سفنه الحربية ووضع داخلها الفرسان والعتاد وامرهم بالذهاب الى صور ، لكن عندما وصلوا الى قرب صور ، لم يشأ الرب ان يدخلوا الى المدينة ، فقد بعث برّيح عاصف مما ارغمهم جميعا على العودة الى طرابلس دون احدث اية اضرار .

وعندما رأى الماركيز انه لم يستطع الحصول على النجدة من احد ، توسل الى الرب ان يرشده ويساعده في حماية صور ومداومة السيطرة عليها ، وساعده الرب ، فقد روي انه حدث مايلي : قام واحد من امراء المسلمين ، وكان ابن قائد الاسطول بالفرار من والده بعدما غضب منه ، فهرب من جيش المسلمين وبخل الى مدينة صور ، وقد جعله الماركيز يصير مسيحيا ، وسأحدثكم الان عن الذي فعله الماركيز : عندما كان هذا الامير في احدى القاعات الكبيرة داخل مدينة صور ، كتب الماركيز بوساطة هذا الذي تحول الى المسيحية رسائل الى صلاح الدين ، بعث فيها بتحياته الى مولاه صلاح الدين وكتب اليه يفيد به بما علمه عما كان يحصل داخل مدينة صور ، واخبره ان المسيحيين يعدون الان العدة للهرب من المدينة بحرا ، وانه اذا لم يصدق ليذهب لرصد المرفأ ، حيث سيسمع ضجيج الناس الذين اخذوا يتجمعون في المراكب بهدف الفرار ليلا ، وبعدها كتب هذه الرسائل ارسلها الماركيز الى جنود المسلمين ، مع واحد من حراس مدينة صور .

٦٤ - وعندما وقف المسلمون على الرسائل المبعوثة اليهم حملوها الى صلاح الدين ، فقرأها ثم اطلع عليها قادة البحر وسواهم ، ثم امر باستدغار جنود الاسطول ليكوزوا جاهزين للعمل

ضد المسيحيين ، وفي الوقت نفسه زاد الماركيز من تحصينات البرج القائم فوق الباب الرئيسي ، كما وحصن السور الرئيسي ، حتى اذا مارغب المسلمون بالهجوم عليه امكن صدهم والدفاع عنه ، وامر الرجال الذين كانوا يعملون بالتحصينات ان يلزموا جميعا الصمت والا يحدثوا ادنى ضجيج فذلك سر المهنة .

واثر ذلك اغلق الابواب ، ولم يسمح لاحد بالدخول او الخروج وظل طيلة النهار داخل المدينة ، وعندما فرغ من تحصين البرج والاسوار ، توجه الى المرفأ ، وسلح المراكب ، وامر جميع الناس الذين يستطيعون حمل السلاح ان يكونوا ليلا في المرفأ ، فكانوا كلهم هناك ، وهكذا لاحظ المسلمون ان الرسائل التي بعث بها الامير كانت صحيحة .

وتسلح المسلمون وصعدوا الى مراكبهم وتأهبوا لمواجهة المسيحيين ، وعندما حل النهار جاء المسلمون الى الميناء ، فوجدوا المنطقة خالية ، فخيل اليهم ان المسيحيين اضطروا الى الخروج قبيل هذا الوقت والفرار ، وقام الماركيز بهذا العمل لانه اراد التغرير بسفن المسلمين حتى تدخل الى ميناء المدينة ، بعدما جعلهم يرون وهما جموع الناس التي تجهزت في الميناء واثارت الفوضى في اليوم الفائت .

وعندما رأى المسلمون خلو المرفأ من جموع الناس ، شرعوا بالولوج الى هذا المرفأ رويدا رويدا ، ودخلت المراكب المسلمة الى الميناء ، وهنا عندما رأى الماركيز ان المراكب قد دخلت الى المرفأ امر الناس المتمركزين في الخفاء بالانطلاق ، وفورا اندفع المسيحيون بشكل مفاجيء الى المراكب المسلمة ، فاخرجوا جميع المسلمين منها واستولوا عليها ، وبسرعة سلح الماركيز مراكب المسلمين التي استولى عليها مع المراكب التي وجدها في مدينة صور ووضع في داخلها عددا كبيرا من الفرسان والجنود المسلحين بمختلف الاسلحة ومع مجيء فجر اليوم التالي ، اخرج هذه المراكب

- ٣٨٥٤ -

بكل هدوء فاندقضت على بقية سفن المسلمين ، وعندما رأى المسلمون انه ليس بإمكانهم مقاومة هجوم المسيحيين انسحبوا نحو اليايسة بالحال ، وجاءوا الى مقربة رجالهم ، واندفع فرسان جيش صلاح الدين بأعداد غفيره وهم على ظهور خيولهم نحو الشاطئ ، وخاضوا في البحر لمساعدة جنود المراكب ، وقد لحق بالمسلمين اضرار بالغة حيث فقدوا عددا كبيرا من جنودهم بين قتلى وغرقى ، ولقد فقدوا ايضا بعض خيولهم ، وعندما وجدوا انفسهم غير قادرين على صد الهجوم ومتابعة المقاومة انسحبوا الى اليايسة ، ثم رفعوا الحصار وذهبوا الى بيروت حيث احدثوا فيها ضررا كبيرا والحقوا بالمسيحيين خسائر لم يسبق لها مثيل .

٦٥ - واحدتكم الان عن المسلمين وعن نشاطهم فوق الارض ، فقد احضروا سلالم وحملوها حتى وصلوا الى السور الرئيس ، وهناك ارادوا استعمال السلالم ، لكنهم وجدوا ان الاسوار كانت عالية جدا ، فلم يستطيعوا البلوغ اليها ، وهكذا لم يتمكنوا من الحاق الضرر من خلالها بسبب التحصينات المعدة فوق الاسوار ، وعندما وجدوا انهم غير قادرين على الصعود الى اعلى الاسوار ، احضروا الذقابين فلغموا الاسوار ، وبعدما لغموها نسفوها وبذلك لم يبق مايحمي المسيحيين ، فدخلوا الى المدينة واشتبكوا مع المسيحيين ، وفي تلك الساعة ارسل الرب عونته ، فبعدما حارب المسيحيون المسلمين من البحر ، علموا ان المسلمين اخترقوا اسوار المدينة ، وان الساحات باتت مليئة بالمسلمين .

وما ان سمع الماركيز بذلك حتى عاد وبادر الى فتح الباب الرئيس للمدينة ، وأخرج جميع القوات التي لديه دفعة واحدة ضد المسلمين ، وعندما رأى المسلمون حملة المسيحيين من سكان المدينة الكبيرة ضدهم ، تخلوا عن مواقعهم ، وتدبروا امورهم قدر الامكان وعادوا الى جيش صلاح الدين ، ثم تم اللقاء جميع القتلى في البحر ممن مات في الساحات ، وحصلت هذه الهزيمة في اليوم الاول من السنة الجديدة ، فقد بدأ الحصار في يوم عيد جميع القديسين ودام حتى

اليوم الاول من كانون الثاني من سنة ١١٨٦ لتجسيد المسيح (في الحقيقة ١١٨٨) •

٦٦ - ورأى صلاح الدين انه اخفق في البر والبحر ، فاقف الحصار على المدينة ورفعته ، وعند حلول الظلام اضرم النيران في المراكب التي هربت واحرق كل شيء ثم انسحب ليلا حيث اتخذ مواقع جديدة له بعيدا عن صور ، ووجد قلعة لم يكن قد سيطر عليها بعد تدعى قلعة الشقيف ، ورأى ان الاستيلاء على هذه القلعة سيمكنه من اضعاف صور كثيرا ، وبذلك يمكن السيطرة عليها في وقت مقبل ، وكان صلاح يعرف ان رينو صاحب صيدا موجودا داخل القلعة ، فبعدها طرده الماركيز من صور ذهب اولا الى طرابلس ، ثم توجه الى الشقيف .

٦٧ - وعندما وقف صلاح الدين امام قلعة الشقيف ورأى حصانتها ادرك انه لن يستطيع تحصيل اي شيء بالقوة ، ففكر بعمل خياني مميت ، فقد راسل رينو واعطاه الامان ليأتي للحديث اليه ، غير ان رينو رفض طلبه ، ولم يشأ الذهاب ، لانه يجب عدم الثقة بغير المؤمن ، وامره صلاح الدين عدة مرات بالقدوم اليه وتهده انه اذا لم يأت سيقوم بالاستيلاء على القلعة بالقوة ومن ثم سيقوم باحراقه هو وكل من في القلعة ، وقد تشكك رينو بذلك غير انه بعدما طلب منه ذلك مرة اخرى اجتمع رينو برجاله وتشاور معهم وسألهم : هل يذهب ام يبقى ؟ و اشار عليه رجاله ونصحوه بعدم الذهاب مطلقا ، لانه اذا ذهب سيعتقله رجاله ورفض مشورتهم ، فذهب مخالفا لنصحهم ، دافعا ثقته بالطرف الاخر ، وقبل ان يتحرك من القلعة اقسم متعهدا لرجالته بالمحافظة على القلعة وان يسعى لانقاذها لصالح المسيحيين ، وعلى الا يسلموها مطلقا الى صلاح الدين ، مهما كلفهم الامر ، وهكذا غادر القلعة وجاء الى صلاح الدين ، فاستقبله استقبالا جيدا ، ثم ابدى له عظيم السرور بقدومه .

٦٨ - ما أن أصبح صاحب صيدا المتولى على قلعة الشقيف بين يدي صلاح الدين حتى تأكد من حصوله على هذه القلعة ، وهكذا بعث اليه بالهدايا الجميلة والجواهر الثمينة وفق ما جرت عليه عادات المسلمين في اغراء المسيحيين ، ثم أحاطه بالحراس ، وهنا شعر رينو بمؤامرة مدبرة ضده ، واشتم رائحة الخيانة المدبرة ضده ، وبناء عليه طلب مهلة ليذهب بسلام الى حصنه تحت حماية صلاح الدين كما جاء اليه تحت حمايته ، وهكذا عندما أدرك صلاح الدين أن رينو شعر بالمؤامرة ، أعطاه المهلة المطلوبة .

وبعدما سافر رينو من عند صلاح الدين وبات قريبا من بيروت ، واقترب من الشقيف ، جاء كاتب من الشقيف ، كان في خدمة رينو واسمه بلهيس ، الى صلاح الدين وسأله : لماذا سمحت لصاحب صيدا بالذهاب ؟ فأجابه صلاح الدين بأنه جاء بأمان منه ، ولم يرغب في خرق الامان الذي أعطاه اياه ، فقال له بلهيس : إنه إن دخل القلعة لن تتمكن من اخراجه منها ابدا ، ان اماذك الذي أعطيته اياه قد انتهى منذ أن سافر من عندك ، فقال صلاح الدين : إن محاولة القبض عليه ستكون بدون جدوى ، فقال الكاتب مجيبا صلاح الدين : أعطني رجالا يأمرون بأمرى يسيرون وفق ارادتي وأنا أذهب فألقي القبض عليه وأجلبه لك ، فأمر صلاح الدين فرقة من رجاله بالذهاب مع الكاتب وتنفيذ أوامره ، وتحرك هؤلاء الجند ، فأمرهم الكاتب بأن يمضوا بسرعة ويقوموا بأسر صاحب صيدا ومن معه من الرجال الذين سيدخلون الى القلعة برفقته ، وقال الرجال الذين كانوا برفقة صاحب صيدا : « مولاي هناك عدد غفير من الناس قادمون خلفنا » فأجابهم صاحب صيدا : « نعم أعرف جيدا أنني خدعت ، فهؤلاء الناس قادمون لاقاء القبض علي ، تسلحوا جيدا وحافظوا على القلعة بقدر ما تستطيعون ، واحتراما لي أرجو الا تسلموها ، وأن تدافعوا عنها وتحافظوا عليها لصالح المسيحيين ، ولا أرغب بهذا الامر من أجل انقاذي انا ، ثم امر الفرسان الذين كانوا معه بالصعود الى القلعة . ووصل المسلمون فاعتقلوا صاحب صيدا واقتادوه الى صلاح الدين

٦٩ - ما أن ألقى صلاح الدين القبض على صاحب صيدا حتى تأكد من أن قلعة الشقيف قد تم الاستيلاء عليها ، وهنا أحضر صاحب صيدا الى حضرة صلاح الدين فطلب منه تسليم قلعة الشقيف ، فأجابه ريدو ، رجاء من أجل الرب يا مولاي ، ولكونك عظيما بين الرجال ، والله قد أكرمك بشكل جيد ، لا تخرق أمانك من أجل هذه القلعة المتواضعة ، فقد حافظت على كل أمان أعطيتك لأحد من الناس ، فأجابه صلاح الدين : يا ريدو علمني نبيي محمد (صلى الله عليه وسلم) أن أقبض على كل عدو له ، وأن أتوكل على الله وأثق به ، هذا من جانب ومن جانب آخر : لقد أقسمت يميناً ألا أدع قلعة ولا مدينة دون أن أسعى للاستيلاء عليها بجميع الأساليب التي أتمكن من استخدامها ، دون أن أقترف خطأ أو جريمة ، فأجابه ريدو : يا مولاي رجاء من أجل الرب ، دعني أذهب الى القلعة ومن ثم سأسلمك اياها ، فأجابه صلاح الدين : دعك هذا الكلام ومن مصلحتك أن تسلم القلعة وإلا سأأميتك شرمية ، وسلم ريدو أمره الى الرب وقال صلاح الدين : جسدي بين يديك ، أما الروح فبيد الله ، وتستطيع أن تعمل بجسدي الذي تريده ، لكنك لن تحصل أبداً على القلعة .

٧٠ - وبعدما سمع صلاح الدين كلام ريدو هذا غضب غضباً شديداً ، واقتاده الى أمام القلعة ، وهناك جعل يضربه ويعذبه بقسوة ، وعلقه من يديه ورجليه أمام رجاله في القلعة ، الذين أشفقوا عليه ، وقام حيث كان يعذب فصرخ الى رجاله : « قاوموا جيداً ، ولا تغضبوني حافظوا على القلعة من أجل المسيحيين » وعندما رأى صلاح الدين ريدو يتحمل العذاب ، ولا يريد تسليم القلعة ، شدد عليه العذاب ، ولما لم يعد ريدو يستطيع تحمل العذاب ، وفي الوقت نفسه لم يقدر أن يموت من شدة العذاب الذي عانى منه ، وقضت ارادة الرب أن يبقى حياً ليحصل على ذويه ويراهم ، عند ذلك طلب أن يقاد الى قرب القلعة ، وطلب من رجاله السماح وقال : « لم أعد أستطيع تحمل العذاب ، وأحلكم من القسم الذي أقسمتموه لي ، سلموا القلعة وأنقذوني ، فأنا أخشى أنه اذا لم

تحرروني أن أهلك جسدا وروحاً ، فتشاور هؤلاء فيما بينهم ، وسلموا القلعة إلى صلاح الدين من أجل اذقنا سيدهم ، وهكذا سيطر عليها المسلمون وظلوا مسيطرين حتى مجيء ملك نافار . (ثيودوت دي شامبين - وصل إلى عكا في شهر ايلول سنة ١٢٣٩) .

٧١ - فرح صلاح الدين فرحا عظيما عندما استطاع الاستيلاء على قلعة الشقيف ، لأن مدينة صور ، ضعفت من جراء ذلك ضعفا شديدا ، وبعدها أصبحت القلعة تحت سلطته ، أعطى رينو من أجل الخيانة التي قام بها بتنازله له عنها إعطاء نصف صيدا وكل ما كان يفتنيه ، ولم يطالبه بشيء أبدا ، وحافظ على ذلك طيلة حياته ، وكذلك فعل من بعده ابنه بالين حتى تاريخ الهدنة التي أبرمها الملك الكامل ، ملك مصر مع الامبراطور فريديك (شغل بالين صاحب صيدا دور الوسيط في مفاوضات الهدنة بين الكامل و فريديك الثاني في ١١ شباط سنة ١٢٢٩ ، أما منحه صيدا من قبل صلاح الدين فكانت في سنة ١١٩٠) . و بالين هذا صاحب صيدا كان ابن ابنة بالين الذي يعرف باسم هلفس ، وأمه (أي بالين بن رينو) الملكة ماريا ، وكان رينو هذا الذي تحدثنا عنه قد تزوج من هذه الفتاة بعد أن فقد الأرض ، أي إثر تحرره من بين أيدي صلاح الدين . هذا وسافر صلاح الدين من هناك ، وذهب إلى دمشق ليقوم فيها هو وحاشيته أيضا .

٧٢ - والآن سنريحكم من الحديث عن صلاح الدين ، لأنني سأحدثكم عن جوسيه رئيس أساقفة صور ، فقد كان قد سافر إلى مدينة روما ، رسولا يحمل معه أخبار الكارثة الحربية التي ألمت بأرض الميعاد ، ولقد سافر في مركب طلي كله بلون السواد ، واستهدف من طليه بهذا اللون ، أنه عندما يصل المركب إلى قرب الشاطئ يعرف الناس أنه يحمل أخبارا سيئة ، لا بل مميتة ، ووصلت هذه السفينة إلى بلاد الملك وليم الذي كان حاكم بلاد صقلية ، وأبوليا وكالبريا ، وكان الملك وليم هذا متزوجا من

- ٣٨٥٩ -

ابنة هنري (الثاني) ملك انكلترا ، وكان اسم هذه السيدة جوهاني ، وكان الملك وليم موجودا في المكان الذي وصل اليه رئيس أساقفة صور ، وعلم رئيس الأساقفة أن الملك وليم كان قريبا من المكان الذي وصل اليه ، فذهب اليه وحدثه عن الخسارة الفادحة التي حلت بأرض القدس ، وعندما علم الملك بهذه الأخبار تألم كثيرا ، وتذكر أنه كان هو أيضا مسؤولا عن ذلك الأمر مثلما هو مسؤول عن ضياع الأرض ، وسأروي لكم كيف :

عندما سمل الكسي عيني أخيه الذي كان امبراطورا ، وأصبح هو الامبراطور ، اجتمع الملك وليم مع رجاله وأخبرهم أنه سيرسل عددا كبيرا من الناس الى القسطنطينية ليستعيد بواسطتهم الأرض ، ووعدهم بكل تأكيد أنه سيقوم بذلك ، وأعد أسطولاً كبيراً ، من الشواني ومختلف أنواع السفن ، وبعث به الى بلاد ما وراء البحر ، والى جميع البلدان التي كان فيها فرسان وجنود وأعطاهم السلاح والعتاد كل حسب حاجته واختصاصه ، واحتفظ بهؤلاء الحجاج وحال دون مرور غيرهم ، فقد كان متعذرا على أي حاج الذهاب الى بلاد ما وراء البحار الا عبر الممر الذي احتفظ به في بلاده ، وهكذا ضعفت بلاد ما وراء البحر ، وعندما هزم الملك غي كان ذلك بسبب العدد القليل جدا من الرجال الذين كانوا لديه ، فقد كان قد جلب الى ساحة المعركة كل ما استطاع حشده من الرجال ، وهكذا استسلمت جميعها له ، باستثناء مدينة صور ، ونتيجة لهذه الهزيمة قال الملك وليم بأنه كان مخطئاً ومسؤولاً عن خسارة الأرض.

٧٣ - وسأحدثكم الآن عما حدث لهذا الأسطول ، وبعده عن النجدة التي أرسلها الى ما وراء البحار ، ولم يذهب الملك وليم مع هذا الأسطول وبقي حيث هو ليرسل بالعتاد والرجال الحاقا بالأسطول وأرسل الملك وليم خيرة رجاله وأرقاهم في بلاده ليتولوا حراسة هؤلاء الناس وإدارة أمورهم ، وبعدهما جهزت الشواني والسفن اجتمعت ثم تحركت مقلعة في البحر حتى وصلت الى

- ٣٨٦٠ -

دورازو ، فاستولوا عليها وحصنوها ، ثم ذهبوا نحو سالونيك فاحتلوا البلاد الواقعة ما بين دورازو وسالونيك ، واثروا هذا استولوا على سالونيك وحصنوها ، (احتلت هذه المدينة من قبل النورمانديين في شهر آب ١١٨٥) ثم اجتازوا سالونيك وتوجهوا نحو القسطنطينية ، وعندما رأى كونت هنغاريا أنهم استولوا على كثير من البلدان تألم وشعبه كثيرا ، غير أنهم قالوا لهم : أهلا وسهلا ، وتأثروا كثيرا من قدومهم ، ثم أعلموهم أنهم سينضمون اليهم اذا ما تأروا للذي سملت عيناه ، وأعلموهم أنه خطأ كبير التوجه بحرا الى القسطنطينية ، والأفضل السفر برا ، وهكذا اقتادوهم برا ، وذهبوا معهم ، وأحضروا معهم مساعدات كبيرة ، ذلك أنهم كانوا لا يحبون الامبراطور ، واصطحب فرسان الاسطول كونت هنغاريا واتباعه ، وتخلوا عن الاسطول وساروا برا حتى كانوا هناك في الوادي ، وكان عندما اقتاد كونت هنغاريا رجال الاسطول برا ، انتشر الخبر في طول البلاد وعرضها ، وتجمع السكان قرب فيلبه وتسلحوا ثم هاجموا في اليوم التالي رجال الاسطول ، وهزموهم وأسروهم باستثناء عدد قليل فروا وعادوا الى الاسطول ، وهكذا دمر الاسطول .

وسأحدثكم الآن عن الملك وليم ، وأبين لكم نوع النجدة التي أرسلها الى بلاد ما وراء البحار ، فقد أرسل بالمراكب وحملها بالفرسان وبعث بهم لحماية البلاد التي بقيت للمسيحيين ، ثم جهز بعد ذلك اسطولا كبيرا من الشواني ومختلف أنواع السفن ، وقدم مع ملك انكلترا الذي كانت أخته زوجة الملك وليم ، ولم أقل انه عبر مع الصليبيين ، ذلك أنه لم يمكث طويلا بعدما بدأ بهذه الحملة ، فقد مات بدون وريث ، ومن ثم قام أهالي صقلية وأبوليا وكالبريا فاختاروا ابن عمه تانكرد واتخذوه ملكا ، وحدث هذا في سنة ١١٨٧ لتجسيد يسوع المسيح (مات وليم الثاني بالفعل في ١٨ - تشرين الثاني ١١٨٩) .

٧٤ - وسأحدثكم الآن عما حدث مع تانكرد في ذلك الوقت ، وعما

سيحدث معه فيما بعد ، كما سأحدثكم عن جوسيه رئيس أساقفة مدينة صور الذي وصل الى بلاد الملك وليم ، فقد أعطى الملك وليم الى جوسيه هذا بعض الخيول وما لزمه من نفقات للذهاب الى روما ، غير أن رئيس الأساقفة هذا وجد البابا أوربان في مدينة فيراري ، فروى له أخبار الكارثة وحدثه عن الخسائر الفادحة التي لحقت بالمسيحيين في أرض مملكة القدس ، وشرح له كيف استولى عليها المسلمون ، وعندما سمع البابا ذلك كله تولاه الغضب والحزن معا ، وتآلم كثيرا حتى أنه مات من شدة الألم ، وكان الذي حدث معجزة ، فهرقل - الامبراطور - وضع الصليب في القدس ، وهرقل - البطريرك - أخرجه من القدس ففقد ، وفي أيام أوربان الثاني جرى احتلال القدس ، وفي أيام أوربان الثالث سقطت القدس ، لأن المسلمين استولوا عليها .

وبعد وفاة أوربان ، صار غريغوري الانساني بابا ، لكنه عاش فقط لمدة شهر واحد ، وتولى عرش البابوية بعده كليمنت الثالث ، وهو الذي بعث برسله الى جميع البلدان المسيحية لاطلاعها على فدوى الاخبار السيئة التي وصلت اليه من أرض الميعاد ، وبعث الى جميع وجهاء المسيحية والى كل امبراطور والى الملوك والأمراء والفرسان والقادة بعدهم بأن كل الذين سيكفون صليبيين ويبدون الاستعداد للذهاب الى أرض الميعاد سيغفر لهم كل خطاياهم ، فهو الذي سيتحملها ويمحوها عنهم أمام الرب ، وأعلن ان كل الذين يريدون خوض الحرب المقدسة ، سيخولهم السلطة من أجل خدمة الرب وعبادته .

وبعدما سمع هذا الخبر والنداء رجالات المسيحية من ملك وامبراطور ورئيس أساقفة وأساقفة وغيرهم كثير أصبخوا صليبيين ، وكان أول من تحرك ، وركب الطريق فريدريك امبراطور المانيا (فريدريك الأول بربروسا) وقد سافر عبر الطريق البرية ، فكان أن وصل الى أراضي بيزنطية وذلك حسبما جاء الحديث عنه من قبل ، وكان لهذا الامبراطور عدة أولاد ، البكر منهم

يدعى هنري ، وهذا سيكون فيما بعد الامبراطور (هنري السادس) وهو الذي تزوج من كوندستانس ، وهي عممة الملك وليم وأخت ابيه ، وكان اسم الولد الثاني أوتو (أمير بورغون) وهو الذي تزوج من (مرغريت) ابنة ثيودوت (الخامس) أمير بلوا ، وقد توفي بدون أولاد ، ودعى الابن الثالث باسم فيليب ، وهو الذي كان رئيس دير بافنديرك ، وقد خلع لباسه الكهنوتي بعد وفاة والده واخيه فردريك أمير سوابيا (في كانون ثاني ١١٩١) ، وتزوج هذا الأخير من ابنة كيرسك امبراطور القسطنطينية ، وهي التي كانت من قبل زوجة وليم الشاب ملك صقلية ، وقد اصطحبها معه الى ارض المعيار ، ثم مات فيما بعد في مدينة عكا .

وتفجرت حرب كبيرة بين فيليب ملك فرنسا وهنري ملك انكلترا ، وقد نشبت في اسقفية بورغ قرب المدينة التي اسمها ياسودون ، وكانت الصفوف معبأة والمعركة معدة وكل شيء مرتب لخوض القتال والمواجهة العنيفة ، عندما وصل الى هناك رسل كنيسة روما ، فعندما جاء هؤلاء الرسل وجدوا المعركة وشيكة الوقوع ، فكل شيء معد لها ، ولكن بفضل مواظمتهم المباركة ونصائحهم القدسية ، حلت نعمة روح القدس على الملكين ، حتى تخليا عن الحرب التي اوشكت على الذشوب بينهما ، وقد عقدا سلاما بينهما ، واصبحا بدورهما صليبيين ، واثّر هذا غدا الفرسان وسكان المملكتين من الصليبيين وذلك قدوة بآسيادهم ، ولم يتحرك ملكا فرنسا وانكلترا ، ولم يسافرا كما فعل الامبراطور ، هذا ولم أحدثكم عن السبب في تفجر الحرب بين ملكي فرنسا وانكلترا ، وسأدع هذا حتى مناسبة اخرى ، فانا سأحدثكم اولا عن صلاح اللين الذي دخل الارض واستولى عليها .

٧٥ - ووصلت الاخبار الى صلاح اللين تتحدث عن امبراطور المانيا وكذلك عن ملكي فرنسا وانكلترا ، وجميع بارونات ماوراء البحر ، وتخبر انهم جميعا صاروا صليبيين بهدف القدوم لمحاربتة ، ولم يذف صلاح اللين هذه الاخبار ولم يصدقها كما هي ، غير انه

أقدم على تحصين عكا بشكل جيد وشحنها بالسلاح والعتان والمؤن ، وسكرها في وجه من يرومها ، ورابط فيها الجند المسلحين ، ونقل أرقى الرجال وأفضلهم ممن وثق بهم ، فهو كان مدركا انه إذا لم يأخذ مع رجاله بأسلوب اليقظة والحذر فقد تأتي قوة مسيحية الى مرفأ عكا لتستولي على المدينة ، هذا وأمر صلاح الدين الذين عهد اليهم بحراسة عكا من الداخل الا يتخلوا عنها وان يقاوموا كل من يأتي لحصارها ، وحظر عليهم الخروج منها وأوجب عليهم مقاومة من يهاجمها حتى النهاية مهما اشتدت الضغوط ، وإذا ما جاء المسيحيون لحصارهم عليهم اعلامه ليأتي حالا للتفريغ عنهم ، فإذا جاءه الرسل وهو جالس الى مائدة الطعام لن يكمل طعامه بل سيتحرك فورا لانجادهم ، وإذا وصل اليه الرسل ليلا او نهارا سيبادر الى التحرك نحوهم حتى وان كان مريضا مدنفا ، وبعد ما فرغ صلاح الدين من تحصين عكا ، التفت الى حصون الساحل ومدينه فحصنها ، وبعد هذا جهز جيشه للذهاب نحو طرابلس وحصارها .

وفي الوقت الذي وصل فيه صلاح الدين الى طرابلس لالقاء الحصار عليها ، وصل اسطول الملك وليم الى صور المحصنة بالقوات والفرسان ، ولهذا اعد الماركيز اسطوله وسلاح سفنه الحربية وشحنها بهدف التحرك لنجدة طرابلس ، وطلب بالوقت نفسه من فرسان وليم وقواته مرافقته لانقاذ مدينة طرابلس ، وهكذا توجهوا نحوها جميعا ومعهم الفارس الاخضر ، وبعدما وصلوا الى غايتهم واستراحوا قليلا هاجموا جيش المسلمين ، وكان الفارس الاخضر في المقدمة ، وهنا اعلم المسلمون صلاح الدين ان الفارس الاخضر جاء مع قوات نجدة طرابلس ، فراسله صلاح الدين ورجاه ان يأتي لزيارته ، فلبى الدعوة وحضر امام صلاح الدين ، فرحب به وقدم اليه الخيل والذهب وصنوف المال ، وأظهر له السرور بقبوله وذكر انه لا يريد منه شيئا سوى رؤيته ، وعرض عليه انه اذا أراد البقاء عنده فسيعطيه أرضا كبيرة ، فأجابه انه لم يأت الا للزيارة ولن

يمكنث عند المسلمين بل سيحاربهم ويعطل خططهم بقدر مايسطيع ، ثم استأنن وتوجه الى طرابلس .

وعندما أدرك صلاح الدين أنه لن يحقق النجاح أمام طرابلس لوصول النجداث الكبيرة اليها ، غادر موقعه وتوجه الى المدينة التي اسمها طرطوس وهي واقعة أيضا على شاطئ البحر وإثر مغادرته الى طرطوس راسلته الملكة سيبيل زوجة الملك غي ، وكانت تعيش داخل طرابلس وطلبت منه تنفيذ الاتفاقية التي أبرمها مع البارون عندما سلمه مدينة عسقلان ، فقد حان وقت تحرير الاسرى المتفق على تحريرهم ، فأجابها صلاح الدين بأنه سيعمل على تحريرهم بكل طيبة خاطر .

فبعث أوامره الى دمشق بأن يرسلوا له الملك مع عشرة من الفرسان حدهم بغية اطلاق سراحهم ، وكان قد حدد هؤلاء واختارهم من قبل ، كما وبعث صلاح الدين يأمر بأن يرسل اليه الى طرطوس الماركيز بونيفيس والاسرى الآخرين الى حيث كانت عساكره تحاصر طرطوس ، ونفذت أوامره وحمل رجال صلاح الدين الاسرى الى طرطوس ، وبعد وصولهم أخذ صلاح الدين العهد على الملك وعلى جميع البارونات الذين أطلق سراحهم وجعلهم يقسمون الايمان ألا يحملوا السلاح ضده أبدا ، ثم أعطاهم حرياتهم شرط أن يعبروا البحر .

وركب الملك في السفينة وانتقل الى جزيرة (ارواد) الكائنة مقابل مدينة طرطوس ، وأخبر رسل صلاح الدين الذين رافقوه أنه بهذا برهن على أنه عبر البحر ونفذ ماتعهد به ، ومن هناك سافر بونيفيس الى ابنه الموجود في صور ، ثم ذهب الى الكرك واصطحب معه همفري الذي كان محتجزا أيضا في سجنه ، وعندما وصل الى القلعة كلف همفري ان يتكلم الى سكان القلعة ، وبالفعل خاطبهم همفري بقوله : « ايها السادة اذا استطعتم الحفاظ على القلعة لصالح المسيحيين ، تمسكوا بها ، لكن اذا رأيتم أن لن تستطيعوا

ذلك أرجوكم أن تسلموها وتحرروني » وكان سكان القلعة في ضيق شديد ، فاجتمعوا وتداولوا بالأمر وقرروا أنه اذا أعطاهم صلاح الدين الأمان لهم ولأزواجهم وأولادهم وأموالهم في أن يذهبوا الى بلاد المسيحيين وأن يحرر سادتهم فسيسلمون القلعة اليه .

وتلقى صلاح الدين هذا الكلام بكل سرور ، ووافق على العرض وزاد بأن وعدهم باطلاق سراح نسائهم وأولادهم الأسرى عنده أينما وجدوا في البلاد ، وبعدما أبرمت هذه الاتفاقية بينهم وبين صلاح الدين سلموه القلعة ، ومن هناك ذهب صلاح الدين الى الشوبك التي وجد سكانها أنهم بعد سنة ونصف السنة من تاريخ الاستيلاء على القدس لم يحصلوا على اية نجدة ، وجدوا من الأنسب التسليم ، وهذا ماكان ، واصطحب صلاح الدين همفري الى أمه ، واقتاد سكان القلعة بسلام الى أنطاكية ، ثم عاد من هناك نحو طرطوس لاستئناف حصارها ، وبعدما عسكر أمامها فترة وجيزة ، وبعدما فرغ من أمرها توجه نحو مدينة أخرى على مسافة خمسة أميال منها تدعى بلنياس فاستولى عليها ، وكان فوقها حصن حصين فوق الجبل لم يرغب في اضاءة الوقت أمامه ، ثم توجه الى أراضي إمارة أنطاكية واستولى على مدينتين هناك وحصنهما ، وكان اسم الأولى جبلة والثانية اللاذقية ، ومن هناك توجه حتى اقترب من أنطاكية ، فوجدها محصنة تحصينا جيدا ، وعلم ذلك من جون غاله الذي كان ايضا في الروج ، وذهب ليحاصر الروج فلم يستطع الاستيلاء عليها ، لهذا عاد من هناك وتوجه الى دمشق ليريح جيشه ويجعله يستجم قليلا ، فقد أراد أن ينزل ضربة شديدة بالداوية ، الذين اشتد غضبه عليهم لأنهم أسروا ابن عمه ، وساندوا جون غالة ضده .

٧٦ - وعندما كان صلاح الدين في دمشق ، فكر بخطة سيئة جدا ، فقد أمر بإخراج جميع فرسان الداوية الذين أسره في المعركة مع جميع الناس الآخرين الذين أخذهم أسرى ايضا ، وأمر رجاله جميعا وكل الذين لنيهم أسرى أن يأتوا بهم ، وماأن أمر بذلك

وسمع رجاله حتى أحضروا الأسرى الذين كانوا لديهم ، وهكذا عندما جمع الأسرى أمام صلاح الدين توجه اليهم بالخطاب قائلا : « أنتم أيها الفرسان ورجال السلاح لكم عندي فوائد عظيمة يمكن أن تعمكم جميعا ، أنتم تعلمون أولا أنني استوليت على أراضي المسيحيين الكائنة شرقي البحر بمجملها ، واستوليت على صليبكم ، وأسرت ملككم وأكثر البارونات ماتوا أو أسروا ، ولقد أشفقت عليكم ، لأنكم فرسان ، وشبان طيبون ، ويمكن أن تتأتى منكم فوائد كبرى للبلاد ، وإذا أطعتم أو أمري يمكنكم أن تعيشوا ، وسأعطيكم وأرد عليكم النساء والأطفال ، وأمنحكم الذهب والمال وأقطعكم بعض الأرض التي استوليت عليها مثلاً فعلت مع رجالي « فسألوه عن الشيء الذي يريدون أن يفعلوه ، فقال لهم الذي أريد فعله أن تتذكروا لعقيدتكم والصليب والايمان بيسوع المسيح ومن ثم الهداية والتحول الى شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) وعقيدته ، فأجابوه بالاجماع وبصوت واحد : انه اذا شاء الرب لن يتذكروا لعقيدة يسوع المسيح وشريعته ، ويسوع المسيح هو الذي صلبة اليهود في القدس » فهو كما تحمل العذاب من أجلنا على الصليب نريد ان نتألم حتى الموت على يدك من أجله ، لأننا نؤمن أن عقيدة محمد (صلى الله عليه وسلم) وشريعته خطأ وخداع » .

٧٧ - وعندما سمع صلاح الدين هذا الكلام تأثر كثيرا ، وشعر بغضب شديد ، فأمر بالحال بقتل فرسان الداوية ، وما أن أصدر أمره حتى شرع أتباعه بتتلهم ، وكان الألم شديدا ، والاضطراب عظيما وكذلك الموت وسفك الدماء ، فهو قد خيل اليه أنه بقتله للمسيحيين يقدم تقدمه كبيرة لله وقربانا عظيما وكما قال مولانا لحوارية في الانجيل : « بل ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب الله قربانا » (يوحنا : ١٦ / ٢) ، وفيما صلاح الدين يشرف على تنفيذ أوامره رأى مسلم مسن اسمه قراقوش رؤيا فيها غودفري دي بوليون الذي كان أول بارونات الاحتلال يقول لصلاح

- ٣٨٦٧ -

الدين : « إنك لم توفق أبدا بقتلك لفرسان الداوية ، فهل تعتقد أنك أنهيت حربك ؟ أنني أعلمك أن الفرسان الداوية سيولدون بلصاهم التامة ، وأقول لك علاوة على ما قلت : ان أصدقاءهم وأهليهم لن يدعوا موتهم يذهب سدى ، ولكنهم سيثأرون لكل واحد منهم » ، وكما ذكرنا من قبل ظهر له هذا عندما جاء دي أفين لحصار عكا ، ثم أنه عندما سمع البابا كليمنت الثالث بما حدث ، غضب غضبا عظيما ، وبعث برسله لمزيد من التحريض للاسراع بالحملات الصليبية .

٧٨ - في سنة ١١٨٨ لتجسيد المسيح ، بعدما استولى صلاح الدين على القدس وأطلق سراح الملك غي ، عاشت أراضي المملكة بسلام لمدة عامين أو أكثر ، وذلك حتى سمع سكان بلاد ماوراء البحار بأخبار هذه الفواجع والالام التي حلت بمملكة القدس ، فقد قام جفري دي لوزنغن ، وكان اخا للملك غي ، غير أنه كان حكيما متشددا ، فلم ينتظر لا ملك فرنسا ولا ملك انكلترا ، بل أسرع لاجتياز البحر ، فقد استهدف تقديم النجدة للملك ، وعبر معه رجال نبيل اسمه أندرو دي برن ، فقد كانا رفيقا سلاح ، ولهذا أسرعوا بالعبور قبل الآخرين ومعهما عند كبير من الفرسان ، فوصلوا الى مدينة صور ، وفي صور سمع جفري الأخبار عن أخيه وعن مملكة القدس ، فقد حدثوه عن هزيمة الملك وأسرته ، ثم أخبروه أنه قد أطلق سراحه ، وعندما سمع جفري هذه الأخبار وقع بارتباك شديد ، وضاعت نفسه وشعر بخجل أشد من الخجل الذي حصل لأخيه ، ثم سأل أين يستطيع أن يجد الملك ، ف قيل له أنه ذهب الى انطاكية .

٧٩ - ولم يلبث أن سافر من صور ، وذهب الى طرابلس ، حيث استقبل بحفاوة كبيرة هناك ، وعم الفرح العظيم بين الناس الذين كانوا هناك لدى سماعهم الاخبار التي تحدثت عن حملة التي ستعبر اليهم ، وبعدما ارتاح جفري وأصحابه من وعشاء السفر ، اصطحبهم أمير طرابلس حتى انطاكية ، وهناك التقى

جفري بأخيه الذي فرح بقدمه فرحا عظيما ، ولدى اجتماع جفري والملك وايمري مقدم الداوية - كافل المملكة ، وأخوه بالوقت نفسه ، قاموا بحشد فرسانهم الذين فروا من المعركة ، وتحركوا يريدون الدخول الى اراضي مملكة القدس ، وعندما وصلوا امام مدينة صور فكر الملك والمملكة بالدخول الى هذه المدينة وكأنها تابعة لهما ، لكن الماركيز - ومنتفرات الذي حال بين صلاح الدين وبين الاستيلاء على صور ، منع ملك القدس من الدخول الى صور ، لأن سكان المدينة كانوا قد استقبلوه سيديا لهم ، وحدث ذلك في الوقت الذي كان فيه الملك في سجن صلاح الدين .

٨٠ - وعندما رأى الملك عجرة الماركيز ونذالته ومنعه اياه من الدخول الى المدينة ، وأنه لم يعد لديه في المملكة قصر أو دار يعيش فيها شعر بالمرحمة عليه ، وأحب أن يموت بشرف على أن يعيش في الذل ، وبناء عليه اجتمع مع جفري ، ومع مقدم الداوية وبقيّة البارونات الذين كانوا معه ، وقد قالوا له : انهم يعرفون أهل البلد وموقفهم ، فهم يعرفونه أنه فوق كل شيء سيدهم وملكهم لكن المسيطر الآن على المدينة أناس غرباء ، وعمل هؤلاء مائس الماركيز ومايرضي ارادته ، وقال له أخوه جفري : ان امبراطور ألمانيا وملك انكلترا وملك فرنسا وعدد كبير آخر من البارونات قد باتوا الآن من الصليبيين ، وقد اقترب وقت وصولهم ، وسألهم الملك بعدما سمع منهم ما سمع فيما اذا كانوا يريدون أن يتبعوه حيثما ذهب ، فأجابوه أنهم ما جاءوا من وراء البحار الا من أجل هذا وأنهم على استعداد للعمل حسب أوامره حتى الموت .

٨١ - وعندما سمع الملك غي كلام هؤلاء السادة فرح فرحا عظيما للارادة الطيبة التي توفرت لديهم ، وعلم أن مولانا لن يحارب أبدا ضد المسيحيين ، لذلك شد من عزمته واسترد شجاعته وثبتها ، وأوكل مصيره الى الرب ، وأخذ الطريق وسار ليتمركز في أحواز مدينة عكا ، ولا شك أن أيمن المؤمنين بالرب كان عظيما ، وذلك عندما تجرأ حفنة من الرجال على القيام بمثل هذا

- ٣٨٦٩ -

العمل الكبير ، ابي بمحاصرة عكا ، وبما أنه كان هناك عدد كبير جدا من المسلمين داخل مدينة عكا ، وبالكاد وجد مسيحي واحد مقابل عشرة من المسلمين ، فان المسيحيين حين قدموا الى عكا قد وضعوا أنفسهم بين المطرقة والسندان ، فلورأى سكان المدينة ذلك ، لكانوا التهموا المسيحيين واستولوا عليهم مثلما يستولى الباشق على الطير الصغير .

٨٢ - وبعث في تلك الاثناء صلاح الدين الى جميع سكان مملكته من دمشق الى مصر والى مناطق البلاد التي كان عماله يحكمون فيها فاستنفروهم وقواتهم للقُدوم عليه بهدف الحاق ضربة فاصلة بالمسيحيين الذين فروا من المعركة ، ويقومون بتشديد الحصار على عكا ، واستجاب المسلمون لأوامر صلاح الدين وقدموا اليه .

٨٣ - وعندما جمع صلاح الدين رجاله واطمأن الى جيشه زحف فتمركز على مسافة ميل واحد من عكا ، ومنطقة مخيمة تعرف الآن باسم ضاحية صلاح الدين لأنه تمركز هناك ، فقد توفر حشد كبير من المسلمين ، وتولى هؤلاء حصار الذين جاءوا لحصار مدينة عكا ، ومرارا قال رجالات الاسلام وقادة الجيش وأعوان صلاح الدين لصلاح الدين : « دعنا نمضي فنستولي على معسكر هؤلاء ونهزمهم وبذلك سنرتاح في المستقبل ، ولسوف لن نجد أحدا يأتي لمحاربتنا » ، فأجابهم صلاح الدين بأنه يود انتظار قدوم أخيه سيف الدين الذي كان قد أرسله الى خليفة بغداد ، فهو يريد أن يكون حاضرا أثناء تحقيق هذا الانتصار وأن يشارك في الفرحة بذلك .

وعندما رأى المسيحيون الجهود التي يبذلها المسلمون الذين سبق لهم أن الحقوا بهم الهزيمة خافوا خوفا عظيما ، ووقعوا في شك رهيب ، ولم يكن ذلك بغريب ، فاستسلموا لهذا الى ملك الرحمة مثلما استسلموا لعبادته من قبل ، واستجاب لهم فأرسل اليهم بالنصيحة التالية قائلا : « تمسكوا بمنهجكم في السلاح والعتاد » ولم يبق سوى أعداء الصليب الذين ما عادوا يخافون من

المسيحيين مثلما كانوا من قبل ، ومع ذلك زار مولانا المسيحيين ومنحهم مشورته وشجعهم لأنهم استسلموا اليه بقلب طيب وفكر نقي .

٨٤ - فبينما كان صلاح الدين يجهز حشوده ، تفقد مولانا - كما تعلمون - أتباعه بنعمته فبعث اليهم من وراء البحار برجل عظيم هو جاك دي أفين والقادة الذين كانوا برفقته ، وينبغي ألا يساور أحد الشك في أن الرب قد أرسل هذه النجدة وهذا العون إلى هؤلاء الذين استسلموا اليه ووثقوا بنعمته ورحمته ، وفيما كان صلاح الدين يتجول في أحد الأيام وبرفقته الأمير قراقوش قال عندما رأى تقاطر القادة الفرنجة واجتماعهم: « العياذ بالله يبدو لي أن الفرنجة جن جنونهم وهم مقبلون على ركوب المخاطر في البحر » ورد عليه قراقوش قائلاً : « مولاي ان هذه نجدات قادمة إلى الفرنجة ، لقد سبق وقلت لك عندما أمرت بالتخلص من فرسان الداوية بأن هؤلاء سيلدون ثانية مع لحاهم » وعندما ذكره بهذه النبوءة غضب منه صلاح الدين ولهذا أمر قراقوش بالدخول إلى مدينة عكا ، وحدث أنه في اليوم نفسه الذي دخل فيه قراقوش إلى مدينة عكا أن وصل القادة إلى عكا ، وفي الثالث الأول من الشهر بدأ الملك بحصار عكا ، وعندما وصل القادة مع الملك ، بذل المسلمون غاية جهدهم للحيولة بين الفرنجة وبين العسكرة وانزالهم لعتادهم الذي كان معهم ، لكن الذي حدث هو أن مولانا ساعد أتباعه وتم بنجاح وأمان انزال العتاد ، ومن ثم المعسكرة ، وهنا تأكد فرسان يسوع المسيح من العناية الربانية التي خصوا بها .

وتمركز جاك دي أفين على الشاطئ الرملي أمام عكا ، في حين تولى الألمان والفريزيون والبريتانيون الذين قدموا معه تطويق عكا ووضعها تحت الحصار ، وحفروا بينهم وبين المسلمين خندقاً وأقاموا الحواجز والسواتر من الأشجار وسواها ، واستولوا في الوقت نفسه على النهر الذي كان يجري أمام المدينة قرب المتمركزين على الشاطئ الرملي ، وبهذا شرع الذين كانوا داخل المدينة

بالعطش وعاذوا كثيرا من قلة توفر مياه الشرب ، حيث لم تتوفر لهم داخل المدينة مياه الشرب الا من مياه الأمطار المخزنة بالصهاريج .

وعندما رأى صلاح الدين التزايد المضطرد في أعداد المسيحيين ، أمر رجاله بالانقضاء عليهم بكل شدة ودون اضاءة للوقت والجهد ، وبات الآن على المسيحيين أن يتولوا الدفاع عن أنفسهم من جهتين ، ومع هذا استمرت حالة الحصار هذه - حسبما وصفناها لكم - حتى قدوم كل من ملكي فرنسا وانكلترا ، ومر الزمن وتخلل ذلك عدة أشكال من المعارك الشديدة ، وكان بارونات ماوراء البحار قد عاذوا كثيرا منذ أن أصبحوا صليبيين ، وتكبدوا مشاق هائلة أثناء عبورهم البحر ، لكن عندما وصلوا قدموا مساعدات هامة للاستيلاء على عكا .

٨٥ - وفي هذا الوقت بينما الملك غي يحاصر مدينة عكا جاء لامداده عدد كبير من بارونات مملكة فرنسا والممالك الأخرى ، وشاركوا في هذا الحصار ، وكان صلاح الدين متمركزا في الجهة المقابلة لرجالنا ، ومعه أعوانه جميعا وقواته ، وتمكن صلاح الدين من صد الفرنجة وقمعهم حتى أنهم لم يعد بإمكانهم الحصول على المساعدة من أي جهة لاسيما بعدما تناقصت امداداتهم وكلف شح الامداد وتدمير المؤن عددا كبيرا من رجال قواتنا حياتهم ، ووصلوا الى حد لم يعودوا يستطيعون فيه تحمل سوء الحالة التي عاشوها ، ولهذا دعا الملك البارونات وقادة القوات الى الاجتماع في مؤتمر لدراسة الأوضاع ، وفي هذا المؤتمر تم الاتفاق على الزحف ضد معسكر المسلمين وسدقه ، وهذا ماكان فقد زحفوا ضد معسكر صلاح الدين والمسلمين وكان جيرالدي ردفورت ، مقدم الداوية في المقدمة ، وكان أندريه دي برن في الساقة أما الملك غي ومعه أخوه جفري دي لوزنغان فقد تولوا مواقفة القوات المتمركزة داخل المدينة خوفا من خروجها وهجومها عليهم .

وعندما رأى صلاح الدين زحف قوات الفرنجة ضد معسكره، أفرغ هذا المعسكر وانسحب إلى الورا ، وبخل المسيحيون إلى معسكر المسلمين وكانوا جميعاً يعانون من الجوع ، ولسوء حظ المسيحيين الذين وجدوا هناك أن حصاناً واحداً من خيول الحجاج فر هارباً ، فاندفع الحجاج لأمساكه ، فاضطربت صفوفهم وهاجوا وماجوا ، وشرع رجال القوات الرديفة يتصرفون خلافاً لما كان عليهم أن يفعلوه ، وارتبكوا ولم يعودوا يعرفون كيف يتصرفون ، وشاهد صلاح الدين من مكان تمرّكه اضطراب أوضاع الفرنجة وسوء أحوالهم فسأل واحداً من أعوانه الذين كانوا بصحبته عما يجري في صفوف الفرنجة ، ولما اضطراب فيما بينهم فأجابه : « مولاي مرد هذا الوضع المضطرب هو أنه لم يبقَ لديهم فرسان ، ولذا إذا هاجمتهم حالا ستتمكن من هزيمتهم وأسرهم جميعاً » .

ورأى صلاح الدين الحجاج الفرنجة يخرجون من معسكرهم ويدخلون إلى معسكر صلاح الدين فتلاشت أماله بالعودة إلى معسكره الأول ، فقد كانت أعداءهم كبيرة جداً وقواهم عظيمة ، ومع هذا انقض صلاح الدين على الفرنجة ، فلم يستطيعوا الصمود له ، فأخذوا يتقهقرون وينهزمون ، وتدفق المسلمون ضد المسيحيين مثل نهر كان يجري بالدم ، وهكذا قهروهم ، ولهذا السبب هب المسيحيون الآخرون والملك غي وأندرية دي برن ومقدم الداوية ومعهم أعداد كبيرة من الاتباع والاعوان لنجدة المسيحيين والتفريج عنهم .

٨٦ - وكان المسلمون الذين تمرّكوا داخل مدينة عكا ، قد رأوا معسكر الفرنجة قد أخلي ، والذين كانوا متمرّكين فيه قبالتهم قد ذهبوا مع الملك لنجدة المسيحيين ، لذلك خرجوا من المدينة وسط ضجيج كبير وجلبة عظيمة ، وسعوا إلى الاستيلاء على معسكر الفرنجة ، وكادوا يفعلون ذلك لولا أن الرب أنقذ المسيحيين بواسطة جفري دي لوزنغن ، فقد واقف المسلمين ودفعهم وصمد في وجههم

طوال النهار مع حفنة من الرجال الذين تركهم الملك برفقته للدفاع عن المعسكر ، لقد دافع هذا الفارس بشدة وتصميم عن المعسكر فقد كان شجاعا وقويا ، لذلك لم يستطع المسلمون السيطرة على المعسكر ، فقد صدّهم بالقوة والسيف وقتلهم امام باب القديس نيقولا وقاومهم بيديه ، وكذلك فعل الذين كانوا معه .

اما الملك ومقدم الداوية واندرية وجميع الذين كانوا معهم فقد هجموا على المسلمين وقدموا المساعدة للذين قد دخلوا الى معسكر صلاح الدين وانجدوهم ، لكن انقضاض تقي الدين ابن اخي صلاح الدين ومعه قواته المسلمة وهجومه العنيف كبد الملك ورفاقه خسارة كبيرة حتى اوشكوا - بعد قليل من الوقت على الهلاك جميعا ، وكان مقدم الداوية واندرية في مؤخرة الجيش ، وقد قاوما بعنف من اجل خروج الناس وانسحابهم سالمين ، وفي انقضاض تقي الدين تكبدت قواتهما خسائر كبرى واضطربت وتمزقت صفوفها وأبيدت ، فكان ان قتل مقدم الداوية وقتل معه اندرية هناك ، وحدثت بلبلة عظيمة ، وحل الم عظيم بين صفوف المعسكر لموت هذين القائدين الكبارين ، وقام فرسان الداوية بعد موتهما باختيار مقدم جديد لهم ، كان وقتها في المعسكر ، هو روبرت دي سابلوي (اختير روبرت الثالث دي سابلوي ابن روبرت الثاني دي سابلوي مقبدا للداوية في ١١٩١) .

٨٧ - وبعد هذه الهزيمة الساحقة والخسارة الكبرى كتب صلاح الدين الى الملك غي يقول له بانه لم يحافظ على قسمة ولا على الاتفاقية التي ابرمت عندما حرره من السجن ، وكان من واجبه الا يحمل السلاح ضده ، فضلا عن ذلك كان قد وعده بعبور البحر ، واجابه الملك بانه نفذ وعده وبر بقسمه بشكل جيد ، فهو قد وعده بعبور البحر وبالفعل عبر البحر مع اتباعه ، غير انه لم يستطع القول انه لم يشهر السلاح ضده ، وفي الحقيقة كان حصانه يحمل في لجامه سيفا ودرعا في ظهره ، لئلا تؤذيه النبال ، وبهذه الصور سوغ الملك غي لصلاح الدين اعتذاره عن القسم الذي اداه .

٨٨ - وفي فترة الحصار الذي حوّل عكا ، اعد الامبراطور فردريك الكبير حملته ، وزحف برا وقد جلب معه عددا كبيرا جدا من فرسان المانيا مع العتاد والمال والثروات ، فقد سار وكأنه يعمل في سبيل التساج الامبراطوري ، وعبر الى الاراضي البيزنطية من هنغاريا ، وبذل امبراطور القسطنطينية (اسحق الثاني) ماوسعه من جهد ، وحاول بكل جد وجهد وشدة ان يمنع الامبراطور السالف الذكر من العبور من بلاده ، ولهذا بعث اليه الامبراطور فردريك الكبير بوفد ضم هيرمانت رئيس اساقفة موستيرير مع رجال اخرين من الاشراف .

ولدى وصول الوفد الى القسطنطينية طلبوا من الامبراطور تجهيز الطريق حتى يتمكن سيدهم امبراطور المانيا من العبور ومعه رجاله ، بغية الذهاب لاسترداد ارض القدس ، وانقاذها ، لكن الامبراطور في القسطنطينية رفض الطلب ، وأعلن انه لم يسمح بالمرور عبر اراضي بلاده ، ثم اوقف الوفد والقاه بالسجن ، ولايستغربين هذا التصرف احدا ابدا ، لان الاغريق كانوا يبغضون روما كنيسة روما والمسيحيين اللاتين .

وعندما علم الامبراطور فردريك بخبر رفض طلبه وسجن وفده غضب كثيرا وابدى امتعاضه ، ورأى الان ان من مصلحته تمضية ذلك الشتاء بمجمله في الاراضي البيزنطية ليتمكن من حرب امبراطور القسطنطينية حتى يترك له جزءا من اراضيه للعبور ، وعندما رأى الامبراطور الاخير ان الامبراطور فردريك قد استولى على جزء من امبراطوريته خشي من ان يستولي على الجزء الباقي ، ولهذا عقد مفاوضات مع خصمه وقرر التراجع عن موقفه ، فقد اجتمع وفدان من السادة مثلا الجهتين المتصارعتين وتوصلا الى عقد سلام وتوافق بين الامبراطورين ، وبناء عليه حرر امبراطور القسطنطينية رئيس الوفد والسادة اعضاءه ، اي هيرمانت رئيس اساقفة موستيرير والذين كانوا برفقته ، واذن هذا الامبراطور للذين يريدون السفر بحرا بالمرور الى ميناء نيغروبونت والعبور من هناك ، اما

الذين كانوا يريدون السفر برا فقد اعطاهم مبالغ كبيرة من المال ،
وقدم اليهم المساعدات والمعونات من اجل استرداد اراضي القدس .

٨٩ - وعندما سمع سلطان قونية (قلع ارسلان الثاني) بما حدث
وعرف ان الامبراطورين قد عقدا سلما فيما بينهما ، وان امبراطور
المانيا سيعبر من خلال ارضه ، انزعج كثيرا ، وحاول صده فقد جمع
رجاله جميعا ، وحصن جميع الممرات والطرق التي سيعبر عبرها
الامبراطور ، وعندما سمع الامبراطور بدوره بانه يريد صده ، وانه
قطع المعابر واغلق الممرات على الطريق الذي سيسلكه ، فترك هذا
الطريق ، وذهب الى طريق اخر ، فقد وجد بعض المزارعين ليدلوه
على الطريق ، وفي الوقت نفسه لم يدر بخلد المسلمين بان المسيحيين
سيعبرون على الطريق الذي اختاره الامبراطور ، واستغربوا كيف
وقع اختياره عليه لانه كان طريقا مزعجا وقاسيا ، يمر عبر الجبال
والجروف والشعاب ، وهو بعيد عن الطريق الاخر المستقيم .

وبعدما عبر الامبراطور صحراء صعبة حيث قاسى كثيرا من
المشاق ومن الجوع والعطش ، اخيرا وصل الى ارض منبسطة ،
وكانت محصنة ومحمية ، وقد تكبد الامبراطور خسائر كبرى في
رجاله وفرسانه وعندما وصل الامبراطور الى هذا المكان ، ارتأى
الذهاب الى قونية ، حيث خيل اليه انه سيجد طريقا افضل لا يصد
فيه ، هذا ما فكر فيه ، فكر انه سيجد طريقا صالحا ، غير انه وجد
مصاعب جمة وغضائقات لا عد لها ولا حصر ، فمرارا لم يكن احد
يستطيع المرور لا على الأقدام ولا على ظهور الخيل ، ولهذا أمر
الامبراطور بتمهيد الطريق للمشاة ، كفا انه أمر بالقاء الخيول الميتة
في الممرات الصعبة لتكون جسرا للعابرين ، والذي حصل انه كما
أمر نفذت أوامره ، وبعدما عبروا هذا الممر الضيق والخطير بمعونة
الرب ، وصلوا الى قونية ، وهنا خرج حاكم قونية للتصدي لهم
ومعه جميع قواته ، ولقد فكر بعرقلة الطريق أمام الامبراطور
المذكور .

وعندما رأى الامبراطور أن قوات المسلمين كانت كبيرة وقوية ، رتب جنوده ورجاله للمعركة ، وكان ابنه فريديريك أمير سافوى في الساقة ، وكان رجلانين وشريفا يتمتع بشهرة عالية وبسمعة طيبة ، وكان أبوه يقف في المقدمة يتولى القيادة بحكمه ومقدرة ، واستطاعوا - بنعمة الرب - أن يهزموا صاحب قوניה ، وأتبعوا ذلك الاستيلاء على المدينة المذكورة ، وهرب الاتراك مع نسائهم وأولادهم ، وألت المدينة الى الامبراطور (في ١٨ - أيار ١١٩٠ ، وبعد خمسة أيام عقدت معاهدة للسلام مع صاحبها) .

٩٠ - بعد أمد قصير من استيلاء الامبراطور فريديريك على مدينة قونية ، عقد حاكمها هدنة مع الامبراطور حتى أنه وضع نفسه تحت امرته وأعطاه رهائن مناسبة ضمانا للهدنة ، وزوده بكميات من الأغذية والعتاد ، كل ذلك حتى يثبت له إخلاصه وحسن سلوكه ليتسلم منه مدينة قونية ويستردها لحكمه ، والتقى الامبراطور بهذا الحاكم واستمع الى كلامه وأعجب به ، ولأن اهتمام الامبراطور كان مصروفا باتجاه مملكة القدس ، فقد أعلن عن توصله الى عقد هدنة مع حاكم نيقية ، على أساس تسلمه منه رهائن من عليا القوم ، وأبرمت الهدنة حسب شروط التفاوض والاتفاق ، وأقسم حاكم قونية على التمسك بشروط الهدنة وكذلك فعّل الامبراطور ، وفقا لما جرت عليه العادة بين الساسة الحكام ، وما أن أبرمت الاتفاقية حتى خرج الامبراطور من مدينة قونية ومعه جميع رجاله ، وتمركز أمام المدينة ، فعلى هذا تم الاتفاق حسبما ذكرنا ، ولقد حصل رجالنا على الاموال والاعتقة والأشياء التي كانوا بحاجة اليها ، وقد حصل هذا كله في شهر حزيران

٩١ - واستمعوا الآن لما سأحدثكم به ، عما فعله الألمان بالأتراك بعدما جرى اعلان الهدنة مع صاحب قونية واستلام رهائنه ، وشعر الألمان أن لا قانون يلزمهم ولا رادع لكونهم في موقف القوة ، مع أنهم اعتادوا عندما يكونون في موقف صعب على ملازمة الحق واعتبار جميع الناس أصدقاء لهم طيبون ، المهم أنهم

الآن وجدوا أنفسهم في موقف القوة لذلك بدأوا يسببون الأضرار للمسلمين الاتراك وأخذوا في ازعاجهم ، ولأنهم وجدوا أنفسهم في موقف قوة تصرفوا بشكل فوقى فكانوا يأخذون المؤن ويستولون على كل شيء كانوا يجدونه في السوق من دون أن يدفعوا ثمنهم ، وإذا حدث وطالبهم بعض الناس بدفع ثمن الأشياء التي أخذوها ، كانوا يعرضونهم جميعا للموت ، وتم اطلاع حاكم قونية على الطرائق التي يعامل بها الألمان رجاله ، فبادر الى ارسال وفد من عنده لاطلاع الامبراطور على الأمر ، غير أن الامبراطور لم يقدم على تغريم أحد من أتباعه ولم يعاقب أحدا أبدا من الذين أساءوا الى المسلمين ، وعندما ازدادت الشكوى وعم الضجيج من تصرفات الألمان الذين لم يراعوا مطلقا بل ساءت تصرفاتهم أكثر من ذي قبل ، هنا خاف حاكم قونية من أن يحدث له أسوأ مما حدث من قبل ، لهذا أمر رجاله بالاستعداد بالخيول والسلاح للملاحقة جنود الألمان ، والسعي بشكل خاص للثأر من الجرائم التي اقترفتها امبراطور الألمان ورجاله بحق المسلمين .

وتابع الامبراطور سيره ومع جميع الرهائن الذين أخذهم من حاكم قونية ، وتوجه مباشرة نحو أرمينية ، وهو يخيل اليه أنه في أمان يتمتع بشروط الهدنة التي عقدها مع حاكم قونية ، غير أن هذه الهدنة لم تدفع كثيرا ، لأن حاكم قونية قام بالانقضاض عليه من دون اعدار ولا انذار ، فهذه عاة المشاركة عندما يرون أن من المناسب لهم خرق الهدنة .

على هذا عندما تحرك الامبراطور مطمئنا يريد الوصول الى ارغينية خرق الحاكم المذكور الهدنة وحدث بالوعود التي تعهد بها ، ولم يحافظ على يمينه الذي أقسمه ، فلقد اتفق مع الامبراطور وتعهد له ألا يلحق أحد من رجاله أبى ضرر بجنود الامبراطور المذكور ، ومهما يكن من أمر ، لقد جمع هذا الحاكم جنوده جميعا ، وبدأ بخرق الهدنة التي تعهد بها ، وأقسم اليمين على

رعايتها ، فكان في كل يوم يهاجم جنود الامبراطور ، ولهذا لحق رجال الامبراطور - مرارا وتكرار - الكثير من المضار والانزعاج .

وعندما وجد الامبراطور أن المسلمين كانوا يتآمرون عليه وينقضون على قواته بشكل أخذ يزداد كل يوم - استدعى اليه قواده الحكماء والاشداء وأوصاهم باليقظة والانتباه ، ووقف الامبراطور في المقدمة وتولى ابنه رعاية الساقة وقيادة قواتها ، وهكذا دافع الامبراطور بكل انتباه وحذر عن رجاله ، ومع هذا كان المشاركة ينقضون مرات عديدة على رجال الامبراطور فيأسرون منهم ويقتلون ، وكانوا ينفذون عملهم هذا بكل دقة ، ومع هذا استمر الامبراطور يدافع عن رجاله الذين حشدتهم ولملم أطرافهم بكل مهارة ، وبهذه الوساطة وهذا النظام قاد الامبراطور رجاله المشاة والفرسان بدون توقف وبدون استراحة ، فقد سار بهم ليلا ونهارا ، وبوساطة هذا الجهد المضني وصلوا أخيرا الى أرض أرمينية ، فهناك شعروا أنهم باتوا بأمان .

٩٢ - وعندما وجد الامبراطور أن السلطان لم يحافظ على عهده وحذث بأيمانه ، لم يسرح له رهائنه ، وأخذ بعد هذا بقطع رؤوسهم في عدة أمكنة ، فقد ألحق السلطان يجنوده المضار وقتل بعضهم ، ومن هؤلاء كان (غودفري) أسقف وورزبرغ ، وكان رجلا حكيما ، من أصل نبيل ، وكان أيضا خطيبا مفوها وأديبا رفيعا ، وقد عمل مستشارا للامبراطور ، وكان هذا الأسقف يشجع المسيحيين بغضاته المدسة ، وبنصائحه القيمة ، ويعززيهم ويخفف عنهم بأن المساويء التي كانوا يتحملونها كانت في سبيل الرب ، ومن أجل التكفير عن خطاياهم .

٩٣ - وعندما وصل الامبراطور الى أرمينية كان يحكمها أمير اسمه لاون (الثاني) الكبير ، وكان قد توج آنذاك ملكا على أرمينية ، وكما حدثناكم من قبل جعلت الشهرة الكبيرة التي رافقت مجيء الامبراطور المسلمين يخافون ، ولهذا تخلى النين كانوا

يسيطرون على قلعة بغراس عنها ، وهذه القلعة كان قد استولى عليها صلاح الدين بعد استيلائه على مملكة القدس ، وعلم فاوق دي بوليون ابن عم لاون بأن المسلمين قد أخذوا قلعة بغراس فدخلها وسيطر عليها وحكمها عدة سنوات .

وفي هذه الآونة حارب لاون الأمير بوهيموند (الرابع) وذلك بعد موت أبيه ، وكان سبب الحرب بينهما من أجل روبن بن بوهيموند (الثالث) وحدث آنذاك أيضا أن طالب فرسان الداوية بهذه القلعة (بغراس) لأنها كانت تخصهم ، وقد حاصروها في إحدى المرات بأمر من البابا انوسنت ، وعقد لاون اتفاقية مع رجال الداوية وعدهم فيها أنه عندما سيستولي على أنطاكية وينتزعها لصلاح ابن اخته روبن (ريموند روبن ابن اليس الأرمنية وابن اخت لاون الثاني) سيعيد اليهم هذه القلعة ، وهكذا عادت القلعة بنعمة من الرب إلى المسيحيين ، وسعيدها لاون بدوره إلى فرسان الداوية الذين كانوا يمتلكونها من قبل ، وهذا ما سأشرحه لكم فيما بعد .

٩٤ - في فصل الصيف ، عندما كانت الشمس حارة والناس منهكين من شدة الحرارة ، في ذلك الوقت وصل الامبراطور فريدريك مع قواته جميعا إلى أرمينية (دولة أرمينية الصغرى في كليكية) ، وهناك كانوا بأمان أكثر مما كانوا عليه من قبل ، لأن سلطان قونية قد تخلى عنهم وعاد إلى بلاده ، وعسكر الامبراطور عند أول أرمينية على ضفة نهر قرب قلعة سلوقية التي تسيطر على مجرى نهر السن (غوك سو) حيث غرق بربروسا .

وكان صاحب أرمينية قد توجه للاقاء الامبراطور عبر بلاده وذلك ليرحب به ويسلم عليه ، غير أنه لم يستطع الوصول إليه لكثافة عدد الجنود وازدحامهم الشديد ، وكان هذا الازدحام على جنبى توجب عليهم عبوره ، وعندما أخفق لاون في العبور إلى الامبراطور أوفد إليه رجلين من الأعيان في بلادش ، وكانا أخوين يدعى أحدهما كوندستازس ، والآخر بلدوين دي كمرييس سيواس ، ووصل هذان

- ٣٨٨٠ -

الرجلان الى معسكر الامبراطور الالماني ، وأبلغا باسم سيدهما
لاون بالتحيات وأنه أرسلهما الى الامبراطور ليرشدها الى الطريق
الى منخل أرمينية ، وأصطحبهما القسامة الالمان الى
الامبراطور ، وعندما مثلا في حضرته انحنيا أمامه وأبلغاه برسالة
لاون .

وتلقى الامبراطور بسرور بالغ ما بعث به لاون اليه ، وسأل
مبعثيه عما اذا كانا يعرفان طريقا آخر غير طريق الجسر يمكن
العبور عليه بدون صعوبة ، فأجاباه بالإيجاب وقالوا من الممكن عبور
النهر « لان النهر صغير سهل العبور وليس كبيرا » فامتطى
حصانه ومعه فريدريك ابنه أمير ساقوى (سوابيا) وقالوا
له : « دعنا يا مولاي نعبّر الى الضفة الثانية أمامك لذلك على
الممر ، ونقودك الى المخاضة من حيث تستطيع أن تعبر
بأمان » ، وأوعز الامبراطور اليهما ان يعبرا أمامه ، فعبرا أمامه
الى الضفة الثانية ثم عادا ليسيرا خلفه ويرشدها فأمرهما بأن يعبرا
مع ابنه الأمير ، ففعلا ثم عادا الى الامبراطور ليرشدها ، وهكذا بدأ
الامبراطور بعبور النهر والفرسان الارمينيون أمامه والرجال
الآخرون من حوله وأمامه وخلفه ، وعندما أصبح الامبراطور في
وسط النهر كبابه فرسه الذي كان يمتطيه فتقنطر عن ظهره وسقط
في النهر ، واشتد الحرارة التي قاساها ولبرونة الماء الشديدة حيث
وقع ، فقد قوته ، ولم يملك نفسه فعجز أن ينجو ، وتيبست عروق
جسمه فغرق ، وتقهقر رجاله ودبت فيهم الفوضى حتى أنهم لم
يستطيعوا أن يجتمعوا لايجاد وسيلة يستطيعون بها انقاذ سيدهم .

٩٥ - وتكبدت المسيحية خسارة عظمتى بوفاة سيد كبير
وقهير ، جاء ليسترد أرض مملكة القدس المباركة بكرامة
وتقوى ، فمن الذي يستطيع أن يروي أو أن يصف الام السائة الذين
جاءوا معه وبكائهم عليه ، فلقد تحسر الفرسان وتألوا والناس
جميعا لفداحة الخسارة التي لحقت بهم بوفاة سيدهم بسرعة

خاطفة ، وفيه تحقق مادون في كتاب سليمان : « جعلوك سيدا ، فكن أيضا مثل واحد منهم » .

هذا الذي كان امبراطورا عظيما تواضع في قيادة الفرسان المسيحيين ، فهو الذي كان الناس من الفقراء يعدونه أخا لهم ، لقد كان مثله مثل وربة المحبة ذبلت في طريقها وذوت ، فهو لم يذهب من الحاضر حتى أنهكته المتاعب ، ولأنه كان متواضعا وطيبا وتكبد المسيحيون خسارة كبرى بوفاته ، وحصل هذا كله وحدثت هذه الواقعة في يوم أحد كان هو الخامس عشر من شهر آب لسنة ١١٩٠ لتجسيد يسوع المسيح ، وأخرج جسمانه من النهر ثم حنط وكفن كما يليق به كامبراطور ، ثم نقل الى مدينة أنطاكية حيث دفن في كنيسة القديس بطرس وسط حزن شديد ، قرب ضريح أدهمر أسقف لى بوي ، والى اليمين من ذلك المكان عثر على الحربة التي حملها لونغيس بعدما انتزعها من جسد مولانا يسوع المسيح على جبل الجلجلة .

٩٦ - وسأحدثكم الآن عن السبب الذي دفع به للأقدام الى الأرض المقدسة ، فهو عندما كان امبراطورا في ألمانيا ، جاء اليه أحد المنجمين ليقدّم استشارته ، فقد كان الامبراطور عالى الثقافة كثيرا ، لهذا كان بعض رجال الاكليروس يأتون اليه ليستشيروه وليسألوه رأيه أحيانا حول بعض القضايا البينية والإلهوتية التي كانوا يتناقشون حولها ، وكان يستدعيهم اليه كلما راق له الحال ، فيتحدثون حوله فيفيدهم كثيرا بنصائح ، لهذا كانوا يمدحونه كثيرا ، وقد سأل في أحد الأيام منجمه عن شكل الموت الذي سيلقاه ، فطلب منه المنجم بعض الوقت حتى يتمكن من اجابته على سؤاله ، ومنحه الامبراطور المهلة التي أراها ، وبعد انقضاء المهلة جاء المنجم الى الامبراطور وقال له : « مولاي يناسبك أن تموت في الماء » .

وحفظ الامبراطور هذا الكلام في قلبه ، ولم يذسه أبدا ، وعندما

غدا صليبيبا تذكر كلام المنجم ولهذا عبر البحر وجاء الى الأرض ، وكانت معجزة كبرى عندما لم يغرق أحد ممن عبر النهر سوى الامبراطور ، فهو وحده الذي سقط وغرق ، والندهش أنه تخلص من خطر البحر الذي اجتازه ، وواجه هذا الخطر في النهر .

وقام صلاح الدين لشدة خوفه من قدوم الامبراطور فأمر بتدمير اسوار اللاذقية وجبله وجبيل وبيروت وجميع المدن الأخرى الكائنة على شاطئ البحر حتى لا يستولي عليها المسيحيون ، ولخوفه من مرور الامبراطور فعل هذا كله بالمين والقلاع لئلا يأتي الامبراطور اليها ويستولي عليها ويحصنها ، ثم يلتفت بعد ذلك الى تكبيد المسلمين الخسائر ، ولهذا دمر - كما قلنا - صلاح الدين المدن والقلاع القائمة على شاطئ البحر .

٩٧ - بات جيش الامبراطور الكبير بدون قائد بعد وفاته ، ولهذا تشتت في عدة أماكن مثل قطيع بلا راعي ، وعندما وصل فريديريك أمير سافوى ابن الامبراطور الى سهول أرمينية كان مصابا بمرض شديد ، واشتد مرضه لم يستطع الصعود إلى الجبل ، ذلك أن سهول أرمينية حارة في الصيف ومغلقة ، في حين كان الجبل رطباً وصحياً ، ولذلك اعتاد سكان البلاد على الصعود الى الجبل حيث كانوا يمكثون هناك أيام اشتداد حرارة الصيف من بداية شهر حزيران حتى منتصف شهر ايلول ، فمنذ ذلك الحين كانوا ينزلون الى السهل لأن الأرض تكون معتدلة وأقل انغلاقاً .

ونقل الأمير الى أنطاكية كما هو في حالته المرضية ، وجاء معه قسم من الجيش ، ووجد هؤلاء الراحة في أنطاكية بعد الأشغال القاسية والمأسي التي عاينوها ، فأخذوا يأكلون هناك ويشربون حيث استقبلوا في أنطاكية بكل حفاوة .

وبعد وفاة الامبراطور وزوال وعثاء السفر ، بدأ بعض فرسان ألمانيا والناس الذين هربوا من حطين والقدس بالتجمع ، وساروا

مع الأمير الألماني الى عكا (وصل فريدريك دي سوايبا الى عكا في ٧ - تشرين أول ١١٩٠ توفي في ٢٠ كانون ثاني ١١٩١) وقد مات هذا الأمير نفسه في عكا بعد الاستيلاء عليها بعدما أدخل الى بيت الألمان ، وفي ذلك الوقت لم يكن بإمكان اسبتارية الألمان الاحتفاظ بالمرضى لأنه لم يكن لهم مشفاهم الخاص بعد ، فقد ادعى أصحاب مشفى القديس يوحنا (الاسبتارية) بأنهم وحدهم فقط يمتلكون من روما حق اقامة مشفى في عكا ، ولا يجوز لأحد أن يكون لديه مشفى إن لم يكن من أتباعهم ، ولهذا عندما كان يموت واحد من الرجال العظماء في مدينة عكا ، حتى وإن كان في بيت الألمان ، كانوا يأخذونه ليدفونه في مقبرتهم ، ولهذا السبب طلب هذا الأمير في أواخر أيام حياته من الألمان ألا يكرموه كثيرا عند موته ، وأن يدفونه في قبر متواضع بين قبور الفقراء ، لأنه كان يعرف بشكل مؤكد أن أصحاب مشفى القديس يوحنا سيعملون على تكريمه بالقوة ، ولهذا فضل الدفن في مكان متواضع .

وما أن توفي حتى جاء أصحاب مشفى القديس يوحنا ليطالبوه لكنهم لم يجدوه أبدا ، ولم يستطيعوا معرفته بين الأموات ، وفي ذلك الوقت لم يخش اسبتارية الألمان من هذا الأمر كثيرا ، فاللباس الذي كانوا يرتدونه تحت معطفهم لونه أحمر مع نصف صليب أسود ، أما الرهبان الفرسان فكان معطف كل منهم من الصوف (المصنع في استامفورد في انكلترا) ولم يتجرا الفرسان على ارتداء المعطف الأبيض إلا في جيش دمياط ، فيومها كان المعطف أبيض والصليب أحمر (استولى الفرنسيون على دمياط في ٥ تشرين ثاني ١٢١٩ وأرغموا على اعادتها الى السلطان في نهاية شهر آب ١٢٢١) .

وطالبهم اسبتارية القديس يوحنا بعدما توفي مقدمهم بتعيين مقدم جديد لهم ، وهكذا توجب على الأعيان والرهبان اختيار مقدم لهم ، وطالب أصحاب مشفى القديس يوحنا الألمان بأن يكون المقدم منهم ، وهذا محاولوه هذه المرة ، غير أن الألمان رفضوا طلبهم

وأعلموهم أنهم لن يعطوهم أعيانا آخرين من أجل اختيار مقدم لهم ، وهكذا نشب الخلاف فيما بينهم .

٩٨ - ودفن الألمان فيما بعد الأمير في بيتهم ، ولأجل دفنهم له على هذه الصورة كوفئوا مكافأة عظيمة ، وشهد كثير من الناس بكفاءة الأمير ومهارته وخاصة أنه كان مائزاً في ريعان الشباب .

وبعدما سمع الألمان ب وفاة الامبراطور فردريك توجهوا ابنه البكر هنري الذي كان ملك ألمانيا ، توجهوا امبراطورا ، وتولى تتويجه البابا كلستين ، الذي كان يشغل في ذلك الوقت الكرسي الرسولي في روما (انتخب كلستين الثالث بابا في ٣ آذار ١١٩١ ، وهو الذي تزوج هنري السادس في ١٥ نيسان ١١٩١ ، أي توجه غداة انتخابه بابا) ، وتزوج الامبراطور هنري (السادس) من كوستانس عممة النبيل وليم صاحب صدقية ، الذي كانت المملكة من حقه بعد وفاة ابن عمه ابن أخي الملك وليم ، لأن هذا الملك قد توفي بدون وريث ، ولهذا خلفه الامبراطور السالف الذكر فردريك (الثالث) الذي غدا فيما بعد امبراطورا وملكاً لصدقية .

ولنعد الآن الى موضوعنا لنحدثكم عن ملكي فرنسا وانكلترا ، وعن الحرب التي كانت أن تنشب بينهما ، وهي التي كانت بسبب رتشارد كونت بواتيه ، وكان للملك هنري أربعة أولاد وثلاث بنات من المملكة اليانور ، التي كانت من قبل زوجة لويس ملك فرنسا ، وكان ابنه البكر يدعى هنري وهو الذي تزوج من أخت فيليب ملك فرنسا ، وهي ابنة ملك اسبانيا (هي مرغريت ابنة لويس السابع من زوجته كذستانس ابنة ألفونسو ملك صدقية) وكان الولد الثاني يدعى رتشارد ، وهو الذي أعطى إمارة بواتيه ، وكان الولد الثالث يدعى جفري ، وهو الذي أصبح أمير بريتاني ، وكان الولد الرابع يدعى يوحنا سان تيرا ، ومن بناته الثلاث أعطى أحدهن للملك ألفونسو صاحب كاستيلا ، ومنها ولدت الملكة بلانشي (اليانور قد تزوجت من ألفونسو الثامن ملك كاستيلا

وابنتها بلاذشي تزوجت من لويس الثامن وهي أم القليس لويس التاسع (وتزوجت الابنة الثانية من أمير سكسونيا (هي ماتيلدا زوجة هنري الأسد أمير ساكسونيا) وتزوجت (جوانا) الابنة الثالثة من وليم ملك صقلية ، ويروى أن يوحنا الذي أصبح فيما بعد ملكا لانكلترا قام باغراق أولاد أخيه جفري .

٩٩ - مات الكونت هنري ابن الملك هنري ، وبعدها حدث ذلك جرى في تلك الأثناء تعذيب القليس توماس الشهيد ، وأعقب ذلك أن الملك أراد أن يتزوج ابنه الصغير يوحنا ملكا ، وعندما سمع بهذا الخبر الكونت رتشارد انزعج كثيرا ، وقصد فيليب ملك فرنسا وخاطبه بقوله : « مولاي بـودي أن أعلمك أن والذي يريد أن يحرمني ، ويقترف خطأ فقد رأى تفضيل أخي الأصغر علي وتتويجه ملكا ، وذاك تعلم تماما أنني رجلك المعتمد ، (في تشرين الثاني ١١٨٨ أدى قسم الولاء لفيليب أغسطس فتكرم عليه فأعطاه جميع الأراضي التي كان يملكها في فرنسا) لذلك أرجو أن تساعدني بالحصول على حقي ، ووعد الملك بكل ضرور أن يقدم له المساعدة ، وبناء عليه حشد جنوده وساقهم فدخل بهم إلى الأراضي التابعة لسيطرة الملك هنري فيما وراء البحار ، فاستولى على مانس وتوروشيزون ، وحولها إلى رتشارد ، وعندما سمع الملك هنري أن الملك فيليب انتزع منه الأراضي التي كان يملكها فيما وراء البحر ، جمع جنوده ، وعبر البحر وساق حتى وصل إلى المنطقة التي تُسكن فيها الملك فيليب ، وفيما الجيشان يستعدان لاندشاب القتال ، وصل رسل الكرسي الرسولي يحملون الرسائل والأخبار عما حدث في أرض القدس التي خسروها ، ولم يسترد الملك هنري أراضيه من الملك فيليب ، وفي الوقت نفسه ترك على العرش ابنه يوحنا ، ولم يبلغ تتويجه وعاد الملك هنري إلى انكلترا ولم يلبث أن مات نتيجة الحزن والألم لخسارته أراضيه وأقرن وتركها لها لصالح ملك فرنسا ، وكانت هذه الأراضي غنية ، واثر هذا جاء ابنه رتشارد إلى ملك فرنسا وشكره على الأراضي التي سلمه إياها في

بلاد ماوراء البحر ، وأقسم أنه سيتزوج أخته (اليس دي فرانس) بعدما يتزوج ملكا في لنن .

١٠٠ - وذهب رتشارد الى ملك فرنسا طواعية وبسيط خاطر ، وأخذا يتداولان حول تحديد الموعد لتحركهما والذهاب في سبيل استرداد مملكة القدس ، وحدد له ملك فرنسا يوم الاثنين الاول بعد عيد القديس يوحنا من سنة ١١٩٠ لتجسيد يسوع المسيح ، ومن هناك سافر رتشارد الى لنن حيث تــــــزوج ملكا (في ٣ - ايلول ١١٠٩) وبعدما استولى على المملكة سحب حاشيته وجاء الى فرنسا الى عند الملك فيليب ، وعندما جاء الى فرنسا توسل الى الملك وطلب منه مايلي قائلا : « مولاي ، بودي أن أذكرك أنني رجل شاب ، وقد توجت من جديد ملكا ، ثم ركبت هذا الطريق - كما تعلم - للذهاب الى ماوراء البحر ، وبرضاك أريد أن اتوسل إليك أن تؤخر لي هذا الزواج حتى عودتي من وراء البحر ، وأقسم لك بأنني سأتزوج من أختك خلال أيام من عودتي » ، وصدق الملك كلامه ، وتلقى بكل سرور هذا الاقتراح وأعطاه المهلة التي طلبها ومن ثم التزما بالصمت .

١٠١ - وأعد فيليب ملك فرنسا عدته للجواز من غنز ، أما ملك انكلترا فقرر السفر من مرسيليا ، وذلك يوم القديس يوحنا ، وذهب ملك فرنسا الى سانت نيدس للإستراحة والاستجمام ، والى هناك وصل اليه رتشارد ملك انكلترا (في ٢٤ - حزيران ١١٩٠) وتبادلا الأيمان في أن يكونا رقيقين مخلصين ، وأن يحملوا الأيمان والكرامة وأن يكن كل واحد منهما للآخر الاحترام ، وذهب ملك فرنسا الى غنز ، كما ذهب رتشارد الى مرسيليا حسبما كان مقررا ، وفي تلك الاثناء تحرك العديد من كبار رجال فرنسا لمرافقة الملك ، وكان منهم فيليب دي فلاندرز ، وهنري دي شامبين والأمير ثيبوت دي بلوا والأمير استين دي سانكوري وشيوج أمير بورغون وفيليب أسقف دي بوفو ، ووليم دي باري مع عدد كبير آخر من الفرسان ، وأعداد غفيرة من

النبلاء ، وكان ملك فرنسا ابن من الملكة ايزابييل ، التي كانت ابنة كونت هينوت (ايزابييل هي ابنة بلدوين الخامس كونت هينوت ، وهي أم ملك فرنسا المقبل لويس الثامن الذي ولد سنة ١١٨٧) وقد ترك ملك فرنسا ابنه لحماية المملكة ، وترك معه عمه وليم رئيس اساقفة رينز ، والكونت ريندوي بونثيو (الحقيقة أن كونت بونثيو حمل الصليب في الوقت نفسه الذي حملة فيليب أوغسطس ، وكان اسمه جان وقد مات في أثناء حصار عكا) .

وعندما وصل الملك الى غنز شحن سفنه وأعد مراكبه الحربية ، ومثله فعل الملك رتشارد في مرسيليا ، وأقلع ملك فرنسا مسافرا يريد الأراضي المقدسة ، ومنذ اقلاعه من غنز رافقته أنواء سيئة وظل هكذا حتى وصل الى مسينا (في ١٦ - ايلول ١١٩٠) وقد أصيب بخسائر كبيرة ولحقته أضرار جمة في السفن والعتاد ، وذلك كله بسبب سوء الأحوال الجوية ، وعندما سمع الملك تانكرد أن ملك فرنسا وصل الى بلاده ذهب الى استقباله ، فرحب به بكل حرارة ووضع تحت تصرفه مملكة صدقلية بأكملها ، وقال له كل شيء في المملكة سيكون وقفاً على أراذك وسرورك ، ورجاه أن يمكث في بلاده ما شاء من وقت.

ولما رأى الملك ما حل بعتابه وسفنه من أضرار رأى عين الصواب في نصيحة الملك تانكرد فمكث بعض الوقت في صدقلية ، وفي تلك الأثناء كان الملك رتشارد قد تحرك من مرسيليا ، وعندما وصل الى جزيرة صدقلية فكر بالذهاب لرؤية أخته الملكة جوانا ، التي كانت زوجة الملك وليم ، واستهدف أيضا أن يسأل فيما اذا كان ملك فرنسا قد وصل الى هناك ، وهكذا عندما اقترب من جزيرة صدقلية سأل عن أخبار وصول ملك فرنسا اليها ، ف قيل له نعم وصل وهو مقيم في مدينة بلرم (في الحقيقة كان في مسينا ، وكان تاريخ وصول الملك رتشارد ٣ - ايلول) المدينة الرئيسية لمملكة صدقلية ، ذلك أن فيها أغنى القصور في العالم وأفخمها . ففي هذه المدينة أقام ملك

فرنسا ، فقد افرغ الملك تانكرد أحد القصور ووضع تحت تصرفه
تشريفا له .

١٠٢ - وعندما علم رتشارد ملك انكلترا أن ملك فرنسا كان
مقيما في بلرم فرح فرحا عظيما ، وأمر رجاله أن يجدوا لأنفسهم
مقرا هناك ، فهو قد عزم على البقاء هناك مع الملك حتى يذقني
الشتاء ، ولهذا جرى اعفاء الفرسان والجنود من مهامهم ، وبدوره
عندما سمع ملك فرنسا أن ملك انكلترا قد وصل الى هناك فرح كثيرا
وجاء للإقائه ، فابتهج الملكان معا وسر كل واحد منهما
بالآخر ، وتولدت محبة كبيرة بين كل من ملك فرنسا وملك انكلترا في
تلك الاثناء وأقسما لبعضهما الايمان بأن يظلا رفيقين مخلصين
دوما ، وأن يحمل كل واحد منهما للآخر المشاعر الطيبة والثقة
الغالية والايمان المتبادل ، ولم أعرف من قبل من الذي بدأ الحرب
فيما بينهما ، أعني بين الاثنين ، لأنه نجمت خسائر كبيرة ووقعت
مضار عظيمة منذ أن نشبت الحرب بينهما ، بيد أنهما عندما سافرا
الى بلاد ماوراء البحار واتجها نحو أرض الميعاد كانا صديقين
حميمين الواحد منهما للآخر ، وكان الواحد منهما يدعو الآخر
« ياسيدي » ولو دام حبهما لبعضهما لازدادا شرفا مع الأيام
ولانتشرت الديانة المسيحية المقدسة بهما ، وستجدون في هذا
الكتاب خبر من بدأ الحرب بين الملكين .

وبعدما سلم ملك انكلترا على ملك فرنسا وتبادلا التحيات تقدم
تانكرد ملك صقلية من ملك انكلترا ورحب به وأحسن استقباله ودعاه
للإقامة في القصر نفسه في بلرم حيث أقام ملك فرنسا ، ذلك أن
القصر كان كبيرا ومتسعا ، وبإمكان الملكان الإقامة معا ، وعندما
سمع ملك انكلترا أن ملك فرنسا قد أقام في القصر ، وأن الملك
تانكرد يعرض عليه الإقامة معه شكر الملك تانكرد شكرا
كثيرا ، وقال له بأنه لا يرغب في أن يضايق ملك فرنسا في
إقامته ، وهكذا افضل الإقامة في مكان آخر ، وظل ملك فرنسا مقيما
في القصر ، كما ذكرنا لكم ذلك من قبل ، لكن ملك انكلترا فضل

الاقامة في ضاحية المدينة ، ولهذا سبب آخر لأنه كما قال كان يعرف
أن الفرندسيين متكبرين متعجرفين ، والانكليز حملان
متواضعين ، فهو قد أثر الإقامة بعيدا عن ملك فرنسا حتى لا يكون
هناك اختلاط وخلاف .

وبعد أن أقام الانكليز هناك حدث تنافر بينهم وبين سكان
البلاد ، ولذلك نشب خلاف كبير بين رجال ملك انكلترا ورجال الملك
تانكرد ، أدى الى الحرب بينهما ، ولهذا السبب تحصن الملك في
القلعة بعض الوقت ، وأغلقها على نفسه ووضع عليها الرذك
الملكي (الغرين) الانكليزي ، وذلك بسبب الحاجة والضرورة
ولانقلاب رجال البلاد ضده ، وعندما رأى الملك تانكرد أن الملك قد
أغلق هذه القلعة عليه ، وتحصن بها جاء لتقديم العون له والتفريج
عنه ، ثم أقنع رجال الشعب الذين شككوا بأن يقدموا له
الغفران ، واستقبلهم الملك بسرور وتمت المصالحة وبساتوا في
سلام ، وقد ظلوا هناك حتى شهر آذار .

١٠٣ - ونهب الملك رتشارد لزيارة أخته جوانا ورؤيتها
، ففرحت به فرحا عظيما ، وسرت كثيرا لقدموم أخيها وزيارته
لها .

وكان الآن قد انقضى على حصار عكا وتطويقها سنة ، وتوجه الى
عكا للمشاركة في الحصار وعبر قبل عبور الملكين كل : من الكونت
هنري (دي شامبين) والكونت ثيبوت (دي بلوا) والكونت استين
دي سانكوري وفيليب اسقف دي بوفو ، ووصلوا الى عكا وقدموا
المساعدات وآلات الحصار ، وهذه الآلات كانت مما جهزه ملك
فرنسا ووصل قبل عبوره ، وقام الكونت بتقسيم المساعدات التي
جلبها ، وحالما وصل ملك فرنسا وجه هنري آلات الحصار نحو سور
مدينة عكا والصقها به .

وكان الجيش قد عانى من غلاء عظيم حتى أن المكيا الواحد من

القمح بات يباع بثلاثين بيزننته ، ومكيال الطحين بستين ، ولم يتوفر لحم البقر ولحم الغنم ، وكانت البيضة الواحدة تباع بأحد عشر ديناراً ، وكان أفضل لحم يأكله الجنود هو لحم الخيول أو البغال أو الحمير ، وكانت المجاعة كبيرة وشاملة قاسية حتى أن الفقراء كانوا إذا ما وجدوا حيواناً ميتاً أكلوه بنهم ، وبدأ الجنود بعد مجيء كونت شامبين يصرخون بالشكوى لعدم توفر المؤن لديهم ، وأخذوا يعلنون ندمهم للإنسان وكبار القادة الذين شاركوا بالحصار ، ووجهوا اللوم إليهم ، واتهموهم بعدم الرغبة بالزحف ضد صلاح الدين وحربه ، ورأى الأشراف والنبلاء بدورهم أنهم لن يستطيعوا حرب صلاح الدين ما دامت مدينة عكا تحت سيطرة المسلمين .

وفي داخل المعسكر لم يعد الفرسان يتجراون على التحرك من مكان إلى آخر ، لأن كل واحد منهم بات عرضة للاشتيم والاهانة بالكلام ، فقد تمرد الجنود والسيرجانية على الفرسان ، واعتقدوا أنه لا قيمة للفرسان وأنهم لم يعودوا بحاجة إليهم ، وخيل إليهم أن بإمكانهم لوحدهم خوض الحرب ضد صلاح الدين ، وأنهم ليسوا بحاجة إلى مساعدة الفرسان .

وطلب السيرجانية من الملك والبارونات مراراً وتكراراً بأن يسمح لهم بالخروج من المعسكر ، وعندما وجدوا أنفسهم غير قادرين على اقناعهم أو إجبارهم أعلنوا أنهم سيخرجون ولو قاد ذلك إلى هلاكهم فهم إذا جاء الخير أو الشر سيفرحون كثيراً ، لأن الأمر سواء عندهم ، وهم أيضاً مدركون تمام الإدراك أنه إذا ما حاق بهم سوء الحظ فلن يجدوا أحداً سيأتي إلى نجدهم .

وخرج السيرجانتية والجنود وزحفوا ضد المسلمين ، ولما رأى صلاح الدين أنهم خرجوا لوحدهم أفرغ لهم معسكره ، وما أن شاهد السيرجانية والجنود أن معسكر صلاح الدين قد أخلى أسرعوا إلى هناك مطمئنين واثقين ، وتركهم صلاح الدين حتى اطمأنوا وأكلوا

ونهبوا وتأكد في الوقت نفسه أنه لا وجود للفرسان بينهم ، وهنا انقض عليهم في مكان وقوفهم ، وقتل منهم أعداد كبيرة جدا حتى مات منهم الكثير الكثير ، فقد قيل أنه لم يفلت أحد من السيرجانتية ، بل ماتوا جميعا في فترة وجيزة .

ولقد تألم مولانا كثيرا للنازلة التي حلت بين صفوف السيرجانتية والجنود ، فقد انتقم من رعونة هؤلاء القوم الذين تمردوا على فرسانهم وسادتهم ، واثّر ذلك أمر صلاح الدين رجاله أن يقوموا بجر جثث القتلى ورميها في النهر ، وكانوا من الكثرة بمكان أن النهر فاض عدة أيام بدماء القتلى وجثثهم ، حتى أن الجنود لم يعد بإمكانهم شرب الماء منه ، وواقع الحال أن الضيق في معسكر المسيحيين كان في ذلك العام شديدا فوق حد الوصف ، وكذلك في معسكر المسلمين فللكثرة جثث القتلى ، انتشرت روائح البتن وكثر الذباب الى درجة بات من الصعب جدا البقاء في أماكن العسكرية هذه من الجانبين ، وحدث هذا في يوم عيد القديس جاك الموافق للخامس والعشرين من حزيران ، وماتت في هذا الفصل الملكة سيبيل ملكة القدس (في تشرين الأول ١١٩٠) وماتت ابنتاها أليس وماري ، ولم يبق لها ولد ، وهكذا انتقلت المملكة بحق الميراث الى ايزابييل زوجة هنفري صاحب تيرون ، وهي ابنة الملك عموري والملكة ماري .

١٠٤ - بعد وفاة الملكة سيبيل ، عرف الماركيز كونراد ، الذي كان مستوليا على مدينة صور أنه لم يبق للملكة القديس من وريث شرعي سوى التي تدعى ايزابييل التي ورد ذكرها من قبل ، ولطموح الذي توفر لديه بالحصول على المملكة اقنع الملكة ماري التي كانت والدة ايزابييل أن تثير دعوى ضد زواج ابنتها من هنفري ، وأن تحصل على موافقة الابنة على هذا التحرك الذي استهدف الطلاق ، وتكلمت الملكة مع ابنتها وحاولت اقناعها لتوافق وتعمل للانفصال عن هنفري من ثم الزواج من الماركيز ، غير أنها لم توافق على ذلك لأنها كانت تحب زوجها هنفري وهذا ما أزعج

أمها ، وقد بينت الأم لها مرارا السبب الذي يحول بينها وبين أن تكون سيدة المملكة ، وقالت : لن تصل الى ذلك ما لم تتفصلي عن هذفري ، وذكرتها بالآخطاء التي اقترفتها هذفري ، خاصة عندما أراد كونت طرابلس والبارونات الذين كانوا مجتمعين في نابلس تتويجها ملكة وتتويجه ملكا ، فهرب الى القدس وطلب المغفرة وقدم الولاء الى الملك والمملكة ، وأوضحت لها أنها ما دامت زوجته فلن تستطيع الحصول على المكانة والتشريف ونيلها مملكة ايها ، وزادت على جميع ما تقدم بقولها أنها عندما تزوجت لم تكن في سن الزواج ، ولهذا السبب يمكن الادعاء ضد الزواج القائم ، وبعد طول وقت وافقت على ما أرادت أمها ، والذي أرادته أمها هو الزواج من المركيز ، وكانت الملكة الأم تكره هذفري لسبب آخر هو أنه عندما تزوج من ابنتها بدأ يكره الملكة الأم ماري ، ولم يرد أن ترى ابنتها ، وكان يفعل ذلك بمشورة من أمه استيفاني التي كانت سيدة قلعة الكرك .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى غادر المركيز مدينة صور وجاء للمشاركة في حصار مدينة عكا وتحشد الى فيليب أسقف بوفو ، والى هيوبرت رئيس اساقفة بيضا ، الذي كان يحظى بمكانة عالية في كنيسة روما ، وطلب منهما المساعدة والمشورة للحصول على الزواج المرغوب ، وتمكن عن طريق اغداق العطايا والاموال من شراء ذمم عدد كبير من الناس وأفسد كثيرا من رجال الجيش بمنحه ووعوده ، وتمكن بشكل خاص من اتباع رئيس اساقفة بيضا وأعوان أسقف بوفو ، ورتب كل شيء وأعد الأجواء ، وهكذا عندما رفعت الملكة ماري دعواها ضد هذا الزواج ، تم الانفصال حالا وبدون معيقات ، وكانت مسوغات الدعوى التي رفعتها الملكة ماري ووضعها أمام رئيس اساقفة بيضا وممثل روما أن ابنتها لم يكن عمرها سوى ثلاث عشرة سنة عندما تزوجت ، وهي على هذا لم تكن في سن الزواج وقتذاك ، وبناء عليه تم استدعاء هذفري لسماع هذه الشكوى والاجابة عما لديه من معلومات ونفي هذا الادعاء حتى تبقى السيدة زوجة له ، فقال هذفري انه عندما ستلت السيدة وقتها

وافقت على الزواج ، وكان بين الشهود قساروراتي
شرايدار (اسمه سناس (غي الثالث دي سناس) فكذب هذيري
وتحده قائلاً : ان السيدة لم توافق مطلقاً على الزواج ، وكل ما فعله
الملك بلدوين (الرابع) كان ضد ارادة السيدة وأمها ، واذا كان
لديك شيئاً آخر تقوله فتبرهن به على صحة أقوالك وتدحض به
خصومك فهاته ، وشعر هذيري أنه قد طعن في الصميم ، ومع هذا
تراجع ولم يجرؤ على التحدي ، وقام النين أفسدتهم عطاءات
الماركيز فأشاروا على هذيري ونصحوه بفسخ هذا الزواج
والانسحاب منه ، واقتنعوه أنه لن يستطيع حكم الملكة ، وصعب
عليه الأمر كثيراً ، ومع هذا استمع الى نصائحهم ووثق
بأقوالهم ، وفسخ الزواج وانسحب منه .

١٠٥ - وقام رجل الدين البيزاوي المخول بفسخ الزواج وفصل
بين الزوجين ، ولو أنه أراد خلاف ذلك لم يفسخ الزواج
مطلقاً ، حيث لم يتوفر سبب كبير يترتب عليه فسخ الزواج ، ولكن
رجل الدين المخول نفذ الفسخ لصالح الماركيز ، لأن البيازنة هـ
النين اصطحبوا هذا الماركيز من القسطنطينية الى مدينة
صور ، وهم النين ثبتوه هناك ، وفكروا بالحصول على عرفان
للجميل وعطايا عظمى من مملكة القدس اذا ما امتدت أيام
الماركيز .

١٠٦ - لا يمكن لأي عمل جبار يبدأ تنفيذة بالخداع أن ينتهي
نهاية طيبة .

بعد تقييم هذه الحجج وسماع هذه الشهادات أمام رجل الدين
أحضرت الملكة ماري ابنتها لاستماع رأيها ولسماع قرار
الحكم ، وأعطى رجل الدين المذكور تخويلاً كاملاً وحرية مطلقة
للسيدة ، وأخبرها أنها تستطيع الزواج من أي شخص تريده وصدر
هذا القرار وفقاً لاحكام الناموس واراثة الرب ، والرب وحده يعلم
ذلك ، وهكذا لم تعد السيدة تحت سلطة البارون وولايته ، بل

أصبحت تحت ولاية الماركيز وسلطانة فقد تزوج منها بعدما صدر القرار بالفسخ .

وبعدما قدمت السيدة ايزابييل طالبت بالمملكة على أنها حبق لها ، وقدم لها البارونات الذين كانوا هناك الولاء ، واعتبروها الوريث الشرعي للمملكة ، وعندما استلمت حقها من الميراث تحدثت بحضور بارونات المملكة وقالت أنها منذ أن انفصلت عن زوجها الاول لم تتوفر لديها رغبة في أن تجرد من حقها بالميراث لا هي ولا ذويها واستطردت تقول : « انني استرد جميع الممتلكات التي منحها لي أخي (بلدوين الرابع) عندما تزوج مني (هنفري) ، أن هذا ما ينبغي أخذ العلم به ، وهذه الممتلكات : قلعة تيرون ، والقلعة الجديدة وجميع ماتحتويه وكل ما أودعه فيهما والذي وجدي » .

وبعد هذا الخطاب تزوج الماركيز من ايزابييل ، وقد قيل انه تزوجها حسب الايمان والشرع ، لأن زواجها الاول تم بشكل خاص ، بينما عقد الثاني في الكنيسة ، ولم تعد هذه السيدة لتكون ثانية تحت ولاية زوجها هنفري ، لأنها لم توافق مطلقا على الانفصال فيما بعد . ومرة ثانية لاشك أن مملكة القدس لم تعلم أنها تسير نحو الخطر والتقهقر بسبب هذا الحدث .

(نص مخطوطه فلورنسا)

وثبت ملك انكلترا مواعده قرب مسينا ، وشرع في وضع الرذك
(غريفن) الملكي الانكليزي على واحد من الابراج بكل هدوء ، وذلك
بأن عمل على احضار جميع رجال الحرف الى القلعة ، وقد وافق
ملك فرنسا على عمله هذا .

وهدف وصول ملك فرنسا الى عكا :

وامضى فيليب ملك فرنسا ورتشارد ملك انكلترا الشتاء في
صقلية ، وفي أثناء اقامة الملك رتشارد هناك رجا أخيه أن يبيع
ممتلكاتها وتذهب معه وتشاركه في مشروع الحج هذا ، وأقسم لها
يميناً تعهد فيه أنه حالما تعود معه الى انكلترا سيعيد اليها ثمن كل ما
باعته ، ويعوض عليها ما منحه اياه ، وسيزوجها بشكل رفيع
وبحفلة بهية جدا ، وأجابته بأنها توافق على مطالبه وتقبل بكل
اقتراحاته وبدون تردد ، وقد زوجها فيما بعد من الامير صنجيل وقد
انجبت له ولدا أصبح فيما بعد أميراً لكونتية سان جايل ، وذلك
بعدما عقدت معاهدة ألي جايوس (تزوجت جوان الانكليزية من
ريموند السادس كونت سانت جايل وطولوز - في تشرين أول
١١٩٦ ، ووقع فيما بعد ريموند السابع في سنة ١٢٢٩ معاهدة
ميوكس) .

وعندما حصل الملك رتشارد على موافقة أخيه على بيع
ممتلكاتها ، تحدث حول الموضوع مع تانكرد ملك صقلية الذي
اشترى هذه الممتلكات بكل طيبة خاطر بناء على نصيحة رجاله
ومشورتهم. وبعدما انقضى شهر أذار شحن ملكا فرنسا وانكلترا
سفنهما بالعتاد وبكل الاشياء المحتاج اليها ، وما أن فرغا من

الجهاز حتى حان وقت الاقلاق ، وتحرك ملك فرنسا فوصل الى عكا ، لكن ملك انكلترا لم يصل معه ، لان حادثا واجبه هذا الملك ، وهو ما ستعرفونه فيما بعد

وعندما وصل ملك فرنسا الى عكا استقبل هناك استقبالا مشرفا من قبل النبلاء الذين كانوا هناك ، فقد فرحوا بوصوله فرحا عظيما ، ذلك أنهم انتظروا هذا الوصول منذ زمن طويل ، وحالما وصل الى هناك امتطى فرسه ليستطلع المنطقة وليختار الجهة التي يمكنه منها الاستيلاء على المدينة بسهولة ، ثم أقام حول المدينة سواتر دفاعية .

١٠٧ - أمضى فيليب ملك فرنسا ورتشارد ملك انكلترا الشتاء في صقلية ، وكان الملك رتشارد بارعا ، ذلك أنه ما أن وصل الى هناك لم يتوان عن التوسل إلى أخته والطلب منها أن تبيع ممتلكاتها هناك ومن ثم الذهاب معه و مرافقته في حملته إلى الأراضي المقدسة ، وأقسم لها وتعهدها أنه عندما سيعود الى انكلترا سيعيد اليها كل ما تلقاه منها من ثمن أملاكها ، وأن يزوجهها زواجا راقيا وغنيا ، وأصبحت هذه السيدة الى نصيحة أخيها وأخذت بها ، ووافقت على ما اراده فباعت ممتلكاتها وأخذت اثمانها .

وفرغ الملك رتشارد كثيرا عندما خولته أخته ببيع أملاكها ، وكان قد تحدث من قبل مع الملك تانكرد حول موضوع بيع أخته لأملاكها ، واستشار الملك تانكرد رجاله فأشاروا عليه بالشراء ، وبناء عليه تسامم مع الملك رتشارد لشراء أملاك السيدة ، وحالما استلم الملك رتشارد المال من الملك تانكرد ، أسرع للسفر ، فأعد سفنه في أذار للعبور ، وأعطاه الملك تانكرد الكثير من المساعدات ، وكذلك أعطى ملك فرنسا ، وتحرك الملكان من هناك ، وتوجها يريدان المشاركة في حصار عكا ، ولم تتمكن جوانا ملكة صقلية وأخت الملك رتشارد من السفر مع أخيها الملك ، لوجود

مشاغل كثيرة توجب عليها انجازها فيما يتعلق بممتلكاتها ، ثم أنها ارادت ان تسافر بكل راحة وهدوء .

وبعدما غادر الملكان مسينا ، قصد فيليب ملك فرنسا الوصول مباشرة الى سورية ومعه جميع اتباعه ، وقد وصل الى ميناء عكا حيث كان الحصار قائما حول عكا ، وكان النبلاء الذين كانوا هناك ينتظرون وصوله بفارغ الصبر ، ويتمذون مجيئه منذ زمن طويل ، وما أن وصل حتى استقبل بكل حفاوة ، استقبل بما يليق برجل كبير مثل ملك فرنسا ، وابتهج أفراد الجيش كثيرا بقدمه ، ذلك أنه أحضر معه ومع اتباعه سفنا محملة بالأغذية وبأشياء أخرى مفيدة ، كما جلب معه عبدا من البارونات والفرسان حسبما يليق بتاج فرنسا وبالأساة الآخرين مثل فيليب كونت فلاندرز ، وهيوكونت بورغون ووليم كونت براس ، ولنشوب بعض الخلافات لم تبدأ الحرب مباشرة .

١٠٨ - وحالما وصل الملك فيليب امتطى فرسه وطاف حول الجيش وحول مدينة عكا ليستطلع الموقع وليبحث عن المكان المناسب والجهة التي يمكنه منها الدخول الى المدينة والاستيلاء عليها بكل يسر ، وما أن أكمل استطلاعاه وتعرف الى المكان قال : « مدهش ورائع فكرة وحكمة هؤلاء الذين بدأوا الحصار ، كيف أمكنهم الحصول على المكان المعسكرين فيه » ثم أمر بإقامة حواجز وسواتر حول المدينة ، وكانت مصنعة من الحديد المغطس بالقصدير الأبيض حتى أنها كانت تبرق كالفضة ، وأمر رجاله وفرسانه أن يشددوا الحراسة بدون هوانة حتى لا يستطيع أحد من داخل المدينة أن يرفع أصبعه فوق أسوار المدينة .

وعندما رأى سكان المدينة أنفسهم وقد حوصروا بشدة ، رفعوا بأيديهم من جانبهم سواتر حديدية وثبتوها على أسوار القلعة البيضاء ، وكانت تلمع كالفضة ، ثم نشروا جنوبهم من الرماة القناصة والمجانيق بهدف إحباط أية محاولة للتسلق فوق أسوار

المدينة ، وتابع ملك فرنسا حصار سكان مدينة عكا حتى مجيء ملك انكلترا ، وقام اللغامون قلعوا الاسوار التي كانت على مقربة من برج الذبان ، فقد دفع البيازنة كبشا الى قرب اسوار المدينة ، ولكن المسلمين أضرموا النار فيه بعدما ألقوا عليه بالزيت والاسفلت من فوق الشرافات وأحرقوا أيضا كل المعدات التي كانت موجودة قرب الاسوار مع النين كانوا فيها ، وأضرم اللغامون النار بالآخشاب التي وضعوها في اللغم الذي عملوه تحت السور ، فانهار هذا السور ، وحاول مارشال الجيش الفرنسي ومعه اعداد كبيرة من رفاقه الفرسان الدخول الى المدينة من حيث سقط السور ، ولكن تصدى لهم المسلمون واشتبكوا معهم بقوة ، وقتل في تلك الاثناء المارشال الفرنسي وكثير ممن كان معه من الفرسان ، وهذا ما أزعج كثيرا ملك فرنسا والبارونات الآخرين الذين كانوا معه هناك ، ومع هذا لو أراد ملك فرنسا اقتحام المدينة والاستيلاء عليها لكان بإمكانه ذلك ، لكنه أثر انتظار ملك انكلترا ، لأنهما كانا مترافقين بالسفر ، وقد تحالفا معا منذ ان تحركا واتفقا حول جميع ما سيستوليان عليه من أماكن ولهذا انتظره ليشاطره الفرح في الاستيلاء الذي سيقومان به على مدينة عكا .

يوجد ثلاثة وعشرون كتابا تتحدث ، عن كيفية عبور كل من ملكي انكلترا وفرنسا الى سورية ، وعن احتلالهما لجزء من هذه البلاد ، واحداثهما اضرارا بالغة في اراضي سورية ، وتحدث كيف ان الملك رتشارد توقف عند مجيئه في جزيرة قبرص التي احتلها ثم باعها الى الملك غي لوزنغن .

وكان الملك رتشارد عندما عزم على التوجه لنجدة مملكة القدس ، قد أقسم انذاك يمينا لاخت فيليب ملك فرنسا ، تعهد فيه بأنه سيتزوجها بعد أربعين يوما ، من عودته ، وعندما سمعت أمه الملكة اليانور - التي كانت مرة ملكة فرنسا ، والان ملكة انكلترا - أن ابنها سيتزوج من أخت ملك فرنسا انزعجت كثيرا ، لأنها كانت تكره أقارب الملك لويس ملك فرنسا الذي كان

زوجا لها ، وأرادت أن تحبط هذا الزواج الذي وعد ابنها به ، وهكذا بحثت وسألت أين يمكن أن تجد زوجة لابنها .

وقام على مقربة من كنيسة القديس لينارد رابية صغيرة ، سيطرت عليها وتحكمت بها ، واخذ أصحاب الكنيسة يلوحدون من فوق الرابية الى قوات المسلمين ليقدّموا لنجدتهم وتقديم العون لهم ، وكمن هناك بعض الفرنديين ، وهكذا عندما اقترب المسلمون انقض هؤلاء عليهم ولم يستطيعوا المقاومة .

ومع هذا أبقى ملك فرنسا على النين كانوا داخل مدينة عكا حتى وصول ملك انكلترا ، ولقد ندب الملقمين للغم السور الذي كان على مقربة من برج الذبان ، وقام البيازنة بصنع آلة كبيرة اسمها الكبش ، وسحبوها حتى الصقوها بالسور حيث كان الملقمون يلغمون ، وأضرّم المسلمون النار من داخل المدينة وصوبوا الزيوت والاسفلت على آلة الكبش ثم رموها بالنار من الداخل والخارج فأحرقوها والنين كانوا فيها ، وحدث في الوقت نفسه أن نجح الملقمون في لغم السور وأضرّام النار تحته فانهارت قطعة من السور ، وبادر مارشال فرنسا وبصحبه عدد كبير من رفاقه الفرسان بالدخول الى المدينة من الثلثة التي فتحت بالسور لكن تصدى لهم المسلمون بكل قوة ومنعواهم من الدخول ، وقتل في تلك الاثناء مارشال فرنسا مع عدد كبير من الفرسان النين كانوا معه ، وقد أزعج هذا الحادث ملك فرنسا كثيرا وكذلك أزعج بقية البارونات النين كانوا معه .

١٠٩ - ولو أراد ملك فرنسا اقتحام المدينة والاستيلاء عليها لكان بإمكانه فعل ذلك ، لكنه أثر انتظار ملك انكلترا ، لأنهما كانا مترافقين بالسفر ، وقد تحالفا معا منذ أن تحركا ، واتفقا حول جميع ما سيستوليان عليه من أماكن ، ولهذا انتظره ليشاطره الفرح في الاستيلاء المشترك الذي سيقومان له على مدينة عكا .

١١٠ - وكان الملك رتشارد عندما عزم على التوجه لنجدة مملكة القدس قد أقسم يميناً وقت ذاك تعهد فيه لاخت فيليب ملك فرنسا أنه سيتزوجها بعد أربعين يوماً من عودته ، وذكرنا من قبل أن الملكة إليانور أم الملك رتشارد أرادت إحباط زواج ابنها من أخت ملك فرنسا ، لأنها كانت تكره اقارب الملك لويس ملك فرنسا ، الذي كان زوجها لها من قبل ، وهكذا بحثت وتقصت عليها تجد زوجة مناسبة لابنها .

فأخبرت بوجود ضالتها في اسبانيا ، وقيل لها بأن ملك نافاز لديه أخوات وإذا ما سست يمكنها الحصول على إحدى هؤلاء الأخوات لتكون زوجة لابنها ، وبالفعل بعثت إلى الملك المذكور تخطب إحدى أخواته لتزوجها من ابنها ولتجعلها ملكة انكلترا ، وفرح ملك نافاز بهذا الطلب كثيراً ، ووافق عليه ، وجهز أخته الكبرى التي تدعى بيرنير بجهاز ثمين وأكرمها غاية الأكرام ، وبعث بها في موكب حافل إلى بواتو حيث كانت ملكة انكلترا بانتظارها ، وفرحت هذه الملكة بقدومها كثيراً ، ثم جهزت نفسها وبادرت إلى السفر ، فقد أرادت الوصول إلى صقلية لتعقد قران ابنها على الأميرة النافارية قبل أن يسافر من صقلية ، وعندما غادرت بواتو متجهة نحو صقلية سمعت خبراً أفاد أن ابنها الملك رتشارد وكذلك ملك فرنسا قد تحركا وغادرا صقلية وسافرا ، وأن أخت رتشارد الملكة جوانا ملكة صقلية قد باعت ممتلكاتها في الجزيرة ، وجهزت نفسها للسفر بغية اللحاق بأخيها إلى سورية ، وبالفعل توجهت إلى مسينا لتقوم بذلك ، وفرحت الملكة بهذه الأخبار كثيراً ، وأسرعت مسافرة إلى صقلية ، وقد استهدفت الوصول إلى ابنها لترسل معها بالفتاة النافارية بكل تشريف وكرامة حتى تتأكد من أن الزواج منها سيتم ، وبهذا تنفذ أرائها وتحقق رغباتها .

شرح صورة سفر ملكة صقلية إلى سورية :

سافرت الملكة إليانور بسرعة نحو صقلية ، وعندما وصلتها

وجدت ابنتها هناك فاستقبلتها بتشريف عظيم ، وابتهج بقدموها
سكان البلاد ابتهاجا كبيرا ، وكان على ملكة صقلية أن تتحرك
وتسافر بأسرع وقت ، وقد تولت أمر العناية بالفتاة ، وقبلت أن
تتقلها معها ، وأن تعمل وفق إرادة أمها فتزوجها من الملك
رتشارد ، وأن لا توفر جهدا لاتمام هذا الزواج من هذه
الفتاة ، وبعد هذا افترقوا عن بعضهم بعضا ، فعانت الملكة اليانور
الى بواتو ، وقصدت الملك جوانا بلاد سورية .

وعندما وصلت الى شواطئ جزيرة قبرص وأبصرت
أراضيها ، قالت الملكة لمرافقيها ان بويها الحصول على أخبار
أخيها ومعرفة فيما اذا كان قد عبر من هناك ، فاستأنذوها
بالاقتراب من الساحل حتى يمكن السؤال ، وفي الوقت ذاته كان
اسحق صاحب قبرص قد نشر رجاله على الشواطئ لحراسة
الجزيرة لأنه كان خائفا من ملكي فرنسا وانكلترا ، وخشي من أن
يستوليا على جزيرة قبرص عند وصولهما اليها ، ولهذا عندما رأى
عددا من السفن تقترب من الشاطئ بعث بمن يستطلع له خبر
القادمين ، وليعرف من أين قدموا ، فقبل له هذا اسطول ملكة
صقلية أخت الملك رتشارد الذي سافر قاصدا سورية بهدف
الحج ، وسأل رجال الاسطول القبارصة عما اذا كانت لديهم
معلومات عن عبور الملكين السالفي الذكر ، فأجيبوا بعدم توفري أي
معلومات .

وسافرت ملكة انكلترا من بواتو ، وأمت جزيرة صقلية ، وفعلت
ذلك بعدما استقبلت الاميرة النافارية حيث كانت تنتظر
قدومها ، وقد سرت بوصولها سرورا عظيما ، ومن ثم جهزت
موكبها بالحال ، وتحركت مسافرة نحو صقلية ، فقد أرادت
الوصول الى هذه الجزيرة لتعقد قران ابنها على الاميرة النافارية
قبل أن يسافر من صقلية ، عندما غادرت بواتو قاصدة صقلية
سمعت خبرا مفاده أن ابنها الملك رتشارد وكذلك ملك فرنسا قد
تحركا وبارحا صقلية وسافرا ، وأن أخت رتشارد الملكة جوانا ملكة

صقلية ، قد باعت ممتلكاتها في الجزيرة ، وجهزت نفسها للسفر بغية اللحاق بأخيها الى سورية ، وبالفعل توجهت الى مسينا لتقوم بذلك ، وفرحت الملكة بهذه الاخبار كثيرا ، وأسرت مسافرة الى صقلية ، وقد استهدفت الوصول الى ابنتها لترسل معها الفتاة النافارية ، بكل تشریف وكرامة حتى تتأكد من أن الزواج منها سيتم ، وبهذا تنفذ ارادتها وتحقق رغباتها .

١١١ - وسافرت الملكة اليانور بسرعة نحو مسينا ، وعندما وصلتها وجدت ابنتها هناك ، فاستقبلها بتشریف عظيم - وأبتهج بدومها سكان المدينة ابتهاجا عظيما ، وكان على ملكة صقلية أن تتحرك وتسافر بأسرع وقت ، وقد تولت أمر العناية بالفتاة ، وقبلت أن تبقى معها ، وأن تعمل وفق ارادة أمها فتزوجها من الملك رتشارد ، والا توفر جهدا لاتمام هذا الزواج من هذه الفتاة ، وبعد هذا افترقوا عن بعضهم بعضا ، فعادت الملكة اليانور الى بواتو ، وقصدت الملكة جوانا بلاد سورية .

وعندما اقتربت من شواطئ قبرص - وأبصرت أراضيها قالت الملكة لمرافقيها إن يودها الحصول على أخبار أخيها - ومعرفة فيما اذا كان قد عبر من هناك ، فاستأنذوها بالاقتراب من الساحل حتى يمكن السؤال ، وفي الوقت ذاته كان اسحق صاحب قبرص ، وقد نشر رجاله على الشواطئ لحراسة الجزيرة ، لأنه كان خائفا من ملكي فرنسا وانكلترا ، وقد خشي من أن يستوليا على جزيرة قبرص عند وصولهما اليها، ولهذا عندما رأى عدا من السفن تقترب من الشاطئ بعث بمن يستطلع له خبر القادمين وليعرف من أين قدموا ، ففيل له هذا اسطول ملكة صقلية أخت الملك رتشارد الذي سافر قاصدا سورية بهدف الحج ، وسأل رجال الاسطول القبارصة عما اذا كان لديهم معلومات عن عبور الملكين السالفي الذكر ، فأجيبوا بعدم توفر أي معلومات .

حول خبث سكان قبرص :

وعاد القبارصة فأطلعوا اسحق على خبر وصول ملكة صقلية ، وانها جاءت لتلحق بأخيها الى سورية ، وكان اسحق يكره اللاتين كثيرا ، فخطط لعمل خياني ومكيده ضد الصقليين ، فبعث بوفدين من لئنه الى السيدة ليتوسل اليها ويطلب منها القدوم لتقيم في قبرص في حسن ضيافته ورعايته حتى يحصل لها على أخبار أخيها ، واستشارت الملكة رجالها ، وبناء عليه قالت للقبارصة بأنها تشكر سيدهم لمبادرته لكنها لاتجرؤ على النزول الى اليايسة بدون انن أخيها وأوامره ، وعاد القبارصة فأعلموا سيدهم بجواب الملكة ، وأنها قالت لهم كل ماترجوه - وتزويد رجالها بالماء ، وعندما سمع اسحق ذلك فكر ، ثم أمر رجاله أن يقدموا الماء الى ركاب سفينة الملكة ، ثم تصرف بحذر شديد فقد كان لايريد أن يقترب أحد من شواطئ قبرص - لهذا جهز جنوده للاستيلاء على السفينة بالقوة ، ولاحظ رجال السفينة مكيده اسحق ، فرفعوا مرساتهم ، ونشروا أشرعتهم ، ثم ابتعدوا الى عرض البحر ، وقد التقوا في اليوم التالي بالملك رتشارد ، الذي فرح بهم فرحا عظيما .

كيف كانت سفن الحجاج تمر بجزيرة قبرص :

في تلك الاونة التي احدثكم عنها كانت هناك سفينتان محملتان بالحجاج الذين جاءوا لنجدة مملكة القدس ، وخيل لهؤلاء الحجاج عندما وصلوا الى قبرص أنهم قد سلموا من مخاطر البحر ، وأنهم باتوا بأمان أعظم ، لكن العكس هو الذي كان ، حيث تعرضوا لخطر جسيم أعظم ، حين قام قراصنة قبرص بالاستيلاء على سفينتيهما وقادوهم بقسوة وعنف الى اسحق الذي كان يكره اللاتين كثيرا ، وكان قد اتحد بالزواج مع طوروس ملك مملكة أرمينية الصغرى في كليكية ، فقد أعطاه طوروس ابنته زوجة له ، ومن ثم

- ٣٩٠٤ -

انجب منها الابنة التي اخذها الملك رتشارد ، وحملها فيما بعد الى ماوراء البحار ، بعد الاستيلاء على جزيرة قبرص .

وكما حدثتكم من قبل عندما جلب الحجاج ليمثلوا امام اسحق ، امر بعرضهم جميعا على السيف وأن تقطع رؤوسهم ، وقد وسم بعمله هذا بالاسراف بالقسوة ، فهو قد امر بقتل أناس لم يسيدوا إليه أبدا ، ولم يأتوا للعمل ضده ، انما جاءوا في سبيل الرب ، ولكي يثأروا للعار الذي الحق بهم المسلمون ، فواجهوا قسوة كبرى عند هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مسيحيين وهي قسوة ماكانوا ليوажوها عند مجرمي المسلمين .

١١٢ - وعاد القبارصة الذين بعثهم اسحق ليخبروه بوصول ملكة صقلية ، وأنها جاءت وبنيتها - الالتحاق بأخيها الملك رتشارد ، أي السفر الى سورية ، وكان اسحق يكره اللاتين كراهية عظيمة ، لهذا خطط لعمل خياني ومكيدة ضد ملكة صقلية وأتباعها ، فبعث يوفد من لدنه الى هذه السيدة ليتوصل اليها ويدعوها للنزول في قبرص والاقامة فيها بضيافته الكريمة ، ولتعش برعايته حتى يحصل لها على أخبار أخيها ، وتشاورت الملكة مع رجالها ، وبعد ذلك قالت لرسل اسحق بأنها تشكر سيدهم على مبادرته الكريمة ، وأنها لاتجرؤ على النزول الى اليايسة بدون إذن من أخيها الملك وأمر مباشر منه ، وعاد الرسل القبارصة الى سيدهم وأعلموه بجواب الملكة ، وأنها قالت لهم كل ما ترجوه هو تزويد رجالها بالماء .

واستمع اسحق لهذا الجواب ثم أمر رجاله بتقنين الماء الى ركاب سفينة الملكة ، ثم تصرف بحذر شديد ، وخطط للاستيلاء على السفينة بالقوة ، غير أن رجال السفينة انتبهوا لمكيدة اسحق وخيانتته فأخذوا حذرهم ورفعوا مرساة سفينتهم ، ثم تشرخوا أشرعتها ومن ثم أقبلوا فابتعدوا الى عرض البحر ، وفي اليوم

التالي التقوا بأخي الملكة الملك رتشارد ، الذي فرح بهم فرحا عظيما .

١١٣ - في تلك الآونة التي أحدثكم عنها كانت هناك ثلاث سفن محملة بالحجاج الذين جاءوا لنجدة مملكة القدس وقد خيل لهؤلاء الحجاج عندما وصلوا الى قبرص انهم قد سلموا من مخاطر البحر ، وأنهم باتوا بأمان عظيم ، لكن العكس هو الذي كان ، حيث تعرضوا لخطر جسيم أعظم حين قام قراصنة قبرص بالاستيلاء على سفنهم وقادوهم بقسوة وعذف الى اسحق الذي كان يكره اللاتين كثيرا ، وكان اسحق قد ارتبط بالزواج مع طوروس ملك مملكة أرمينية الصغرى في كليكية فقد أعطاه طوروس ابنته زوجة له ، ومن ثم انجب منها الابنة التي أخذها الملك رتشارد وحملها فيما بعد الى ما وراء البحار وذلك بعد الاستيلاء على قبرص .

وعندما أصدر اسحق أوامره بقتل الحجاج اقتادهم القراصنة لتنفيذ ذلك ، وكان هناك في خدمة اسحق فارس من أصل نورماندي اسمه سويدو اسحق ، وقد تأثر بقلبه للمصير الذي سيؤول اليه الحجاج وحزن عليهم وأشفق كثيرا لأنهم لم يقتربوا ننبأ يستحقون عليه الموت بهذه الطريقة القاسية ، فما كان منه الا أن حمل سلاحه باسم الرب ، وقرر التخلي عن جسده حبا بالخالق والشهادة ، وفضل أن يموت هو على أن يهلك جميع الحجاج ، وهكذا جاء الى المكان الذي كان من المفترض أن تقطع فيه رؤوس الحجاج والزوار ، وأمر الذين أوكل اليهم أمر تنفيذ الاعدامات التي أمر بها اسحق ، بالتوقف وعدم تنفيذ أي شيء وخيل لهؤلاء انه قد أرسل من قبل سيدهم ، ولذلك صدقوه لأنه كان من أتباعه المقربين اليه ، فأقلعوا عن الفتك بالحجاج ، وقال هذا الفارس الذي رغب في أن يتمكن من انقاذ الحجاج من الموت المحقق - للحجاج ان عليهم الفرار والاختباء في الجزيرة حيث يلهمهم الرب وييسر لهم ، وتوسل اليهم أن يتضرعوا الى الرب حتي يمنحه السلام والقوة ، فهو كان يعلم جيدا أن الأجساد ستقدم

الحجاج من الموت المحقق للحجاج ان عليهم الفرار والاختباء في الجزيرة حيث يلهمهم الرب وييسر لهم وتوسل اليهم ان يصلوا للرب من أجل نفسه وسلامة روحه ، لانه كان يعرف معرفة يقينية أن جسمانه سيقدم للشهادة وأنه بات عرضة للقتل بسبب انقذانه لهم ، وظلوا على هذه الحالة حتى وصل الرب لنجدتهم ، وثار لهم بوساطة الملك رتشارد كما سذرح لكم ذلك فيما بعد .

١١٥ - وعندما علم اسحق أن الفارس قد تصرف ضد أوامره ، وأنقذ الحجاج من السيف ، أمر بقطع رأسه ، وبالحال خفف أمره ، ذلك ان الاغريق حاصروا الحجاج الفرنجة ، واعتقدوا أنهم يرضون الرب ويسرونه عندما يقتلون لاثينيا .

١١٦ - وبعد هذا الحادث خاف اسحق كثيرا وخشي من قدوم الملك رتشارد ، وسبب خشيته الأعمال السيئة التي اقترفها بحق المسيحيين بجزيرة قبرص ، وهكذا جاء بالحال الى مدينة ليماسول وحصنها بجنود من الرجال وجنود من الفرسان ، وأمر باليقظة والتشديد في حراسة الشاطئ، وأمر جنده بالتمركز أمام الشاطئ وأوعز اليهم أنهم ما ان يروا السفن الحربية حتى ينذروه .

وبعدما فر اسحق من القتال تولى هاربا في الأرض وهنا أمر الملك بتنزيل الحملات من على ظهور خيوله ، وهكذا بعدما خفف من أثقاله ، استأنف مجددا مطاردة اسحق وجنوده في السهول والجبال ، وقد لحق بأسحق وجنوده في الجبال ، وهناك هزمهم مرة أخرى قرب قناة تدعى كولوس ، وعندما وجد اسحق نفسه قد هزم مجددا تابع فراره وسط الجبال حيث لم يجد الماء ولم يحصل على المساعدة في المناطق الأخرى من الجزيرة ، ولم يجد مكانا يعتصم فيه ويأمن به من سطوة الملك ومع هذا حشد قواته من اللصوص الأرمن والقرصان ورجال الجزيرة ليعاود الهجوم على الملك رتشارد ويطرده بالقوة من الجزيرة ، ولكن الرب جاء بالملك رتشارد الطيب الى هناك ليزرع عقيدة روما فيها لانها العقيدة الجيدة وليقتلع أعمال

القراصنة ويعم رحمته ، وزحف الملك ضد قلعة كيرينس واستولى عليها فوراً ، ووجد فيها ابنة اسحق مع ثروة عظيمة ومال كثير فاستولى عليه ، ثم جاد به ووزعه كرماً منه على رجاله .

وبعد هذا : كله اطمأن الملك وشرع بترميم اسطوله وتدعيمه .

وحشد اسحق كل رجاله وجميع الذين كانوا تحت سيادته ، وتمركز بين نيقوسيا وفيماغوستا ، وهناك انتظر الملك رتشارد ليثار منه اذا استطاع ، ولكن العناية الربانية والمساعدة السماوية التي لا تخيب ذوبها أعطت القوة والدعم الى الملك رتشارد حتى تمكن من هزيمة اسحق وجميع رجاله القرصان ، وعندما رأى الملك اسحق انه قد انهزم وهلك رجاله جميعاً ، ولم تبق له سلطة في قبرص ولا قدرة للوقوف ضد الملك حاول جاهداً ان يؤمن نفسه ويصون ذاته في قلعة محصنة اسمها بوفوفنت ، لكن الملك توجه نحو هذه القلعة قبله ووصلها واستولى عليها وعلى ما كان داخلها ، وهكذا اخضع ملك انكلترا بمساعدة من الرب جميع سادة قبرص ووضعهم تحت سلطانه وحكمه ، وأعاد الجزيرة الى حظيرة الكنيسة الرومانية ، ومن ثم بات ألن رئيساً لاساقفة نيقوسيا، وذلك بعدما كان راعي القديس جرجس في رامس .

كيف سافر ملك انكلترا من قبرص وتوجه لحصار عكا :

بعدما هزم الملك رتشارد اسحق واستولى على جزيرة قبرص وأنقذها من حكم قراصنة اسحق ، ذهب الى ليماسول ، وهناك كانت أخته والفتاة التي أرسلتها أمه ليتزوجها ، وحال وصوله الى المدينة تزوجها في كنيسة القديس جورج ، ثم جهز اسطوله وسافر من هناك في البحر ومعه جلدته حتى وصل امام مدينة عكا ، وأحضر معه اسحق وابنته .

- ٣٩١٢ -

للمسلمين ، وكان في داخلها ثعابين حية كثيرة جدا ، أراد ارسالها الى جيش المسيحيين كي ترهبهم وتسممهم ، وتوجه ركابها نحو الصليبيين وحاربوا بشدة ، غير أن مولانا اعطى في النهاية شرف النصر الى ملك انكلترا ، وغرقت السفينة وهلك من كان فيها .

- ٣٩١٣ -

وعندما رأى اسحق نفسه انه انهزم وهلك رجاله جميعا ، ولم
تبق له سلطة في قبرص ولا قدرة على الوقوف ضد الملك رتشارد ،
حاول ان يؤمن نفسه ويصون ذاته في قلعة محصنة اسمها بوقوفنت ،
غير ان الملك قصد هذه القلعة ووصلها قبله فاستولى عليها وعلى
ماكان في داخلها ، وهكذا اخضع ملك انكلترا بمعونة من الرب جميع
سانة قبرص ووضعهم تحت سلطانه وحكمه ، واقام فيها العقيدة
اللاتينية ، فعين الن رئيسا لاساقفة نيقوسيا ، وكان من قبل راعي
بئر القديس جرجس في رامس .

١١٩ - وبعدما هزم الملك رتشارد اسحق ، واستولى على جزيرة
قبرص واذقنها من حكم قراصنة اسحق ، ذهب الى ليماسول ،
وهناك كانت اخته والفتاة التي ارسلتها امه ليتزوج منها ، وبعيد
وصوله الى مدينة ليماسول تزوجها في كنيسة القديس جورج ، ثم
جهز اسطوله وسافر من هناك في البحر ومعه جنده حتى وصل الى
امام مدينة عكا ، وقد احضر معه اسحق وابنته .

وفرّح ملك فرنسا بقدومه فرحا عظيما ، وكذلك فعل جميع الذين
كانوا امام عكا ، وبالمقابل انزعج المسلمون وتألموا ، واستقبل
رتشارد استقبالا حافلا من قبل قادة الفرنجة الذين كانوا امام عكا ،
وقد خف ملك فرنسا لاستقباله لدى نزوله على الشاطئ ، ونزل
الملك رتشارد الى اليايسة وانزل معه زوجته ، وعندما اكتشف ملك
فرنسا امر زواج رتشارد غضب غضبا شديدا ، وانزعج من الملك
رتشارد لانه تزوج من بيرنيرا اخت ملك نافار ، ولم يف بتعهده
بالزواج من اخت ملك فرنسا .

١٢٠ - وبعد وصول الملك ريتشارد الى عكا ، احضر صلاح الدين
سفينة كبيرة من مصر ، وكانت مشحونة بالرجال المسلحين
والمدعومين بالمال والعتاد ، وقدمت هذه السفينة بهدف تقديم العون
للمسلمين ولالحاق الضرر بالمسيحيين ، وجاءت هذه لتقديم النجدة
للمسلمين ، وكان في داخلها ثعابين وافاعي حية كثيرة لتسريحها

- ٣٩١٦ -

وتأثر ملك فرنسا مما حدث كثيرا ، وقام وهو في حالة من الغضب الشديد باعطاء الاوامر الى رجاله بحمل اسلحتهم لمهاجمة ملك انكلترا الذي لم يأبه بالامان الذي اعطاه للمسلمين .

كيف سلم المسلمون عكا الى رجالنا :

وتصالح ملكا انكلترا وفرنسا ، ثم قاما معا بمهاجمة المدينة بكل قوة ، وشعر المسلمون الذين كانوا في داخلها ، لا بل ادركوا تمام الادراك أنهم لن يستطيعوا متابعة المقاومة ، ولهذا كتبوا الى صلاح الدين يطلبون انجسادهم ، وإلا فسيضطرون الى تسليم المدينة ، وأجابهم صلاح الدين بأن عليهم التصرف وفق أفضل الشروط الممكنة ، وعندما سمع الأمير قراقوش الذي كان سيد المدينة ، بهذا ، بعث الى الملكين يطلب التباحث معهما ، ووافقا على ذلك ، لكن بحذر .

وخرج قراقوش من المدينة وتوجه الى خيمة ملك فرنسا ، فهناك كان مجتمعاً به ملك انكلترا وبقية البارونات ، وأعلمهم أنه على استعداد لتسليمهم مدينة عكا بكل طيبة خاطر ، مقابل سلامة حياته وحياة المسلمين الذين في داخل المدينة ، يضاف الى هذا أن صلاح الدين سيعيد اليهم الصليب المقدس الذي فقده المسيحيون يوم قرني حطين ، عندما هزم الملك غي ، وأسر ، وسيطلق أيضا سراح الذين في سجنه من الأسرى ، ويدعهم يذهبون بسلام ، وإذا لم ينفذ صلاح الدين ما أعدكم به ، سنبقى تحت رحمة سلطانكم ونعيش كعبيد لكم .

ووافق الملكان على اقتراح قراقوش ، وهكذا سلم المسلمون المدينة للمسيحيين وكان ذلك في الحادي عشر من آذار من سنة ١١٩١ لتجسيد يسوع المسيح ، وابتهج المسيحيون كثيرا ، ودخلوا الى المدينة شاكرين الرب الذي حرر مدينة عكا من أيدي المسلمين .

اعادة ترتيب الأوضاع :

وبعدما سلمت المدينة الى المسيحيين خاطب ملكا فرنسا وانكلترا رجال الجيش ، وأصدرا الأوامر بأن يتمركز الجيش بالمدينة وفيها يقيم ، وأقام ملك فرنسا في القلعة أما ملك انكلترا فقد نزل بدار الداوية ، ونزل بقية الفرسان في بيوت أعيان أهل عكا الذين كانوا فيها قبل صلاح الدين ، وعندما قصد هؤلاء الأعيان بيوتهم للإقامة بها ، منعهم الفرسان الذين استولوا عليها وأقاموا فيها ، وهنا ذهب هؤلاء الأعيان الى ملك فرنسا ، ورفعوا اليه ظلامتهم ، والتمسوا منه مساعدتهم في استرداد ميراثهم وملكياتهم ، لأن المسلمين كانوا قد انتزعوها منهم بالقوة وقالوا له : « قد متم يا مولاي لاسترداد مملكة القدس ، ومن غير المعقول أن تحرّمونا من ممتلكاتنا ، ذلك أن الفرسان قد احتلوا بيوتنا ، ويقولون انهم استولوا عليها من المسلمين .. »

ومنح الأمان للمسلمين ، واصطحبهم حتى المدينة ، وأعطاهم مهلة ، وأوصاهم بأن يدافعوا عن حقهم وأنفسهم ، وقام ملك فرنسا وهو في حالة من الغضب الشديد بإصدار الأوامر الى رجاله بأن يتسلحوا ليذهبوا معه لمهاجمة ملك انكلترا .

وكان مثل هذا الخلاف قد حدث من قبل ، ولولا تدخل البارونات ووساطتهم في ازالة الغضب وتهدة الخواطر لوقع ضرر كبير بين المسيحيين نتيجة لهذا الخلاف .

ودخل المسلمون الى المدينة ، ودافعوا عن أنفسهم ضد رتشارد بكل قوة ، فلم يستطع الانتصار عليهم ، بل إنه خسر كثيرا من رجاله .

١٢٢ - وبعدما تصالح ملكا فرنسا وانكلترا ، قاما بمهاجمة

- ٣٩٢٠ -

واحدًا من المسيحيين حسب رتبته ، وعندما حل يوم تنفيذ ما وعد به بعث إلى المسيحيين يطلب منهم أمهاله إلى يوم آخر ، لأنه لم يتح له احضار ما توجب عليه احضاره ، وأعطاه رجالاتنا المهلة المطلوبة ، ذلك أنهم كانوا يعدون حصولهم على الصليب المقدس انجازًا رائعًا ، وكذلك تحريرهم للأسرى الذين كانوا في سجنونه .

وعندما حل الموعد المتفق عليه فيما بينهم استعد الملكان والفرسان جميعًا ورجال الجيش والأساقفة والرهبان ورجال الأكليروس ، وارتدوا أفخر ما لديهم من ملابس وخرجوا جميعًا من المدينة بخشوع تام وتقوى عظيمة ، وساروا إلى المكان الذي حددته لهم صلاح الدين ، وعندما وصلوا إلى هناك كانوا يعتقدون أن صلاح الدين سيعيد إليهم صليب الصليبوت ، غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبًا شديدًا ، وشعر الناس من المسيحيين بالآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفوا الدموع الغزيرة طيلة الأيام التالية .

قدمتم لاسترداد مملكة القدس ، ومن غير المعقول أن تحرمونا من ممتلكاتنا ، ذلك أن الفرسان قد احتلوا بيوتنا ، ويقولون أنهم استولوا عليها من المسلمين .

وبعث ملك فرنسا بطلب ملك انكلترا وبقية البارونات للاجتماع معًا ، وبعدما التأم الجمع توجه ملك فرنسا بالخطاب إلى السادة الذين طالبوا بإعادة بيوتهم وممتلكاتهم إليهم قائلًا : « أيها السادة ، نحن لم نأت أبدًا لاحتلال أراضي أو أملاك أو بيوت الآخرين ، إننا قدمنا من أجل الرب وفي سبيله ، ولتقديم المساعدة لجيوشنا لاسترداد مملكة القدس التي اغتصبها المسلمون وانتزعوها من المسيحيين ، وإعادة ممتلكات المسيحيين

- ٣٩٢١ -

اليهم ، ويبدو لي أنه كان من المناسب فعل ذلك بعدما منحنا الرب السلطان والقدرة على احتلال المدينة ، ولقد كان من الواجب القيام بذلك ، إن هذا ما أراه وأقترحه إذا كنتم توافقون .

ووافق ملك انكلترا والبارونات الآخرون على ما اقترحه ملك فرنسا ، وقالوا : إن كل من يبرهن على أن ما حصل هو ملكه وحقه يسمح له بالبقاء به ، ثم أصدروا الأوامر للفرسان بإخلاء البيوت التي استولوا عليها واعادتها إلى أصحابها .

١٢٥ - وبعد تسليم عكا ، وعد صلاح الدين كل من ملكي فرنسا وانكلترا باعادة الصليب المقدس إلى المسيحيين ، وأن يعطي مقابل كل واحد من المسلمين واحدا من المسيحيين حسب رتبته ، وعندما حل يوم تنفيذ ما وعد به بعث إلى المسيحيين يطلب منهم أمهاله إلى يوم آخر ، لأنه لم يتمكن بعد من احضار ما توجب عليه احضاره . وأعطاه رجالنا المهلة المطلوبة ، ذلك أنهم كانوا يعدون حصولهم على صليب الصليب المقدس انجازا عسيما ومفخرة كبيرة ، وكذلك نظروا إلى تحريرهم للأسرى الذين كانوا في سجنونه .

وعندما حل الموعد المتفق عليه فيما بينهم ، استعد الملكان والفرسان جميعا ورجال الجيش والأساقفة والرهبان ورجال الاكليروس ، وارتدوا أفخر ما لديهم من ملابس ، وخرجوا جميعا من المدينة بخشوع تام وتقوى عظيمة ، وساروا إلى المكان الذي حدده لهم صلاح الدين وعندما وصلوا إلى هناك ، كانوا يعتقدون أن صلاح الدين سيعيد اليهم صليب الصليب المقدس غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبا شديدا ، وشعر الناس من المسيحيين بالآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفوا الدموع الغزيرة طيلة الأيام التالية ، وعندما شاهد الملك رتشارد الشعب

- ٣٩٢٤ -

وساروا الى المكان الذي حدده لهم صلاح الدين ، وعندما وصلوا الى هناك كانوا يعتقدون أن صلاح الدين سيعيد اليهم صليب الصليبيات غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبا شديدا ، وشعر الناس من المسيحيين بالآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفوا الدموع الغزيرة طيلة الايام التالية .

وخاف صلاح الدين كثيرا عندما رأى ما حدث ، وخشي من أن يتمكن الفرنجة من استعادة مملكة القدس ، ثم أنه تحرك من هناك ، وقصد مدينة عسقلان ، وقام هناك بخوض الحرب ، ولقد خاف صلاح الدين من استيلاء المسيحيين على عسقلان ، لأن هذه المدينة كانت واقعة على الشاطئ ، فاذا ما استولوا عليها وحاصروها ، توجب عليه الذهاب الى مصر عبر طريق آخر غير طريق غزة ، الذي كان اقصر طريق وأسهل للسفر من سورية الى مصر .

١٢٦ - وعندما شاهد الملك ريتشارد الشعب يبكي لاختلاف صلاح الدين بوعده ، ثار غضبه ، وأشفق عليهم كثيرا ، وأراد أن يخفف من آلامهم وأحزانهم ، فأمر بإحضار المسلمين الذين كان قد أودعهم في سجنه ، وقام على مرأى من المسلمين الذين كانوا على مقربة منه بإعدامهم وقطع رؤوسهم .

١٢٧ - وبعد وقت قصير أصيب الكونت دي فلاندرز بمرض خطير ، وهو المرض الذي مات منه (حزيان ١١٩١) وقبل موته أرسل الى ملك فرنسا وطلب منه أن يأتي اليه واستجاب هذا الملك وقدم لعيادته وقد تحدثا معا ، وأعلمه الكونت أن عليه الاحتراز الشديد ، وأن يكثر من الحذر لأن في الجيش عناصر أقسمت الايمان على التخلص منه وقتله ، واهتم الملك بهذا الكلام ، وحصره في بخلته ، وغضب كثيرا ، وخاف حتى أنه أصيب من جراء ذلك بمرض شديد ، سيتوفى بعد أمد من جرائه .

وفي أثناء مرض ملك فرنسا عمل الملك رتشارد على حبك مؤامرة خيانية كبيرة ، فقد أراد قتل ملك فرنسا دون أن يبدو أن له يد بذلك ، لكن الملك رتشارد شعر أنه مذنب بحق الملك الفردي ، فقد أساء إليه كثيرا وأذنب بحقه مثل زواجه من بيرنيرا أخت ملك نافار ، ثم محاولاته اجتذاب رجاله إليه بالعطايا والوعود المختلفة مع ازعاجات أخرى سببها له أثناء حصار عكا ، ولهذا ندم الملك رتشارد كثيرا .

وحين عزم الملك رتشارد (إقرأ : فيليب) على السفر دعا كل من دوق بورغونيا ووليم دي باراس وكل من كان في حاشيته ، ونظراً لولائهم له ، طلب منهم اعلامه عما اذا كان لديهم أخبار عن موت لويس ابن ملك فرنسا ، فإذا كان ، يجب عليهم اطلاعه عليها ، فقال له دوق بورغونيا : « مولاي منذ أن قدمت لحصار عكا لم يأت مركب من بلاد ما وراء البحار لينقل مثل هذا الخبر » ، ولقد أراد ملك انكلترا اشاعة هذا الخبر ليزيد من ازعاج ملك فرنسا في مرضه ، ولدى اطلاع ملك فرنسا على تفاصيل هذا التصرف ، لم يظهر ذلك ، بل استدعى بعض الحكماء ومنحهم أشياء ثمينة ليضعوا حدا لمرضه وليعملوا من أجل شفائه ، وعمل هؤلاء وفق طلبه ، وأعطاه الرب النعمة واستجيب لطلبه بالشفاء

كيف عاد ملك فرنسا .

عندما شفي ملك فرنسا من مرضه أمر بتجهيز سفنه من أجل العودة الى بلاده ، واستدعى اليه دوق بورغونيا وجميع فرسان فرنسا ، وأمرهم أن يكونوا تحت إمرة هذا الدوق ، تم منحه شطرا كبيرا من خزينته ، وأمره أن يتخلف ويأخذ مكانه .

ثم صعد الى سفينة ومن ثم أقبلع باسطوله لعبور البحر ، وعندما وصل الى خليج ساتاليا هاجت عاصفة في البحر دامت يوما

- ٣٩٢٨ -

أن قاموا بتحسين عكا ، ثم شحنوا السفن بالعتاد وأرسلوها الى يافا ، ثم سافر الجيش برا ، وتقرر أن يكون ملك انكلترا والكونت همفري في المقدمة ، ودوق دي بورغونيا ، وجاك دي أفانس في الساقة .

وعندما علم صلاح الدين بذواياهم ومقاصدهم ، جمع قواته كلها ليناوش هؤلاء وليعيق تقدمهم وليحبط خططهم ، وسار بقواته خلفهم وكان يغير عليهم من اليمين ومن الشمال ويصيق عليهم بجذوده ، وقد هاجمهم بالذشاب ، هذا وعندما جاءوا لعبور نهر القصب سلح الملك الساقة تسليحا جيدا ، ونشر قواته تسم صفها وعبأها تعبئة القتال ، وبعد هذا وجه قواته ضد صلاح الدين فصدها والحق بها الهزيمة ، ومع هذا مات كثير من الطرفين ، وكان من بين القتلى جاك دي أفن وعدد كبير آخر من الفرسان ، المهم تكبد المسيحيون خسائر كبيرة ، ولكن بمعونة يسوع المسيح خرج المسيحيون من المعركة أفصل حالا من خصومهم

وتراجع صلاح الدين مع الدين نجو من المعركة من أصحابه الى الراء ، وتوجهت قواتنا الى بيت زوبسة وهو واد بين يافا والقدس ، وعسكروا هناك لتمضية الليل ، وأمروا بأن يتولى الملك رتشارد قيادة المؤخرة ، وأن يتولى دوق بورغونيا المقدمة ، وذهب كل منهما الى قاعدته .

وعندما رأى دوق بورغونيا ما حدث ، وبعدما استقر في موقعه ، استدعى للاجتماع به رجالات فرنسا الذين كانوا يحبون كثيرا التالكي ، وتوجه اليهم قائلا : « ايها السادة ، أنتم تعلمون أن مولانا ملك فرنسا قد ذهب وبقيت نخبة فرسانه ، بينما ليس مع ملك انكلترا سوى قلة من الجند ، وهامهم أمامنا ، فإذا ذهبنا قبلهم واستولينا على القدس ، لن يكون بمقدورهم أن يقولوا فيما بعد لم يكن هناك فرنسيون ، ثم أن يقولوا أيضا : لقد استولى ملك انكلترا عليها ، أما ملك فرنسا فقد فر هاربا ، فيسبب ذلك

- ٣٩٢٩ -

تلطّيح سمعة الملك وسمعة المملكة بالعار ، وأنتم تعلمون أنه لم يسبق لأحد أن وجه الملامة لفرنسا ، لذلك يجب أن نذهب قبلهم » ، ووافق بعضهم على رغبته ، ولم يوافق بعضهم الآخر ، وحينذاك قال لهم الدوق : « من أراد أن يتبعني فليفعل » ، وأما بالنسبة لملك انكلترا الذي لم يعرف شيئاً عن هذا المؤتمر ، فقد استعد في اليوم التالي ، وزحف باتجاه القدس ، أما دوق بورغونيا فقد سلح الفرنسيين .

وقصد صاحب الكرسي الرسولي وهناك تحدث عن الأخطاء التي اقترفها الجيش الذي كان في أرض القدس ، ثم أنه أسرع في الذهاب حتى لا يتسلم أحد إمارة فلاندرز ، لأن الكونت فيليب دي فلاندرز قد توفي وباتت الإمارة خالية .

١٣١ - وسنتحدث الآن عن ملك فرنسا ، كما وسنتحدث عن ملك انكلترا وعن بارونات الذين مكثوا هناك فقد أعلم ملك انكلترا ان المسلمين قد أخذوا مدينة القدس ، وأن الفرصة التي توفرت له ممتازة ، فهو يستطيع الآن الاستيلاء عليها دون قتال أو مقاومة ، وأطلع الملك دوق بورغونيا وبارونات الجيش على ذلك ، واجتمعوا للتداول حول المسألة وقرروا في الاجتماع أن يذهبوا الى تحصين مدينة عكا ، ثم حملوا الأعتدة على السفن وأرسلوها الى يافا ، ثم اقتسموا الوظائف والأدوار ، اي اتفقوا على من سيقود المؤخرة وعلى من سيكون في المقدمة ، وتقرر ان يتولى الملك رتشارد ومع الكونت ايمري المقدمة ، وأن يقف دوق بورغونيا وجاك دي أفانز في المؤخرة .

وعندما سمع صلاح الدين أنهم على نية قصد هذه المناطق ، جمع قواته كلها ، وحاول أن يمنع المسيحيين من الذهاب الى يافا ، وطاردهم من الخلف ، وهاجمهم من اليمين ومن اليسار ، وقمعهم بجنوده وأطلق عليهم الحراب والسهام من جميع الجهات ، وكان عدد الجذود كبيراً ، وحين جاءوا لعبور نهر القصب

- ٣٩٣٢ -

وعندما أصبح الملك هناك رأى مدينة القدس المقدسة ، فنزل لكي يؤدي صلواته فهذا مايقوم به جميع الحجاج الذين يقصدون القدس فهناك يصلون ومن هناك يمكن رؤية الهيكل والضريح المقدس .

وبعدما أدى الملك صلواته وصلته رسالة من قبل أحد أصدقاء الجيش تقول أن دوق بورغونيا وصل الى عكا وكذلك عاد غالبية الفرنسيين الى عكا ، وعندما سمع الملك أن الدوق قد عاد ، غضب غضبا شديدا ، وعاد فورا الى يافا .

وعندما وصل دوق بورغونيا الى عكا ، لم يتجول بها بل توفي ودفن في مقبرة القديس نيقولا ولقد ألحق مؤتمره ومساquam به ضررا عظيما بالمسيحيين ، ولولا خلافه مع الملك بشأن الذهب الى القدس ، لتمكنت حملة ملك انكلترا من الاستيلاء على القدس وعلى جميع أراضي المملكة ، وأغلق ملك انكلترا يافا وقام بتحصيلها وشحنها بالرجال المسلحين وبالعناد تم ارتحل قاصدا مدينة عكا

كيف استولى فرسان الداوية على جزيرة قبرص ثم تخلوا عنها :

بعدما استولى ملك انكلترا على جزيرة قبرص وبات سيدها باعها الى الداوية بمبلغ مائة ألف دينار اسلامي ، وبعدما استولى رجال الداوية على جزيرة قبرص أرادوا أن يعاملوا سكان قبرص مثل معاملتهم لسكان اقطاعية قلعة من أراضي القدس ، وأرادوا أن يجبروا سكان الجزيرة على الخضوع لحكم وإرادة عشرين من رهبان الداوية ، وعندما رأى القبارصة مايلحقهم من أذى ومساوىء ، فضلا عن أنهم كانوا يكرهون اسيادهم هؤلاء ويتألمون كثيرا لزيادتهم ترواتهم ، لم يعوودوا قادرين على تحمل الأعباء التي أثقلهم بها رجال الداوية ، لذلك هبوا ضدهم ورحفوا

- ٣٩٣٣ -

لحصارهم في قلعة نيقوسيا ، ولما رأى رجال الداوية حشدا كبيرا من الناس زحفوا لحصارهم انزعجوا كثيرا وخافوا .

ولما رأى فرسان الداوية أن القبارصة لن يشفقوا عليهم مع أنهم كانوا مسيحيين مثلهم ، وأنهم بالوقت نفسه لم يأتوا إلى قبرص بجميع قواتهم ، عرفوا أنهم سيعذبونهم ، حتى يخرجوهم من جزيرة قبرص ، فعرضوا عليهم الخروج عن طيبة خاطر ، لكن عندما رأى القبارصة أن فرسان الداوية قد تواضعوا أمامهم كثيرا تعجرفوا وركبوا رؤوسهم وقالوا : أنهم لن يسلموهم بالخروج ، بل سينتقمون منهم ومن أهلهم ، ومن أصدقائهم لأن اللاتين حطموهم وقتلوهم ، وعندما رأى فرسان الداوية أن القبارصة لن يشفقوا عليهم مع أنهم ..

كيف يمكنه الحصول على المال والقروض ، فسأله الأسقف عن المدة المستوجب عليه فيها تسديد المبلغ ، فأجابه الملك أن عليه أن يسدد ثمنها خلال شهرين ، وبناء عليه ذهب الأسقف الى طرابلس واقترض من أعيان المدينة مبلغا من المال ، وما أن انقضى أول شهر حتى أحضر المال الى الملك غي ، فقام هذا بدوره فأعطاه الى ملك انكلترا حسب الاتفاق المعقود بينهما ، وأراد الذهاب الى جزيرة قبرص ، وهنا طالبه الملك رتشارد بالمبلغ المتبقي عليه وقدره أربعين ألف دينار ، فطلب منه الملك أن يسامحه به ، لأنه كان فقيرا ، وليس لديه مال ، وكان رتشارد كريما فلم يطالبه بشيء فيما بعد .

...كانوا مسيحيين مثلهم ، وأنهم بالوقت نفسه لم يأتوا الى قبرص بجميع قواتهم ، عرفوا أنهم سيعذبونهم حتى يخرجوهم من جزيرة قبرص ، فعرضوا عليهم الخروح عن طيبة خاطر ، ولكن عندما رأى القبارصة أن فرسان الداوية قد تواضعوا أمامهم كثيرا تعجرفوا وركبوا رؤوسهم ، وقالوا : إنهم لن يسلموهم لهم بالخروج ، بل سينتقمون منهم ومن ذويهم ومن أصدقائهم ، لأن اللاتين حطموهم وقتلوهم .

وعندما سمع الأخ رينو بوكارت الذي كان مقدمهم والاخوة الفرسان الآخرون أن القبارصة ليس لديهم أنى شفقة نحوهم ، توسلوا الى الرب وسلموا أمرهم له ، واعترفوا وتناولوا القربان المقدس ، وتسليحوا وخرجوا ضد القبارصة ، فأعطى الرب بعنايته النصر الى فرسان الداوية ، وهكذا هزموهم ، وقتلوا عددا كبيرا منهم ، كما أسروا بعضا آخر منهم ، وإثر هذا ذهبوا الى عكا وأطلعوا مقدم الداوية على تفاصيل ما حدث ، ثم تشاوروا فيما بينهم وتداولوا ، وأخيرا اتفقوا على ألا يتمسكوا بالجزيرة ، وأن يعيدوها الى الملك رتشارد إذا أعاد إليهم القلعة التي أعطوه إياها .

١٣٤ - وقام الفارس روبرت دي سابلوي مقدم الداوية ورجالاته البير بالتوجه الى الملك رتشارد ، والتمسوا منه أن يعيد اليهم القلعة التي منحوه إياها ، وأن يسترد بالمقابل الجزيرة ، لأنها لم تكن أبدا المكان الذي يستطيعون التمسك به ، وقد تأثروا كثيرا من أعماق قلوبهم لأنهم لا يستطيعون ، لا بل لا يجروؤن على التمسك بالجزيرة والاحتفاظ بها ، وعندما سمع الملك رغبتهم ، قرر تسلم الجزيرة منهم ، فطالبوه بالمال الذي أعطوه إياه ، فأجابهم هذا الملك بأنه لن يعيد المال اليهم مطلقا ، لأنه أخذ قلعتهم بثمن مرتفع مع أنها لا تساوي نصف أو ربع السعر الذي دفعه .

ولما استرد الملك رتشارد جزيرة قبرص من فرسان الداوية الحقها بمملكته ، وإثر ذلك جاء اليه الملك غي الذي بقي بدون إرث وبدون

مملكة ، وخاطب الملك رتشارد بقوله : « مولاي ، انك تعلم بأنني بدون ارث وبدون مملكة ، لذلك التمس منك أن تبيعني جزيرة قبرص بقدر ما بعثها لفرسان الداوية ، ووافق الملك رتشارد ، وقال انه راض ببيعها له بمثل ما باعها لفرسان الداوية ، وفرح الملك غي فرحا عظيما ، ومالبت أن تحدث الى مستشاره بييردي أنغويم أسقف طرابلس في ذلك الحين ، وأعلمه كيف انه اشترى جزيرة قبرص ، ولكونهما صديقان طلب منه أن يبين له كيف يمكنه الحصول على المال أو من أين يمكن اقتراضه ، فسأله : « ما هي الفترة المتفق عليها لدفع هذا المال ؟ » فأجابه : انه من المتوقع عليه أن يسدد ثمنها خلال شهرين ، فأجابه الأسقف انه خلال شهرين سيعينه الرب على ذلك ، ثم سافر الأسقف فوراً بواسطة إحدى السفن الى مدينة طرابلس ، فاقترض من سايس الذي كان من اعيان طرابلس ومن يوهان دي لي موناى ومن اثرياء آخرين مبلغا من المال ، وبعدما انقضى شهر على ذلك حمل هذا المال الى الملك غي فدفعه بدوره الى الملك رتشارد حسب الاتفاق المعقود بينهما.

وعندما قصد الملك قبرص للاستيلاء عليها ، اصطحب معه عددا من فرسان المملكة الفقراء . وأرسل الملك غي رسالة الى صلاح الدين يستشيريه كيف يمكنه السيطرة على جزيرة قبرص ، ولدى تسلم صلاح الدين الرسالة منه قال انه لا يحب الملك غي ، ولكن بما انه طلب مشورته فسينصحه بكل أمانة ويقول له ما يملكه من آراء مفيدة له ، ثم التفت نحو الرسل قائلا : « قولوا للملك غي انه اذا اراد التملك في جزيرة قبرص فليضم الجزيرة كلها وليضعها بأكملها تحت سلطانه » . وعاد الرسل الى الملك غي وأعلموه بالذي نصح به صلاح الدين ، وبنصيحته أخذ ، فبعث برسله الى أرمينية وانطاكية وعكا معلنا ان كل من يود القدوم الى قبرص والسكن بها فسيعطيه ما يحتاجه للعيش ، وهكذا ذهب الى قبرص الفرسان والسيرجانتية والفرنجة الذين جردهم المسلمون من ممتلكاتهم والنساء الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن ، والفتيات اللواتي فقدن آباءهن ، فأعطى الملك لهؤلاء أراضى واسعة ، وكل من جاء اليه حصل على ما رغب بالحصول عليه ، وتزوجت الأرامل والفتيات اليتامى من الشبان الذي قدموا الى الجزيرة ، وساعدهم الملك بما له ، وأعطى لكل فارس ثلاثة اقطاعات ولكل واحد من السيرجانتية الخيالة اقطاعين ، أما البقية الذين سلكوا المدن فأعطاهم أراضى واسعة ، ومنح كبيرة ، وقد وزع كل شيء حتى لم يبق لديه الا ما يكفي لعشرين من فرسانه ، وهكذا سكن الملك غي جزيرة قبرص ، ولو أن الامبراطور بولدوين فعل الشيء نفسه عندما سكن القسطنطينية ، لما كان فقدوها ، لكنه طمّع بحيازة كل شيء لنفسه ، فكان أن فقد حياته وكل البلاد .

ونهب الملك غي ليتسلم جزيرة قبرص ، ومن ثم ليقيم نفسه سيدا عليها ، فطالبه الملك رتشارد بمبلغ الأربعين ألف دينار المتبقي عليه ، وهنا التمس منه الملك غي أن يسامحه ويعفيه من دفع هذا المبلغ ، لما كان يعانيه من الفقر ، فضلا عن أنه لم يرث شيئا من أهله ، والآن عندما بات ملكا لقبرص صار واحدا من رجاله ، ولهذا تمنى عليه أن يسقط عنه المطالبة بهذا المبلغ ، وكان الملك رتشارد كريما لذلك سامحه ولم يطالبه فيما بعد بشيء .

١٣٥ - وبعدما أعفى ملك انكلترا الملك غي من دفع مبلغ الأربعين ألف دينار ، نهب الى قبرص واصطحب معه عددا من فرسان المملكة الفقراء ، ثم أرسل الملك غي رسالة الى صلاح الدين يستشيريه كيف يمكنه السيطرة على جزيرة قبرص ، ولدى تسلم صلاح الدين الرسالة منه قال انه لا يحب الملك غي ، ولكن بما انه طلب مشورته فسينصحه بكل أمانة ، وسيقول له ما يملكه من آراء مفيدة له ، ثم التفت الى الرسل قائلا : « قولوا للملك غي انه اذا اراد التملك في جزيرة قبرص فليضم الجزيرة كلها وليضعها بأكملها تحت سلطانه ، وعاد الرسل الى الملك غي وأعلموه بالذي نصحه له صلاح الدين .

١٣٦ - وسأحدثكم الآن عما فعله الملك غي بعدما تسلم جزيرة قبرص ، فقد أرسل رسلا من قبله الى أرمينية والى انطاكية والى عكا والى كل البلدان معلنا : انه كل من أراد القدوم الى قبرص للسكنى بها سيؤمن لهم كل سبل العيش فيها .

وعندما سمع الفرسان والسيرجانتية والفرنجة النين جردهم المسلمون من ممتلكاتهم نداء الملك غي تحركوا وسافروا الى عنده ومعهم فتيات ويتامى كثيرون من أبناء البارونات والفرسان والجنود النين ماتوا في سورية أو فقدوا فيها ، فأعطاهم الأمان وقدم اليهم المساعدات ، وكذلك أمن القبارصة النين ثاروا على الداوية والحقهم بخدمته مثلهم مثل الفرسان النين اصطحبهم معه .

وكذلك رعى البنائين والكتاب ، وهكذا بحمد الرب صاروا جميعا فرسانا وحماة كبارا لجزيرة قبرص ، كما أنه زوج النساء اللاتي قدمن الى الجزيرة وأعطاهن من ماله مساعدة نالها كل من تزوج ، وهكذا استقروا جميعا في قبرص بسلام .

لقد منح أراخي الى كل هؤلاء والى الفرسان والسيرجانتية الخيالة ، أما اهل المدن الذين سكّنوا الآن في المدن فقد أعطاهم أراخي وأشياء كثيرة ، وقد وزع كل شيء حتى أنه لم يبق من جزيرة قبرص الا ما يكفي لعشرين فارسا جعلهم تحت سيطرته المباشرة ، وهكذا سكّن الملك غي مع هؤلاء في جزيرة قبرص ، وأقول لكم لو أن الامبراطور بلدوين أسكن الناس في القسطنطينية مثلما فعل الملك غي في قبرص لما كان خسرهما ، ولكنه مات لانه أراد الاحتفاظ بكل ما في الامبراطورية له شخصيا ، ولذلك فقد كل شيء ، ويقول المثل « من يحاول احتضان كل شيء يخسر كل شيء » .

كيف فتك الحشيشية بالماركيز :

وحدث أن وصلت سفينة من سفن تجار المسلمين من بلاد الحشيشية الى مدينة صور ، وكان الماركيز هو سيد المدينة يتصرف فيها وفق هواه ، وهكذا بعث برجاله فاستولوا على السفينة ، وعندما علم مقدم الحشيشية بما حدث بعث برسالة الى الماركيز تهدده بها ، وطلب منه اعادة ما انتزعه من رجاله والا فسيقتله ، فأجابه الماركيز بأنه لن يعيد شيئا أبدا ، وعند ذلك طلب مقدم الحشيشية من اثنين من رجاله الذهاب الى مدينة صور ليقبلا الماركيز ، فنفذا الأمر وارتحلا ، وعندما وصلا الى صور تظاهرا انهما مسيحيين فقد لبسا لباسهم ، وقصد احدهما الماركيز وقصد الآخر بالين الذي كان متزوجا من الملكة ماري ، والمقيمة آنذاك بـ صور .

وحدث في احد الايام أن ايزابييل زوجة الماركيز كانت بالحمام ، ولم يشأ الماركيز تناول طعامه حتى تعود ، غير انها مكثت مدة طويلة بالحمام وهو راغب بالأكل ، لذلك امتطى فرسه هو وبعض الفرسان وذهب الى بيت رئيس الاساقفة دي بـواف ليتناول الطعام معه ، غير انه عندما وصل اليه وجده قد تناول طعامه فقال له : « مولاي الاسقف لقد جئت لتناول الطعام معكم ، ولكن بما أنكم قد تناولتم طعامكم فسأعود من حيث أتيت » وسر الاسقف بقدومه ورجاه بالبقاء حتى يقدم له ما يأكله ، لكنه لم يقبل ، وأخذ الطريق عائدا الى بيته ، وفيما هو في طريق العودة مر بطريق ضيق ، وإذا به برجلين وقفا على جانبي الطريق ، كل واحد منهما على جانب ، وقد وقفا أمامه ، وتقدم واحد منهما منه وناولته رسالة ، ومد الماركيز يده لتناول الرسالة ، فما كان من الآخر الا أن استل مدية هاجمه بها وطعنه عدة طعنات فأرداه قتيلا ، ولقد دفن في بيت فرسان الاسبتارية ، وحدث هذا في سنة ١١٩١ لتجسيد يسوع المسيح .

**كيف تزوج الأمير هنري دي شامبين سن ايزابييل
التي كانت زوجة الماركيز :**

وسمع ملك انكلترا الذي كان مقيما في يافا أن فيليب ملك فرنسا قد وصل الى بلاده .

١٣٧ - وسأحدثكم الآن عما قدم من قبرص التي قامت صلات بينها وبين سورية وبلاد ما وراء البحر - فقد حدث أن وصلت سفينة عليها تجار من بلاد المسلمين ، ومن بلاد مقدم الحشيشية الى مدينة صور ، وكان الماركيز هو المتصرف بشؤون مدينة صور والمتحكم بها ، ولذلك بعث رجاله فاستولوا على السفينة ، وعندما علم مقدم الحشيشية بما قام به الماركيز ، كتب اليه يتهدده وطلب منه اعادة ما انتزعه من رجاله واطلاق سراحهم والا سيقتله ، فرد

عليه الماركيز بأنه لن يعيد اليه شيئاً ، ثم راسله مقدم الحشيشية ثانية وكرر طلبه ، لكن الماركيز كرر الرفض ، وبناء عليه أصدر مقدم الحشيشية أوامره الى اثنين من رجاله للذهاب الى مدينة صور واغتيال الماركيز ، فنفذا الأمر وارتحلا ، وعندما وصلا الى مدينة صور دخلاهما وهما متظاهرين بأنهما من المسيحيين ، فقد لبسا لباسهم ، وقصد أحدهما الماركيز وأما الآخر فقد قصد الى بالين الذي كان متزوجا من الملكة ماري ، التي كانت مقيمة في مدينة صور .

وحدث في أحد الايام أن كانت ايزابييل زوجة الماركيز بالحمام ، ولم يرغب الماركيز بتناول طعامه حتى تعود ، غير أنها مكثت مدة طويلة بالحمام ، وبما أنه كان راغبا بالاكل فقد امتطى ظهر حصانه وقام برفقة بعض الفرسان بالذهاب الى بيت دي بواف رئيس اساقفة صور مستهدفا تناول الطعام منه ، لكنه عندما وصل اليه وجده قد تناول طعامه ، ومع هذا قال للأسقف : « مولاي الاسقف لقد جئت لاتناول الطعام معكم ، ولكن بما أنكم قد تناولتم طعامكم فسأعود من حيث أتيت » .

وابتهج الاسقف بقدومه وترجاه بالبقاء حتى يقدم مايأكله ، لكنه لم يقبل ، ثم مالبت الماركيز أن أخذ الطريق عائدا الى بيته ، وفيما هو خارج من بوابة بيت رئيس اساقفة صور ، وإذا به برجلين قد وقف كل واحد منهما على أحد الجانبين ، ثم تقدما منه ، وقام أحدهما بمناولته رسالة ، ومد الماركيز يده لتناول الرسالة ، فما كان من الآخر الا أن استل مديّة ووثب عليه فطعنه بها عدة طعنات فأرداه قتيلا ، وجرى اعتقال القاتلين ، ثم حمل جثمان الماركيز حيث جرى دفنه في مقر فرسان الاسبتارية ، وقد حدث هذا في سنة ١١٩١ لتجسيد مولانا يسوع المسيح (الصحيح ٢٨ - نيسان ١١٩٢) .

١٣٨ - وكان ملك انكلترا مقيما في يافا ، وقد سمع تقارير وردت

من بلاد ماوراء البحار تفيد أن الملك فيليب ملك فرنسا قد عاد سالما الى مملكته ، وبخل الى فرنسا واستقر في غيسورت ، وهنا أراد ملك انكلترا الاستيلاء على كل البلاد والسيطرة عليها لنفسه ، فغادر يافا وقصد مدينة عكا ، ثم مالبت أن وصلت الأخبار تتحدث عن اغتيال الماركيز من قبل الحشيشية ووجهت أصابع الاتهام والملامة الى الملك رتشارد وقيل انه قتل الماركيز بالتآمر مع الحشيشية والاتفاق معهم .

واستقر في غيسورت ، وهنا أراد ملك انكلترا السيطرة على كل البلاد فغادر يافا الى عكا ، ومالبت ان وصلت الأخبار تتحدث عن اغتيال الماركيز من قبل الحشيشية ووجهت أصابع الاتهام والملامة الى الملك رتشارد .

وسرت اشاعات ان الملك رتشارد قد تآمر مع مقدم الحشيشية ليرسل رجاله للفتك بملك فرنسا ، ولاندرى مدى صحة هذه الاخبار ، وقد اطلع ملك فرنسا على هذه المؤامرة ، فمما كان منه بعدما سمع بذلك الا أن شدد الحراسة حول نفسه وهكذا لم يسمح لزم من طويل لرجل غريب أو أجنبي من الاقتراب منه .

ووجه آخرون الاتهام والملامة الى الملك غي بسبب الاهانة التي وجهت اليه عندما جاء ومعه الملاكة سيبل من طرابلس ، ووقفا أمام مدينة صور فمنعهما الماركيز من الدخول اليها .

وعندما تأكد ملك انكلترا من صحة خبر وفاة الماركيز ، استدعى بارونات مملكة القدس للتشاور معهم بشأن مدينة صور ، واصطحب معه الكونت هنري ليزوجه من ايزابييل أرملة الماركيز ، وعندما فاتحه الملك رتشارد بهذا الموضوع قال له الكونت : ان هذه السيدة التي تريد ان تزوجني منها حامل من الماركيز ، واذا ماولدت ولدا ذكرا فهو الذي سيرث المملكة ، ثم استطرد يقول : وسأكون وقتها مزعوجا من السيدة ، وأنت تعلم شخصيا السبب الذي يجعلني غير

قادر على الذهاب الى شاميين ، فقال له الملك : « سأعطيك كل مايلزم من مساعدة للذهاب الى شاميين ، وأعدك أيضا أنني إذا مامكنني الرب من الذهاب الى انكلترا ، سأجهز جيشا أقدم على رأسه لاساعدك به على اعادة احتلال كل اجزاء المملكة مع احتلال بلدان أخرى أيضا ، وستتوفر لدي القدرات حين أعود ، فأتمكن من الاستيلاء على امبراطورية القسطنطينية ، وفي ذلك ستنال مساعدة كبرى ، كما أنني سأمنحك جزيرة قبرص التي سبق لي الاستيلاء عليها ، ذلك أن الملك غي لم يسند لي مجمل ثمنها ، ومازال مدينا لي بمبلغ أربعين ألف دينار ، وانني سأطارده وسألاحقه ، ولن يفلت أبدا من يدي حتى يعيد الي جزيرة قبرص » .

وبناء عليه وافق الكونت هنري على الزواج المقترح من السيدة ، واحتفل بزواجه من السيدة (في الخامس من أيار سنة ١١٩٢ في مدينة صور) وقيل ان غالبية الشعب ونخبة الناس في المملكة أقسموا متعهدين أنهم سيجعلون ذويه ، أي أبناءه سادة القدس وملوكها ، وكان هؤلاء الذين تعهدوا بهذا للكونت هنري ممن لم يتفاهم مع الماركيز ، ولم يرغبوا به ولا بذريته .

وكان البيازنة الذين أقاموا في صور قد اشتكوا من الماركيز ، فقد كانوا قد أقرضوه أموالهم لشراء جزيرة قبرص ، لكن الماركيز لم يسد لهم المال الذي استلفه منهم ، فما كان منهم الا أن بعثوا برسول خاص من قبلهم الى الملك غي ليأتي الى المملكة ليسلموه صور ، غير ان الملك رتشارد فاجأه ، لأن اغتيال الماركيز وقع يوم الثلاثاء ، وفي يوم الخميس تزوجت ايزابيلا من الكونت ، وبناء عليه بعث الملك رتشارد رسولا الى الملك غي ليحضره اليه ، ولكن الملك غي أعلم الرسول بتمنعه من الاستجابة والذهاب معه .

- ٣٩٤٦ -

كيف أغاث ملك اذكلترا يافا التي هاجمها صلاح
الدين وكاد ان يحتلها :

علم صلاح الدين أن الملك رتشارد قد سافر من يافا ووصل الى
عكا ، فما كان منه الا أن حشد قواته وحاصر يافا ، ونصب أمامها
المجانيق وأخذ يقذفها ، وركز رماياته على القلعة حتى أن النين
كانوا في داخلها لم يعرفوا الراحة ليلا ولانهارا .

وذكر أنه تعاون تعاوننا تماما مع مقدم الدشيشية حتى يرسل بعض رجاله للفتك بملك فرنسا ، ولاندرى مدى صحة هذا الخبر ، المهم أن ملك فرنسا قد اطلع على هذا الأمر ، فما كان منه بعدما سمع بهذا الخبر حتى شدد الحراسة حول نفسه ، ولزمن طويل لم يسمح لرجل غريب أو أجنبي من الاقتراب منه .

ووجه اخرون الاتهام واللوم الى الملك غي للاهانة التي وجهت اليه عندما جاء ومعه الملكة سيبل من طرابلس ، ووقفا امام مدينة صور فمنعهما الماركيز من الدخول اليها

وعندما تأكد ملك انكلترا من صحة خبر وفاة الماركيز ، استدعى بارونات مملكة القدس للتشاور معهم بشأن مدينة صور واصطحب معه الكونت هنري ليزوجه من ايزابييل أرملة الماركيز ، وبعدما فاتحه الملك رتشارد بهذا الموضوع قال له الكونت : « ان السيدة هذه التي تريد ان تزوجني منها حامل من الماركيز ، واذا ولدت ولدا ذكرا فهو الذي سيرث المملكة ، ثم استطرد يقول : وسأكون وقتها مزعوجا من السيدة ، وأنت تعلم شخصا السبب الذي يجعلني غير قادر على الذهاب الى شامبين ، فقال له الملك : « سأعطيك مايلزم من مساعدة للذهاب الى شامبين ، وأعدك أيضا اذا مكنتي الرب من الذهاب الى انكلترا ، سأجهز جيشا أقدم على رأسه لا يساعدك به على احتلال كل اجزاء المملكة واستردادها مع احتلال بلدان أخرى أيضا ، وستتوفر لدي القدرات حين أعود فأتمكن من الاستيلاء على امبراطورية القسطنطينية ، وفي ذلك ستنال مساعدة كبرى ، كما أنني سأمنحك جزيرة قبرص التي سبق واحتللتها ، ذلك أن الملك غي لم يسد لي مجمل ثمنها ومازال مدينا لي بمبلغ اربعين الف دينار ، وانني سأطارد وسألاحقه ولن يفلت أبدا من يدي حتى يعيد الي جزيرة قبرص » .

ولهذا وافق الكونت هنري على الزواج المقترح ، واحتفل بزواجه من السيدة (في الخامس من أيار سنة ١١٩٢) وذلك في مدينة

- ٣٩٤٨ -

صور) وقيل ان غالبية الشعب ونخبة الناس في المملكة أقسموا له متعهدين أنهم سيجعلون ذويه أي أبناءه سادة القـدس وملوكها ، وكان هؤلاء الذين تعهدوا بهذا الكونت هنري ممن لم يتفاهم مع الماركيز ولم يرغبوا به ولا بذريته .

١٣٩ - وكان البيازنة الذين أقاموا في صور قد اشتكوا من الماركيز ، فقد كانوا قد أقرضوه أموالهم لشراء جزيرة قبرص ، لكن الماركيز لم يرد لهم المال الذي استلفه منهم ، فما كان منهم الا أن بعثوا برسول خاص الى الملك غي ليأتي الى المملكة ليسـلموه صور .

غير ان الملك رتشارد فاجأه ، لأن قتل الماركيز وقع يوم الثلاثاء ويوم الخميس تزوجت ايزابيل من الكونت .

وعند ذلك بعثوا برسالة الى الملك رتشارد يخبروه فيها أن القلعة التي كان قد حصنها واقعة الآن تحت حصار صلاح الدين الشديد ، واستدعى الملك رتشارد الصليبيين وأعيان الرجال في عكا ، وأخبرهم أن صلاح الدين قائم على حصار قلعة يافا ، وأراد أن يعرف مدى رغبتهم واستعدادهم وأرادتهم في تقديم المساعدة والنجدة ، فأجابوه جميعا أنهم على استعداد للسير معه في سبيل خدمة مصالح المسيحيين ، ثم اتفقوا فيما بينهم على أن يذهب الملك بهرا ، ويزحف الفرسان برا ، وقد سار على رأس المقدمة هيو صاحب طبرية وبلدوين صاحب بيسان ، وسار في المؤخرة بالين دي ابلين ، ووليم صاحب طبرية ، وتراعى الى مسامع المسلمين بأن الملك رتشارد قادم لنجدة يافا ، فزادوا من ضغطهم على القلعة وشددوا الهجمات عليها ، وعندما رأى المحاصرون داخل القلعة انفسهم وقد اشتد عليهم الحصار ولا مخرج أمامهم راسلوا صلاح الدين يعرضون عليه الاستسلام مقابل التأمين على حياتهم .

وكان صلاح الدين قد علم من مخبريه أن المسيحيين قادمين لنجدة يافا ، فشدد حصاره على القلعة وزاد ضغطه عليها حتى يستولي عليها قبل وصول المسيحيين ، وفيما هذا يحدث في يافا كان الملك رتشارد قد غادر عكا مساء ومعه سفنه فوصل الى يافا عند الفجر ، وعندما وصل الى المرفأ سمع هراخ الناس وضجة عظيمة ، فسأل رجلا كان واقفا فوق السور عما يجري ، فأجابه هذا الرجل : ان المسلمين قد استولوا على القلعة واقتادوا المسيحيين

الى السجون ، فأقسم يمينا بحق القديس جاك بأنه لن يسمح بذلك ، فما كان منه الا أن لبس سلاحه وحمل سيفه بيده ونزل الى الأرض وتبعه رجاله فصعدوا جميعا الى القلعة ، فأنجدوا المسيحيين ، وهكذا حافظ جيدا على قسمه .

وبناء عليه بعث الملك رتشارد رسولا الى الملك غي ليحضره اليه ، ولكن الملك غي أعلم الرسول برفضه الاستجابة والذهاب معه .

وعلم صلاح الدين أن الملك رتشارد قد سافر من يافا ووصل الى عكا ، فما كان منه الا ان حشد قواته وحاصر يافا ، ونصب امامها المجانيق وشرع يقذفها ، وقد ركز رماياته على القلعة حتى أن الذين كانوا في داخلها لم يعرفوا الراحة ليلا ولانهارا .

وعند ذلك بعثوا برسالة الى الملك رتشارد يخبروه فيها أن القلعة التي كان قد حصنها واقعة الآن تحت الحصار ، من قبل صلاح الدين ، وهو حصار شديد جدا ، ودعا الملك رتشارد الى اجتماع عام لاعيان عكا ، وأراد أن يعلم عن مدى استعدادهم للسير معه وتقديم المساعدة له خدمة لمصالح المسيحيين ، فأجابوا جميعا بالموافقة على السير معه خدمة لمصالح المسيحيين ، ثم اتفقوا فيما بينهم أن يسافر الملك بحرا ، ويزحف في الوقت نفسه الفرسان برا ، وقد سار على رأس المقدمة هيو صاحب طبرية وبلدوين صاحب بيسان ، وسار في المؤخرة بالين دي ابلين ووليم صاحب طبرية ، وقرامى الى مسامع المسلمين أن الملك رتشارد قادم لنجدة يافا ، فزادوا من ضغطهم على القلعة وشددوا الهجمات عليها ، وعندما رأى المحاصرون في القلعة أنفسهم وقد اشتد عليهم الحصار ، ولا مخرج أمامهم راسلوا صلاح الدين يعرضون عليه الاستسلام مقابل التأمين على حياتهم ، وكان الذي فاوض صلاح الدين باسمهم راندولف اسقف بيت لحم وشخص آخر اسمه أوبري دي راينس .

وكان الملك رتشارد قد غادر عكا مساء ، وأقلع ومعه سفنه فوصل الى يافا عند الفجر ، وكان رجال صلاح الدين قد دخلوا القلعة وانتشر رجال المسلمين في المدينة ، وثارت هناك جلبة كبيرة وضجة وعمت الفوضى ، وعندما وصل الملك رتشارد الى ميناء يافا ، وسمع

الصراخ ، سأل رجلا كان واقفا فوق السور عما يجري ، فأجابه هذا الرجل ان المسلمين قد استولوا على القلعة ، واقتادوا المسيحيين الى السجون فبادر الى حمل سلاحه وأقسم بأنه لن يسمح بسقوط القلعة ، وشهر سيفه ونزل الى اليايسة . ولحق به رجاله ، فصعدوا جميعا الى القلعة ، فأسعدوا المسيحيين واستنقذوا الاسرى ، وبذلك حافظ الملك على قسمه .

أمر الملك ركاب السفن بأن يضعوا أشجارا وأوتادا وحواجز أمام القلعة لصد هجمات المسلمين ، ونفذت أوامره تنفيذًا كاملا ، وهاجم المسلمون رجالنا حتى اشتبكوا معهم بالأيدي داخل ساحة القلعة ، ودافع المسيحيون عن أنفسهم بشدة وقوة ، وكان عندما يدخل المسلمون من جهة يخرجهم المسيحيون بالقوة من جهة أخرى ، وقاتل الملك بكل شجاعة ، وكسر في يده السيف ، فدافع عن نفسه بسيف آخر ، وظل يقاتل حتى حقق هدفه ، وأتذاك ألقى ما عليه من سلاح الى الأرض .

وعاد المسلمون الى مواقعهم ، واثّر ذلك سألهم صلاح الدين فيما اذا كانوا قد استولوا على القلعة ، فأجابه هؤلاء : ان ملك انكثرا قد وصل وأغاثهم ، وهنا سأل سيف الدين أخو صلاح الدين : وأين هو الملك ، وأين هو واقف ؟ فأشار له أحدهم وأوضح أنه واقف وسط رجاله على هضبة هناك ، وعند ذلك قال سيف الدين : هذا شيء مستحيل ، ومن غير المعقول أن يكون الملك واقف على قدميه بين رجاله ، فما كان منه الا أن أمر بأسراج حصان ولجمه بمقود ، ثم أرسله مع أحد الجنود ، وكلفه ان يقول للملك : انه شيء غير مناسب أن يحارب الملك واقفا على قدميه ، ولاحظ الملك الخدعة ، وأدرك أن الحصان فيه شرك للايقاع به وأسرّه ، فما كان منه الا أن أعاده الى الرسول وقال له : « شكرا لمولايك لارساله الحصان ، وقل له أنه لم يرسل هذا الحصان لحبة بيني وبينه ، ولكنه أرسله من أجل هلاكى » وعاد الرسول وقاد الحصان

- ٣٩٥٢ -

الى سيده وقال له : ان الملك قد اكتشف الخدعة ، وخجل سيف
النين ، ثم عاد وأرسل له حصانا آخر مع الرسول نفسه الذي كان
قد قاد اليه الحصان الاول ، وامتنى الملك صهوة الحصان ، وكان
سلاحه عجيبا ، وفي اليوم التالي وصل الجيش والفرسان الى
يافا ، وحارب صلاح النين بشدة ومداومة ، وقد تألم كثيرا لسوء
المعاملة التي تلقاها راندولف اسقف بيت لحم ، وأوبري دي راينس
الذان ماتا في السجن .

١٤٠ - أمر الملك ركاب السفن بأن يضعوا أشجارا وأوتادا وحواجز أمام القلعة لصد هجمات المسلمين ، ودفنت أوامرهم تنفيذًا كاملاً ، وهاجم المسلمون رجالنا حتى اشتبكوا معهم بالأيدي داخل ساحة القلعة ، ودافع المسيحيون عن أنفسهم بشدة وقوة ، وكان عندما يدخل المسلمون من جهة يخرجهم المسيحيون بالقوة من جهة أخرى ، وقاتل الملك بكل شجاعة ، وكسر في يده سيفه ، فدافع عن نفسه بسيف آخر ، وظل يقاتل حتى حقق هدفه ، وإنذاك القى ماعليه من سلاح الى الأرض .

وعاد المسلمون الى مواقعهم ، واثّر ذلك سألهم صلاح الدين فيما اذا كانوا قد استولوا على القلعة ، فأجابه هؤلاء : ان ملك انكلترا قد وصل وأغاثهم ، وهنا سأل سيف الدين أخو صلاح الدين : وأين هو الملك ، وأين هو واقف ؟ فأشار له أحدهم وأوضح أنه واقف وسط رجاله على هضبة هناك ، وعند ذلك قال سيف الدين : هذا شيء مستحيل ، ومن غير المعقول ان يكون الملك واقف على قدميه بين رجاله فما كان منه الا أن أمر بأسراج حصان ولجمه بمقود ، ثم أرسله مع أحد الجنود ، وكلفه أن يقول للملك : انه شيء غير مناسب أن يحارب الملك واقفاً على قدميه ، ولاحظ الملك الخدعة ، وأدرك أن الحصان فيه شرك للايقاع به وأسرّه ، فما كان منه الا أن أعاده الى الرسول وقال له : « شكراً لولاك لإرساله الحصان ، وقل له إنه لم يرسل هذا الحصان لمحبة بيني وبينه ، ولكنه أرسله من أجل هلاكى » . وعاد الرسول وقاد الحصان الى سيده وقال له : ان الملك قد اكتشف الخدعة ، وخجل سيف الدين ، ثم عاد وأرسل له حصاناً آخر مع الرسول نفسه الذي كان قد قاد اليه الحصان الاول ، وامتطى الملك صهوة الحصان ، وكان سلاحه عجيباً ، وفي اليوم التالي وصل الجيش والفرسان الى يافا وحارب صلاح الدين بشدة ومداومة ، وقد تألم كثيراً لسوء المعاملة التي تلقاها راندواف أسقف بيت لحم ، وأوبري دي راينس اللذان ماتا في السجن .

١٤١ - وبعدما وصل الملك والجيش الى يافا لانجانبها نشب

خلاف حاد جدا بين صلاح الدين وأمراء جيشه ، ولم يلاحظ رجالنا ذلك ، حتى انسحب المسلمون من أمام يافا ، وذهبوا للتمركز بين الد ورام الله ، وذهب الملك وجنوده للإقامة في قلعة السهل (قرب يازور) وسمع صلاح الدين أن الملك يلاحقه ، وفي الوقت نفسه ارتاب صلاح الدين بأخيه سيف الدين وببقية الأمراء ، لذلك لم يقيم في معسكره ولم ينتظر وصول الملك بل توجه الى سورية الجافة حتى يقوم بتحسين قلعتي الكرك والشوبك ، اللتان كان قد استولى عليهما منذ زمن قريب .

الملك رتشارد يستولي على قافلة اسلامية ثرية :

بعدها وصل الملك والجيش الى يافا لانجاءها نشب خلاف حاد جدا بين صلاح الدين وأمراء جيشه ، ولم يلاحظ رجالنا ذلك ، حتى انسحب المسلمون من أمام يافا ، وذهبوا للتمركز بين الد ورام الله ، وذهب الملك وجنوده للإقامة في قلعة السهل (قرب يازور) وسمع صلاح الدين أن الملك يلاحقه ، وفي الوقت نفسه ارتاب صلاح الدين بأخيه سيف الدين وببقية الأمراء ، لذلك لم يقيم في معسكره ولم ينتظر وصول الملك ، بل توجه الى سورية الجافة حتى يقوم بتحسين قلعتي الكرك والشوبك ، اللتان كان قد استولى عليهما منذ زمن قريب .

وذهب الملك وجنوده ليتمركزوا قرب قلعة الفرسان الداوية في النطرون وهناك وصل اليه اثنان من البدو ، وأخذا من الملك الامان والثقة ، وأقسما له يمينا تعهدا به بأنهما سيخدماه باخلاص وسيطلعه على كمائن جيش صلاح الدين ، وعن كل مايدور حول صلاح الدين وجميع أهل البلاد وسمع عدد من مماليك أمراء صلاح الدين الاحاديث التي راجت حول كرم الملك وسماحته وحسناته ، فصار كل من غضب من مولاة يفر اليه هاربا ، ويلتحق به ويصبح تحت حماية ملك انكلترا ، وتزايد عدد هؤلاء المماليك حتى

وصل الى ثلاثمائة مملوك ، ويذكر أنه عندما غادر الملك سورية عائدا الى بلاد ماوراء البحار اصطحب معه من هؤلاء المماليك مائة وعشرين مملوكا .

وتجسس البدويان لصالح الملك وراقبا الطرق فاطلعا على خبر قافلة كبيرة وغنية كانت قادمة من مصر الى دمشق ، فتوجها الى الملك وأطلعاه على خبر هذه القافلة الكبيرة التي ستعبر قريبا من هناك ، وهي قد قدمت من مصر تريد دمشق للشعور بالآمان وأن صلاح الدين قد استولى على يافا وأن القوات المسلمة مسيطرة على المنطقة ، ثم ان ملك فرنسا والفرنسيين كانوا قد عادوا الى بلادهم منذ زمن طويل ، ولم يكن لدى الملك رتشارد عدد كبير من الرجال حتى يضطروا الى العبور في الممرات الجبلية ، وكانوا مطلقين اطلاقا جيدا على الخلافات الحاصلة في معسكر صلاح الدين ويعرفون واقع حال الملك رتشارد ، وأرسل اليهم صلاح الدين أربعين رجلا مسلحا حتى يقودوهم الى الغور .

وطلب الملك رتشارد من البدويين اللذان نقلوا له هذا الخبر أن يتوليا مراقبة القافلة والتعرف من أي الممرات يمكن أن تمر بسهولة ، فأخبراه أنهما يعملان بجد ويبدلان كل ما بوسعهما حتى يمكناه من الاستيلاء على القافلة ، ولم يشك الملك بهما أبدا ، وقد أغرقهما بالهدايا الكثيرة ، ومنحهما عددا وافرا من قطع النقود الذهبية ، وسافر هذان البدويان وهما يتباهيان بالهدايا والنقود التي منحها لهما الملك ، ولهذا بذل البداة الآخرون غاية جهودهم لمراقبة حركات القافلة مع تحركات أهالي البلاد لاطلاع الملك عليها ، وبذلك بات الملك على اطلاع ومعرفة بجميع حركات أهالي البلاد .

وراقب البدويان سير القافلة حتى وصلت الى مكان قريب من مكان اقامة الملك ، وعندما أطلعاه على الخبر غمرهما بالهدايا والأعطيات ، وما أن تأكد من أن القافلة قد باتت قريبة منه حتى

تسلح هو وفرسانه وسيرجانتية بالأسلحة الخفيفة ، ولم يصطحب معه أحدا من الجنود العائيين ، بل كانوا جميعا من الكونتات وكبار القادة ، وهؤلاء أيضا تسلحوا بالأسلحة الخفيفة ، وفيما بعد فقد الفرسان والسرجانتية خيولهم من جراء ما عانوه أثناء الحملة ومع ذلك ، بفضل الحرب تساعدوا على الأقدام ومعروف أنه في تلك الأيام عندما كان الفارس يحمل سلاحا محدودا وثقيلا ، كان عندما يسقط عن حصانه لا يمكن لأحد مساعدته .

وتحرك الملك واتباعه من مكان تمركزهم مساء ، وساروا طوال الليل حتى وصلوا عند انبلاج الفجر الى موقع « الصهريج الأحمر » فوجدوا هناك القافلة ومن فيها معسكرين ، وانقضوا عليها وعلى من فيها بسلاحهم ، ودافع رجال القافلة عن أنفسهم لكنهم لم ينجحوا ، فقد غلبهم الملك واستولى على القافلة وعلى ما كان فيها ، ويروى أن عددا كبيرا من المسلمين لا يقل عن ألف ومائتي رجلا لاقوا حتفهم ، واقتاد الملك القافلة الى يافا ، وعاد معه اتباعه بسلام وفقد المسيحيون ستين رجلا ، ومع هذا لم يحقق المسيحيون قط مثل هذا النصر ، ولم يحصلوا أبدا على مثل هذه المراتب ، وبعدما رجع الملك الى يافا أعطى مما ربحه من القافلة الى الفرسان والسرجانتية ، واحتفظ لنفسه بمبلغ كبير من المال.

ثم غادر الملك يافا وتوجه الى عسقلان ليزيد من تحصيناتها ، ثم قصد غزة ففعل الشيء نفسه وأعادها الى فرسان الداوية ، ثم قصد الداروم فحصنها ، وعندما رأى صلاح الدين أن الملك رتشارد قد ضاعف قوته وزاد نشاطه ، جمع قواته وجاء ليقوم بحصار الداروم ، وكان في ذلك الحين بإمكان الملك رتشارد مجابهة صلاح الدين على أرض المعركة . وحدث أنه

ونهب الملك وجنوده ليتمركزوا قرب قلعة الفرسان الداوية في
الطرون وهناك وصل اليه إثنان من البدو ، والخذا من الملك الامان
والثقة ، وأقسما له يمينا تعهدا به بأنهما سيخدماه باخلاص
وسيطلعهما على كمائن جيش صلاح الدين ، وعن كل ما يدور حول
صلاح الدين وجميع أهل البلاد ، وسمع عدد من مماليك أمراء صلاح
الدين الاحاديث التي راجت حول كرم الملك وسماحته
وحسناته ، فصار كل من غضب من هؤلاء يفر اليه هاربا ، ويلتحق
به ويصبح تحت حماية ملك انكلترا ، وتزايد عدد هؤلاء المماليك حتى
وصل الى ثلاثمائة مملوك ، ويذكر أنه عندما غادر الملك سورية عائدا
الى بلاد ما وراء البحار اصطحب معه من هؤلاء المماليك مائة
وعشرين مملوكا .

وتجسس البدويان لصالح الملك وراقبا الطرق فاطلعا على خبر
قافلة كبيرة وغنية كانت قادمة من مصر الى دمشق ، فتوجها الى
الملك وأطلعهما على خبر هذه القافلة الكبيرة التي ستعبر قريبا من
هناك ، وهي قد قدمت من مصر تريد دمشق للشعور بالامان وأن
صلاح قد استولى على يافا وأن القوات المسلمة مسيطرة على
المنطقة ، ثم إن ملك فرنسا والفرنسيين كانوا قد عادوا الى بلادهم
منذ زمن طويل ، ولم يكن لدى الملك رتشارد عدد كبير من الرجال
حتى يضطروا الى العبور في الممرات الجبلية ، وكانوا مطلقين
اطلاعا جيدا على الخلافات الحاصلة في معسكر صلاح الدين
ويعرفون واقع حال الملك رتشارد ، وأرسل اليهم صلاح الدين
أربعين رجلا مسلحا حتى يقودوهم الى الغور .

وطلب الملك رتشارد من البدويين اللذان نقلوا له هذا الخبر أن
يتوليا مراقبة القافلة والتعرف من أي الممرات يمكن أن تمر
بسهولة ، فأخبراه أنهما يعملان بجدة ويبدلان كل ما يوسعهما حتى
يمكناه من الاستيلاء على القافلة ، ولم يشك الملك بهما ابدا ، وقد
أغرقهما بالهدايا الكثيرة ومنحهما عددا وافرا من قطع النقود
الذهبية وسافر هذان البدويان وهما يتباهيان بالهدايا والنقود التي

- ٣٩٥٨ -

منحها لهما الملك ، ولهذا بذل البداة الآخرون غاية جهودهم لمراقبة حركات القافلة مع تحركات أهالي البلاد لاطلاع الملك عليها ، وبذلك بات الملك على اطلاع ومعرفة بجميع حركات أهالي البلاد .

وراقب البدويان سير القافلة حتى وصلت الى مكان قريب من مكان اقامته وعندما اطلعاه على الخبر غمرهما بالهدايا والاعطيات ، و ما إن تأكد من أن القافلة باتت قريبة منه حتى تسليح هو وفرسانه وسيرجانتيته بالأسلحة الخفيفة ، ولم يصطحب معه أحدا من الجنود العاديين ، بل كانوا جميعا من الكونتات وكبار القادة ، وهؤلاء أيضا تسليحوا بالأسلحة الخفيفة ، وفيما بعد فقد الفرسان والسيرجانتية خيولهم من جراء ما عانوه أثناء هذه الحملة ، ومع ذلك بفضل الرب تساعدوا على الأقدام ، ومعروف أنه في تلك الأيام عندما كان الفارس يحمل سلاحا محدودا وثقيلًا ، كان عندما يسقط عن حصانه لا يمكن لأحد مساعدته .

وتحرك الملك وأتباعه من مكان تمركزهم مساء ، وساروا طوال الليل حتى وصلوا عند انبلاج الفجر الى موقع « الصهريج الأحمر » فوجدوا هناك القافلة ومن فيها معسكرين ، وانقضوا عليها وعلى من فيها بسلاحهم ، ودافع رجال القافلة عن أنفسهم لكنهم لم ينجحوا ، فقد غلبهم الملك واستولى على القافلة وعلى ما كان فيها ، ويروى أن عددا كبيرا من المسلمين لا يقل عن ألف ومائتي رجلا لاقوا حتفهم ، واقتاد الملك القافلة الى يافا ، وعاد ومعه أتباعه بسلام ، وفقد المسيحيون ستين .

وجده في مكان فسيح فتحارب معه ومع جنوده وتمكن من الحاق الهزيمة به وبهم ، وبات المسلمون يخشون الآن من أن يتمكن الانكليز وملكهم من الاستيلاء على جميع المملكة ، وعظمت شهرة الملك رتشارد ، وصار اسمه يخيف المسلمين الى حد أنه عندما كان طفل منهم يبكي كانت أمه تخيفه وتسكته باسم الملك رتشارد بأن تقول له « أحرص قبل أن يسمعك ملك انكلترا » ، وعندما يكون واحد من المسلمين يطوف على ظهر حصانه ، فيحزن ويتمنع من الحركة فيقول له : « مالك أعتقد أن ملك انكلترا موجود في هذه الغابة » ، وإذا ما أراد أحد الجنود سقاية فرسه ، والفرس ترفض الشرب من الحوض فيقول لها : « مالك أظن أن ملك انكلترا موجود في الماء » .

كيف أراد صلاح الدين عقد هدنة مع الملك رتشارد ، لكنه رفض :

ولم يلبث صلاح الدين طويلا حتى بعث الى الملك رتشارد يسأله فيما اذا كان يريد العودة الى بلاده ، فإذا ما رغب بذلك انه على استعداد لعقد هدنة معه ، وأن يعيد اليه شطرا من المملكة التي استولى عليها وانتزعها من المسيحيين ، وأقدم صلاح الدين على تقديم هذا العرض لخشيته من أخيه سيف الدين ، لأن الملك رتشارد وعده أنه اذا أصبح مسيحيا سيزوجه أخته التي كانت ملكة صقلية ، وخاف صلاح الدين أنه اذا ما تم هذا الزواج فسيخسر كل فتوحاته وجميع البلاد التي استولى عليها ، وكان صلاح الدين حين قدم عرضه للملك رتشارد على استعداد للقبول بمنحه نصف مملكة القدس أو أكثر ، لكن الملك رفض هذا العرض وأخبر رجال الوفد الذين بعثهم صلاح الدين : إنه يريد مملكة القدس بأكملها ويريد أيضا كل ما انتزعه نور الدين من المسيحيين واستولى عليه في أيام الملك عموري ، وأنه اذا لم يشأ صلاح الدين أن يعيد اليه كل ما

- ٣٩٦٠ -

يطلبه ، فإنه سيذهب للإقامة في مصر ، لا بل هو ذاهب الى هناك ،
وسيرى من الذي سيدافع عن مصر ٥

وفي تلك الاثناء جاء الملك غي الى عكا وذلك بناء على طلب ملن
الملك رتشارد ، ولم يجد الملك غي الملك رتشارد هناك ، لذلك أراد
العودة الى قبرص ، غير أن الكونت هنري الذي كان يعرف سبب
استدعائه ، طلب منه الانتظار ، وعلم الملك غي لماذا استدعاه الملك
رتشارد ، فحاف الآن أنه إذا ما قال للكونت أنه لن ينتظره ، سيقدم
على اعتقاله ، لذلك قال له إنه سيذهب إلى يافا حيث الملك رتشارد ،
وذلك ليسمع أوامره وليمتثل لأرادته ، فقال له : أنه سيرسل معه
اثنين أو ثلاثة من رجاله على ظهر السفينة نفسها ، وفعل الكونت
هذا ليحول بينه وبين الهرب ، لكن الملك غي تحدث الى
البيازنة - أصحاب السفينة - ووعدهم بمنح كبيرة وكثيرة
وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم بـ « أيوبرت ماريا »
وسيجعلهم يحلون محله في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في
البحر ، واهتمم البيازية بـ « أيوبرت » وهكذا أقسموا يميناً تعهدوا
فيه باطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

وأقلع الملك غي من عكا ، وسافر معه على ظهر السفينة نفسها
اثنان من فرسان الكونت وذلك بناء على توجيهه ، وعندما اقتربت
السفينة من قبرص وجد هناك مركبا فأنزل اليه فارسي الكونت وقال
لهما : أبلغا تحياتي الكونت وقولا له بأنني لا أستطيع الذهاب الى
يافا ، وعاد الفارسان الى عكا ، ونزل الملك غي في قبرص ، وهنا
لاتسألوا عن الكونت هنري وعن مدى ما شعر به من غضب نتيجة لما
قام به الملك غي ، وماحاكه من خديعة .

....رجلا ، ومع هذا لم يحقق المسيحيون قسط مثل هذا النصر ، ولم يحصلوا ابدا على مثل هذه المراتب ، وعندما رجع الملك الى يافا اعطى مما ربحه من القافلة الى الفرسان والسيرجانتية ، واحتفظ لنفسه بمبلغ كبير من المال .

ثم سافر الملك من يافا الى عسقلان حتى تولى تحصينها ، ثم قصد غزة ففعل الشيء نفسه ثم أعادها الى فرسان الداوية ، وبعد هذا قصد الداروم فحصنها ، وعندما رأى صلاح الدين أن الملك رتشارد قد ضاعف قوته وزاد من نشاطه ، جمع قواته وجاء ليقوم بحصار الداروم ، وكان في ذلك الحين بإمكان الملك رتشارد مجابهة صلاح الدين على أرض المعركة ، وحدث أنه وجده في مكان فسيح فتحارب معه ومع جنوده وتمكن من الحاق الهزيمة به وبهم ، وبات المسلمون يخشون الآن من أن يتمكن الانكليز وملكهم من الاستيلاء على جميع المملكة ، وعظمت شهرة الملك رتشارد ، وصار اسمه يخيف المسلمين الى حد أنه عندما كان طفل منهم يبكي كانت أمه تخيفه وتسكته باسم الملك رتشارد بأن تقول له : « احرص قبل أن يسمعك ملك انكلترا » ، وعندما يكون واحد من المسلمين يطوف على ظهر حصانه ، فيحزن ويمتنع من الحركة فيقول له : « مالك اتعتقد أن ملك انكلترا موجود في هذه الغابة؟ » وإذا ما أراد أحد الجنود سقاية فرسه والفرس ترفض الشرب من الحوض فيقول لها : « مالك اتظنين أن ملك انكلترا موجود في الماء » .

١٤٢ _ ولم يلبث صلاح الدين طويلا حتى بعث الى الملك رتشارد يسأله فيما اذا كان يريد العودة الى بلاده ، فإذا ما رغب بذلك فإنه على استعداد لعقد هدنة معه ، وأن يعيد اليه شطرا من المملكة التي استولى عليها وانتزعها من الاسيحيين ، وأقدم صلاح الدين على تقديم هذا العرض لخشيته من أخيه سيف الدين ، لأن الملك رتشارد وعده أنه إذا أصبح مسيحيا سيزوجه اخته التي كانت ملكة صقلية ، وخاف صلاح الدين انه اذا ما تم هذا الزواج فسيخسر كل فتوحاته وجميع البلاد التي استولى عليها ، وكان صلاح الدين حين

- ٣٩٦٢ -

قدم عرضه للملك رتشارد على استعداد للقبول بمنحة نصف مملكة القدس أو أكثر ، لكن الملك رفض هذا العرض وأخبر رجال الوفد الذين بعثهم صلاح الدين انه يريد مملكة القدس بأكملها ويريد أيضا كل ما انتزعه نور الدين من المسيحيين واستولى عليه في أيام الملك عموري ، وانه إذا لم يشأ صلاح الدين أن يعيد اليه كل ما يطلبه ، فإنه سيذهب للأقامة في مصر ، لا بل هو ذاهب الى هناك ، وسيرى من الذي سيدافع عن مصر ، أو يدفعه عنها .

وفي تلك الاثناء جاء الملك غي الى عكا وذلك بناء على طلب من الملك رتشارد ، ولم يجد الملك غي الملك رتشارد هناك ، لذلك أراد العودة الى قبرص ، غير أن الكونت هنري الذي كان يعرف سبب استدعائه ، طلب منه الانتظار ، وعلم الملك غي لماذا استدعاه الملك رتشارد ، فخاف الآن أنه اذا ما قال للكونت إنه لن ينتظره ، سيقدم على اعتقاله ، لذلك قال له أنه سيذهب الى يافا حيث الملك رتشارد ، وذلك ليسمع أوامره وليمتثل لأرادته ، فقال له أنه سيرسل معه اثنين أو ثلاثة من رجاله على ظهر السفينة نفسها ، وفعل الكونت هذا ليحول بينه وبين الهرب ، لكن الملك غي تحدث الى البيازنة اصحاب السفينة ، ووعدهم بمنح كبيرة وكثيرة وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم ب « أيوبرت ماريا » وسيجعلهم يحلون محلة في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في البحر ، واهتم البيازنة ب « أيوبرت ماريا » وهكذا أقسموا يمينا تعهدوا فيه باطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

كيف عقد الملك رتشارد الهدنة مع صلاح الدين :

ووصلت رسائل ورسل الى الملك رتشارد أخبرته ان ملك فرنسا قد استولى على كل أراضيه وممتلكاته في فرنسا ، كما وقام أخوه يوحنا بانكلترا بالاستيلاء على جميع المدن والقللاع ، وأقسمت المملكة يمين الولاء له ، وعندما سمع بهذه الاخبار لم يكن مسرورا أبدا ، لهذا بادر بمراسلة صلاح الدين يعرض عليه التفاوض من أجل الهدنة ، لكن صلاح الدين أجابه أنه على غير استعداد لعقد الهدنة معه ، لأنه عندما قدم له مثل هذا العرض بالتهانين رفض ، وبعث رتشارد وفدا جديدا الى صلاح الدين ، وكان فيه بالين دي ابلين ، وقد طلب الملك من بالين أن يبذل جهده لعقد هدنة مع صلاح الدين ، وأخبر صلاح الدين بالين أنه لن يبرم اي هدنة مالم يتخلل له الملك عن : غزة ، وعسقلان ، والداروم ، ويافا ، ذلك أن جواسيسه أطلعوه على الاخبار التي تلقاها الملك من بلاد ماوراء البحار ، وعاد بالين الى الملك وأخبره بما وجدته عند صلاح الدين ، وغضب الملك لهذا السبب ، فهو كان على بينة بضعف أحوال سكان المملكة ، ولم يرغب بالذهاب بدون عقد هدنة ، لذلك أمر بالين بالذهاب ثانية الى صلاح الدين وليحاول أن يستثنى يافا من الاعادة ، وذهب بالين وتمكن أخيرا من عقد هدنة مع صلاح الدين على أساس اعادة ، غزة وعسقلان والداروم انما بشرط الا يسكن أحد من المسلمين في عسقلان بل تهدم ، وبقيت يافا للمسيحيين ، وشملت الهدنة : قيسارية وأرسوف وحيفا ، وتنازل الملك عن عسقلان والمدن الأخرى ، واستدعى الملك الكونت وأعلمه أن مدة الهدنة عشر سنوات ، وأنه تنازل عن عسقلان وطلب منه أن يقسم على التمسك بالهدنة وهذا ما فعل ، وهنا قال له الملك : « انه من الضروري بالنسبة لي أن أسافر ، وتأكد أنه اذا منحني الرب الحياة سأعود وأحضر لك رجالا استرد بهم لك عسقلان وجميع أجزاء المملكة وسأتزوجك ملكا في القدس » ثم إنه شحن يافا بالرجال والعتاد والمؤن والسلاح ، ثم رافق الملك وعاد معه الى عكا .

وتحدث الملك غي الى البيازنة - أصحاب السفينة - ووعدهم بمفح وافرة وكثيرة وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم بـ « أيوبرت ماريا » ، وسيجعلهم يحلون محله في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في البحر ، واهتم البيازنة بـ « أيوبـرت ماريا » وهكذا أقسموا يميناً تعهدوا فيه باطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

وألق الملك غي من عكا ، وسافر معه على ظهر السفينة نفسها اثنان من فرسان الكونت وذلك بناء على توجيهه ، وعندما اقتربت السفينة من قبرص وجد هناك مركبا فأنزل اليه فارسي الكونت وقال لهما : أبلغا تحياتي الكونت وقولا له بأنني لا أستطيع الذهاب الى يافا ، وعاد الفارسان الى عكا ، ونزل الملك غي في قبرص ، وهنا لا تسألوا عن الكونت هنري وعن مدى ما شعر به من غضب نتيجة لما قام به الملك غي ، وما حاكه من خديعة .

١٤٣ - ووصلت رسائل ورسل الى الملك رتشارد وأخبرته أن ملك فرنسا قد استولى على كل أراضي وممتلكاته في فرنسا ، كما وقام أخوه يوحنا بأنكثرا بالاستيلاء على جميع المدن والقلاع ، وأقسمت المملكة يمين الولاء له ، وعندما سمع بهذه الاخبار لم يكن مسرورا أبدا ، لهذا بادر بمراسلة صلاح الدين يعرض عليه التفاوض من أجل الهدنة ، لكن صلاح الدين أجابه أنه على غير استعداد لعقد الهدنة معه ، لأنه عندما قدم له مثل هذا العرض بالتهانين رفض ، وبعث الملك رتشارد وفدا جديدا الى صلاح الدين ، وكان فيه بالين دي ابلين وقد طلب الملك من بالين أن يبذل جهده لعقد هدنة مع صلاح الدين ، وأخبر صلاح الدين بالين أنه لن يبرم أي هدنة ما لم يتخل له الملك عن : غزة ، وعسقلان ، والداروم ويافا ذلك أن جواسيسه أطلعوه على الاخبار التي تلقاها الملك من بلاد ماوراء البحار ، وعاد بالين الى الملك وأخبره بما وجدته عند صلاح الدين ، وغضب الملك لهذا السبب ، فهو كان على بينة بضعف أحوال سكان المملكة ، ولم يرغب بالذهاب بدون عقد هدنة ، لذلك

أمر بالين بالذهاب ثانية الى صلاح الدين وليحاول أن يستثني يافا من الاعادة ، وذهب بالين وتمكن أخيرا من عقد الهدنة مع صلاح الدين على أساس اعادة : غزة وعسقلان والداروم انما بشرط الا يسكن أحد من المسلمين في عسقلان بل تهدم ، وبقيت يافا للمسيحيين ، وشملت الهدنة ، قيسارية وأرسوف وحيفا ، وتنازل الملك عن عسقلان والمدن الأخرى ، واستدعى الملك الكونت هنري ، وأعلمه أن مدة الهدنة عشر سنوات ، وأنه تنازل عن عسقلان وطلب منه أن يقسم على التمسك بالهدنة وهذا ما فعل ، وهنا قال له الملك : « انه من الضروري بالنسبة لي أن أسافر ، وتأكد أنه اذا منحني الرب الحياة سأعود وأحضر لك رجالا استرد بهم لك عسقلان وجميع أجزاء المملكة وسأتوجك ملكا في القدس » ثم أنه شحن يافا بالرجال والعتاد والمؤن والسلاح ، ثم رافق الملك وعاد معه الى عكا وبرفقتها أسقفها .

كيف ألقى القبض على ملك انكلترا عندما عاد الى بلاده :

بعدما حل الملك في عكا أعد شوانيه وحمل سفنه بالرجال وشحنها بالمؤن ، ثم الصعد الى السفن زوجته ، وزوجة ملك قبرص - وكان قد مات في سجنه - وكذلك ابنته ورجاله ، ثم طلب من مقدم الداوية أن يؤجره عددا من فرسانه والسيرجانتية ليرافقوه في سفره وعل طلبه بقوله : « انني سمعت أن ملك فرنسا يراقبني وأخشى من أن يقبض علي ، وبوجود الفرسان معي يمكنني أن أتخفى كواحد منهم ، وبذلك أسافر كواحد من الفرسان الى بلادي » .

ووافق مقدم الداوية على طلبه وعمل وفق هواه ، وبعدما أكملوا الاستعدادات للسفر صعدوا الى الشواني والسفن ، وودعوا الكونت هنري وسكان البلاد ، وبعدما سافروا من عكا وأصبحوا في وسط البحر ، فكر الملك بالانتقال من سفينة الى أخرى ، غير أنه وجد أنه لا يستطيع القيام بذلك ما لم يكن معه في السفينة قوة حراسة كافية له ، لذلك استأذن زوجته وطلب منها ومن حاشيتها الذهاب الى مرسيليا ، في حين ذهب هو والفرسان باتجاه آخر ، وعندما وصلوا الى أقويلي ، التي كانت أكبر مدينة في مدخل المانيا قريبة من بحر الاغريق ، اشتروا بعض الحاجيات ثم تابعوا طريقهم بالحال حتى وصلوا الى دوقية أو ستريا (النمسا) وكان الدوق في إحدى قلاعه على مقربة منهم ، وجاء إليه فورا أحد الحراس وأخبره أن ملك انكلترا موجود في قلعته ويرغب في مقابلته اذا سمح بذلك .

وفرح الدوق بهذا الخبر فرحا كبيرا فهو يستطيع الآن أن يثار للعار الذي لحقه في عكا ، لهذا أمر باغلاق أبواب القلعة ، وأن يحمل رجاله أسلحتهم ، ثم توجه نحو الملك حيث كان مقيما ، وصدرت أصوات مزعجة من هؤلاء الرجال الذين جاءوا لالقاء القبض على الملك ، لأنهم انفعلوا انفعالا كبيرا ، وأمام هذا

الحال يروى ان الملك دخل الى المطبخ فخلع ثيابه ، ثم ارتدى ملابس واحد من الخدم ، وتناول بعض الاطعمة ليعدّها ثم أخذ يقوم بأعمال الشواء ، وجاء واحد من الحرس الى البيت وشرع يبحث عنه حتى وجده فقال له : « قف يا مولاي ان الدوق يريد ان يتحدث اليك » .

وجاء رجال الدوق فساقوه امامهم حتى اوصلوه الى الدوق ، فأمر الأخير بوضعه في أحد الأبراج وحراسته فيه ومعاملته بكرامة تليق بمكانته وذلك حتى يعلم الامبراطور بأمره ، وعندما علم الامبراطور بذلك اهتم كثيرا بالموضوع ، وطلب من الدوق ان يحضره اليه ، وجعله الدوق اليه ، وقام الامبراطور هنري (السادس) بالقائه بالسجن حيث بقي حتى تاريخ اخراجه منه .

وسأحدث اليكم الآن عن اسباب العداوة التي قامت بين ملك انكلترا ودوق النمسا ، فقد حدث أنه عندما استردت عكا من المسلمين .

١٤٤ - وسأحدثكم الآن عما حدث لملك انكلترا بعدما غادر مملكة القدس :

بعدما حل الملك في عكا أعد شوانيه وحمل سفنه بالرجال وشحنها بالموئن ، ثم أصدع إلى السفن زوجته ، وزوجة ملك قبرص - وكان قد مات في سجنه - وكذلك ابنته ورجالها ثم طلب من مقدم الداوية أن يؤجره عددا من فرسانه والسير جانتية ليرا فقوه في سفره وعلل طلبه بقوله : « إنني سمعت أن ملك فرنسا يراقبني وأخشى من أن يقبض علي ، وبوجود الفرسان معي يمكنني أن أتخفى كواحد منهم ، وبذلك أسافر كواحد من الفرسان إلى بلادي .

ووافق مقدم الداوية على طلبه وعمل وفق هواه ، وبعدما أكملوا الاستعدادات للسفر صعدوا إلى الشواني والسفن ، وودعوا الكونت هنري وسكان البلاد ، وبعدما سافروا من عكا وأصبحوا في وسط البحر ، فكر الملك بالانتقال من سفينة إلى أخرى ، غير أنه وجد أنه لا يستطيع القيام بذلك ما لم يكن معه في السفينة قوة حراسة كافية له ، لذلك استأذن زوجته وطلب منها ومن حاشيتها الذهاب إلى مرسيليا في حين ذهب هو والفرسان باتجاه آخر ، وعندما وصلوا إلى أقويلي ، التي كانت أكبر مدينة في مدخل ألمانيا قريبة من بحر الاغريق ، اشتروا بعض الحاجيات ثم تابعوا طريقهم بالحال حتى وصلوا إلى دوقية أوستريا (النمسا) وكان الدوق في إحدى قلاعها على مقربة منهم ، وجاء إليه فورا أحد الحراس وأخبره أن ملك انكلترا موجود في قلعته ويرغب في مقابلته إذا سمح بذلك .

وفرح الدوق بهذا الخبر فرحا كبيرا فهو يستطيع الآن أن يثأر للعار الذي لحقه في عكا ، لهذا أمر بغلق أبواب القلعة ، وأن يحمل رجاله أسلحتهم ، ثم توجه نحو الملك حيث كان مقيما ، وصدرت أصوات مزعجة من هؤلاء الرجال الذين جاءوا الالتقاء القبض على الملك ، لأنهم انفعولوا انفعالا كبيرا ، وأمام هذا الحال يروى أن الملك دخل إلى المطبخ فخلع ثيابه ، ثم ارتدى ملابس واحد من الخدم ،

- ٣٩٦٩ -

وتناول بعض الاطعمة ليعيدها ، ثم اخذ يقوم بأعمال الشواء ، وجاء واحد من الحرس إلى البيت وشرع يبحث عنه حتى وجدته فقال له : « قف يا مولاي إن الدوق يريد أن يتحدث اليك » .

١٤٥ وجاء رجال الدوق فساقوه أمامهم حتى أوصالوه إلى الدوق ، فأمر الأخير بوضعه في أحد الأبراج وحراسته فيه ومعاملته بكرامة تليق بمكانته وذلك حتى يعلم الامبراطور بأمره ، وعندما علم الامبراطور بذلك اهتم كثيرا بالموضوع ، وطلب من الدوق أن يحضره إليه ، وحمله الدوق إليه ، وقام الامبراطور هنري (السادس) بالقائه بالسجن حيث بقي حتى اخراجه منه .

كان دوق النمسا مع غاليران دوق لامبروك قد دخلا الى عكا وأقاما فيها ، وحينذاك جاء مارشال ملك انكلترا فهاجم مقرر اقامتهما وطردهما منه بكل قسوة وعذف ، الأمر الذي أزعجهما كثيرا ، ولذلك عندما واتتهما الفرصة ثار لكرامتهما ، وقد أثار هذا الحادث كثيرا من الحقد والحريب حيث هدمت ممالك عديدة من جراء ذلك .

وعندما علم ملك فرنسا أنه ألقي القبض على الملك رتشارد وأودع السجن في ألمانيا ، عمل على حماية الطرق ومراقبة المنافذ ثم جمع جنوده ودخل الى بلاد ملك انكلترا ، وقا تل هناك بشدة وشراسة ، واستولى على المدن والقللاع وبذلك توصل الى اسر كونت دي ليفاستري الذي أنابه الملك رتشارد في حكم نورماندي والدفاع عنها وعن البلاد الواقعة تحت حكمه فيما وراء البحر ، هذا ومكث الملك رتشارد زمنا طويلا في السجن ، وقد حدث هذا كله في سنة ١١٩٣ لتجسيد يسوع المسيح .

كيف اطلق سراح ملك انكلترا

بعث هذا الملك إلى انكلترا ليؤتى له بالمال حتى يتحرر من سجن

الامبراطور ، وكان قد أقسم له أن يدفع له الفدية في زمن حده له ، وبذلك أطلق سراح الملك رتشارد ولم يتأخر الملك رتشارد في دفع الفدية فقد ساعده أصدقاؤه ورجاله مساعدة كبيرة ، وحين علم ملك فرنسا بذلك ، شدد الحراسة على طرق بلاده حتى لا يدخل الملك رتشارد إليها ، وعندما وصل الملك رتشارد إلى انكلترا جمع مال فنيته وقدره مائتي ألف مارك ، وأرسله إلى الامبراطور حتى يحرر شواطئ انكلترا والرهائن الذين أودعهم عنده ، ولينفذ القسم الذي تعهد به ، ويحكي أنه لم يبق كاسا أو مبخرة في الكنائس إلا وأعطاه للامبراطور مقابل فنيته ، ونال الامبراطور من هذا المبلغ الجزء الاعظم وأعطى جل البقية إلى الدوق ذلك أن ملك فرنسا قد نال شطرا من هذا المبلغ لأنه سمح بمرور هذا المال من أراضيه ، وبعد ذلك حشد ملك انكلترا جنوده وعبر البحر حيث تمكن من استعادته جزء من بلاده مما كان فيليب ملك فرنسا قد استولى عليه أثناء وجوده بالسجن ، وجعل من ابن عمه أوتو الذي كان ابن دوق سواسون كونت على بواتيه ، وبالأوقت نفسه قاتل بشدة وعنف ضد ملك فرنسا .

- ٣٩٧١ -

وسأتحدث اليكم الان عن أسباب العداوة التي قامت بين ملك انكلترا ودوق النمسا ، فقد حدث أنه عندما استربت عكا ملن المسلمين كان دوق النمسا مع غاليران دوق لامبروك قد دخلوا إلى عكا وأقاما فيها ، وحينذاك جاء مارشال ملك انكلترا فهاجم مقر اقامتهما وطردهما منه بكل قسوة وعنف ، الامر الذي أزعجهما كثيرا ، ولذلك عندما انتهما الفرصة ثارا لكرامتهما ، وقد أثار هذا الحادث كثيرا من الحقد والحروب حيث هدمت ممالك عديدة من جراء ذلك .

وعندما علم ملك فرنسا أنه ألقي القبض على الملك رتشارد وأودع السجن في ألمانيا ، عمل على حماية الطرق ومراقبة المنافذ ثم جمع جنوده وبخل إلى بلاد ملك انكلترا ، وقاتل هناك بشدة وشراسة واستولى على المدن والقلاع وبذلك توصل إلى اسر كونت دي ليفا ستري الذي أنابه الملك رتشارد في حكم نورماندي والدفاع عنها وعن البلاد الواقعة تحت حكمه فيما وراء البحر ، هذا ومكث الملك رتشارد زمنا طويلا في السجن ، وقد حدث هذا كله في سنة ١١٩٣ ، لتجسيد يسوع المسيح .

١٤٦ - بعث هذا الملك الى انكلترا ليؤتي له بالمال حتى يتحرر من سجن الامبراطور ، وكان قد أقسم له أن يدفع له الفدية في زمن حدده له ، وبذلك أطلق سراح الملك رتشارد ولم يتأخر الملك رتشارد في دفع الفدية فقد ساعده أصدقاؤه ورجاله مساعنة كبيرة ، وحين علم ملك فرنسا بذلك ، شدد الحراسة على طرق بلاده حتى لا يدخل الملك رتشارد اليها ، وعندما وصل الملك رتشارد الى انكلترا جمع مال فنيته وقدره مائتي ألف مارك ، وأرسله الى الامبراطور حتى يحرر شواطئ انكلترا والرهائن الذين أودعهم عنده ، ولينفذ القسم الذي تعهد به ، ويحكي أنه لم يبق كأسا أو منجزة في الكنائس الا وأعطاهها للامبراطور مقابل فنيته ونال الامبراطور من هذا المبلغ الجزء الأعظم وأعطى جل البقية الى الدوق ذلك أن ملك فرنسا قد نال شطرا من هذا المبلغ لأنه سمح بمرور هذا المال من أراضيه وبعد ذلك

- ٣٩٧٢ -

حشد ملك انكلترا جنوده وعبر البحر حيث تمكن من استعادة جزء من بلاده مما كان فيليب ملك فرنسا قد استولى عليه أثناء وجوده بالسجن وجعل من ابن عمه أوتوالذي كان ابن دوق سواسون كونتا على بواتيه ، وبالوقت نفسه قاتل بشدة وعذف ضد ملك فرنسا .

كيف مات الملك غي لوزنغان ملك قبرص :

بعد سفر ملك انكلترا . علم الكونت هنري ان البيازنة استدعوا الملك غي للقدوم والاستيلاء على مدينة صور ، وقد أغضب هذا الكونت هنري المذكور ، وكان في تلك الآونة للبيازنة سلطة كبيرة في سورية ، حتى أنهم كانوا يكبدون الذين كانوا يقدمون الى سورية خاصة الجذويين خسائر عظيمة ، وكانت الشكاوى من الجذويين تصل كل يوم ضد أعمالهم هذه الى الكونت هنري ، مما دفعه الى طلب البيازنة المقيمين في عكا وقال لهم : ان مات فعلوه في مدينة عكا هو عمل سيء جدا ، وعليكم ان تتوقفوا ومن ثم الامتناع عن هذه التصرفات ، غير ان هذا لم يقد ، بل تصرفوا ضد رغباته وتهديداته ، فغضب الكونت منهم ، وقرر طردهم ، وأمرهم باخلاء بلاده ، وهددهم أنه اذا وجد احدا من زعمائهم في بلاده فسيمسك به من رقبته ويلقي به في السجن .

وحين فعل الكونت هنري ذلك احتج عليه ايمري لوزنغان - كافل المملكة - أخو الملك غي وقبال للكونت هنري : « انه امر غير مقبول طرد أناس طيبين مثل البيازنة من عكا ، وغضب الكونت هنري ورد عليه بحق قائلا : « كيف ؟ هل تريد أن تبقيهم ضد ارادتي لانهم أرادوا أن يسلموا صور الى أخيك ؟ اعلم انك لن تفلت من يدي حتى يعيد لي أخوك قبرص ، واثار ذلك جاء اليه مقدم الفرسان الداوية مع مقدم الفرسان الاسبتارية وبارونات البلاد ولاموه على اعتقال هذا القائد الكبير الذي كان يعد من رجاله ، ويعد ايضا اعظم بارونات البلاد ، فرد عليهم الكونت مغضبا : انه لا يعده واحدا من رجاله ، ولا يعده ايضا قائدا كبيرا ولا من البارونات ، ولم يسلموا له وجادلوه مطولا وضغطوا عليه حتى أفرج عنه وأخلى سبيله .

وبعد مضي ثلاثة أيام جاء القائد ايمري الى البلاط وأعلن للكونت عن تخليه عن وظيفته القيادية ، ثم ذهب من هناك الى قبرص حيث

- ٣٩٧٤ -

منحه أخوه الملك غي ولاية يافا ، وبعد موت الملك غي ترك يافا ،
بسبب أن أخاه جفري استدعي أولا لتسلم المملكة فرفض القدوم إلى
قبرص فما كان من سكان قبرص إلا أن وجدوا أنفسهم مرغمين على
استدعاء أخيه ايمري لينصبوه ملكا، هذا من جانب ومن جانب آخر
أعطى الكونت هنري الوظيفة القيادية التي كان يشغلها ايمري إلى
جون دي ابلين ، الذي كان أخا للملكة ايزابيلا فاتفق هذا مع البيازنة
واعطاهم ما يستحقونه وما يليق بمكانتهم.

١٤٧ - بعد سفر ملك انكلترا ، علم الكونت هنري أن البيازنة استدعوا الملك غي للقدوم والاستيلاء على مدينة صور ، وقد أغضب هذا الكونت هنري المذكور ، وكان في تلك الأونة للبيازنة سلطة كبيرة في سورية ، حتى أنهم كانوا يكبدون الذين كانوا يقدمون الى سورية خاصة الجنوبيين خسائر عظيمة ، وكانت الشكاوى من الجنوبيين تصل كل يوم ضد أعمالهم هذه الى الكونت هنري ، مما دفعه الى طلب البيازنة المقيمين في عكا وقال لهم : ان ماتفعلونه في مدينة عكا هو عمل سيء جدا ، وعليكم أن تتوقفوا ومن ثم الامتناع عن هذه التصرفات ، غير أن هذا لم يقد ، بل تصرفوا ضد رغباته وتهديداته ، فغضب الكونت منهم ، وقرر طردهم ، وأمرهم بإخلاء بلاده ، وهددهم أنه اذا وجد أحدا من زعمائهم في بلاده فسيمسك به من رقبتة ويلقي به في السجن .

وحين فعل الكونت هنري ذلك احتج عليه ايمري لوزنغنان - كافل المملكة - أخو الملك غي وقال للكونت هنري : « انه أمر غير مقبول طرد أناس طيبين مثل البيازنة من عكا» ، وغضب الكونت هنري ورد عليه بحق قائلا : « كيف ؟ هل تريد ان تبقىهم ضد ارادتي ، لأنهم أرادوا أن يسلموا صور الى أخيك ؟ اعلم انك لن تفلت من يدي حتى يعيد لي أخوك قبرص» ، واثّر ذلك جاء اليه مقدم الفرسان الداوية مع مقدم الفرسان الاسبتارية وبارونات البلاد ولاموه على اعتقال هذا القائد الكبير الذي كان يعد من رجاله ، ويعد ايضا أعظم بارونات البلاد ، فرد عليهم الكونت مفضبا : انه لايعده واحدا من رجاله ، ولايعده ايضا قائدا كبيرا ولا من البارونات ، ولم يسلموا له وجادلوه مطولا وضغطوا عليه حتى أفرج عنه وأخلّى سبيله .

وبعد مضي ثلاثة أيام جاء القائد ايمري الى البلاط وأعلن للكونت عن تخليه عن وظيفته القيادية ، ثم ذهب من هناك الى قبرص ، حيث منحه أخوه الملك غي ولاية يافا ، وبعد موت الملك غي

رواية عما اقترفه هنري بحق رهبان الضريح المقدس :

في الايام التي كان الكونت هنري يحكم فيها في عكا ، مات هرقل الذي كان بطريركا للقدس ، واجتمع رهبان القبر المقدس فانتخبوا بطريركا جديدا ، وكان اسود البشرة ، وكان من قبل رئيسا لاساقفة قيسارية ، وتمت عملية الانتخاب من دون اعلام الكونت ، ولهذا عندما علم بذلك غضب غضبا شديدا ، وقال : لقد جرت العادة من قبل عندما يموت بطريرك القدس يقوم الرهبان في الضريح المقدس بانتخاب اثنين ، ويرفعون اسميهما الى الكونت ليقوم باختيار واحد منهما فيكون بطريركا للقدس ، وقام الكونت هنري بالقاء القبض على رهبان الضريح المقدس ، وألقى بهم بالسجن ، ولامهم كثيرا ، وانتقد تصرفهم وقال : إنهم يريدون ازالة سلطة ملوك القدس والصلاحيات التي تمتعوا بها في تقرير انتخاب البطريرك ، وأثار هذا الاجراء ضجة كبيرة وكان أشبه بفضيحة ضخمة ، ووجه رئيس الاساقفة جوسيه النقد الشديد للكونت ومثله فعل البارونات والسادة الآخرون ، ولاموه على فعلته ، وألحوا عليه حتى يطلق سراح رهبان الضريح المقدس ليعودوا الى منزلتهم ، وأخيرا وافق على عملية الانتخاب ، ثم منح ابن عمه المسمى غراشيان قلعة في منطقة عكا اسمها كفربولا ومنحه ثقتة والحقه بحاشيته .

وقرر الرهبان الذهاب الى روما ليعرضوا نتيجة عملية انتخابهم للبطريرك على البابا ، وهناك حصلوا على الموافقة ، ثم أطلعوا البابا كلاستين (الثالث) على ما فعله الكونت بحق رهبان الضريح المقدس ، وقد أزعجه هذا التصرف كثيرا ، وهكذا أوقف دور ملك القدس في انتخاب البطريرك ، وقرر أن يكون الرهبان لوحد هم الذين يتولون انتخاب بطريركهم .

ولا يعجبني أحد أو يندش لهذا الشرف الذي حصل عليه ملك

- ٣٩٧٧ -

القدس ، ذلك أنه منذ احتلال القدس وحتى ذلك الحين ، قليلا ما كان لكنيسة روما من رأي وتدخل ، لأنه عندما جاء الدوق غودفري والبارونات الآخرون لاحتلال البلاد جاء بموافقة البابا أوربان وكذلك بموافقة الملك هنري ، ثم فيما بعد من قبل البابا الاسكندر والامبراطور فردريك ، جد هذا الذي أقام بالحكم سبع عشرة سنة ، وحدث أن اثنان من البابوات ماتا ميتة مشؤومة ، ومامن أحد حمل الملك مسؤولية هذه العادة .

ترك يافا ، بسبب أن أخاه جفري استدعى أولا لتسلم المملكة ، فرفض القدوم الى قبرص ، فما كان من سكان قبرص إلا وأن وجدوا أنفسهم مرغمين على استدعاء أخيه ، ايمري لينصبوه ملكا ، هذا من جانب ومن جانب آخر أعطى الكونت هنري الوظيفة القيادية التي كان يشغلها ايمري الى جون دي ابلين ، الذي كان أخا للملكة ايزابييل ، فاتفق هذا مع اليازنة فعادوا الى عكا وأعطاهم ما يستحقونه وما يليق بمكانتهم، وقد حدث هذا في سنة ١١٩٣ (الصحيح ١١٩٤) لتجسيد المسيح .

١٤٨ - في الايام التي كان الكونت هنري يحكم فيها في عكا ، مات هرقل الذي كان بطريركا للقدس ، واجتمع رهبان القبر المقدس فانتخبوا بطريركا جديدا ، وكان أسود البشرة ، وكان من قبل رئيسا لأساقفة قيسارية ، وتمت عملية الانتخاب من دون اعلام الكونت ، ولهذا عندما علم بذلك غضب غضبا شديدا ، وقال : لقد جرت العادة من قبل عندما يموت بطريرك القدس يقوم الرهبان في الضريح المقدس بانتخاب اثنين ، ويرفعون اسميهما الى الكونت ليقوم باختيار واحد منهما فيكون بطريركا للقدس ، وقام الكونت هنري بالقاء القبض على رهبان الضريح المقدس ، وألقى بهم بالسجن ، ولامهم كثيرا ، وانتقد تصرفهم وقال : انهم يريدون ازالة سلطة ملوك القدس والصلاحيات التي تمتعوا بها في تقرير انتخاب البطريرك ، وأثار هذا الاجراء ضجة كبيرة وكان أشبه بفضيحة ضخمة ووجه رئيس الأساقفة جوسيه الذقد الشديد للكونت ومثله فعل البارونات والسادة الآخرون ، ولاموه على فعلته ، والحووا عليه حتى يطلق سراح رهبان الضريح المقدس ليعودوا الى منزلتهم ، وأخيرا وافق على عملية الانتخاب ثم منح ابن عمه المسمى غراشيان قلعة في منطقة عكا اسمها كفر بولا ومنحه ثقله والحقه بحاشيته .

وقرر الرهبان الذهاب الى روما ليعرضوا نتيجة عملية انتخابهم

- ٣٩٧٩ -

للبطريرك علي البابا ، وهناك حصلوا على الموافقة ، ثم أطلعوا
البابا كلاستين (الثالث) على ما فعله الكونت بحق رهبان الضريح
المقدس ، وقد أزعجه هذا التصرف كثيرا ، وهكذا أوقف دور ملك
القدس في انتخاب البطريرك ، وقرر أن يكون الرهبان لخدمهم هم
الذين يتولون انتخاب بطريركهم .

رجل مقترف للمساوىء في قبرص :

كان في الايام التي توج فيها ايمري لوزنغان ملكا على جزيرة قبرص ، في هذه الجزيرة رجلا مقترفا للمساوىء يدعى كانا قي ، وكان نشطا هناك منذ ايام الاغريق ، ولقد اساء في الجزيرة كثيرا الى المسيحيين ، وعندما علم الملك ايمري بخبر هذا الرجل المسيء امر بالقاء القبض عليه ، ووعد الذي يأتيه به بجائزة كبيرة ، وقد استهدف من القاء القبض عليه محاكمته ، وعندما علم ذلك الرجل بأن الملك يبحث عنه هرب من جزيرة قبرص ، ونهب الى غريفون في كليكية التي كان اسم حاكمها اسحق ، وكان سيذا لانطاكية القائمة على البحر التي كانت تعرف قديما باسم انطاكية بيسيديا ، وقد وجد الرجل المسيء منقذا كبيرا في شخص اسحق ، فقد استقبله السيد اسحق استقبالا طيبا واعتنى به لمعرفة أنه كان مكروها جدا من قبل المسيحيين ، ولأنه هو نفسه كان ايضا مكروها من قبل المسيحيين ، وطلب هذا المدعو كاناقي من اسحق تزويده بجيش حسن التسليح حتى يحارب به ضد رجال قبرص ، ووافق اسحق على طلبه بكل سرور .

وعندما تم ذلك توجه نحو جزيرة قبرص ، وعندما اقترب منها وجد مركبا لجماعة من معارفه ، فسألهم عن أخبار الملك ، وعن الأوضاع في جزيرة قبرص ، حتى يستطيع أن يقوم بعمل يزعج به أهل قبرص ، وقد أخبره هؤلاء أن الملكة جاءت مع أولادها للإقامة

قرب البحر في منطقة اسمها « الفردوس » ، ذلك أن الملكة كانت متعبة ، فقد قدمت الى هنا لتتراح ولتستبدل هواء مملكة القدس ، وحالما علم كاناقي أن الملكة كانت هناك ، نزل الى اليايسة ، وكذلك فعل اتباعه ، وكان هذا الرجل يعرف مداخل جزيرة قبرص ومخارجها ، وهكذا وصل عند الفجر الى المنطقة التي

- ٣٩٨١ -

كانت فيها الملكة ، وفاجأ الناس الذين كانوا مع الملكة ، فآخذها وأولادها واصطحبهم معه في سفينة .

وبعدما اصطحب معه الملكة ، ارتفع الصراخ في البلاد ، فوصل الخبر الى الملك ، وقد أزعجه هذا الخبر كثيرا ، وبادر بدون تأخير نحو المكان الذي كانت فيه ، ظاناً أنه سيدركها قبل أن تحمل الى سطح البحر ، ولكنه لم يتمكن من الوصول في الوقت المناسب ، ولهذا تألم الملك كثيرا ، وكذلك تألم أهل الملكة والآخرين ، وأزعجهم هذا العار الذي لحق بهم في مملكة قبرص ، ووصل كاناقي الى سيده اسحق وهو يشعر أنه حقق نصراً عظيماً ، وذلك بسبب الصيد الثمين الذي أحضره له .

وعندما سمع لاون دي مونتايين - الذي كان سيد مملكة أرمينية بهذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك أيمرى وبالسيدة ، وذلك محبة له لأنه كان صديقه ، وحباً بالملك أيمرى وحباً ببليدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسل بالحال وهذا الى اسحق الذي كان عزيزاً عليه يحبه حبه لحياته ، وعندما رأى اسحق رسالته أحضر السيدة وأولادها الى كورك.

ولا يعجب أحداً أو يدهش لهذا الشرف الذي حصل عليه ملك القدس ، ذلك أنه منذ احتلال القدس وحتى ذلك الحين ، قليلاً ما كان لكنيسة روما من رأي في البلاد وتدخل ، لأنه عندما جاء الدوق غودفري والبارونات الآخرون لاحتلال البلاد جاءوا بموافقة البابا أوربان وكذلك بموافقة الملك هنري ، ثم فيما بعد من قبل البابا الاسكندر والامبراطور فردريك ، جد هذا الذي أقام في الحكم سبع عشرة سنة ، وحدث أن اثنان من البابوات ماتا ميتة مشؤومة ، وما من أحد حمل الملك مسؤولية هذه العانة .

١٤٩ - كان في الأيام التي توج فيها ايمري لوزنغان ملكاً على جزيرة قبرص ، في هذه الجزيرة رجلاً مقترفاً للمساويء يدعى كاناقي ، وكان نشطاً هناك منذ أيام الاغريق ، ولقد أساء في الجزيرة كثيراً الى المسيحيين ، وعندما علم الملك ايمري بخبر هذا الرجل المسيء أمر بالقاء القبض عليه ، ووعد الذي يأتيه به بجائزة كبيرة ، وقد استهدف من القاء القبض عليه محاكمته ، وعندما علم ذلك الرجل بأن الملك يبحث عنه هرب من جزيرة قبرص ، وذهب الى غريفون في كليكية التي كان اسم حاكمها اسحق ، وكان سيداً لانطاكية القائمة على البحر التي كانت تعرف قديماً باسم انطاكية بيسينيا ، وقد وجد الرجل المسيء مذنباً كبيراً في شخص اسحق ، فقد استقبله السيد اسحق استقبالا طيباً واعتنى به لمعرفة أنه كان مكروهاً جداً من قبل المسيحيين ، ولأنه هو نفسه كان أيضاً مكروهاً من قبل المسيحيين ، وطلب هذا المدعو كاناقي من اسحق تزويده بجيش حسن التسليح حتى يحارب به ضد رجال قبرص ، ووافق اسحق على طلبه بكل سرور .

وعندما تم ذلك توجه نحو جزيرة قبرص ، وعندما اقترب منها وجد مركباً لجماعة من معارفه ، فسألهم عن أخبار الملك ، وعن الأوضاع في جزيرة قبرص ، حتى يستطيع أن يقوم بعمل يزعج به أهل قبرص ، وقد أخبره هؤلاء أن الملكة جاءت مع أولادها للاقامة قرب البحر في منطقة اسمها « الفردوس » ذلك أن الملكة كانت

متعبة ، فقد قدمت الى هناك لترتاح ولتستبدل هواء مملكة القدس ، وحالما علم كاناقي أن الملكة كانت هناك ، نزل الى اليايسة ، وكذلك فعل اتباعه ، وكان هذا الرجل يعرف مداخل جزيرة قبرص ومخارجها ، وهكذا وصل عند الفجر الى المنطقة التي كانت فيها الملكة ، وفاجأ الناس الذين كانوا مع الملكة ، فأخذها وأولادها واصطحبهم معه في سفينة .

١٥٠ - وبعدما اصطحب معه الملكة ، ارتفع الصراح في البلاد ، فوصل الخبر الى الملك ، وقد أزعجه هذا الخبر كثيرا ، وبادر بدون تأخير نحو المكان الذي كانت فيه ، ظاناً أنه سيدركها قبل أن تحمل الى سطح البحر ، ولكنه لم يتمكن من الوصول في الوقت المناسب ، ولهذا تألم الملك كثيرا ، وكذلك تألم أهل الملكة والآخرين وأزعجهم هذا العار الذي لحق بهم في مملكة قبرص ، ووصل كاناقي الى سيده اسحق وهو يشعر أنه حقق نصراً عظيماً ، وذلك بسبب الصيد الثمين الذي أحضره له .

وعندما سمع لاون دي مونتايين ، الذي كان سيد أرمينية بهذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك ايمري وبالسيدة ، وذلك محبة له لأنه كان صديقه ، وحباً بالملك ايمري وحباً ببلدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسل بالمال وفداً الى اسحق الذي كان عزيزاً عليه يحبه حبه لحياته ، وعندما رأى اسحق رسالته أحضر السيدة وأولادها الى كورك ، ومن ثم بعث برسالة الى الملك ايمري لتلا يظل حزينا وأعلمه أنه حرر السيدة وأولادها من أيدي أعدائهم ، ولما سمع الملك ايمري هذه الأخبار سر كثيراً ، وشكر هذه الخدمة والعمل الصالح الذي قام به نحوه ، ثم سلح سافنه واصطحب معه خيرة رجاله وتوجه الى أرمينية ، حيث استقبل بحفاوة ، وقد ابتهج كثيراً عندما وجد السيدة وأولادها سالمين أصحاء ، وحظي الملك لاون بمحبة الملك ايمري ومحبة أقارب السيدة للخدمة التي أسداها للسيدة وأولادها ، واستعد الملك للعودة الى

قبرص ، وعندما اكمل استعداداته اصعد السيدة وأولادها الى السفينة وكذلك صعد هو مع رجاله .

كيف اعتقل لاون سيد أرمينية أمير أنطاكية :

في أثناء حصار عكا ذهب بوهيموند أمير أنطاكية لمشاهدة كل من ملكي انكلترا وفرنسا ، لانهما كانا من اقربائه ، واغتتمت زوجته سبيل فرصة غيابه ، وكانت علاقتها به سيئة ، فاتصلت بلاون دي مونتايين سيد أرمينية ، وتآمرت معه لاعتقال زوجها ، ووعدا لاون بالزواج منها وباعتقال الأمير وإيداعه في سجنه من أجل اعطاء أنطاكية الى وليم ابنها وجعله الوريث، ذلك أنه اراد حرمان وريثة الأمير .

وعندما جاء الأمير ثانية الى أنطاكية دعاه لاون لتناول الطعام معه قرب نبع بغراس (في سنة ١١٩٤) ووافق الأمير واستجاب لدعوته وذلك بسبب تشجيع الأميرة سبيل له ، ونهض الأمير والأميرة الى نبع بغراس وقد اصطحبا معهما بارونات أنطاكية ، وقائد قواتها راؤول دي مون ، ومارشال بيت لحم وأولفر الحاجب ورتشارد دي ارمنت وبقية الاتباع والاصحاب ، ولم يبق في أنطاكية سوى البطريرك ايمري وريموند الابن البكر للأمير ، وعندما كان الأمير على نبع بغراس وجد لاون نفسه غير قادر على تنفيذ ماأراده فما كان منه الا أن طلب من الأمير مصاحبته لزيارة قلعة بغراس ، حيث يمكنه من هناك رؤية البحيرة والتمتع هناك ، واستجاب الأمير لدعوته ونهض معه الى القلعة ، وبعدما اكمل تناول طعامه ونال قسطا من الراحة ، أمر أن تسرج خيوله وتعد مراكبه للعبوة الى أنطاكية ، ولم يكن أحد قد أخبره ان جذوده وفرسانه ورجاله قد جرى اعتقالهم .

وشحن لاون القلعة بالرجال المسلحين وجعلهم على أهبة الاستعداد ثم

وعندما سمع لاون دي مونتاين ، الذي كان سيد مملكة أرمينية بهذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك ايمري وبالسيدة ، وذلك محبة له لانه كان صديقا له ، وحببا بالملك ايمري وحببا ببلدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسل بالحال وفدا الى اسحق الذي كان عزيزا عليه يحبه حبه لحياته ، وعندما رأى اسحق رسالته أحضر السيدة وأولادها الى كورك ، اذ انصاع اسحق لأوامر سيد أرمينية ، وفذ ما أراده منه فأرسلهم الى كورك بكل عناية واحترام ، وما أن عرف لاون بوصولهم حتى خفف لاستقبالهم ، فاستقبلهم بكل حفاوة وترحاب كبير، حسبما يليق بهم فهذا كان مما يبعث السرور في نفسه كثيرا .

١٥١ - ولما وصلت السيدة الى كورك أرسل وفدا الى الملك ايمري ، حتى لايبقى حزينا مغضبا ، وأخبره أنه حرر السيدة وأولادها من سلطة أعدائهم ، وبعدما سمع الملك هذه الأخبار اعتلاه السرور ، وشكر للاون هذه الخدمة وهذا المعروف الذي أسداه له ، ثم مالبت ان أعد سفنه وسلحها ثم اصطحب معه خيرة رجاله وتوجه نحو أرمينية حيث استقبل بكل حفاوة وترحاب .

وابتهج الملك ايمري كثيرا عندما وجد السيدة مع أولاده بخير سالمين ، وبذلك ازدادت حظوة لاون دي مونتاين عند الملك ايمري وعظم حبه له ، وأبدى نحوه الشعور نفسه أقارب السيدة للخدمة التي قدمها لها ولأولادها ، وعندما شرعوا بالاستعداد للعودة الى قبرص سار معهم سيد أرمينية من كورك ، ثم سأل الملك أن يقبل دعوته لتناول الطعام معه هو وجميع رجاله ، فلبى الملك دعوته بكل سرور ، وبعدما جهزت الأمور ليأكلوا معا ، جاء ريموند دي برون دون ، الذي كان أمرا للاسطول ، الى الملك ايمري وقال له : « يامولاي اذا لم تسافروا الآن من أرمينية ستضطرون للبقاء فيها أكثر مما تريدون » وسأله الملك عن السبب ، فبين له أن الوقت قد تغير وتغيرت معه الأنواء ، فصدقه الملك وأمر بصعود السيدة والأولاد الى السفن وكذلك فعل هو ورجالته حيث صعدوا ايضا .

وقد انزعج ملك أرمينية لسرعة رحيلهم ولأنه لم يستطيع أن يسرهم أكثر مما فعل ، وعندما وجد أن الملك ورجاله لن يستطيعوا تناول الطعام معه ، أمر بتحميل التجهيزات مع جميع أدوات الطعام في السفن ، وهكذا أقلعوا مسافرين من كورك حيث وصلوا الى شيرني ، ولما أبحروا ثانية هبت عليهم رياح شديدة وهاجت عاصفة كبيرة في البحر ، وتقاذفتهم الأمواج وأبعدتهم عن اليابسة ، وعندما صاروا وسط لجة البحر غرقوا وهلكوا .

١٥٢ - في أثناء حصار عكا ذهب بوهيموند أمير أنطاكية لمشاهدة كل من ملكي انكلترا وفرنسا لأنهما كانا من أقربائه ، واغتنتم زوجته سبيل فرصة غيابه وكانت علاقاتها به سيئة ، فاستعانت بلاون دي مونتايين سيد دولة أرمينية وحاكت معه خيوط مؤامرة يستقبل فيها زوجها ويعتقله ، والسبب الذي دفعها الى هذا التصرف ضده ، هو أن الأمير كان قد تزوج من قبل من سيدة أخرى ، ثم طلقها لأنه كان فقيرا ركبته الديون ، ووعدها لاون .

جاء الى عند الأمير ، وعندما اكتشف الأمير هذه الخيانة قال له : « ماهذا يا لاون هل أنا الآن رهن الاعتقال ؟ فاجابه : « نعم ، لانني أريد الحصول على انطاكية التي وعدتني بها مرارا ، وأخذت مني في سييلها أموالا طائلة ، وعلاوة على ذلك الا تذكر كيف اعتقلت أخي روبين ، عندما دعوته لتناول الطعام معك ولرافقتك الى مدينة انطاكية ، فهناك أقيت القبض عليه وأودعته في سجنك ، وأخذت منه أموالا كثيرة ، ولم تخرجه من سجنك حتى سلمك البلاد الواقعة فيما بين نهر جيحان ومشارف قلعة بغراس (اعتقل بوهيموند الثالث روبين الثالث سنة ١١٨٢ وسيطر اثر ذلك على المنطقة الممتدة ما بين قلعة بغراس ومصب نهر جيحان) لهذا السبب أريد ان تعيد لي انطاكية مع الاموال التي اخذتها من أخي ، وبدون ذلك لايمكنك أن تفلت من يدي » .

ولما سمع الأمير هذا الكلام قال للاون : « كيف أعيد لك انطاكية وأسلمها وأنا سجين بين يديك ؟ لذلك دعني أذهب ومن ثم سأعيدها لك ، فقال له لاون : « لالان أفعل ذلك قطعا ، عليك أن ترسل بعضا من رجالك الذين هم الآن معك حتى يسلموا انطاكية الى مبعوثي ، وبعد هذا الاجراء سأطلق سراحك وأدعك تذهب حيث تريد ، ووافق الأمير على طلبه هذا وأصدر أمره الى رتشاردي ارمونت ومارشال بيت لحم أن يذهبا الى انطاكية ، ويسلما المدينة ويضعاهما تحت امرة لاون ، وأرسل لاون بدوره رجلا نبيلًا من ارمينية العليا يدعى هيتوم دي سيسون ، وكان متزوجا من ماريّا ام السن ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين التي كانت زوجة ريموند ابن الأمير البكر ، ومنه أنجبت روبين الذي صار أميرا لانطاكية .

بالزواج منها وباعتقال الأمير وإيداعه في سجنه من أجل إعطاء أنطاكية إلى وليم ابنها وجعله الوريث ، ذلك أنه أراد حرمان وريثة الأمير .

وعندما جاء الأمير ثانية إلى أنطاكية دعاه لاون لتناول الطعام معه قرب نبع بغراس (١١٩٤) ووافق الأمير واستجاب لدعوته وذلك بسبب تشجيع الأميرة سيبيل له ، ونهب الأمير والأميرة إلى نبع بغراس وقد اصطحبا معهما بارونات أنطاكية ، وقائد قواتها راؤول دي مون ، ومارشال بيت لحم وأولفر الحاجب ورتشارد دي أرمونت وبقيّة الاتباع والأصحاب ، ولم يبق في أنطاكية سوى البطريرك أيمري وريموند الابن البكر للأمير ، وعندما كان الأمير على نبع بغراس وجد لاون نفسه غير قادر على تنفيذ ما أراه ، فما كان منه إلا أن طلب من الأمير مصاحبته لزيارة قلعة بغراس ، حيث يمكنه من هناك رؤية البحيرة والتمتع هناك ، واستجاب الأمير لدعوته ونهب معه إلى القلعة ، وبعدما أكمل تناول طعامه ونال قسطا من الراحة ، أمر أن تسرج خيوله وتعد مراكبه للعبوة إلى أنطاكية ، ولم يكن أحد قد أخبره أن جنوده وفرسانه ورجاله قد جرى اعتقالهم .

١٥٣ - وشحن لاون القلعة بالرجال المسلحين وجعلهم على أهبة الاستعداد ، ثم جاء إلى عند الأمير ، وعندما اكتشف الأمير هذه الخيانة قال له : « ما هذا يا لاون هل أنا الآن رهين الاعتقال ؟ » فأجابه « نعم ، لأنني أريد الحصول على أنطاكية التي وعدتني بها مرارا ، وأخذت مني في سبيلها أموالا طائلة ، وعلاوة على ذلك لا تتذكر كيف اعتقلت أخي روبين ، عندما دعوته لتناول الطعام معك ولمرافقتك إلى مدينة أنطاكية ، فهناك ألقيت القبض عليه وأودعته في سجنك ، وأخذت منه أموالا كثيرة ، ولم تخرجه من سجنك حتى سلمك البلاد الواقعة فيما بين نهر جيحان ومشارف قلعة بغراس (اعتقل به وليموند الثالث روبين الثالث

سنة ١١٨٢ وسيطر اثر ذلك على المنطقة الممتدة ما بين قلعة بغراس
ومصب نهر جيحان) لهذا السبب أريد أن تعيد لي أنطاكية مع
الاموال التي أخذتها من أخي ، وبدون ذلك لا يمكنك أن تفلت من
يدي «

١٥٤ - ولما سمع الأمير هذا الكلام قال للاون : « كيف أعيد لك
أنطاكية وأسلمها وأنا سجين بين يديك ؟ لذلك دعني أذهب ومن ثم
سأعيدها لك ، فقال له لاون : لالن أفعل ذلك قطعا ، عليك أن
ترسل بعضا من رجالك الذين هم الآن معك حتى يسلموا أنطاكية
الى مبعوثي ، وبعد هذا الاجراء سأطلق سراحك وأدعك تذهب حيث
تريد ، ووافق الأمير على طلبه هذا وأصدر أمره الى رتشارد دي
ارمنت ، ومارشال بيت لحم أن يذهبا الى أنطاكية ، ويسلما المدينة
ويضعها تحت امرة لاون ، وأرسل لاون بدوره رجلا نبيلاً من
أرمينية العليا يدعى هيتوم دي سيسون ، وكان متزوجاً من ماريا أم
السن ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين ،

كيف تولت كومونة أنطاكية الحكم فيها:

وعندما توجه الفرسان الى أنطاكية لتسليم المدينة وأعطائها الى هيتوم ، طلب هيتوم من المارشال ومن رتشارد الذهاب أولا الى أنطاكية ، وأن يقيما في سانت جوليان الى أن يسلموه الأبواب والقلعة وبقيّة الحصون ويضعوها تحت أمرته ، ولما دخلوا الى المدينة استولوا على باب الجسر ، ثم قصدوا القصر ، ولما دخلوا الى قلب البلاط أخذ الرجل الذي أرسله هيتوم يستولي على مافيه من أواني ، وشاهد هناك ورأى بيعة صغيرة كان الأمير ريموند قد بناها على اسم القديس هيلاري الصغير ، وبادر بعض رجال الحاشية الى حراسة البيعة ، فما كان من نائب هيتوم الا أن سأل أهل البلاط : ماهذا المبنى ؟ فقالوا له : انها بيعة هيلاري ، فما كان منه الا أن قال : نحن لانعرف قديسا اسمه هيلاري ولا ماعنيه ، ولهذا سنعمدها من جديد ونعطيها اسم القديس سرجس

وعندما أنهى الرجل الذي أرسله هيتوم كلامه هذا ، تألم رجال الأمير الذي أشرنا اليه ، والنين كانوا هناك ، وانزعجوا لدى سماعهم لهذا الكلام المتعجرف ، وتجمع هذا مع الآلام التي شعروا بها نحو أميرهم ، ولشدة تأثرهم قام أحد الرجال الذين كانوا هناك مغضبا وصرخ بصوت مرتفع : « ايها الاساة كيف تتحملون هذا العار ، وهذه النذالة ، كيف لكم أن تقبلوا بخروج أنطاكية وانتزاعها من سلطة الأمير وذويه ، وأن تؤول بالتالي الى سلطة أناس سفلة مثل هؤلاء الأرمن ؟! » ومالبث أن تناول حجرة من كومة كانت هناك ، وقذف باحداها مندوب هيتوم ، وبهذه الضربة طرحه الى الأرض ميتا ، وصرخ الآخرون : « الى السلاح ، واحتشد كل أهالي المدينة بارادة واحدة وصوت واحد ، واندفعوا مسرعين نحو

- ٣٩٩١ -

باب الجسر ، فاستولوا عليه ، وأسروا جميع الأرمن الذين كان هيتوم قد أرسلهم لاستلام أنطاكية ، ثم نظموا المدينة وأقاموا فيها كومونة قوية، وهذا أمر لم يحصل من قبل ودام منذ ذلك الحين.

ثم ذهبوا الى ريموند الابن البكر للأمير ، وأخبروه أنهم قرروا اختياره أميرا عليهم ، وذلك مثلما كان أباه من قبل .

التي كانت زوجة ريموند ابن الأمير البكر ، ومنه انجبت روبين
الذي صار أميراً لأنطاكية (ريموند روبين أمير
أنطاكية ١٢١٦ - ١٢١٩) .

١٥٥ - وعندما توجه الفرسان الى أنطاكية لتسليم المدينة
واعطائها الى هيتوم ، طلب هيتوم من المارشال ومن رتشارد
الذهاب أولاً الى أنطاكية ، وأن يقيما في سانت جوليان الى أن
يسلموه الأبواب والقلعة وبقية الحصون ويضعوها تحت
أمرته ، فبعدما يسلموها له سيدخل الى المدينة ، ولما دخلوا الى
المدينة استدولوا على باب الجسر ، ثم قصدوا القصر ، ولما دخلوا
الى قلب البلاط أخذ الرجل الذي أرسله هيتوم ليستولي على مافيه
من أواني ، وشاهد هناك ورأى بيعة صغيرة كان الأمير ريموند قد
بناها على اسم القديس هيلاري الصغير ، وبادر بعض رجال
الحاشية الى حراسة البيعة ، فما كان من نائب هيتوم الا أن سأل
أهل البلاط : ما هذا المبنى ؟ فقالوا له : انها بيعة هيلاري ، فما
كان منه الا أن قال : نحن لانعرف قديسا اسمه هيلاري
ولاماعنيه ، ولهذا سنعمدها من جديد ونعطيها اسم القديس
سرجس (كان سرجس بطريركا للقسطنطينية من
٦١٠ حتى ٦٣٨ ، وقد وقف معارضا لكنيسة روما حتى أنه بات
رمزا لاستقلال الكنائس الأرثوذكسية) .

١٥٦ - وعندما أنهى الرجل الذي أرسله هيتوم كلامه
هذا ، تألم رجال الأمير الذي أشرنا اليه ، والذين كانوا
هناك ، وانزعجوا لدى سماعهم لهذا الكلام المتعجرف ، وتجمع هذا
مع الآلام التي شعروا بها نحو أميرهم ، ولشدة تأثرهم قام أحد
الرجال الذين كانوا هناك مغضبا وصرخ بصوت مرتفع : « ايها
السادة كيف تتحملون هذا العار ، وهذه النذالة ، كيف لكم أن
تقبلوا بخروا أنطاكية وانتزاعها من سلطة الأمير وذويه ، وأن تؤول
بالتالي الى سلطة أناس سفلة مثل هؤلاء الأرمن » !

ومالبث أن تناول حجرة من كومة كانت هناك ، وقذف باحداها مندوب هيتوم ، وبهذه الضربة طرحه الى الارض ميتا ، وصرخ الآخرون : « الى السلاح » واحتشد كل أهالي المدينة بارادة واحدة وصوت واحد ، واندفعوا مسرعين نحن باب الجسر ، فاستولوا عليه ، وأسروا جميع الارمن الذين كان لاون قد أرسلهم لاستلام انطاكية .»

١٥٧ - وحينما اجتمعوا في الكنيسة الرئيسية لمدينة انطاكية ومعهم البطريرك ايمري تداولوا فيما بينهم ، وتوحدوا وهذا أمر لم يحصل من قبل ودام حتى يومنا هذا ، ثم ذهبوا الى ريموند الابن البكر للأمير ، وأخبروه أنهم قرروا اختياره أميرا عليهم بدلا من أبيه ، وذلك الى حين اطلاق سراح أبيه .

وعندما سمع هيتوم هذا الخبر ، وكان مقيما في سانت جوليان ، وعرف أن سكان انطاكية ثاروا ورفضوا أوامر الأمير واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه أن يعتقل ويؤخذ أسيرا عندما يعثر عليه ، فما كان منه الا أن يادر مسرعا بقدر ما أمكنه نحو بفراس حيث كان لاون مقيما ينتظره هناك .

وما أن عرف هيتوم أن سكان انطاكية قد ثاروا ورفضوا أوامر الأمير ، واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه أن يعتقل ، أو يؤخذ أسيرا عندما يعثر عليه ، فما كان منه الا أن يادر مسرعا بقدر ما أمكنه نحو بفراس حيث كان لاون مقيما ، ولدى سماع لاون ما حدث مع هيتوم حمل الأمير ومن كان معه الى قلعة سيس وهناك عاملهم معاملة طيبة واحتفى بهم .

كيف جرى اطلاق سراح الأمير من سجن لاون :

وحينما اجتمعوا في الكنيسة الرئيسية لمدينة انطاكية ومعهم البطريرك ايمري تداولوا فيما بينهم ، وتوحدوا ، وهذا أمر لم

يحصل من قبل ودام حتى يومنا هذا ، ثم ذهبوا الى ريموند الابن البكر للأمير ، واخبروه أنهم قرروا اختياره أميرا عليهم بدلا من أبيه ، وذلك الى حين اطلاق سراح أبيه .

وعندما سمع هيتوم هذا الخبر ، وكان مقيما في سانت جوليان ، وعرف ان سكان انطاكية ثاروا ورفضوا أوامر الأمير واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه أن يعتقل ويؤخذ اسيرا عندما يعثر عليه ، فما كان منه الا ان يبادر مسرعا بقدر ما أمكنه نحو بغراس حيث كان لاون مقيما ينتظره هناك .

وحالما وصل هيتوم الى بغراس وأطلع لاون على ماجرى معه ، قام لاون باقتياد الأمير وكل من كان معه ووضعهم جميعا في سجن قلعة سيس حيث عوملوا بكرامة ، وفوق ما يليق بمكانتهم ، وظلوا في السجن حتى ذهب الكونت هنري لتحريرهم .

وقام في عام ١١٢٣ لتجسيد المسيح ايمري بطريك انطاكية وريموند وبوهيموند ولدا الأمير بمرا سلة الكونت هنري وسأله القدوم اليهم للمساعدة على اطلاق سراح والدهما من سجن لاون ، وبالحال لمي الكونت هنري الطلب الذي تلقاه لأنه كان ابن عمه ، وسافر من عكا فكان خلال عدة ايام في طرطوس ، وهنا كتب اليه مقدم الدشيشية وبعث اليه بوفد يرحوه بالتفضل بالمرور في أراضيه ، وأعلمه أنه سيكون له الشرف العظيم في أن يراه ويجالسه ذلك أنه يعده سيذا وصديقا له ، وسيسر الكونت هنري بهذا الطلب وتوجه نحوه وهو يشعر بالبهجة .

وعندما تحرك الكونت هنري من طرطوس جاء مقدم الدشيشية لاستقباله وقد تلقاه بكل حفاوة وترحاب ، ثم صحبه في جولة خلال بلاده وجعله يزور قلاعه وعندما وصلوا الى القلعة التي تدعى الرصافة ، وهي أعظم القلاع التي يمتلكها ، سأل الكونت قائلا : « هل يطيعك رجالك كما يطيعني رجالي ؟ » فأجابه الكونت :

نعم فقال مقدم الحشيشية وسيدهم : « لكن رجالك لا ينفذون أوامرك
مثلاً ينفذ رجالني أوامري ، وسأريك ذلك » ثم أمسك حربة
بيده ، وأشار بها اليهم ، فما كان من الذين كانوا واقفين على ظهر
القلعة الا أن القوا أنفسهم بالقناة فتحطمت أجسادهم ، فعندما
رأى الأمير هنري ذلك ، رجاء الا يكرر هذا العمل ثانية ، فأشار
اليهم فتوقفوا عن رمي أنفسهم ، ثم دخلا الى القلعة ، وكان امام
مدخلها حاجز حديدي ، فالتفت سيد الحشيشية نحو الكونت وقال
له : « سأريك ايضاً كيف يطيعون أوامري » فألقى بملاءه كانت في
يده ، كان قد أخذها من الرجال الواقفين امام الباب ، فألقى ثلاثة
أو أربعة من رجاله بأنفسهم خلفها ، وانقضوا عليها
فماتوا ، فرجاء ايضاً الكونت هنري بالتوقف والا يفعل ما فعله
ثانية .

وأقام الكونت هنري عنده فترة طويلة ، منحه خلالها سيد
الحشيشية هدايا ثمينة ، وفوق كل ذلك أكرمه وأكرم من كان معه
غاية الاكرام ، ومن هناك سافر الأمير الى أنطاكية حيث استقبل
استقبالا عظيماً ، وهناك اجتمع الكونت بالبطريرك مع ولدي الأمير
وتداولوا بشأن تحرير والدهم وبعد هذا الاجتماع سافر الكونت من
أنطاكية وقصد بلاد أرمينية ، فجاء لاون لاستقباله والترحيب به بكل
حفاوة ، ثم اصطحبه معه الى مدينة سيس وهناك اتفق معه على
اطلاق سراح الأمير من سجن لاون ، وعلى أن يتم الزواج فيما بين
ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين وبين ريموند الابن البكر للأمير .

١٥٨ - وحالما وصل هيتوم الى بغراس وأطلع لاون على ماجرى معه ، قام لاون باقتياد الامير وكل من كان معه ووضعهم جميعا في سجن قلعة سيس ، حيث عوملوا بكرامة ، وفق مايليق بمكانتهم ، وظلوا في السجن حتى ذهب الكونت هنري لتحريرهم ، ١٥٩ - وقام في عام ١١٩٣ لتجسيد المسيح ايمري بطريك انطاكية وريموند وبوهيموند ولدا الامير بمراسلة الكونت هنري وسألوه القدوم اليهم للمساعدة على اطلاق سراح والدهما من سجن لاون ، وبالحال لمي الكونت هنري الطلب الذي تلقاه لانه كان ابن عمه ، وسافر من عكا فكان خلال عدة ايام في طرطوس ، وهنا كتب اليه مقدم الحشيشية وبعث اليه بوفد يرجوه بالتفضل بالمرور في اراضيه ، وأعلمه أنه سيكون له الشرف العظيم في أن يراه ويجالسه ذلك أنه يعده سييدا وصديقا له ، وسر الكونت هنري بهذا الطلب وتوجه نحوه وهو يشعر بالبهجة .

وعندما تحرك الكونت هنري من طرطوس جاء مقدم الحشيشية لاستقباله ، وقد تلقاه بكل حفاوة وترحاب ، ثم صحبه في جولة خلال بلاده وجعله يزور قلاعه وعندما وصلوا الى القلعة التي تدعى الرصافة ، وهي أعظم القلاع التي يمتلكها سأل الكونت قائلا : « هل يطيعك رجالك كما يطيعني رجالي » ؟ فأجابه الكونت : نعم ، فقال مقدم الحشيشية وسيدهم : « لكن رجالك لا ينفذون أوامرك مثلما ينفذ رجالي ، وسأريك ذلك » ثم أمسك حربة بيده ، وأشار بها اليهم ، فما كان من النين كانوا واقفين على ظهر القلعة الا أن ألقوا أنفسهم بالقناة فتحطمت أجسادهم ، فعندما رأى الامير ذلك رجاء الا يكرر هذا العمل ثانية ، فأشار اليهم فتوقفوا عن رمي أنفسهم ، ثم دخلا الى القلعة ، وكان امام مداخلها حاجز حديدي ، فالتفت سيد الحشيشية نحو الكونت وقال له : « وسأريك أيضا كيف يطيعون أوامري » فالقى بملاءة كانت في يده ، كان قد أخذها من الرجال الواقفين امام الباب فالقى ثلاثة أو أربعة من رجاله بأنفسهم خلفها ، وانقضوا عليها فماتوا ، فرجاء أيضا الكونت هنري بالتوقف والا يفعل ما فعله ثانية .

- ٣٩٩٧ -

١٦. - وأقام الكونت هنري عنده فترة طويلة ، منحه خلالها سيد الحشيشية هدايا ثمينة ، وفوق كل ذلك أكرمه وأكرم من كان معه غاية الأكرام ، ومن هناك سافر الأمير الى أنطاكية حيث استقبل استقبالاً عظيماً ، وهناك اجتمع الكونت بالبطريرك مع ولدي الأمير وتداولوا بشأن تحرير والدهم ، وبعد هذا الاجتماع سافر الكونت من أنطاكية وقصد بلاد أرمينية ، فجاء لاون لاستقباله والترحيب به بكل حفاوة ، ثم اصطحبه معه الى مدينة سيس .

كيف مر الكونت هنري بقبرص وتصالح مع الملك ايمرى

وكنا قد تحدثنا من قبل عن زهاب الكونت هنري لاطلاق سراح الامير بوهيموند بن بيتايين من سجن لاون دي مونتايين ، وأنه روج ابنه روبيين التي كانت ابنة اخي لاون من ريموند ابن امير انطاكية ، ثم عاد للتوجه نحو عكا ، وقد نصحه بارونات مملكة القدس النين كانوا بصحبته بأن يمر على الملك ايمرى ، لأنه عندما كان ايمرى كافلا لمملكة القدس جرى حديث بينه وبين الكونت هنري حول أمور تتعلق بسيادة المملكة ومسائل أخرى أيضا ، ويحكى أن الكونت هنري كان لا يدعم ايمرى الذي انتخب بطريركا ، وذلك من أجل خاطر الملك ايمرى ، ورأى بارونات المملكة أن العلاقات السيئة وفساد النوايا ليست مفيدة لمملكة القدس ، وأن حسن النوايا والارادة الطيبة من السيدين يمكن أن تكون مفيدة لهما معا ، هذا وكان الليازنة قد بذلوا جهودا كبيرة لاصلاح ذات البين بين الملك والكونت .

وأدرك الكونت هنري أن هذا سيكون لصالحه ، فغادر أرمينية قاصدا جزيرة قبرص ، وعندما علم الملك ايمرى أن الكونت قد وصل الى قبرص ، ذهب هذا الملك لاستقباله ، فاستقبله بكل حفاوة كما يليق به ، وجرت مصالحة بينهما ، وتمتنت أواصر السلام بينهما ومنذ ذلك الحين باتا أفضل أصدقاء ، وعند ذلك سعى بارونات مملكة القدس وبارونات مملكة قبرص لعقد زواج بين أبناء ملك قبرص وبين بنات الكونت هنري مع بنات ايزابييل زوجته والتي كانت ملكة لمملكة القدس ، وتمت مراسم الزواج وبموجبها دفع الملك ايمرى الى الكونت ثمن جهاز جميع البنات ، أما الكونت هنري فقام نزولا عند رغبة زوجته ايزابييل وتحقيقا لارادتها ، بابتياح امارة يافا ، وقدمها هدية الى ابنته بمثابة جهاز وميراث ، ولكن الذي حدث فيما بعد هو أن ولدي الملك ايمرى : غويتين وجوهانين قد

- ٣٩٩٩ -

توفيا وهما في ريعان الشباب وبذلك انتقلت وراثة الملك الى هيوت
الذي سمي فيما بعد باسم هيوج ، وهو الذي تزوج ! من اليس ابنة
الكونت هنري .

وفاة صلاح الدين :

في سنة ١١٩٥ لتجسيد المسيح توفي صلاح الدين (التاريخ
الصحيح ١١٩٣)

وبعد وفاته تمكن أخوه سيف الدين من استحواذ السلطة
لنفسه ، والحكم بدلا من أبناء صلاح الدين ، فقد دس السم الى
أحدهم ، وكان سييدا لمدينة دمشق ، واسمه نور الدين ، وقد
استدعى هذا الحكماء ، وشرح لهم كيف سُممه عمه فسأعده
وقدموا له العلاج. للتخلص من السم ، ثم هرب سيف الدين من
القلعة وذهب الى

١٦١ - في سنة ١١٩٥ لتجسيد يسوع المسيح - توفي الملك غي ، وقام أهالي مملكة قبرص بمراسلة جفري دي لوزنغان أخيه الملك المذكور ، وأعلموه بحادث الوفاة وبرغبتهم في استقباله في قبرص لتتويجه ملكا عليهم ، ولم يرغب جفري بالقدوم ، فقام أهالي قبرص بتتويج ايمري ملكا بدلا من أخيه .

وتوفي في السنة نفسها صلاح الدين (وفاة صلاح الدين كانت يوم ٤ - نيسان ١١٩٣) وقد تمكن أخوه سيف الدين من استحواد السلطة لنفسه ، والتحكم بأبناء أخيه صلاح الدين ، وفسد السم لأحدهم ، الذي كان سيدا لمدينة دمشق ، واسمه نور الدين .

١٦٢ - بعد وفاة صلاح الدين جاء سيف الدين الى دمشق ليضع ابن أخيه في سدة الحكم ، وجرى العادة أنه عندما كان البطريرك يتوج ملك القدس بتاج من ذهب ويمسحه يغدو ملكا ، وبالمقابل جرى العادة بين صفوف المسلمين أن يقوم أعظم الرجال مكانة بينهم فيحمل راية ويسير بها أمام الذي سيكون سلطانا جديدا ويبرزها عالية أمام الشعب وهو يقول لهم بأعلى صوته : « هذا هو سيدكم » فهذا ما فعله سيف الدين لابن أخيه ، حيث رفع راية سار بها أمامه وهو يعلن للشعب : « هذا هو سلطان دمشق » .

وكان سيف الدين هذا عظيم المكر كبير الحسد ، امتلك رغبة عارمة بالحصول على المملكة وانتزاعها من سلطان أبناء أخيه ، فعلى هذه الصورة خدم ابن أخيه وشرفه ، وتصرف ظاهريا حسبما توجب عليه أن يفعل ، لكن عندما عاد سيف الدين الى القلعة طلب من ابن أخيه احضار بعض التفاح ليأكل ، فجلب له التفاح ووضع أمامه ، وبعدما أصبح التفاح أمام سيف الدين استل سكيناً من وسطه ، كان قد وضع على رأسها سما ، ثم أخذ تفاحة وشطرها الى شطرين ، فأكل منها أولا ، ثم قطع قطعة من التفاحة نفسها ووضعها على رأس السكين ، وبكل أدب ولياقة تقدم من ابن أخيه وأعطاه هذه القطعة ، وأخذ ابن أخوه التفاحة وأكلها ، وبعدما

- ٤٠١ -

أكمل أكلها شعر حالا بأن السم سرى في جوفه ، فاستدعى الحكماء
لداوآته واذقانه من هذا السم الذي تناوله ، وقد شرح لهم كيف سمي
عمه ، فساعدوه وقدموا له العلاج للتخلص من هذا السم .

ولما رأى سيف الدين أن ابن أخيه قد أكل التفاحة التي كانت مسممة تركه ثم هرب من دمشق بأسرع وقت ممكن ، وذهب الى بلاد ميديا ، أي الى بلاد الموصل والى تكريت ، لسكنى الأكراد في تلك المنطقة ، وحشد هناك حشدا كبيرا من الأكراد والتركمان والشعوب الأخرى ، وعاد على رأس هذا الحشد الى دمشق ، ولدى اقترابه منها سلمت اليه المدينة ، وعندما دخل الى المدينة ثم الى القلعة حيث كان ابن أخيه ، وكان في القلعة عددا من أمراء صلاح الدين ، فأقبل هؤلاء نحو ابن سيدهم ، وجردوه من سيفه الذي كان الى جنبه ، وكان معنى تجريده من السيف عزله من السيادة ، ومن ثم أعلنوا سيف الدين سيدا عليهم .

وبعدما استولى سيف الدين على حكم دمشق ، غادر ابن صلاح الدين الذي كان قبله سيدا عليها - المدينة - وذهب الى عند أخيه البكر الملك العزيز ، وكان سيدا في القاهرة ، وهذا الذي تحدثنا عنه كان اسمه الأمير نور الدين علي ، وكان لقبه الذي شهر به « الملك الأفضل » .

وآخر استيلاء سيف الدين على دمشق ، سمع سلطان حلب الذي يدعى الملك الظاهر بن صلاح الدين ، بما اقترفه عمه من مساوئ تجاه أخيه ، فغضب كثيرا وتآلم الى أبعد الحدود لما نال أخيه ، فأصدر أوامره الى قائد قواته بحشد جيشه للزحف ضد دمشق للثأر من عمه للأذى الذي لحقه بأخيه ، وهكذا تحرك من حلب مع قوة كبيرة ، وجاء ليحاصر دمشق وعمه الذي كان فيها ، وجاء من جهة ثانية نور الدين الذي كان سيد دمشق ، جاء على رأس القوات التي أعطاها إياها أخوه سلطان القاهرة مساعدة منه لاسترداد ملكه .

وقام سيف الدين في أثناء الحصار خفية بمراصلة قادة قوات ابني أخيه ووعدهم بالأموال والهدايا ، وجذب لهذه الوعود اليه القسم الأكبر من جيش ولدي أخيه ، وانزعج أهالي دمشق حيث خيل اليهم

- ٤٠٣ -

أن مدينتهم ستؤخذ عنوة ، ولهذا قالوا لسيف الدين بأنهم سيسلمون المدينة مقابل حياتهم وسلامتهم ، فقال لهم سيف الدين « أيها السادة أعدوا أنفسكم فأنا على نية الزحف ضد مصر للاستيلاء على الحكم في القاهرة » .

وتابع سلطان حلب حصار دمشق ، غير أنه ما لبث أن عرف أن عددا من قادة جيشه تخلوا عنه وتحولوا إلى عمه ، وعلى الرغم من معرفته بأمور هذه الخيانة التي قام بها القادة لصالح عمه ، شدد الحصار على دمشق مستهدفا الدخول إليها ، غير أنه عندما وجد أن رجاله قد تخلوا عنه ، أوقف الحصار وعاد إلى حلب ، وكذلك عاد أخوه نحو القاهرة ، عندما أدرك أنه وأخوه لم يعد بمقدورهما متابعة حصار دمشق ، وانطلق سيف الدين خلفه ، وسار من دمشق يريد مصر ، وكان ينزل وراء ابن أخيه منزلا تلو الآخر حتى مصر .

وعندما وصل سيف الدين إلى بليس كان الملك العزيز - ابن أخيه وسلطان القاهرة - في الصيد ، وبينما هو في الصيد تقنطر من على ظهر حصانه فاندقت رقبتة ، وبسهولة سيطر سيف الدين على السلطنة في القاهرة ، وطرد ابن أخيه الذي كان سيد دمشق ، الذي سلف وتحدثنا عنه من قبل ، وهكذا استولى ابن سيف الدين على المملكة ، وبات منذ ذلك الحين يعرف بالملك العادل وما زال أولاده يحكمون البلاد .

- ٤٠٤ -

وأرسل الكونت الذي كان داخل انطاكية الى سلطان حلب يطلب منه تقديم المساعدة ، لأن ملك أرمينية يريد حرمانه وانتزاع الامارة منه ، فأجابه سلطان حلب بأنه سيساعده في كل مرة يطلب منه المساعدة ، ذلك أنه لم يكن يحب ملك أرمينية ووافق هذا امير انطاكية ، لأنه بدون ذلك ما كان بإمكانه المقاومة ضد ملك أرمينية وأن يحول بينه وبين السيطرة على البلاد ، ودامت هذه الحروب مدة سبع سنوات ، وأخيرا سلمت انطاكية الى ملك أرمينية عن طريق الخيانة .

وبعدما غادر الكونت هنري أرمينية وجاء الى قبرص واتفق مع الملك ايمري كما حدثتكم من قبل ، جاءت اخبار جديدة افادت أن العادل قد استولى على مملكة باب اليون (القاهرة) ومملكة دمشق منتزعا اياهما من ولدي أخيه ، وأنه - أي العادل - قد خرق الهدنة التي أبرمها الملك رتشارد ، فانتشر المسلمون في البلاد وأحدثوا فيها أضرارا كبيرة ، ولهذا أسرع الكونت هنري وقدم الى ليماسول ومن هناك عبر الى عكا .

كيف حشد الامبراطور هنري أعداد كبيرة من الناس ليرسلهم الى سورية :

مات في ذلك الزمان ، والأحداث تتسارع هكذا في سورية ، وليم ملك صقلية بدون وريث فانتقلت المملكة الى عمته التي كانت تدعى كوندستانس ، وكانت زوجة هنري ملك ألمانيا الذي كان ابن الامبراطور فريديريك الذي مات في أرمينية بينما كان ذاهبا الى سورية ، وكان لكوندستانس أخ يدعى تانكرد ، وبعدما مات وليم استولى تانكرد على البلاد ، وتوج نفسه ملكا من دون أن يكون له الحق بذلك ، لأنه - كما قيل - ولد من زواج غير شرعي ، وبعد وفاة تانكرد هذا سيطر أولاده على المملكة من بعده .

- ٤١٥ -

وبعدما وطد الملك هنري أموره في ألمانيا ولبارنيا والبلاد الأخرى
التي كانت تتبعه ، استدعى جميع البارونات الذين تحت
سلطانه ، وبعدما أمن شؤون الامبراطورية حشد جيشا كبيرا فدخل
به الى ...

١٦٨ - في العام ١١٩٥ لتسديد جيد ————— ولانا وميلاده (الصحيح ١٩٩١) توفي كليمنت الثالث الذي كان البابا في روما ، وقد انتخب خليفة له البابا كلستين الثالث ، وكما حكينا من قبل عن غرق الامبراطور فريديريك لدى عبور نهر السن ، وكان أكبر أولاده يدعى هنري ، وهو الذي توجه ملكا على المانيا ، وزوجه من سيدة اسمها كوندستانس ، وكانت عمه الملك وليم ملك صقلية ، وقد توفي وليم هذا بدون وريث ، فانتقلت مملكة صقلية الى السيدة كوندستانس ، غير أن واحدا من أخوته واسمه تانكرد استولى على المملكة وتوج نفسه سيدا عليها ، وقد قيل انه لم يكن له حق بذلك أبدا ، لأنه ولد من زواج غير شرعي ، وبعد وفاة تانكرد هذا سيطر أولاده من بعده على المملكة .

وبعدما ولد الملك هنري أموره في المانيا ولباربيا والبلاد الأخرى التي كانت تتبعه وبعدما أمن شؤون الامبراطورية ، سار على رأس جيش كبير ، فدخل به الى صقلية ، فاستولى على بلرم وعلى القصر فيها ، وكان في داخله أولاد تانكرد ففرض عليهم ، وكان للملك تانكرد ابنتين وقد تمكنتا من الفرار ، وقد تزوجت احدهما من الكونت غوتير (الثالث) دي برن ، وتزوجت الثانية من كونت دي غريفين (بيززياني دوج البندقية في ١٢٠٥) . وأبى الملك هنري كثيرا من سكان بيولا مع سكان صقلية .

وحمل في تلك الأونة دوق النمسا الملك رتشارد ملك انكلترا واعطاه الى ملك المانيا ، وجمع هذا الملك مبلغ المائتي الف مارك الذي أخذه فدية من الملك رتشارد مع المال الذي أخذه من بيولا وصقلية ، ثم ذهب الى روما حيث توج امبراطورا ، فبهذا المال أقنع الرومان في أن يتوج بسلام وأمان ، لأنه يقال : أنه في اليوم الذي يستلم فيه الامبراطور تاج امبراطورية روما يجب عليه أن يدفع كثيرا من المال الى الرومان واذا لم يستطع أن يدفع ذهباً يدفع دما ، لأنه في تدويج عدد كبير من الأباطرة عندما لم يدفع للرومان المال الكثير دفع لهم الدم الغزير الذي كان يسيل مثل السواقى في

- ٤٠١٧ -

وسط الشوارع ، وحدث في عدة مرات إنشاء تتويج الامبراطور ان امتلات كنيسة القديس بطرس بالدم ، هذا وتزوج هنري هذا غداة انتخاب البابا كلاستين .

١٦٩ - رأس الامبراطور فريديريك الذي تحدثنا عنه الامبراطورية في أيام حياته ، كما أمر أن يقسم له بأن تكون السيادة على الامبراطورية له وحده ، وهكذا ظل حتى تاريخ وفاته (في سنة ١٢٥٠) وغمرنا الرب بنعمه .

١٧٠ - بعدما أبرم الصلح بين الملك ايمري والكونت هنري حسبما تحدثنا من قبل ، استعد الكونت هنري للعودة الى عكا ، لكنه سمع أن الملك العادل الذي استولى على مملكة القاهرة بعدما انتزع الملك من أبناء أخيه قد أوقف العمل بالهبة التي عقدها معه الملك رتشارد لذلك أسرع بالذهاب الى ليماسول ومن هناك

صقلية ، فاستولى على بلرم وعلى القصر فيها وكان في داخله أولاد تانكرد فمضى عليهم ، وكان للملك تانكرد ابنتين ، وقد تمكنتا من الفرار ، وقد تزوجت أحدهما من الكونت غوتير دي برن ، وتزوجت الثانية من كونت دي غريفين ، وأباد الملك هنري كثيرا من سكان بيولا مع سكان صقلية .

وحدث في هذه الفترة أن قبض دوق النمسا على الملك رتشارد ، وحمله الى الملك هنري ، وجمع هذا الملك الأموال التي حصل عليها من فدية رتشارد ومن بيولا ومن صقلية وجاء بها الى روما ، وطمان الرومان فتوج امبراطورا .

وفي الحقيقة كان فردريك والده الذي تحدثنا عنه قد حكم المملكة وأورثها حتى الثالث من أولاده .

وبعدما أنجز هنري امبراطور ألمانيا كل هذه الأعمال وبعدما توج امبراطورا ، عطف على مملكة القدس ، متذكرا العواطف التي أبداه والده نحوها وكيف أنه أراد أن يراها بحالة جيدة ولكنه لم يتمكن من ذلك ، فبعث (هنري) بوفود الى الكس امبراطور القسطنطينية ، طالبا منه أن يعمل على تمهيد الطرق والسبل واعداد المرافئ حتى تتمكن قواته وسفنه من العبور والنجاح ، وأن يرسل ايضا رجاله الى مملكة القدس لينقذها من أيدي أعدائها . وإذا لم ينفذ ذلك سيأتي بالفعل ليراه .

وجاءت الوفود الى الامبراطور الكس وأبلغوه ما أوصاهم به سيدهم ، فانزعج من ذلك كثيرا ، ولم يرق له جل ما قالوه له ، لكنه في النهاية وافق على مطالب الامبراطور هنري ، وذلك نزولا عند مطالب رجاله واستجابة لنصائحهم .

- ٤٠٩ -

عبر وجاء الى عكا ، فوجد أن المسلمين قد جاسوا خلال البيار حيث أحدثوا أضرارا جسيمة .

١٧١ - وكنا قد تحدثنا عن الامبراطور هنري الذي استولى على سالرنو وبلرم مع بقية أجزاء مملكة صقلية ثم توج امبراطورا ، لقد أشفق هذا الامبراطور كثيرا على مملكة القدس ، لهذا قام بأعمال كبيرة ، ثم أخذ هذا الامبراطور بارضاء الناس غير أنه لم يستطع اتمام ما بدأ به ، ولو أن الرب منحه حياة أطول لكان قد تمم ذلك ، فلقد طلب برجاء ، ثم أمر أمراء ألمانيا بحمل الصليب للذهاب لتحرير مملكة القدس ، فأجابوه أنهم لن يمكنهم المغادرة قبل العودة الى مناطقهم واماراتهم لاكمال الاستعدادات لهذه الحملة ، فهم أرادوا العودة الى ألمانيا لتفقد قصورهم وقلاعهم ، فسمح لهم بذلك فعادوا الى ألمانيا واستعدوا للعبور بالطرق التي تناسبهم ، وقام الامبراطور باستعدادات كبيرة في بيولا حيث جهز السفن وشحنها بالموثن والعتاد .

١٧٢ - وفي أثناء الاستعدادات التي قام بها الامبراطور هنري أوفد رسلا من قبله الى امبراطور القسطنطينية الذي كان يدعى الكسوس ، حيث طلب منه اعداد الطرق والمرافق التي سيعبر منها هو ورجاله وسفنه ، فقد كان هذا مما توجب عليهم القيام به ، وأن يرسل هذا الامبراطور نفسه بعضا من رجاله الى مملكة القدس لينجدها ضد أعداء الصليب ، وإذا لم ينفذ مطالبه ويفعل ذلك ، سيأتي اليه ليزوره وهو يتحداه سلفا .

١٧٣ - وعندما جاء رسل الامبراطور هنري الى القسطنطينية استقبلهم الامبراطور الكسوس بكل حفاوة وذلك تقديرا منه لسيدهم ، وأراد أن يظهر مجده وغناه أمام رسل امبراطور ألمانيا ، وقبل ان يطلع على مهمتهم ، زين قصره بالزينات الذهبية والحريرية ، وبعد ذلك استدعى اليه الرسل ، وعندما مثلوا في حضرته سألهم عن امبراطور ألمانيا وعن أملاك وثروات

- ٤٠٦٠ -

سيدهم ، واما اذا كان غنيا مثله ، واما اذا كان ليه جواهر ثمينة
مثله ، ولم يتردد الرسل الذين كانوا حكماء

- ٤٠١٢ -

ومدربين في احسان الجواب ، فأجابوه ان سيدهم اغنى منه بعشر مرات ولديه ثروات اكبر بكثير مما رأوه في مملكة القسطنطينية ، وعند ذلك قال لهم: « هل لديه زينات وزخارف غنية مثلما ترون لدى » ؟ فقـالوا له

نعم يا مولاي لديه أجمل وأثمن ، فقال الامبراطور : « بأي شيء هي أجمل » ؟ فقالوا : « أولا لديه محبة رجاله ، وثانيا كل أرجاء الامبراطورية تحت امرته وسلطانه وهي : روما ، وترويسكانيا ، ولومباريا ، والمانيا ، وبورغونيا ، وبيولا ، وصقلية ، ولذلك يطلب منك بوساطتنا أن تعد السفن والطرق حتى يتمكن هو ورجاله من القيام بمهام العمل الذي عزموا تنفيذه ، وهو يطلب منك أيضا أن تستعد أنت بدورك حتى تمضي معه الى مملكة القدس ، عندما سيمر بك للعبور ، واذا لم تنفذ ماطلبه منك بوساطتنا سيأتي لزيارتك في امبراطوريتك ، وأنذاك سيكون بإمكانك أن ترى الزينات والزخارف الذهبية التي سمينها لك » .

١٧٤ - عندما سمع الكسوس ، امبراطور القسطنطينية قول الرسل تأثر كثيرا ، وغضب غضبا شديدا ، لكنه لم يفقد شجاعته أو توازنه فقال للرسل : « أيها السادة ، سمعت جيدا ما نقلتموه لي من سيدكم ، اذهبوا الآن واستريحوا ، وسأفكر ثم اجيبكم حسبما يترتب علي » .

وبعدما غادر الرسل حضرته ، استدعى اليه جميع الشيوخ المحنكين واعيان القسطنطينية ، ولما اجتمعوا به قص على مسامعهم ما حمله له رسل امبراطور المانيا وأبلغوه به ، وكان يريد اظهار قدرته على اللامبالاة بامبراطور المانيا ، وكذلك أراد اهانة الرسل الذين أبلغوه في امبراطوريته مثل هذه الرسالة ، لهذا قال مخاطبا الحضور : « انني جمعتكم هنا وأريد أن أستمع الى نصيحة كل واحد منكم ، وليخبرني كل واحد منكم بما يريده ، وقد وافقه بعض الشباب على توجيه الاهانة للرسل وانذالهم .

- ٤٠١٣ -

١٧٥ - ولكن انبعث من بين الحضور شيخ اغريقي من أيام
الامبراطور مانويل ، فطلب من الامبراطور أن يسمح له بالتعبير عن
رأيه فقال : « يامولاي هل تسمحون لي بالتعبير عن رأيي ، ولعل
ماسأؤله هو الصحيح » ؟ فقال الامبراطور : « أريد أن تقول ماتراه
الافضل » فقال : « دعني أخبركم أن الملك وليم الذي كان جارا لكم
قد خطب ابنة الامبراطور مانويل لتكون له زوجة ، فوافق أولا على
طلبه ، ثم ندم على ذلك ، ولهذا حاربه الملك وليم بقسوة حتى أنه
استولى على ثلث امبراطوريته وانتزعها منه و لو لم .

وقال الامبراطور الكسني لرسال الامبراطور هنري انه كان سعيدا جدا لسماع ان الرب قد ألهم رجلا ساميا مثل امبراطور المانيا وملك صقلية للذهاب في سبيل انقاذ مدينة القدس المقدسة وللتار للعار والاضرار التي سببها غير المؤمنين وأنزلوها بحق شعب يسوع المسيح ، « وانني سأبذل كل ما أستطيع وأقدم كل مساعدة ممكنة ، وتأكدوا أنه عندما سيعبر من هنا امبراطور المانيا سأكون قد هبأت كل مايروق له ولاتباعه » ثم أعطى هدايا جميلة وثمانية الى أعضاء الوفد ، واستأننه هؤلاء ، وعادوا الى سيدهم في صقلية ونقلوا اليه الجواب الذي أعطاهم اياه الامبراطور الكسني .

وثانية حول هذا الموضوع :

وكان عندما ذهب الوفد الى القسطنطينية أن أرسل الامبراطور هنري الى المانيا لاستدعاء الامراء والبارونات وحثهم على الذهاب الى مملكة القدس ، وبعث كذلك الى الكرسي الرسولي المقدس في روما يطلب منه أن يرسل أساقفا الى المانيا ليبشر بالحروب الصليبية ، وليعلم الناس أن كل من يريد الذهاب الى بلاد سورية من فقراء أو أغنياء أنه سيقدّم لهم الاموال والمساعدات لعبور كل منهم الى القدس أو سورية ، واستجاب كثير من الناس وأصبحوا صليبيين وقدموا الى بيولا حيث كان الامبراطور بانتظارهم وحيث كان قد أعد لهم مايلزم للعبور ، وعندما اجتمع الالمان والذين تقرر أن يرسلهم الامبراطور على نفقته كان بينهم ثلاثة الاف من الفرسان واجتمع الى جانب هؤلاء عدد كبير جدا من الرجالة ، وكان في هذا الحشد كونراد رئيس اساقفة ميذس والقاصد الرسولي الممثل لروما ، وكونراد مستشار القصر الامبراطوري ، وأوصى الامبراطور هؤلاء المسافرين باطاعة أوامر المستشار ، وكان معهم أيضا هنري كونت بالالين وهنري دوق برابانت وعدد كبير آخر لايمكن عدّه ، وأوصاهم الامبراطور بالآ يسافروا من بيولا الا

- ٤٠١٥ -

لخدمة يسوع المسيح ، ووعدهم بارسال المزيد من القوات مع
مساعداة عظيمة .

ولو لم يمت سريعا لكان انتزع منه ما تبقى من امبراطوريته ، ولم يعرض عن ذلك منذ ذلك الحين حتى أصبح اخوك امبراطورا ، فعوضه بذكائه ، وقد شهدت أنت نفسك قدوم الامبراطور فردريك والد هذا ، للذهاب الى مملكة القدس ، على الرغم من أنه عندما أصبح اخوك امبراطور القسطنطينية ، لم يرغب في استقباله أو التجاوب معه ، وذلك الامبراطور لم تكن له سلطة قوية مثلما لهذا الامبراطور ، فهذا يتمتع بسلطة اكبر مما كان لذاك في مملكة صقلية ، وبناء عليه انني أنصحك بأن تجيب جوابا حسنا على طلب الرسل ، وعند وفاة هذا الامبراطور يدبر الرب ما يريد ، حيث يحكى أن الالمان سيثورون ضده ، والاغريق غاضبون عليه ، وعليه أنصحك ألا تتفعل ولا تظهر أننى غضب تجاه الرسل ، لأن هؤلاء الرسل أبلغوك ما كفهم به سيدهم .

وأوصى الامبراطور المذكور بكل عناية الى نصيحة هذا الشيخ النبيل ، ورأى أنه قد نصحه بشكل جيد وبكل اخلاص ، ثم دعا اليه رسل امبراطور المانيا وقال لهم : لقد وجد أن عليه الاجابة على رسالة سيدهم الذي أرسلهم اليه ، لأنه يحب مملكة القدس ويرعى مصالح المسيحيين ، ولأنه يبذل جهوده في سبيل مصلحة مدينة القدس المقدسة ، وفي سبيل تحريرها ، وأنه لأمر يبعث على السرور أن ألهم الرب ويسر للقيام بهذا العمل رجل عظيم هو امبراطور المانيا وملك صقلية ، فجعله يقرر الذهاب كي يحرر مدينة القدس المقدسة ، وكى يثار للعار الذي لحق بيسوع المسيح ، وبمشيئة الرب وعونه ، إنه سيفعل مثلما فعل أسلافه ، وبالنسبة لي إنه مثلما كان الامبراطور مانويل سيبذل جهده ويقدم مساعداته لتحرير الاراضي المقدسة ، هكذا سأفعل ، فعندما سيمر الامبراطور من هنا سأقوم باستعدادات ترضيه وترضى أصحابه ومن معه ، وبعد ذلك أعطى الرسل هدايا جميلة وثمانية ، فاستأنه هؤلاء وسافروا الى صقلية حيث وجدوا سيدهم امبراطور المانيا ، فقدموا له الجواب الذي أعطاهم اياه امبراطور القسطنطينية .

- ٤٠١٧ -

١٧٦ - وبعدما عاد الرسل إلى المشارة إليهم من القسطنطينية ، وقدموا الجواب إلى سيدهم ، كتب امبراطور ألمانيا حالا إلى امراء ألمانيا وإلى بقية البارونات للحاق به ومن ثم التحرك للذهاب إلى مملكة القدس ، وأخبرهم أنه سيقدم المساعدات والسفن إلى جميع الذين سيذهبون للإسهام في بذل المساعدة على احتلال أراضي القدس ، وعلى هذا إن هذا التحرك لن يكلفهم شيئاً من النفقات ، ولقد كان هذا هو التحرك الثاني للألمان في سبيل احتلال مملكة القدس .

كيف وصل الألمان الى عكا:

وصل قسم من الألمان النين عبروا البحر الى قبرص ، ووصل القسم الآخر الى عكا ، وكان مع النين وصلوا الى قبرص مستشار ألمانيا ، وعندما علم الملك ايمري بذلك ذهب الى استقباله ورحب به ترحيبا كبيرا ، وأعلمه أنه منذ أن كان عند الامبراطور توسل اليه للقدوم ، لأنه رغب في استلام البلاد من أيدي الامبراطور ، واتفق مع المستشار وأخبروه بأنه سيقوم بذلك لأنه استقبله ، ثم أصطحب معه فرسانه وذهب الى نيقوسيا وتوجه فيها وبعدما توجه ذهب الى سفينته وسافر وصحبه من قبرص ، هكذا وصلوا الى عكا بعد وصول الآخرين .

وعندما بات الألمان في عكا تعالوا على سكان البلاد واحتقروهم ، وبدأوا يسبون لهم ازعاجا عظيما ، ويلحقون بهم أضرار كبيرة لم يستطيعوا تحملها ولكن مولانا لم يكن يريد حصول مثل هذه المشاكل والاساءات بين المسيحيين حيث أن سادة الألمان عندما سمعوا بما يحصل أرسلوا اتباعهم ليتمركزوا على الشاطئ خارج المدينة .

١٧٧ - وكتب الامبراطور هنري الى بابا روما مقدوسلا اليه وطالبا منه أن يرسل الى المانيا ممثلا له ليبشر بالصليب ، واعلمه انه سيقدم ما يلزم من المساعدات والسفن الى جميع النين سيذهبون لتقديم المساعدة في سبيل احتلال مملكة القدس ، وأن السفر لن يكلف أحدا شيئا من المال ، وأنه لن يتخلى عن قيادة هذه الحملة حتى تتحرر القدس ، ونتيجة لهذا الطلب والتحريض اجتمع عدد كبير من الفرسان والبارونات ، وذهبوا الى بيولا حيث كان الامبراطور بانتظارهم ، وهناك أسند الامبراطور قيادة النين اجتماعوا الى مستشار مملكة المانيا ، فرحب هؤلاء بهذا القرار واستقبلوه بكل سرور ، وظل العدد الأكبر من المتطوعين والفرسان تحت امرة الامبراطور ، وشجع الامبراطور كل النين باتوا تحت امرة المستشار وحثهم وطمانهم ووعدهم انه لن يغادر بيولا قبل ان يصلوا الى بلاد ما وراء البحار وسيمنهم بالمال والرجال ماداموا في خدمة يسوع المسيح .

وتجهز الاسطول واحتشد الناس وأقلعوا وابتحروا حتى وصلوا الى عكا ، وكان النين عبروا عبارة عن ثلاثة كونتات مع ثلاثة الاف فارس ورجالة وسيرجانتية لا يمكن عددهم ، وكان في عداد هذه الحملة مندوب البابا دي لي اغليس دي روما وكونراد رئيس اساقفة دي منس وكونراد مستشار القصر الامبراطوري ، وهنري كونت بالادين وهنري دوق بربانت ، وعدد كبير آخر ، يمكن أن يقال أشياء كثيرة حول اسم كل واحد منهم .

١٧٨ - وعندما وصلوا الى عكا جعلوا من هنري كونت بالادين قائد الجيش كله ، ومن دوق بربانت رئيس القضاة ، ذلك انه وصف بالنزاهة والشرف والعدل في القضاء ، ومنذ أن وصلوا الى مدينة عكا عاملوا سكان البلاد بازدراء حتى أنهم طردوهم من فنادقهم ، لا بل أكثر من ذلك ، عندما كان فرسان البلاد يخرجون بمهام خارج عكا ، كانوا يذهبون الى بيوتهم ويطردون نساءهم ويسكنون محلهم ، وقد أزعج هذا التصرف سكان البلاد ازعاجا

كبيراً ، فاطلعوا عليه الكونت هنري ، وعندما سمع الكونت بأمر هذه التعيينات غضب كثيراً وتشاور مع اعيان المملكة وأخبرهم انه سيتدخل لحسم الامور ، فقال له السير هيو امير طبرية : إن هذه التعيينات مما لا يمكن تحمله ابداً ، وهو يعرف شخصياً أن مثل هؤلاء الالمان اذا لم يواجهوا ببعض القسوة لا يمكن احتمالهم ، ثم قال : « لنضع ذساءنا وأولادنا في داري فرسان الداوية وفرسان الاستتارية ولنضع معهم بقية الناس ، فإذا انقضوا عليهم ، يمكن أنذاك التخلص من هذه المشاكل ، وهكذا بحث الامر واتفق عليه ، ورفض سادتنا نشر أخبار هذه الاساءات بين أوساط المسيحيين ، وعندما سمع أشراف الالمان بأخبار هذه الاساءات نصحوا الالمان بالخروج من المدينة واتخاذ معسكراتهم قرب الشاطئ لئلا يلحق الضرر بأي انسان ، واستمعوا الى هذه النصيحة وخرجوا للسكن هناك .

وجمع العادل الذي استولى على مملكتي باب اليون (مصر) ودمشق وانتزعهما من ولدي أخيه ، عددا كبيرا من رجال السلاح وبذل كل جهوده ، ثم جاء الى عكا ، وبعدما علم الكونت هنري بذلك أعلم الألمان ، فحملوا أسلحتهم وزحفوا ضدهم ، وعندما رأى الألمان المسلمين قال لهم هيو صاحب طبرية : « أيها السادة ، انظروا هاهي مملكة بابلين ومملكة دمشق ومملكة القدس ، لا بل البلاد بمجملها أمامكم ، وبناء عليه فليبرهن من أراد منكم على فروسيته » ، ونشبت معركة قاسية خلال اليوم كله ، وفي النهاية تخاذل الألمان وانسحبوا أمام تفوق قوة المسلمين ، فقد قيل كانوا يتألفون من سبعين ألف مقاتل مسلح ، ولذلك انسحب أكبر قسم منهم ومن سكان المملكة ، وأعلنوا أنهم اضطروا الى التراجع الى داخل عكا ، وتركوا باقي الناس تحت رحمة الرب .

وعندما علم هيو صاحب طبرية أنهم اضطروا الى التراجع مما شكل عارا على المسيحية ، توجه بالخطاب الى الكونت هنري قائلا : احلفك بالرب يا مولاي ، لا تلحق هذا العار بك وبمملكة القدس ، وذلك بالتراجع والاستسلام ، ولكن أرسل الى عكا واستدع كل الذين يستطيعون حمل السلاح والقدوم الى نجدتكم ، وبعث الكونت واحدا من فرسانه الى عكا لاستدعاء الناس الذين بقيوا داخل عكا ، ووصل في تلك الاثناء أعداد كبيرة من البيازنة والفيلورنسيين ، وكانوا قد جاءوا متطوعين من بلادهم ، وكانت لهم مكانتهم الكبيرة في المسيحية ، كما أنهم كانوا مسلحين وفق طرائق بلادهم ، وبناء على نصيحة هيو صاحب طبرية وزع الكونت فيالقة ونظمها ، وعين الناس الذين سيففون في المقدمة وأمرهم بعدم التحرك لأي سبب كان ، وتظاهر المسلمون الذين رأوا ذلك بأنهم زاحفون نحو رجالنا ، وزحف رجالنا نحوهم ، غير أن المسلمين قاموا بتحريك خاص متعمد ثم عادوا الى الوراء ، ومن ثم عاد رجالنا الى عكا ، وهكذا انقذ الرب في ذلك اليوم المسيحيين بنصيحة هيو صاحب طبرية ، وبعد ذلك رحل المسلمون من هناك ونهبوا الى يافا .

١٧٩ - وفيما هؤلاء في معسكرهم على رمال الشاطئ ، قام العادل الذي استولى على مملكتي دمشق والقاهرة بعدما انتزعهما من ولدي أخيه صلاح الدين ، فحشد رجال جيشه مع جميع الذين كانوا تحت سلطانه وسيادته ، وبخل الى أراضي عكا ، وبعد دخولهم أطلع الكونت هنري دوق برابانت على الأمر وأخبره أن المسلمين باتوا على مقربة من عكا . فامتطى الفرسان خيولهم وحملوا أسلحتهم واستعدوا للملاقاتهم فقال لهم هيو صاحب طبرية : « أيها السادة هاهي مملكة القدس ، ومملكة دمشق والبلاد كلها أمامكم » .

وعندما رأى الألمان قوات المسلمين كم هي عظيمة وكبيرة اعترتهم الدهشة لأنه قيل لهم أن العادل بالذات قد جاء ومعه سبعين ألف رجل مسلح ، وواجه الألمان يوما قاسيا جدا ، حتى أن جل سكان المملكة والألمان اضطروا الى الانسحاب إلى داخل مدينة عكا ، وبقي الكونت في الخارج مع عدد قليل من الرجال علق مصيرهم بين أيدي الرب ، وعندما رأى هيو صاحب طبرية أن رجال امبراطورية ألمانيا مع رجال مملكة القدس اضطروا الى التراجع والانسحاب مرغمين وملحقين العار والخجل برجال المسيحية قال للكونت هنري : « كيف ؟ هل تريد أن تجلب العار والخجل لشعبك ولمملكة القدس ؟ » فقال له : « بماذا تشير علي ياسيد هيو ، وماذا تريد مني أن أعمل ؟ ألا ترى أن هؤلاء السادة قد حبطت أعمالهم » فرد عليه قائلا : « أشير عليك باستدعاء بقايا جيشك ليأتوا اليك ، ويقفوا معك لمساعدتك هنا » .

وبخل الى عكا وحرك رجال الدين وأثار الرهبان وسواهم من الناس ، ووصل في تلك الأثناء أعداد كبيرة من البيازنة والفلورنسيين ، فاستنفروا أنفسهم وخرجوا متطوعين للوقوف ضد المسلمين ، فقد كانوا يحبون المسيحيين كثيرا ، وهكذا وضعوا أنفسهم تحت أمرة الكونت هنري ، وعندما فعلوا ذلك قالوا للعسقلانيين : « وأنتم ، لماذا لا تذهبون لنجدة سيديكم ؟ » فقال

- ٤٠٢٣ -

الكونت : « بالنسبة لي إنهم لم يعودوا من أتباعي ، وعندما وصلت النجذات الى الجيش ، قال هيو صاحب طبرية للكونت : « لقد رأى المسلمون أننا حصلنا على بعض النجذات ، ولا شك أنهم حسدونا على ذلك كثيرا ، وسيقدرون الموقف ، فإذا ما وجدوا أنهم مازالوا يستطيعون الانتصار علينا والحاق الهزيمة بنا فسيبقون ، لكن اذا قدروا أنهم ماعاد بإمكانهم التغلب علينا والحاق الخسارة بنا ، فسيسافرون ويرتدون عنا ، على كل حال نظموا جيذا فرق فرسانكم وفرق سيرجانتيتكم ، ومروهم الا يضافوا أبدا من هجومهم عليهم ، لأنهم سيحاولون الآن اظهار كل مالىهم من قوة » .

١٨٠ - ووثق الكونت بكلام هيو صاحب طبرية ، وأمر بالحال بتنظيم فرق الجيش ، وحصل على عدد كبير من البيازنة والفلورنسيين المسلحين بشكل جيد وفق طرائق بلادهم ، فأمر بوضعهم في المقدمة أمام الفرسان ومعهم كثير من السيرجانتية الآخرين ، وأصدر الكونت أوامره اليهم في أن لا يتحرك أي منهم الا بناء على أوامره هو وعندما أكمل الكونت تنظيم فرقته ، تظاهر المسلمون بالزحف نحو رجالنا .

- ٤٠٢٤ -

كيف مات الكونت هنري :

بعدما عاد الكونت هنري الى عكا ، أرسل الملك ايمري واحدا من فرسانه ويدعى وليم برلياس ، وهو والد ايمري برلياس ، الى الكونت هنري يطالبه باسم سيده تسليمه يافا وفقا لما تم الاتفاق عليه .

وأعجب الكونت بهذا الطلب وقال للرسول عليك الذهاب للاستيلاء على المدينة ، وعليك أن تبذل الآن كل جهد ممكن وأن تقوم بإنجاز ما يحتاج الى سنة لإنجازه في الأحوال العادية ، لأنني سمعت أن الملك العادل يريد محاصرتها ، وإذا لم تنجح الآن ستعود منها خائبا ، وعليك أن تقوم مع رجالك وقواتك بحماية المدينة والدفاع عنها بشكل جيد .

وسافر هذا من عند الكونت ، وتوجه الى يافا ، لكنه لم يصنع شيئا مما قال له الكونت وأوصاه به ، بل اصطحب معه زوجته الى هناك .

وكانت ملكة هنغاريا ابنة الملك لويس ملك فرنسا ، خالة الكونت هنري ، وكان زوجها قد توفي بدون خلف ، فألت المملكة الى أخيه ، وتملكت الملكة رغبة بالذهاب الى القدس لزيارة الضريح المقدس ، وحيث ان الامبراطور كان قد بعث بنجدة كبيرة ، فقد خيل اليها أنه

وعند ذلك قال هيو صاحب طبرية : « لنتظاهر بدورنا اننا متوجهون نحوهم » فقال الكونت : أحسنت كثيرا وأصبحت الرأي ، وعندما رأى المسلمون ذلك عادوا الى مراكزهم ، ولم يحققوا هدفهم ، بل تراجعوا من هناك ، وهكذا خلاص مولانا يسوع المسيح المسيحيين في ذلك اليوم وأنقذهم بوساطة نصيحة هيو صاحب طبرية .

١٨١ - وتخلّى المسلمون عن المنطقة وسافروا من هناك الى يافا ، وفي تلك الاثناء عاد الكونت مع رجاله الى داخل عكا ، وفيما هو في عكا أرسل الملك ايمري رجلا واحدا من فرسان قبرص اسمه وليم برلياس ، وهو والد ايمري برلياس ، ونهب وليم الى الكونت هنري لاستلام يافا ، فبذل كلفه الملك ، وفق ماكان متفقاً عليه ، ولدى اطلاق الكونت على هذا التكليف وبعدما قرأ ما جاء في رسالة الملك سر كثيرا وقال لوليم : « اذهب الآن بدون تأخير الى يافا حتى تستولي عليها ، وتتصرف بها ، ولتبذل كل جهد ممكن للحفاظ عليها ، وعليك الآن ان تقوم بالاعمال التي قد تحتاج في الاحوال العادية الى سنة لانجازها ، فلقد بلغني ان الملك العادل في طريقه لحصار يافا ، لانه اذا لم يحقق هناك نصرا على المسيحيين فسيعود الى مقر ملكه مخفقا مهزوما ، لذلك انني ادعوك لابل اكلفك ان تبادر بالذهاب الى يافا فتستولي عليها وتشحنها برجالك ، فاذا ماوصل اليها لن يستطيع الحاق اي ضرر بها ، لانك ورجالك ستستطيعون الدفاع عنها » .

١٨٢ - وسافر الكونت وليم برلياس بدون تأخير ، ونهب ليستولي على يافا ولكن فعل مثلما فعل بيتايين ، وذلك انه لم يأخذ بنصيحة الكونت ولم ينفذ أوامره ، بل تصرف وفق ماأمله عليه هواه ، ووذق كثيرا بنفسه ، وهكذا قصد يافا ومعه عدد صغير من المرافقين ، واثّر دخوله الى يافا وصل الملك العادل ليقوم بمحاصرتها ، وعندما وجد سكان القلعة انفسهم تحت الحصار ، ولما رأى قائدها ان مالىه من رجال هو قليل بعث الى

- ٤٠٢٦ -

الكونت هنري يطلب انجاده بالرجال والعتاد والا فان القلعة ستدمر ، وستسقط مالم تحصل على النجدة السريعة .

١٨٣ - وعندما سمع الكونت بهذه الاخبار غضب غضبا شديدا ، واذفعل وتأثر كثيرا ، لكن الذي حدث ليس مدهشا ، فهو كان قد كلف وليم برلياس ونصحه بالتقيد بالأوامر في أن يشحن القلعة بالرجال والسلاح والعتاد وبكل ما تحتاجه من ضرورات ، لكنه اكتفى باصطحاب زوجته معه .

وفي الوقت الذي وصلت فيه هذه الاخبار الى الكونت ، علم أن الملكة مرغريتا ابنة الملك لويس السابع ملك فرنسا وخاله الأمير هنري قد توفي زوجها ملك هنغاريا من دون وريث .

لابد من أن يتم نصره وانقاذ مملكة القدس ، ولذلك باعت هذه الملكة كل ماكانت تملكه الى أخى زوجها ، وحصلت على مبلغ من المال كبير ، وحملت شارة الصليب ، واصطحبت معها عددا مناسبا من الفرسان ، ثم قدمت مع الألمان الى سورية ، فوصلت الى صور ، واستقبلها الكونت هنري استقبالا مشرفا ، غير أنها لم تعيش سوى سبعة ايام ثم ماتت ، وقد دفنت في ساحة كنيسة صور ، وقبل موتها اعطت كل أموالها الى الكونت هنري لأنه كان ابن اختها ، وعاد الكونت هنري الى عكا بعدما دفنت .

وبينما كان وليم برلياس في يافا جاء الملك العادل الى يافا وحاصرها ، وعاث هناك وضرب من كان بداخلها بكل قسوة ، وعندما رأى حاكم يافا هذا الوضع ارسل الى الكونت هنري يطلب ان ينجده بسرعة ، والا فان القلعة ستسقط ، وعندما سمع الكونت غضب غضبا عظيما ، ولم يكن الذي حدث مدهشا ، لأن حاكم يافا لم يعمل شيئا مما أمره به الكونت ، واستدعى الكونت السيرجانتية ، والعساكر من الرجالة ليرسلهم الى يافا ، وعندما جاءوا ساحة القصر للاستعراض ، كان الكونت مستندا الى حافة النافذة ينظر الى الوادي ، فسقطت حافة النافذة وهوى الكونت الى الحفرة العميقة في الوادي ، وسقط واحد من خدمه ، وكان واقفا الى جانبه ، بعده من شدة الخوف والرعب ويقال لولا ان سقوط الخادم القزم جاء فوق جسمان الكونت لم يمت بسرعة ، وكان الكونت قد أمر مرارا عدة بتدعيم حافة النافذة ، ودفن بعد موته في كنيسة الصليب المقدس في عكا .

وتمكن المسلمون الذين كانوا أمام يافا من الاستيلاء عليها بالقوة ، واجتاحوا القلعة واسروا جميع المسيحيين الذين كانوا في داخلها .

فانتقلت المملكة الى أخيه البارون ، وخططت الملكة للذهاب الى القدس لزيارة الضريح المقدس ، وحيث أن الامبراطور كان قد بعث بنجدة كبيرة ، فقد خيل اليها أنه لا بد من أن يتم انقاذ مملكة القدس ، ولذلك باعت هذه الملكة كل ما كانت تملكه الى البارون أخي زوجها ، وقبضت على مبلغ كبير جدا من المال ، فحملت شارة الصليب ، واصطحبت معها عددا مناسبا من الفرسان ثم قدمت مع الالمان الى سورية ، فوصلت أولا الى صور ، وكلها أمل أن قدوم الالمان سيمكن من استرداد مدينة القدس وانقاذها من أيدي المسلمين .

ونهب الكونت هنري من القدس لرؤية خالته ، فاستقبلته بحفاوة عظيمة ، غير أنها لم تعش بعد دخولها الى صور سوى سبعة أيام ، ثم ماتت ، فدفنت في ساحة كنيسة صور ، وقبل موتها أعطت مالها كله الى الكونت هنري لأنه كان ابن عمها وابن أختها بالوقت نفسه .

وبعدما دفنت الملكة عاد الكونت الى عكا وأمر باستدعاء السيرجانتية والجنود من رماة المجانيق لتجنيدهم ومن ثم ارسالهم الى يافا لمساعدتها ، وبعدما تم استدعاؤهم جاؤوا الى قصره ودخلوا الى ساحته حتى يقوم باستعراضهم ، وكان الكونت آنذاك متكئا على شرفة النافذة ينظر الى الوادي امامه فسقطت الشرفة ، فوقع في احدى الحفر ، وسقط واحد من مرافقيه بعده ، او رمى نفسه بعده خوفا عليه والمأ ، ويقال ان مرافقه القزم لم يسقط بل جاء لينتشل جسده ، ولم يعش الكونت بل فارق الحياة على الفور ، ويوم وفاته أصيب المسيحيون في مملكة القدس بخسارة عظيمة ، لأنه كان رجلا شريفا وحكيما ، وفر الراحة والمذعة طيلة حياته لسكان المملكة ، وقد كانوا في أيام حياته يرتدون أفخر الملابس ، ولكن بعد وفاته استولى الرعب على من كان يدين بالطاعة له .

- ٤٠٢٩ -

١٨٤ - وبعد وفاة الكونت هنري تمكن الملك العادل ، الذي كان يحاصر يافا ، من الاستلاء عليها ، وبخولها عذوة من جهة البحر ، من المنطقة التي كان البطريرك غيروت قد حصن برجها بشكل جيد ، ذلك أنه كان أضعف مكان في القلعة وأسر المسلمون وليم برلياس مع زوجته ، ولجأ الناس الآخرون الذين كانوا في القلعة إلى كنيسة القديس بطرس ، لأنهم أملوا أن ينتظروا هناك وصول النجدة اليهم من عكا ، ولكن الذي كان عليه أن ينجدهم كان قد مات ، وهكذا تمكن المسلمون من التسلق الى ظهر الكنيسة فأسقطوا قبتها وسقفها فوقهم ، حتى أن العدد الأكبر منهم لاقى حتفه هناك ، وأما الذين نجوا فقد ألقى القبض عليهم ، ووقع اضطراب عظيم بين صفوف أهل يافا وأصيب قلوبهم وذفوسهم بهلع عظيم ، فهم قد وقعوا في أسر المسلمين بعد الحصار الشديد مرتين : الأولى أيام صلاح الدين والثانية في أيام أخيه سيف الدين الذي كان يدعى العادل .

- ٤٠٣١ -

١٨٥ - بعد استيلاء المسلمين على يافا اجتمع الالمان بسكان المملكة للتشاور حول اعانة المسيحيين ، ثم غادر الالمان عكا ، وذهبوا لحصار قلعة الشقيف (في ٢٨ تشرين ثاني ١١٩٧) وأثناء حصارها ذهب رئيس الاساقفة ايمري دي ميانس الى ارمينية لتدوين لاون دي مونتايين ملكا على ارمينية (توج لاون الثاني ملكا من قبل بطريرك ارمينية غريغوري ابيراد بحضور رئيس الاساقفة ايمري دي ميانس وذلك في ٦ - كانون ثاني ١١٩٨) وفيما مستشار القصر الامبراطوري قائم على حصار الشقيف بعث برسالة الى بلاد ما وراء البحار ، الى الامبراطور هنري ، وعندما وصلت الرسالة وعلم أن رجاله يحاصرون الشقيف ، أزعجه ذلك كثيرا وغضب غضبا عظيما ، وليس هذا مدهشا (في الحقيقة توفي هنري السادس في ٢٨ - ايلول قبل حصار الشقيف) لانه كان في تلك الايام سيدا على المقام وقويا ، فقد اقترب رجاله خطأ كبيرا ، وخاب الامل فيهم حين حاصروا هذه القلعة ، وسأل الامبراطور الرسل : « كيف حدث هذا ، اوليس هناك مدينة أخرى غير هذه القلعة حتى يحاصرونها ؟ » فأجابه الرسل : « مولانا ليس هناك مدينة أخرى غير القدس ودمشق ، ونحن لم نمتلك مطلقا ما يكفي من الرجال للقيام بمثل هذا الحصار ، اولالقيام بهجوم ، ذلك أن عدد المسلمين كان كبيرا جدا في هذه المناطق ».

١٨٦ - وبعدها أرسلت الرسالة الى الامبراطور ، قمام المحاصرون للشقيف بحفر مكان لغمين لذسف القلعة ، وعندما لاحظ الذين كانوا داخل القلعة خطورة الوضع لاشتداد الحصار ولوضع الالغام خافوا ورأوا أنهم لن يستطيعوا الحصول على أية نجدة من أية جهة كانت ، لذلك اجتمعوا فيما بينهم وتداولوا حول الوضع فوجدوا أنفسهم مضطرين لتسليم القلعة ، فبعثوا برسالة الى الالمان عرضوا فيها عليهم تسليم القلعة مقابل حياتهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن يطلقوا سراح غالبية الأسرى المسيحيين الذين في سجونهم ، وعندما سمع الالمان بعرض الاستسلام هذا تكبروا وتجبروا وركبوا رؤوسهم وتشددوا كثيرا ، وقال للرسل :

- ٤٠٣٢ -

إنهم على غير استعداد لقبول استسلامهم على هذه الصورة ، إذ عليهم التنازل عن كل شيء والخضوع لهم ، وبعدها أطلع الألمان رسل المسلمين على موضع اللغمين ، ثم قالوا لهم بعدما بينوا لهم ما سيفعلوه : « كيف نمنحكم هذا الأمان المطلوب وأنتم الآن ملك أيدينا ؟ » وبعد هذا أعطوهم مهلة للتفكير وسمحوا لهم بالعودة الى القلعة .

١٨٧ - يثق الألمان كثيرا بقوتهم وبفضائلهم الخاطئة ، فهم لم يشفقوا على الأسرى المسيحيين الذين سيعادون اليهم ، ولم يعرفوا ما يليق بهم من خير وشرف ، لأنهم لو تسلموا

القلعة وفق الشروط التي عرضها المسلمون ، لاعاد لهم المسلمون وقتها قلعة الشقيف القائمة في أرض صيدا مع بقية الحصون ، وهاجم الالمان القلعة برجالهم ومجانيقهم ، غير أن المسلمين دافعوا آنذاك بكل قوة وعزيمة ، وانهارت الاسوار المغمومة ، وأراد الالمان الدخول الى القلعة والاستيلاء عليها عنوة ، ولكنهم صدوا من قبل المسلمين ومنعوا من الدخول ، وعندما رأى المسلمون شدة الهجوم خافوا من ان يستولي الالمان على القلعة ويقهروهم بالقوة ، فجددوا عرض الاستسلام وتسليمهم الرهائن ، وقال لهم الالمان : إن عليهم تسليم القلعة بما فيها من أموال ومقتنيات ، وسيتركونهم يخرجون بأشخاصهم فقط ، وتسلم المستشار الرهائن ، وأخبر المسلمين أنه لن يستطيع تسلم القلعة قبل الغد لأنها كانت ليلة الميلاد ، وكان عليه أن يحتفل بالعيد ، وبعدما أطلق المسلمون سراح الرهائن ندموا على ذلك ، لأنهم كانوا يخشون من وحشية الالمان وقسوتهم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى كانوا قد ترامت الى اسماعهم بأن النجيدات هي في طريقها اليهم من مصر ، فغيروا رغباتهم ومواقفهم وتوقفوا عن إطلاق سراح بقية الرهائن .

١٨٨ - وفيما الالمان ينتظرون استسلام قلعة الشقيف ، بلغهم ان الامبراطور هنري سيدهم قد توفي ، وأن النجيدات من مصر في طريقها الى المقيمين داخل القلعة ، وعندما شاهدوا النجيدات اجتمعوا واخذوا يتداولون فيما بينهم واضطربوا واستولى عليهم الرعب ، وفقدوا شجاعتهم وارادتهم وحزنوا وما عادوا يدرون ما سيفعلون بسبب وفاة سيدهم .

١٨٩ - وفي هذا الوقت بالذات حدث أن سلطان مصر ، وهو ابن صلاح الدين ، ذهب ذات يوم الى الصيد فسقط عن ظهر حصانه فاندقت رقبتة ، وعندما سمع عمه الذي كان بدون مملكة ، بذلك استولى على البلاد وحصنها ، وأطلق سراح جميع الفرسان والسيرجانتية وأعطاهم أموالا طائلة ، وعندما علم سلطان دمشق

- ٤٠٣٥ -

بأمر الاستيلاء على يافا وأن أخاه قدم مات ، وأن عمه قد سيطر على
البلاد خاف كثيرا وانسحب إلى دمشق ، وجمع رجاله لأنه كان يعلم
أن عمه سيحرمه من كل أرث إذا استطاع وهذا ما فعله .

كيف تزوج الملك ايـمري من ايزابيل أرملة الكونت هنري :

وبعدما مات الكونت هنري عقد سادة البلاد اجتماعا لانتخاب سيد للبلاد وتزويجه من أرملة ، وكان في البلاد رجلا عالي المقام ، عظيم المكانة اسمه هيو صاحب طبرية ، وكانت ابنته كونتسية قبرص وأخت السيدة زوجة له ، وكان له أخ اسمه راؤول ، وقد نصح بالزواج منها ، ووافق الجميع على ذلك ، ولكن فرسان الداوية مع فرسان الاسبتارية عارضوا ذلك ، وأعلنوا أنهم لن يوافقوا على ذلك مطلقا ، لأن المساعدات التي وصلت إلى الكونت من بلاد شامبين لن تمكنه من حكم البلاد ، ولأنه كان بشكل عام فقيرا ودوما بحاجة إلى المال ، وقالوا : كيف تعطي البلاد إلى رجل لا يملك شيئا ، وكيف لهذه المساعدات التي حصل عليها أن تمكنه من حكم البلاد ؟ إننا سنجتمع ، وسنعطي - بمشيئة الرب - حكم البلاد إلى الرجل المناسب ثم اجتمعوا واتفقوا على أنه إذا رغب ملك قبرص بأخذ البلاد وتملكها فسيمنحونه إياها فقد قدروا أن هذا سيكون أفضل الحلول ، وأنذاك يمكن صيانة البلاد وانقاذها .

واتفقوا على هذا ، بناء على نصيحة مستشار المانيا جـري استدعاء ايـمري ملك قبرص واعطوه السيدة فتزوجها ، وأخذ التاج ، وصارت هي للمرة الاولى ملكة .

- ٤٠٣٧ -

وبعدما مات الكونت هنري عقد سادة البلاد اجتماعا لانتخاب سيد للبلاد وتزويجه من ارملة له ، وكان في البلاد رجلا عالي المقام ، عظيم المكانة اسمه هيو صاحب طبرية ، وكانت ابنته كونتييسة قبرص^(١) واخت السيدة زوجة له ، وكان له اخ اسمه راؤول ، وقد نصح بالزواج منها ، ووافق الجميع على ذلك ، لكن فرسان الداوية مع فرسان الاسبتارية عارضوا ذلك ، وأعلنوا أنهم لن يوافقوا على ذلك مطلقا ، لأن المساعدات التي وصلت الى الكونت من بلاد شاميين لن تمكنه من حكم البلاد ، ولأنه كان بشكل عام فقيرا ودوما بحاجة الى المال ، وقالوا : كيف نعطي البلاد الى رجل لا يملك شيئا ، وكيف لهذه المساعدات التي حصل عليها ان تمكنه من حكم البلاد ؟ إننا سنجتمع وسننعتي - بمشيئة الرب - حكم البلاد الى الرجل المناسب « ثم اجتمعوا واتفقوا على انه اذا رغب ملك قبرص بأخذ البلاد وتملكها فسيمنحونه اياها ، فقد قدوا أن هذا سيكون أفضل الحلول ، وأنذاك يمكن صيانة البلاد وانقاذها

واتفقوا على هذا ، وبناء على نصيحة مستشار ألمانيا جرى استدعاء اميري ملك قبرص وأعطوه السيدة فتزوجها ، وأخذ التاج ، وصارت هي للمرة الأولى ملكة •

١ - هي اسة كويت طرابلس ، هذا وكان ابن روجة ريموند الثالث ، فهي قد اصبحت في رواجها الاول - هيو ، ووليم ، وراؤول ، واوتو ، وكان هيو متزوجا من مرعريت دي ايلين اسة بالين نيمي ايلن من ماريا كوميدوس التي هي ام ايرانييل

الهوامش والحواشي

حواشي الدراسة -- المداخل

- (١) انظر على سبيل المثال كتاب ج . براور ، تاريخ المملكة اللاتينية بالقدس (باريس ١٩٦٩) ص ٥٥١ الحاشية ، حيث وصف اردنولد كشخصية معروفة في بيت ابلين وكفارس يعمل في خدمة باليف الثاني .
- (٢) تاريخ وليم الصوري . م . سالوخ (لايبزغ ١٩٥٤)
- (٣) تحقيق ل . دي . ماس لاتري باريس ١٨٧١
- (٤) مخطوطات ن . ف . فر ٧٧٠ و ١٢٢٠
- (٥) هناك في الوقت الحاضر من المخطوطات المتبقية ٥١ ، مخطوطا تحوي ترجمة لوليم مع نيول ذات اتساع اكبر او اصغر . من الترجمة وحدها ١٣ من التواريخ الموجزة الثلاث (ومحدسوية معا) تشكل ٧٠ في المجموع .
- (٦) مكتبة مدرسة الحقوق - السلسلة الخامسة - اعادة طباعة ، تاريخ اردنولد وبرنارد الخازن ،
- (٧) من ارشيف الشرق اللاتيني (١٨٨٠ - ١٨٨١)
- (٨) انظر ابناءه ص ٣٤ - ٣٥ وفي الملحق الاول
- (٩) من اجل مناقشة اولي لهذا النص انظر ابناءه ص ٩ - ١١ ، وفقط مخطوط ب . ن . ف . فر ٧٧٠ يحتوي على نظام الفروسية .
- (١٠) طبعت خطأ كـ ٦٧٧ في م . ل . ص ٣٤ .
- (١١) طبعت خطأ كـ ٩٠٠٦ في م . ل ص ٤١

حواشي الفصل الأول

- (١) راشيل ج ١ ق ٢
(٢) ر . ب . س هونغس . قطعة من تاريخ ولیم الصوري . لاتوموس ٢١ (١٩٦٢) ٨١١ - ٨٢٩
٣ - راشيل ج ١ ص ٩
(٤) انظر ما تقدم ص ٤ - ٦
(٥) مخطوط ز - الورقة ٤ ظ
(٦) مخطوط ز ورقة ٣٢ ظ العمود ٢
(٧) مخطوط ز ورقة ٣٩ ظ
(٨) مخطوط ز ورقة ٩١ ظ
(٩) انظر م . ل . ص ٣٦٥ الحاشيتان ٣ و ٤
(١٠) مخطوط آ ورقة ١٢٨ وعمود ١
(١١) طيمة ماس لاترى « تاريخ ارنول وبرنارد الخازن » باريس ١٨٧١
(١٢) مخطوط ب . ن . ف . فر ٧٧٠ ورقة ٣١٣ و
(١٣) ورقة ٣١٥ ظ
(١٤) انظر ف ورقة ٣٢٦ و - ٣٢٧ ظ وقارن م . ل . ص ٤٣ - ٤٥
(١٥) تحقيق وترجمة ولیم موريس « نظام الفروسية » (هامر سميث ١١١٩)
(١٦) انا ممثلة للكتور جاروسلاف فولدا في جامعة نورث كارولينا شابل هل لهذه المعلومات التي
نقلت شاكلا
(١٧) انظر ايضا على سبيل المثال قصة صلاح الدين مغمدا نفسه وهو على فراش موته في
نقول من مسترال دي ريمز : تحقيق نولس دي وللي «
باريس ١٨٧٦ (٢١٢ - ١١١ - ١١٢)
(١٨) ورقة ٣٥٤ و
(١٩) صمويل دي لوز ، السيد ستري دي لاغويت - تاريخ فتح مملكة القدس المسيحية من قبل
صلاح الدين « (باريس ١٦٧٩)
(٢٠) انظر ايضا البناء ١٦ - ١٧
(٢١) انظر احلاه
(٢٢) م . ل . ب : ١١٦ راشيل : ٢ / ٦
(٢٣) هرقل : ٢٢ / ١ - ٣ (راشيل : ٢ / ١ - ٦)
(٢٤) راشيل : ٢ / ٨٨ حاشية ٤٤ وعدد اخر .
(٢٥) راشيل : ٢ / ٨٢ حاشية ٤ انظر م . ل : ١٩٠ - ٢١٠
(٢٦) انظر ما تقدم
(٢٧) م . ل . ب : ٢٣ « مزايا وخصائص وتوجهات مخطوط ليون »
(٢٨) يوجد مخطوط بلوتيروس ، ٦ - ١٠ في مكتبة لورانتيان في فلورنسا تكمله اخرى تصال
بالرواية الى انتخاب فيكولاس الثالث في ١٢٧٧
(٢٩) راشيل : ٢ / ٤٨٩
(٣٠) انظر ما تقدم

حواشي الفصل الثاني

- (١) ماريونوس تورسل ، تحرير الاراضي المقدسة من الصليبيين ، في برونفار «يوميات صاحب اعمال الفرنجة» ج ٢ (هانوفر ١٦١١)
- (٢) انظر مثلا قائمة اسماء الصليبيين في الصفحات ١٣١ - ١٣٢
- (٣) مثلا سانيوتس ١٣١١ (ص ٢٠٨ فقرة 28...)
- وهي ترجمة لتاريخ هرقل ٢٢ / ١٣ - ١٤ راشيل ٢ / ٣٣٤)
- وايضا سانيوتس : ١١ / ١٧ (ص ٢١٢ فقرة ١٠)
- ترجمة لتاريخ هرقل ٣٣ / ١٦ راشيل : ٢ / ٢٧١)
- (٤) الكتابات الايطالية الوسطية تحقيق ل . م موراودوري (ميلانو ١٧٢٣ - ١٧٥١) مجلد ٧
- (٥) المصدر نفسه ج ٧ عمود ٨٤٢
- (٦) المصدر نفسه عمود ٧٤٦
- (٧) م . ل . ص ١ - ١٤
- (٨) المخطوطات الملكية ١٥ - ١ - ١
- (٩) وليم كاكستون ، تاريخ غودفري البويلوني وفتح بيت المقدس صححه ه . هالباي سبارلنغ
- أعيد طبعه من قبل وليم موريس مطبعة كلمسكوت هامر سميث نيسان ١٨٩٥
- (١٠) وليم كاكستون غودفري البويلوني طبعة ماري كولفن (جمعية النصوص الانكليزية القديمة لندن ١٨٩٣
- (١١) انظر اعلاه ص ١١ ص ١٣
- (١٢) دورية العلوم ج ٧ (أمستردام ١٦٧٩ - ١٦٨٠) ص ٨٠ . وايضا كتاب لبلوك
- مصادر تاريخ فرنسا تحقيق فيفرت دي فونترمي (باريس ١٧٦٩) ص ١٤١
- ١٦٠ التي تنقل المقال .
- (١٣) انظر اعلاه ص ١١
- (١٤) مخطوط غ ج
- (١٥) مارتيني ونيوراند ، المصنف المجموع (باريس ١٧٢٩) ج ٥ الاعمدة ٥٨١ - ٧٥٨
- (١٦) بارنيوس وراينالدي جوليات تحقيق بانزي (ليوك ١٧٤٧ ج ١ ص ٢٦٧
- (١٧) دوكانج مسرد شارح للكلمات الوسيطة واللاتينية (باريس ١٦٧٨) ج ١ عمود ١٩١ .
- (١٨) المصدر نفسه كارينتيير (باريس ١٧٦٦) مجلد ٤ عمود ٨٢
- (١٩) ليلونغ في المصدر نفسه تحقيق فوننتيت مجلد ٢ ص ١٣٩ رقم ١٦٦٨ استروفيوس . مصادر
- تاريخية ، تحقيق ج . غ موسيل (لينبرغ ١٧٨٦) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٩٤
- (٢٠) ميشو ، مصادر الحروب الصليبية (باريس ١٨٢٢) ج ١ ص ٤٠٥ ...
- (٢١) هذه المبينة في الجدول في ص ٧ - ٨ بواسطة المخطوطات ا - ب - ا - س - ح - غ
- (٢٢) من اجلها انظر اعلاه ص ١٣
- (٢٣) ص ٧
- (٢٤) ص ٦

- ٤٠٤٢ -

- (٢٥) ص ص ٣ - ٤
 (٢٦) مكتبة كلية الحقوق - السلسلة الخامسة ج ١ ص ٣٨ ... و ١٤٠ ... وأعيد طبعه بعنوان
 « تاريخ ارنول ووليم الخازن (باريس ١٨٧١)
 (٢٧) راشيل ج ٢ ص ٤
 (٢٨) م . ل ص ٤٩٨ انظر أثناء الفصل الخامس
 (٢٩) م . ل ص ٤٩٩
 (٣٠) انظر على سبيل المثال قوله ، في ص ٥٠٩ « برنارد الخازن هو ليس الكاتب الشخصي لاهد
 التواريخ حسب مخطوطات برن وارسنال » ثم قارنه بقوله ص ٥٢٠ : « برنارد هو صاحب الملحق
 حتى سنة ١٢٢٧ وليس حتى سنة ١٢٣١ » .
 (٣١) م . ل - ص ٥١٥ « توطئة للتاريخ »
 (٣٢) ص ٥١٥
 (٣٣) ص ٥٢٠ - ٥٢١
 (٣٤) ص ٥٢٦ - ٥٢٧
 (٣٥) القديس أومر ٧٢٢ مخطوط ز .
 (٣٦) غريغسوالد ١٨٦١
 (٣٧) المصدر نفسه ص ٧
 (٣٨) ص ١٩ - ٢٠
 (٣٩) ص ٤٥
 (٤٠) ص ٦٦ - ٧٠
 (٤١) ص ٧٢
 (٤٢) ص ٧٥
 (٤٣) باريس ١٨٧١
 (٤٤) ارسنال ٤٧٩٧ (مخطوط أ و برن ٣٤٠)
 (٤٥) م - ل . ص ٢٢ ج
 (٤٦) المصدر نفسه ص ٢٥
 (٤٧) انظر أثناء ص ٣٥
 (٤٨) م . ل ص ٢٠ ج
 (٤٩) ب . باريس (محقق) « وليم الصوري ونيوله » (باريس ١٨٧٩ - ٨٠)
 (٥٠) والمقدمة على أي حال ، ترتكب فيها بعض الأخطاء القيمة حول برنارد الخازن وهذا تقلب
 منهش طالما أن باريس قد شجب هذا بوضوح في فهرسه للمكتبة الملكية قبل ذلك باريين سنة انظر
 ب باريس المخطوطات الفرديسية في المكتبة الملكية (باريس ١٨٣٦) ج ١ ص ٨١ المخطوطات
 المنسوبة لبرنارد الخازن .
 (٥١) المصنف المجموع راينت انظر اعلاه ص ٣
 (٥٢) يمكن الآن اجراء بعض التتحيات رقم ٣٨ موجود الآن في المتحف البريطاني رقم ١٢ من
 مجموعة بانثس تومرسون ارقام ٤٢ ، ٥٥ موجودة في يهو فزون والتوربليتمور مساري لاند مصنف
 ١٣٧ و ١٤٢ على التوالي ويملك هذا البهو أيضا مخطوطتين لم يدرجهما راينت يحملان ارقام
 مجموعتهما
 (٥٣) م . بالوخ مصنف وليم الصوري اللاتيني « لا يبرز ١٣٤)
 (٥٤) سجلات كولومبيا (نيويورك ٢٩٤٣) العدد ٣٥
 (٥٥) انظر كامل القائمة في ثبت المراجع
 (٥٦) بالاضافة فان المستر و . غ . غولدن من جامعة نورث ستافورد - شير يعمل في الترجمة

- ٤٠٤٣ -

الفرنسية القديمة للتاريخ والدكتور ج. فولدا من جامعة نورث كارولينا شابل هيل قدم حديثا في جامعة جونز هوبكنز بحثا في الممنوعات في مخطوطات كل من التاريخ والنصوص الفرنسية المرتبطة بها . (وقد تلاحظ كل منهما بالسماح لي باستعمال المعلومات المجموعة من قبلهم في مسار بحثهم الخاصة واما ممتنة جدا لمساعدتهم

(٥٧) م . ل - ص ٢٤

(٥٨) رانيت رقم ١٦

(٥٩) م . ل - ص ٢٥

حواشي الفصل الثالث

- (١) انظر مخطوط م . ل ص ١٤٩
(٢) راشيل - ج ٢ ص ٢٢٢
(٣) مخطوط ص ٢٢٢
(٤) المصدر نفسه ص ١٢٨ - ١٣٩
(٥) ص ١٢١ من ط . لندن ١٨٦٤
(٦) المصدر نفسه ص ٣٣٧
(٧) م . ل . ص ١٦٣ - ١٦٤ الهرقلات ٢٣٠ / ٣٦ راشيل ج ٢ ص ٥٢ - ٥٤ . النص الاساسي
ص ٥٤ - ٥٥ متباين
(٨) ماس لاتري - تاريخ جزيرة قبرص - ١٨٥٢ - ١٨٦١ (وانظر ايضا ج ١ ص ١٣٦ من اجل ملاحظات حول اسرة فيليب
(٩) انظر اناء ص ١١٢ .
(١٠) كتاب فيليب دي زوفارو في راشيل - لوس ج ١ ص ٥٢٥
(١١) راشيل ج ٢ ص ٣٩٩
(١٢) برن ٣٤٠ - ١٢٧ - و . ارسنال ٤٧٩٧ ، ١٢٨٩ - وايضا .
(١٣) انظر ل . ليفالين ، انظمة ادلهارد ، العصور الوسطى السلسلة الثانية ج ٤ (١٩٠٠) ص ٣٣٣ .
ومن اجل الاشارة الى ورق الرق انظر ص ٣٥٢ وكال لدى مكتبة البوليان نسخة مكتوبة على الالة
الكاتبة من النظام الاساسي مع كثير من الخرائط المظية ومخططات الدير معونة النظم الاساسية
القيمة لدير القديس بطرس في غوريي وبرقم ١١٠٧ - ب ٤ في الفهرس
(١٤) ج مابلون ، كتاب الدبلوماسية الملكية (باريس ١٧٠٩)
(١٥) ل . داسلي ، ابحاث في المكتبات القيمة في غوريي - مكتبة مدرسة الوثائق السلسلة
الخامسة (١٨٦٠) و ٤٢٠ . انظر ايضا مقال مع ترجمات وافية حول هذا : ل . و . جسون
، المخطوطات في غوريي ، سيكليلوم ١٢ (١٩٤٧) ١٩١ - ٢٠٤ و ٣٧٥ - ٣٩٤
(١٦) م . ل . ص ٥١٠
(١٧) ب . باريس ووليم الصدوري ونيوله ، ص ٨٠ والمراسيم غير محقة
(١٨) انظمة الرهينة اليزنكتية - تحقيق بتلر (غريبيرغ - ام - برسدو ١٩١٢) انظر بشكل
خاص ج ٣٣ ، ٥٨ ، ٥٩ (ص ٦٤ - ٦٥ ، ١٠٣ - ١٠٥)
(١٩) م . ل . ص ٥١٠
(٢٠) او . بيرليز ، اسر الرهبان البندكتيين في العصور الوسطى ، الاكاديمية الملكية البلجيكية -
شعبة الاداب والمذكرات ، سلسلة ٢٩ (١٩٣٠ - ١٩٣٢) انظر بشكل خاص ١٢ ومايليها ، ومن
اجل الوضع في غوريي في ايام ادلها رد - المصدر نفسه ص ٢٥
(٢١) ابوشير ، جمعية فيليب اغسطس الفرنسية ، (باريس ١٩٠٩) حيث يقدم مثالا عن دخول
احدى الاسر المؤلفة من اب ، وابنة ، وجده الى الدير في ظل هذه الشروط
(٢٢) م . د . ل . انكلوزورمان في الانيرة (انبره ١٩٥٠) ص ٦ - ٧

حواشي الفصل الرابع

- (١) من أجل استعمال اصطلاح ، المختصر ، في مواضع هذه الدراسة انظر اعلاه من ٧ وجدول المخطوطات ومن أجل وصف الروايتين اعلاه من ١١ - ١٣
- (٢) انظر اعلاه من ٤٦
- (٣) من ٢٣ - ٢٤
- (٤) مثل (ر ي . س) مجلد ٧ ، عمود ٧٩٢ و ٨٠١ و ٨٤٣
- (٥) مخطوط م . ل - من ١٠ ، ٥٢٦
- (٦) انظر اعلاه من ٤٦
- (٧) ريس - ج ٧ ، عمود ٧٦١
- م . ل - من ١٢ - ٢٣ . راشيل ح ظ ق ٢ من ٧٩٤ - ٨١٣
- (٨) اعني حتى عام ١١٨٢ . م . ل - من ١١٦
- (٩) ريس - ج من ٨٤٦
- (١٠) انظر اعلاه من ١١ - ١٢
- (١١) م . ل - من ٥٢٥
- (١٢) انظر اعلاه من ٤٧ - رقم ١٥
- (١٣) ل و جون - المخطوطات في غوريي - سد كيلوم ٢٢ (١٩٤٧) ١٩٧ .
- (١٤) م . ل من ٥١١
- (١٥) المصدر نفسه من ١٥
- (١٦) المصدر نفسه - من ٣٧ في وصفه لمخطوط س

حواشي الفصل الخامس

- (١) انظر اعلاه من ١٢ و ٤١
(٢) راشيل - ج ٢ من ٥
(٣) م . ل من ٤٩٦ - ٤٩٨
(٤) مارتيني وديوارد - ج ٥ ، عمود ٥٤٣ وما يليه
(٥) سلسلة رولف ١٨٦٤ انظر اعلاه من ٤٣ ورقم ٥
(٦) م . ل المقطع نفسه
(٧) امبرواز - تاريخ الاراضي المقدسة « تحقيق غاستون باريس في وثائق تتعلق بتاريخ فرنسا »
(باريس ١٨٩٧) ومن أجل مشكلة الرحلة انظر المقدمة من ٥٩ - ٧٦ .
(٨) ج ١ غ ادوارد . رحلة الملك رتشارد وتاريخ الاراضي المقدسة ، في بحث تاريخي نشر على شرف جيمس تيت (مادشستر ١٩٣٣) من ٥٩ - ٧٧ .
(٩) ج . ل . لامونت مع م . هيوبرت . هليلبية رتشارد قلب الاسد ، (سجلات الحضارة ، نيويورك ١٩٤١)
(١٠) هـ . إ . ماير « رحلة الحج » الجمعية الالمانية للآثار التاريخية رقم ١٨ - ستوتغارت ١٩٦٢ وبما ان طبعة ماير تحتوي على قطعة فقط ان جميع احالاتي على الرحلة هي على طبعة سلسلة رولف .
(١١) انظر على سبيل المثال وصف المجلس الاستشاري قبل حطين م . ل من ١٥٨ - ١٦٢ .
(١٢) الرحلة من ١٣ (خديعة كونت طرابلس ١ و ١٢١ ، وموت جيرارد من ٧٠
(١٣) الرحلة من ٥ - ١٣٧
(١٤) التاريخ - ١٠ - ٢٣٨٧ - ٤٥٦٨
(١٥) التاريخ ١٠ - ٢٤٠١ - ٢٤٠٦ وايضا - ١٠ - ٢٧٤٣ - ٢٧٤٤ ، ٣٥٢٦ ، ٣٥٦٣ ، الخ
(١٦) المصدر نفسه ١٠ - ٢٥٣١
(١٧) الرحلة من ١٤ - ١٦
(١٨) التاريخ ج ٥ من ٢٥٩٠
(١٩) الرحلة من ٢٠ - ٢٣
(٢٠) م . ل من ٢٥٢ - ٢٥٣ انظر ايضا الرحلة من ٢٥ - ٢٦
(٢١) م . ل من ٢٥٢ - ٢٥٣ انظر ايضا الرحلة من ٢٥ - ٢٦
(٢٢) التاريخ ١٠ - ٢٦٥٧ - ٢٦٩٠
(٢٣) الرحلة من ٢٣ - ٢٥ م . ل - من ١٧٩ وما يليها
(٢٤) الرحلة من ٢٦ م . ل - من ١٥٦ - ١٥٧ - ٢١٩ .
(٢٥) الرحلة من ١٢١ . وانظر ماتقدم من ند
(٢٦) الرحلة من ١٢١ وانظر ماتقدم من ٤٣
(٢٧) م . ل - من ٢٦٧
(٢٨) راشيل ج ٢ من ١٥١ - ١٥٤ ، النص الاساسي ، س ج و غ ج موافقات متعددة مع المختصر .
(٢٩) الرحلة من ٦١ - ١٣٨ التاريخ ٢٧٢٩ - ٤٥٢٦
(٣٠) انظر تحليل مقنوعات د انناه من ٨٩ وما يليها ، والفصل السابع
(٣١) الرحلة من ١٧٥ - ١٧٦ وانظر ايضا من ١٨٦ - ١٨٨ و ١٩٥ - ١٩٦ راشيل ج ٢ من ١٥٧ وما يليها ، وانظر ايضا م . ل من ٢٧٠ وما يليها

- ٤٠٤٧ -

- (٣٢) راشيل ج٢ ص ١٦٠ الحاشية ب . وتشير الرحلة هنا الى « فذسوف » الذي اعتقد خطأ أنه المؤلف
- (٣٣) هرقل ج ٢٥ ص ٢٧ . راشيل ج٢ ص ١٦٩ الرحلة ج٢ - ٤٢ ص ٢٠٤ وما يليها .
- (٣٤) الرحلة ص ٢١٤ - ٢١٥ و ٢٣١ - ٢٣٤
- (٣٥) م . ل - ص ٢٧٤ وما يليها ، انظر أيضا راشيل ج٢ ص ١٧١ وما يليها ، قراءات مختلفة .
- (٣٧) الرحلة ص ٣٣٩
- (٣٨) راشيل ج٢ ص ١٩٧ النص نفسه . انظر الرحلة ص ٤١٩
- (٣٩) م . ل ص ٢٨١ - ٢٨٢
- (٤٠) راشيل ج٢ ص ١٩٥ - ١٩٦ و د . ، يختلف
- (٤١) المصدر نفسه ص ١٩٥
- (٤٢) المصدر نفسه
- (٤٣) انظر ماسياتي في الفصل المقبل
- (٤٤) هذا صحيح الى حد معين حول كل روايات الهرقليات والدوجز لدى ماير واقواله ان ارنولد (التي يعني بها الدوجز) تصور صلاح الدين في ضوء عاتم ، وهنا شائع في التواريخ التي تبدو غير ماهرة في التفسير ، وهو بالتأكيد مما يتعذر الدفاع عنه ، انظر ماير المقدمة ص ٨٤

حواشي الفصل السادس

- (١) انظر الجدل العام في مدخله خاصة ص ٢٣ المصادر الفترة الاولى من الانهول
(٢) انظر اعلاه ص ٤١
(٣) رومانسية تريستان لتوماس تهاق ج بنيدر (باريس ١٩٠٥) ومن اجل الطريقة التي
تبناها انظر ج ٢ ص ١٨٨ ومايلها .
(٤) م . ل ص ٤٩٨ - ٤٩٩
(٥) م . ل ص ٢٩٢
(٦) من اجل وصف كتابه انظر ما تقدم ص ١٦
(٧) انظر اعلاه ص ١٣ - ١٥
(٨) اعني النصوص : ا . ب و س ج ، ود ، و غ ج
(٩) لعله مزج بين كلمة *murir* وكلمة *frir*
(١٠) انظر اعلاه الفصل ٥ ، لاسيما ص ٦٥
(١١) راشيل ج ٢ ص ٩٩ رقم ٤ غ متنوع ص ١٩٧ - ١٩٩ من متنوع . انظر ايضا م . ل ص
٢٩٣ - ٢٩٤
(١٢) راشيل ج ٢ ص ١٩٩
(١٤) راشيل ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢١ النص الرئيسي ، وس غ متنوع وص ٢٢٠ ، ومتنوع . م .
ل - ص ٣٠٦ - ٣٠٧
(١٥) ومثال مشابه بشكل غريب ورد في ١٣٦٦ حول موت ولي عرش اسبانيا : وأنا ممثلة

... Sus hijos fuessen traídos a la seguridad de nuestra Ciudad y
Alcazar donde murió el Infante Don Pedro. Dizen algunos que de una ventana
mui alta se cayó de los braços al ama que le tenía; la qual arrebatada del
dolor se arrojó tras él. Ciertó es que nuestra Ciudad celebró sus funerales con
aparato y sentimiento conveniente . . . ' Diego de Colmenares, *Historia de la
Insigne Ciudad de Segovia, y compendio de las Historias de Castilla* (Segovia,
1637), p. 283.

الدكتور ج . ب كروف من الكلية الملكية في هولوي - لندن بلغة انتباهي الى هذا النص .

- (١٦) رومانس تريستان لتوماس ج . بنيدر (باريس ١٩٠٥) ج ٢ ص ١٩٢
(١٧) راشيل ج ٢ ص ٦٢ ومايلها
(١٨) المصدر نفسه ص ١٢١ - ١٢٣
(١٩) المصدر نفسه ص ٧٥ نص رئيسي ص ٧٦ متنوع عن د
(٢٠) المصدر نفسه ص ٦٧ ، النص الاساسي ، ص ٦٩ د ، مختلف متنوع ويمكن لهذا السياق
في د ، ان يلقي ضوءا مفيدا على نص آخر ، وهو النيل اللاتيني للتاريخ الذي وجد في المتحف
البريطاني . المخطوطات الملكية ١٤ س ١٠ ، وفيه وصف غريب لبعض الوقائع وفيه جرى قتل
ارناط مرتين ، انظر م . سالوخ . النيل اللاتيني لتاريخ ولهم المصورى ، (ليهزغ ١٩٣٤) ص ١٢
من المقدمة وص ٧٩ - ٨٠ من النص ، ويبدو هنا مزج بين الفيلين الموصوفين في د - والوحيد من
كل التواريخ الاخرى ، ولدى النيل اللاتيني فكرة عن الهجومين ، ولكنهما في روايته يصبحان حدثين
منفصلين تماما . وهكذا ينتج بشكل غير معقول موتان ، ومن الممكن ايضا انه قد ، مزج بين
شخصية رينوي شاتلون (ارناط) وريثو صاحب صيدا ، ومهما يكن من امر هناك شيء ما خطأ
في النص لاننا نعرض ان رينو صاحب صيدا لم يقتل من قبل صلاح الدين لا أثناء حصار الشوبك او
في مكان آخر وعلى العكس نجهه مازال حيا في سنة ١١٩٢ ، حيث تسلم من صلاح الدين نصف
اراضي صيدا مع بلدة الصرند ، وذلك تعويضا عن المعاملة التي تلقاها أثناء حصار الشوبك . انظر

- ٤٠٤٩ -

راشيل ج ٢ من ١١٠ - ١١١ د ، متنوع و من النص الاساسي

(٢١) راشيل ج ٢ - ٤ متنوع من ٨٤ - ٨٥

(٢٢) المصدر نفسه من ٨٧ - ٨٨

(٢٣) المصدر نفسه من ١٠٠ - ١٠١

(٢٤) المصدر نفسه من ١٠٢ - ١٠٤

(٢٥) المصدر نفسه من ١٠٨ - ١٠٩

(٢٦) المصدر نفسه من ١٠٤ - ١٠٥

(٢٧) المصدر نفسه من ١١٠ - ١١١

(٢٨) المصدر نفسه من ١٠٨ - ١٠٩

: 'Cil des chastiaus [sc. Grac and Beauvoir] se furent tenus deus
apres la terre perdue.'

(٢٩) راشيل النص الاساسي من ١٨٧ - ١٨٨

(٣٠) المصدر نفسه من ١٣٧ - ١٣٨

(٣١) المصدر نفسه من ١١٧

(٣٢) المصدر نفسه من ١٣٨

(٣٣) المختصر و س و غ ج لاتحوي ٢٤ ، ١٦ / ٢٥ - ٥ في الجميع

(٣٤) راشيل ج ٢ من ١٢٤ ، د متنوع

(٣٥) راشيل ج ٢ - النص الاساسي من ١٢٨

(٣٦) في الفصل السابع اعلاه

(٣٧) هناك فقرتان مرتا في ٣٠ / ١٠ من اجلها هذا ايضا صحيحا اعني ٢٧ / ٦ - ١١ و ١٤ - ١٦

(٣٨) م . ل - من ٤٩٩

حواشي الفصل السابع

- (١) راشيل ج ٢ من ١٠١ النص الرئيسي حاشية ٣٠ دد متنوع
- (٢) المصدر نفسه من ١١٨ . النص نفسه ودد متنوع ، بأحرى المائلة .
- (٣) من أجل اصطلاح « بوليان » انظر الملحق الثاني .
- (٤) راشيل ج ٢ من ٢١٠ .
- (٥) راشيل ج ٢ ، دد متنوع من ٢٢٢ .
- (٦) المصدر نفسه من ٢١٧ .
- (٧) المصدر نفسه - من ٢٢٢ (٨) المصدر نفسه - من ٢٢١
- (٩) راشيل - ج ٢ - د متنوع من ٦٣ .
- (١٠) المصدر نفسه من ٢١٩
- (١١) المصدر نفسه من ٢٠٣ - ٢٠٥
- (١٢) المصدر نفسه من ٦٤ - ٦٥
- (١٣) راشيل ج ٢ النص الأصلي من ٧٥
- (١٤) المصدر نفسه من ٢٠٣ - ٢٠٥
- (١٥) راشيل ج ٢ - د - متنوع من ٧٦
- (١٦) المصدر نفسه من ٢٠٩ .
- (١٧) المصدر نفسه من ٢٠٢ - ٢٠٣
- (١٨) المصدر نفسه من ٢٠١ - ٢٠٢
- (١٩) المصدر نفسه من ١٩٣
- (٢٠) انظر اعلاه من ١٥
- (٢١) انظر اعلاه من ١٥
- (٢٢) راشيل ج ٢ - النص الاساس من ٢٢٢ ، وانظر ايضا دد متنوع من ٢١٢ .
- (٢٣) راشيل ج ٢ - د متنوع من ٢١١
- (٢٤) المصدر نفسه من ١٩٦ - ١٩٧ انظر ايضا ملاحظات صلاح الدين حول أخيه - المصدر نفسه من ٨٥ .
- (٢٥) المصدر نفسه من ٨٤ - ٨٥ ، انظر اعلاه من ٩١
- (٢٦) المصدر نفسه من ١٨٨
- (٢٧) المصدر نفسه من ١٩٨ .
- (٢٨) انظر اعلاه من ٩٣
- (٢٩) راشيل ج ٢ - ، متنوع من ١٢٢ .
- (٢٩) المصدر نفسه من ١٢٣
- (٣١) نشيد رولاند - تحقيق وايتهد (اكسفورد ١٩٥٧) ج ٢ - والمواطن نفسه خلال ذلك .
- (٣٢) راشيل ج ٢ - متنوع من ١٨٩ .
- (٣٣) انظر اعلاه ب ٨٠
- (٣٤) انظر انباء ، الفصل ٩ خاصة من ١٦٣ - ١٦٨ .
- (٣٥) راشيل ج ٢ ، د متنوع من ١٢٣ . انظر يوحنا - ١٦ ، ٢
- (٣٦) المصدر نفسه من ١٠٠ ، انظر الرثاء ١ ، ١
- (٣٧) المصدر نفسه من ٢٠٣ - ٢٠٥ انظر اعلاه من ١٠٠

- ٤٠٥١ -

- (٣٨) انظر اعلاه ص ٤٥
(٣٩) انظر اعلاه ص ١٠٥
(٤٠) المصدر نفسه ص ١٠٠
(٤١) راشيل ج ٢، د، متنوع ص ٦٦ .
(٤٢) المصدر نفسه ص ٢١١
(٤٣) المصدر نفسه ص ٢١٣ .
(٤٤) المصدر نفسه ص ١٦٥ - ١٦٧ .
(٤٥) المصدر نفسه ص ١٦٥ .
(٤٦) راشيل ج ٢ ص ٥٩ ، غ متنوع .
(٤٧) المصدر نفسه ص ١٠٠
(٤٨) انظر اعلاه ص ١٠٥
(٤٩) انظر اعلاه ص ١٠٩ - ١١٠ .
(٥٠) راشيل ج ٢ ص ٦٦ - ٦٧، د، متنوع انظر ايضا ص ٦٧ - النص الاساس وحاشية رقم ٢ .
(٥١) انظر ماتقدم ص ١٠٨ .
(٥٢) انظر اعلاه ص ٩١ - ١٠٣
(٥٣) راشيل ج ٢ ، د متنوع ص ١٩٤
(٥٤) المصدر نفسه ص ١٩٩ : « كان الرسول بناء على طلب من الملك هو بالين دي ابلين » .
(٥٥) المصدر نفسه ص ٦٩
(٥٦) المصدر نفسه ص ١١١ .
(٥٧) المصدر نفسه ص ٢٠٦
(٥٨) المصدر نفسه ص ٢٠٧
(٥٩) المصدر نفسه ص ٢٢٢ .
(٦٠) انظر اعلاه ، ص ٩٨ - ١٠٧
(٦١) هو غوبوتمال « رسم المنمنمات في المملكة اللاتينية في القدس (اكسفورد ١٩٥٧) ص ٨٧ ومايليها .
(٦٢) إن نصوص « أوز » في الواقع متماثلين في هذا القسم المبكر .

حواشي الفصل الثامن

- (١) م. ل. - ص ١١٦ . انظر ايضا راشيل ج ٢ ص ٦ ، وبداية تاريخ هرقل : ٢٣ ، ٤
(٢) بابكوك وكراي ، ص ٣٨ ومايلها
(٣) بابكوك وكراي ، ص ٣٨
(٤) المصدر نفسه ص ٤٠
(٥) معلومات نقلت شفاهيا
(٦) ف. اوست ، نيل تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصوري (هيل ١٨٩٩)
(٧) روبرت دي سانت ريمي ، تاريخ القدس الاعمدة ٦٦٧ - ٧٥٦ تاريخ القدس
(٨) س. ب. س. هويغز ، ولیم الصوري الطالب ،
(٩) تاريخ ولیم الصوري - ترجمتي العربية ص ١٣٥
(١٠) م. ل. - ص ٨٢ .
(١١) انظر ماتقدم .
(١٢) اشأ ر في مكان اخر إشارة عابرة إلى فيليبي على أنها مكان تأليف (كذا) الرسائل الانجيلية
إلى أهل فيليبي انظر م. ل. - ص ٩٥ ، وراشيل ج ٢ ص ٢٣ .
(١٣) جميع الاشارات التوراتية هي الى الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، والمزامير وأسفار
الملوك معدة طبقا لذلك .
(١٤) م. ل. - ب ٦٩ . يوسيفوس - العصور القديمة كتاب ٢ - فصل ١٦
(١٥) م. ل. - ص ٧٨ - ٧٩
(١٦) المصدر نفسه ص ٧١ هاشية ٩
(١٧) كل الاقتباسات من يوسيفوس هي من نص العصور القديمة والحرب اليهودية لفلافيرس ،
يوسيفوس ، ترجمة ولیم ويستون (لندن ١٩٦٣) .
(١٨) م. ل. - ص ٧٢ .
(١٩) سفر الملوك الرابع ٦ ، ٣٠ - ٣١ م. ل. - ص ١١٠ الحروف المائلة من عندي .
(٢٠) م. ل. - ص ٧٥ .
(٢١) موت أموري دي ناربون . تحقيق ج. كوري دي باري (باريس ١٨٨٤) ج ٥ ص
٣٣١ - ٣
(٢٢) م. ل. - ص ٧٦ - ٧٧ .
(٢٣) ايزودور الاشيلي دراسة الكلمات الكتاب ١٢ الفصل ٤ القسم ٢ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢
(٢٤) جاك دي فينر - ، الكتاب الشرقي (دواي ١٥٩٧) ص ١٨٦ - ١٨٨
(٢٥) فيليب دي تاؤون ، تحقيق وليبرغ (لندن ١٩٠٠) ١٦١٥ ومايلها
(٢٦) هـ ميشلان وغرينو ، رحلات وصف القدس بالفرنسية (جنيف ١٨٨٢) ص ٢٣ ومايلها
المقدمة ص ١٢ و ١٥ .
(٢٧) راشيل ج ١ ص ٩٤٢ . بابكوك وكراي ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٥ م. ل. - ص ١٨ .
(٢٨) م. ل. - ص ١١٤ .
(٢٩) راشيل ج ١ ص ٥٢٠ - ٥٢١ . بابكوك وكراي ج ١ ص ٥٢٤ - ٥٢٧ م. ل. - ص
٧ - ٩ .
(٣٠) هـ . ميشلان وغرينو ، رحلات القدس ، ص ١٥ .

- ٤٠٥٣ -

- (٣١) راشيل ج ٢ ص ٥٠ - ٥٢
(٣٢) م. ل. ص ٨٧
(٣٣) راشيل ج ٢ ص ٥٩ - ٦١ النص الاساس ص ٦٠ - ١ غ متنوع .
(٣٤) راشيل ج ٢ ص ٦١ .
(٣٥) المصدر نفسه ص ١٦ - ٢٥ انظر ايضا م. ل. - ص ٩٥ - ٩٦ و ١٢٨ - ١٢٩ .
(٣٦) انظر ماتقدم ص ١٠١ .
(٣٧) م. ل. ص ١٢٣ ، ١٢٦ - ١٢٧ . وانظر راشيل ج ٢ ص ١١ ، ١٥١٤ .
(٣٨) راشيل ج ط ص ١٤ - ١٥ .
(٣٩) انظر ماتقدم ص ١٢٨ - ١٢٩
(٤٠) انا شاكرة للسيدس . ر سندون من سانت ادموند هول في اكسفورد لاقتراحه امكانيه التوراة العكاوية .
(٤١) كتاب فيليب دي نافار - فصل ٤٩ راشيل - لوس ١ ص ٥٢٥
(٤٢) - م. ل. - ص ٥٠٠
(٤٣) تاريخ هرقل ٣٣٠ / ٣٠٣ راشيل ج ٢ ص ٣٩٩ .
(٤٣) تاريخ هرقل ٣٣٠ ، ٣٣٠ . راشيل ج ٢ ص ٣٩٩ .
(٤٤) انظر البحث حول النصوص الباقية .
(٤٥) م. ل. - ص ٤٩٥ . خلافا لشروط سداد الدين .
(٤٦) انظر ماتقدم
(٤٧) انظر رنسمان ، مجلد ٣ ملحق ٢ الحياة الفكرية في بلاد ما وراء البحار .
(٤٨) راشيل ج ٢ ص ٢٢٤ - ٣٠٤
(٤٩) المصدر نفسه ص ٢٢٨ - ٢٣١ - د س ، غ و د . متنوع
(٥٠) - المصدر نفسه من ص ٢٠٧ ومايليها
(٥١) انظر مخطط ص ٩٦
(٥٢) المصدر نفسه ص ٢٢٤ - ٢٢٧ ، النص الاصيل ومتنوع
(٥٣) المصدر نفسه ص ٢٣٤ - ٢٣٨ ، النص الاصيل ومتنوع
(٥٤) المصدر نفسه ص ٣٠٤ بداية تاريخ هرقل ٣٠٤ / ١١ .
(٥٥) انظر اعلاه ص ٢٣٨
(٥٥) انظر اعلاه ص ١٢٨ - ١٣٩
(٥٦) انظر اعلاه ص ٩٦
(٥٩) انظر اعلاه ص ٨٦ - ٨٨
(٦٠) ص ١٣٩ اعلاه . ٦١ - ٦٢ ١٤٠ - ص ١٤١ .
(٦٣) بشكل المقطع موضوع السؤال نهاية الفصل ٤٠ مع جميع الفصل ٤١
(٦٤) راشيل : ٢ ، ٣٠٤
(٦٥) - م. ل. - ص ٤٠٦
(٦٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ ، متنوع
(٦٧) انظر اعلاه ص ٢٠
(٦٨) راشيل ج ٢ ص ٣٧٨
(٦٩) انظر اعلاه ص ١٤٢ والمخطط ص ١٤٠

- ٤٠٥٤ -

(٧٠) راشيل ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٧١) ريس ج ٧ - عمود ٨٤٦

حواشي الفصل التاسع

- (١) رودلف برومر : ظهور النثر في الأدب الرومانسي اللغات النارجية (برلين ١٩٤٨) ج ١ ص ٢٦ .
- (٢) على سبيل المثال - التاريخ ٩ / ٩ . (راشيل ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٧٧) بأكوك وكراي ج ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٣ . انظر أيضا : كتاب جين دي ايلن - راشيل - لوس ج ١ ص ٢٢ ، وبيري بوفياس « الأولياد » مخطوط وورقة ٤ - ظ ومخطوط البودليان ٧٧ هاتون - ورقة ٣٩٣ .
- (٣) برنتولايني « كتب تيسو » تحقيق ب تشايللي (باريس ١٨٦٣) .
- (٤) ب . م . سكون « دراسة لنشوء النثر الفرنسي » (فرانكفورت ١٩٦٠) (انادلتا رومانسيا ٨)
- (٥) تاريخ وليم ترجمتي العربية ص ٢٩٧ . راشيل ج ١ ص ١٩١ .
- (٦) راشيل ج ١ ص ١٩١ .
- (٧) راشيل ج ٢ ص ١٧ . مخطوط أورقة ٣١٢ ومخطوط ب - ورقة ٢٤٨ ظ .
- (٨) مخطوط « د » ورقة ٢٩٠ و . مخطوط « غ ج » الشيء نفسه .
- (٩) وقراءة أخرى من قراءات كثيرة لم تلاحظ من قبل ستريت (انظر أعلاه ص ٣٤ وما بعدها) . ولكنها تدعم تفضيله « غ ج » على « ب » وهذه القراءة هي أيضا واحدة من كثير تدل على تفوق « د » على « أ » و « ب » في الأقسام المشتركة بينها .
- (١٠) م . ل - ص ١٩٠ - ٢١٠ .
- (١١) مخطوط ب ن . ف فر ٧٧٠ - ورقة ٣٣٠ و . وعمود ٣ . انظر أيضا م . ل - ص ٦٥ .
- (١٢) راشيل ج ٢ ص ٤٨٩ ومايليها وانظر أيضا ما تقدم ص ٢٠
- (١٣) راشيل ج ١ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ . التاريخ ٩ / ٢٢ . بأكول وكراي ج ١ ص ٤١٣ .
- (١٤) تاريخ جوسلين أوف يريكلوند تحقيق هـ . إبتلر (لندن ١٩٤٩) ص ٣٩ - ٤٠
- (١٥) انظر أعلاه ص ٢٤ - ٢٥ .
- (١٦) راشيل ج ٢ ص ١٦٢ .
- (١٧) المصدر نفسه ص ١٧٠ . م . ل - ص ٢٧٣
- (١٧) المصدر نفسه ص ١٧٠ . م . ل - ص ٢٧٣
- (١٨) راشيل ج ٢ ص ١٦٩ .
- (١٩) تاريخ هرقل : ٣٣ / ٥٩ - ٦٠ . راشيل ج ٢ ص ٨٨ - ٩٣ . انظر أيضا م . ل - ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .
- (٢٠) انظر أعلاه ص ١٦١
- (٢١) راشيل ج ٢ ص ١٨٨ - ١٩٠ . د . متنوع .
- (٢٢) For 'qu'il la teigne toute' (RHC ii, 188) read 'qu'il la doigne toute' (MS d, f. 330a) (٢٢)
Also in this passage, for 'perdue . . . il fu mort' (RHC ii, 190) read 'perduc. Car il fu mort' etc. (MS d, loc. cit.).
- (٢٣) راشيل ج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ . د . متنوع .
- (٢٤) انظر أعلاه ص ٤٤ - ٤٥ و ١١٤
- (٢٥) راشيل ج ٢ ص ١٩٠ . د . متنوع
- (٢٦) المصدر نفسه ص ١٨٨
- (٢٧) نشيد رولاند تحقيق وايتهد - الابيات ٣٧٦٢ - ٣٧٦٤ .
- (٢٨) ومثل صغير آخر ، العبارة التي استعملها رينو دي سيتي ويحتمل أنه الآن سنويا بين كل

- ٤٠٥٦ -

انواع (راشيل ج ٢ ص ١١١ - د.ه. متدوع) القورية في اللغة الفرنسية القديمة .
(٢٩) مخطوط د.ه. ورقة ٣١٦ و ، عمود ١ وانظر ايضا راشيل ج ٢ ص ١٢٦ د.ه. متدوع .

(٣٠) راشيل ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٤ د.ه. متدوع

(٣١) المصدر نفسه ص ٢٢٠ - ٢٢٢

(٣٢) المصدر نفسه ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

(٣٣) المصدر نفسه ص ٢٢٠

(٣٤) ب. م. سكون - المصدر نفسه ص ١٣٤ ومايليها .

(٣٥) م. ل. ص ٥٠٠

(٣٦) انظر لاتوموس ٢١ (١٩٦٢) ٨٢٢ - ٨٢٤

(٣٧) راشيل ج ١ ص ١٥ . بايكول وكراي ج ١ ص ٥٦

(٣٨) راشيل ج ١ ص ٣ ترجمتي إلى العربية ص ١٣٣ - ١٣٤

(٣٩) راشيل ج ١ ص ٤ ترجمتي ص ١٣٥

(٤٠) راشيل ج ١ ص ١١٣٢ ترجمتي ص ١٠٧٣ .

(٤١) التا.يخ ٢١ ٧ راشيل ج ١ ص ١٠١٥ ترجمتي ص ٩٧٩ .

(٤٢) م. ل. - ص ٨٥ .

(٤٣) توقيت و . غ. غولن

(٤٤) المتحف البريطاني رويال - ١٥ - إ - ١ .

(٤٥) راشيل ج ٢ ص ٤٣٦ ومايليها

(٤٦) جين سيد جوانفيل - تاريخ القديس لويس - تحقيق ناتالي دي ويللي (باريس ١٨٧٤)

حواشي الفصل العاشر

- (١) انظر المجلد
(٢) راشيل لوس ج ١ ص ٧ - ٣٤٠
(٣) برور - بدايات وأسس الاقطاع في المملكة اللاتينية في القدس :
TIJDS CHRIFT VOOR RECHTS GESCHIEDENIS XXII (1964)
(٤) انظر على سبيل المثال رذسمان ج ٢ ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .
(٥) هناك استثناء واحد هام لهذه القاعدة ، سوف يناقش كاملا في هذا الفصل ، انظر ما سياتي
من ص ١٨٥ - ١٨٦ .
(٦) م . و . بلدوين ، ريموند الثالث صاحب طرابلس وسقوط القدس (برنر ستون - ن ج ١٩٣٦)
ص ١٦٣ .
(٧) راشيل ج ٢ - ص ٢٤٣ ومايليها م . ل - ص ٣٣٦ ، فقرة ٢ ومايليها .
(٨) راشيل ج ٢ ص ٣٢٦ ومايليها ، النص الاساس ص ٣١٥ ومايليها ، مقتوع - م . ل ، ص
٣١٣ ومايليها .
(٩) انظر على سبيل المثال ج ٣ ص ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ .
(١٠) راشيل ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٩ . وانظر ماتقدم ص ٧٠ ومايليها .
(١١) راشيل ج ٢ ص ١٧٠ م . ل ص ٢٧٣ .
(١٢) انظر ماتقدم ص ٩٦ .
(١٣) اعني كامل نص «ا» كما هو في طبعة ماس لاثري .
(١٤) في م . ل ص ٤٥٨ ، ٤٦٧ ، كل على حده .
(١٥) مقدمة للترتيب التزامي لهوميروس - بحث في زمان ومكان هوميروس (لندن ١٨٧٩) ص ٩
والاقتباس من عمله الحامل لعنوان : « دراسات عن هوميروس والعصر الهوميروسي » (أكسفورد
١٨٥٨) ص ١٠ . انظر أيضا المناقشة في :
(لندن ١٨٦٩) ص ٧ - ٩ .
(١٦) انظر اعلام ص ١٥٦ - ١٥٧
(١٧) أنشطة الاستعمار في المملكة اللاتينية في القدس - في دورية اللغات والتاريخ ٢٩ (١٩٥١)
١٠٦٣ - ١١١٨
(١٨) راشيل ج ١ ص ٥٠٠ . ترجمتي العربية ص ٥٦٠ .
(٢٠) رذسمان ج ٢ ص ٤٧٧ .
(٢١) وكمثال على الاستعمال الصحيح للترجمة بهذه الطريقة ، انظر سميل ص ٧٦ - ٧٧ مع
الهاشيتين ٨ - ٩ .
(٢٢) انظر ماتقدم ص ١٢١
(٢٣) انظر ماتقدم ص ٢٤ - ٢٥
(٢٤) انظر ماتقدم ص ١٤ - ١٥

حواشي الملاحق

- (١) في اطروحة دكتوراه لم تنشر بعد
- (٢) انظر مقدمة ميسلانت وريزو .
- (٣) انظر بوخثال ، مضمّنات مرسومة ، ص ٨٧ ومايليها
- (٤) م . ل . ٢٢

اهم المصادر والمراجع

- Albert of Aix: *Historia Hierosolymitanae Expeditionis*. In *RHC* iv.
Ambroise: *L'Estoire de la guerre sainte*. Ed. Gaston Paris, Paris, 1897.
See also La Monte and Hubert.
Babcock (E.) and Krey (A. C.): *A History of Deeds Done Beyond the Sea*. Records of Civilisation, 35. New York, 1943.
Baldus (D.) ed: *Enchiridion Locorum Sanctorum*. 2nd ed. Jerusalem, 1955.
Beha-Eddin: *Vita et Res Gesta Sultani Almalichi Alnasiri Saladini*. Ed. A. Schultens. Lyons, 1732. See also Wilson (C.W.).
Beugnot (A.A.), ed.: *Assises de Jérusalem*. In *RHC Lois*, i and ii.
Bongars (J.): *Gesta Dei per Francos*. Hanover, 1611.
Brochardus: *L'Advis directif pour faire le saint voyage d'Oultremer, par le frère Brochard Lalemant*. *RHC Documents arméniens*, ii, contains the Latin text (*Directorium ad passagium faciendum*) with the French text below.
Butler (Cuthbert, O.S.B.), ed.: *Sancti Benedicti Regula Monachorum*. Friburg-im-Breisgau, 1912.
Caxton (W.): *Godeffroy of Boloyn, or the Siege and Conquest of Jerusalem*, by William Archbishop of Tyre, translated by William Caxton. London, 1481. See also Colvin (M.) and Sparling (H.H.).
Chroust (A.), ed.: *Historia de Expeditione Fridrici Imperatoris*. Monumenta Germaniae Historiae. Berlin, 1928.
Citry de la Guette (Samuel de Brot, Seigneur de): *Histoire de la conquête du royaume de Jérusalem sur les Chrestiens par Saladin*. Traduite d'un ancien manuscrit. Paris, 1679.
Colmenares (Diego de): *Historia de la Insigne Ciudad de Segovia, y compendio de las Historias de Castilla*. 1st ed., Segovia, 1637.
Colvin (M.), ed.: *William Caxton: Godeffroy of Boloyn*. Early English Text Society, London, 1893.
Conder (R.E.): *The City of Jerusalem*. London, 1888. Palestine Pilgrims' Text Society, 6. See also Michelant and Raynaud.
Corbie. 'The Ancient Statutes of the Abbey of St. Peter of Corbie'. A typewritten transcription, with no name of author or date, numbered 1107 b.4. in the catalogue of the Bodleian Library.
Curzon (H. de), ed.: *La Règle du Temple*. Paris, 1886.
Du Préau (G.): *L'Histoire de la Guerre Sainte*. Paris, 1573. An edition of the French translation of William of Tyre, with the continuation of Hérold.
Guizot (F.P.G.): *Collection des mémoires relatifs à l'histoire de France*. Paris, 1823-35.
Isidore of Seville: *Etymologiae*. In *PL* lxxxii.
Jacques de Vitry: *Epistola de Captione Damiatinae*. Published by Iacobus Gretserus, S.J., Ingolstadt, 1610.
— *Liber Orientalis, siue Hierosolymitanac*. Douai, 1597. Also in Vol. i of Bongars and Vol. xv of Guizot (qq.v.).
— *Lettres*. Ed. R.B.C. Huygens. Leyden, 1960.

- Jocelin of Brakelonde: *Chronica Jocelini de Brakelonda de rebus et gestis Samsonis Abbatis Monasterii Sancti Edmundi*. Ed. J.G. Rokewode, London 1840.
- Josephus: *The Antiquities and The Jewish War of Flavius Josephus*. Translated by William Whiston. London, 1963.
- La Monte (J.L.) with Hubert (M.J.): *The Crusade of Richard the Lion Heart*. Records of Civilization, 34. New York, 1941. A translation of Ambroise (q.v.).
- Lodeman (F.E.), ed.: *Le Pas Salhadin*. In *Modern Language Notes*, xii (Jan. 1897).
- Martène (E.) and Durand (U.): *Veterum Scriptorum et Monumentorum Historicorum, Dogmaticorum, Moralium, Amplissima Collectio*. Paris, 1724-33.
- Mas-Latrie (L. de), ed.: *La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier*. Paris, 1871.
- Matthew of Edessa: *Chronicon*. In *RHC Documents Arméniens*, i.
- Mayer (H.E.): *Das Itinerarium Peregrinorum*. Stuttgart, 1962. See also Richard of London.
- Michelant (H.) and Raynaud (G.), eds.: *Itinéraires à Jérusalem et descriptions de la Terre Sainte rédigés en français au XIe, XIIe et XIIIe siècles*. Publications de la Société de l'Orient Latin, série géographique, 3. Geneva, 1882.
- Migne (J.-P.): *Patrologiae Cursus Completus. Series Latina*. Paris, 1844-55.
- Morris (William), ed. and trans.: *L'Ordène de chevalerie*. Hammersmith, at the Kelmescott Press, 1893.
- Muratori (L.A.), ed.: *Rerum Italicarum Scriptores*. Milan, 1723-51.
- Oliver of Paderborn: *De Captione Damiatæ*. Ed. H. Hoogeweg, Tübingen, 1894. Also in Bongars, Vol. i (q.v.).
- Paris (P.), ed.: *Guillaume de Tyr et ses continuateurs*. Paris, 1879-80. The French translation of William of Tyre only; the continuations were never published.
- Philippe de Novare: *Mémoires 1218-1243*. Ed. Ch. Kohler, Paris, 1888.
- *Le Livre des plaits et des us et des costumes des assises d'outre-mer et de Jérusalem et de Chypre*. In *RHC Lois*, i under the title *Le Livre de Philippe de Navarre*.
- Pierre de Beauvais: 'Les Olimpiades'. Unpublished. MSS Saint-Omer 722, Berne 41 and 113, and Bodleian Hatton 77.
- Pipino (Francesco, O.P.): *Chronicon*. In *RIS* vii and ix.
- Ralph of Coggeshale: *Chronicon Anglicanum*, and the *De Expugnatione Terræ Sanctæ per Saladinum Libellus*, doubtfully attributed to Ralph. Ed. J. Stevenson, Rolls Series, 66. London, 1875.
- Raynaud (G.), ed.: *Les Gestes des Chiprois*. Publications de la Société de l'Orient Latin, série historique, 5. Geneva, 1887.
- Richard of Devizes: *Chronicon de Rebus Gestis Ricardi Primi, Regis Angliæ*. Ed. J. Stevenson, London 1838.
- Richard of London: *Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi; auctore ut videtur Ricardo, Canonico Sanctæ Trinitatis Londiniensis*. Ed. W. Stubbs, Rolls Series, 38, London, 1864. See also Mayer (H.E.)

- Robert de Clari: *La Conquête de Constantinople*. Ed. P. Lauer, Paris, 1924.
- Robert the Monk: *Historia Hierosolymitana*. In *RHC* iii.
- Salloch (M.): *Die lateinische Fortsetzung Willelms von Tyrus*. Leipzig, 1934.
- Sparling (H.H.): *William Caxton: The History of Godefrey of Boloyne and of the Conquest of Iherusalem*. Corrected by H. Halliday Sparling, printed by William Morris at the Kelmscott Press, Hammer-smith, Apr. 1893.
- Tobler (T.), ed.: *Descriptiones Terrae Sanctae ex saeculo VIII, IX, XII et XV*. Leipzig, 1874.
- *Topographie von Jerusalem*. Berlin, 1854.
- Tudeboeuf (Pierre) or Tudebodus: *Historia de Hierosolymitano Itinere*. In *RHC* iii.
- Villehardouin (Geoffroi de): *La Conquête de Constantinople*. Ed. E. Faral, Paris, 1938.
- Vincent de Beauvais: *Speculum Historiale*. Augsburg, 1474.
- *Speculum Majus*. Venice, 1494.
- Wailly (Natalis de), ed.: *Récits d'un menestrel de Reims*. Paris, 1876.
- William of Newburgh: *Historia Rerum Anglicarum*. Ed. H.C. Hamilton, London, 1866.
- William of Tyre: *Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum*. In *RHC* i. See also Babcock and Krey, Du Préau, and Paris.
- Wilson (C.W.): *Saladin; or. What befell Sultan Yūsuf-Salāh-ed-Dīn*. Palestine Pilgrims' Text Society, 13. London, 1897. A translation of Beha-Eddīn (q.v.).

Bibliographies

- Becker (G.): *Catalogi Bibliothecarum Antiqui*. Bonn, 1885.
- Carpentier (P.), ed.: *Glossarium Novum ad Scriptores Medii Aevi*. Paris, 1766. A supplement to Du Cange (q.v.).
- Du Cange (Charles du Fresne, sieur): *Glossarium ad Scriptores Mediae et Infimae Latinitatis*. Paris, 1678. A revised edition of this work, by Carpentier (q.v.) and others, Niort, 1883-7.
- Fabricius (J.A.): *Bibliotheca Latina mediae et infimae aetatis*. Hamburg, 1734-46.
- Grober (G.): *Grundriss der romanischen Philologie*. Strassburg, 1886-1901. 2nd ed., Berlin, 1933.
- James (M.R.): *A Descriptive Catalogue of Fifty Manuscripts in the Library of Henry Yates Thompson*. Cambridge, 1898.
- Lelong (J.): *Bibliothèque historique de la France*. Paris, 1719.
- Manitius (M.): *Geschichte der lateinischen Literatur des Mittelalters*. Munich, 1911.
- Mayer (H.E.): *Bibliographie zur Geschichte der Kreuzzüge*. Hannover, 1960.
- Meusel (J.G.): *Bibliotheca Historica*. Leipzig, 1782-1802.
- Michaud (J.F.): *Bibliographie des croisades*. Paris, 1822.
- Montfaucon (B. de): *Bibliotheca Bibliothecarum Manuscriptorum Nova*. Paris, 1739.

- Paris (P.): *Les Manuscrits français de la Bibliothèque du Roi*. Paris, 1836.
 Riant (P.): *Inventaire sommaire des manuscrits de l'Eracles*. In *Archives de l'Orient Latin*, i, 1881.
 Woledge (B.) and Clive (H.P.): *Répertoire des plus anciens textes en prose française*. Geneva, 1964.

Secondary Sources

- Alphandéry (P.): *La Chrétienté et l'idée de croisade*. Paris, 1954.
 Archer (T.A.): *The Crusade of Richard I*. London, 1888.
 Baldwin (M.W.): *Raymond III of Tripolis and the Fall of Jerusalem*. Princeton, N.J., 1936.
 Beaunier (Dom) and Besse (J.M.): *Abbayes et prieurés de l'ancienne France*. Archives de la France Monastique. Paris, 1905.
 Bourgeat (J.B.): *Études sur Vincent de Beauvais*. Paris 1856.
 Brummer (R.): *Die erzählende Prosadichtung in den romanischen Literaturen des dreizehnten Jahrhunderts*. Berlin, 1948.
 Buchthal (Hugo): *Miniature Painting in the Latin Kingdom of Jerusalem*. Oxford, 1957.
 Butler (Cuthbert, O.S.B.): *Benedictine Monachism*. London, 1924.
 Cartellieri (A.): *Philipp II August, König von Frankreich*. Leipzig, 1899.
 Chevalier (U.): *Répertoire des sources historiques du Moyen Âge*. 2nd ed., Paris, 1905-7.
 Cottineau (L.H.): *Répertoire topobibliographique des abbayes et prieurés*. Mâcon, 1935.
 Cousin (Patrice, O.S.B.): *Précis d'histoire monastique*. Paris-Tournai, 1959.
 Curtius (E.R.): *Europäische Literatur und lateinisches Mittelalter*. Berne, 1948.
 Daniel (N.): *Islam and the West*. Edinburgh, 1960.
 Daoust (J.) and Gaillard (L.), eds: *Corbie Abbaye Royale. Volume du XIIIe Centenaire*. Lille, 1963.
 Delatte (Paul, O.S.B.): *The Rule of St. Benedict: a Commentary by Dom Paul Delatte*. Translated by Dom Justin McCann. London, 1921.
 Donovan (J.P.): *Pelagius and the Fifth Crusade*. Philadelphia, Pa., 1950.
 Du Cange (Charles du Fresne, sieur): *Les Familles d'Outremer*. Published by E.G. Rey. Paris, 1869.
 Erdmann (C.): *Die Entstehung des Kreuzzugsgedankens*. Stuttgart, 1935.
 Fuller (Thomas): *The Historie of the Holy Warre*. Cambridge, 1639.
 Grousset (René): *L'Empire du Levant: histoire de la question d'Orient*. Paris, 1946.
 — *Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem*. Paris, 1934-6.
 Guérin (V.): *Description de la Palestine*. Paris, 1869.
 Hackett (J.W.): 'Saladin's Campaign of 1188'. Oxford B.Litt. thesis, 1937.
 Huygens (R.B.C.): *Latijn in Outremer*. Leiden, 1964.
 Jenkins (C.): *The Monastic Chronicler and the Early School of St. Albans*. London, 1922.

- Kestner (E.): *Der Kreuzzug Friedrichs II.* Göttingen, 1873.
- Kohler (Charles): *Mélanges pour servir à l'histoire de l'Orient latin et des croisades.* Paris, 1900.
- Laking (G.F.): *A Record of European Armour and Arms through Seven Centuries.* London, 1920.
- Lanc Poole (S.): *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem.* Heroes of the Nations, 24, London, 1898.
- Longnon (J.): *Les Français d'Outremer au Moyen Âge* Paris, 1929.
— *L'Empire latin de Constantinople et la principauté de Morée.* Paris, 1949.
- Luchaire (A.): *La Société française au temps de Philippe-Auguste.* Paris, 1909.
- Maimbourg (L.): *Histoire des croisades.* In *Les Histoires du sieur Maimbourg.* Paris, 1686.
- Maître (L.): *Les Écoles épiscopales et monastiques en occident avant les universités.* Archives de la France Monastique, 26. Ligugé, 1924.
- Mas-Latrie (L. de): *Histoire de l'île de Chypre.* Paris, 1852-61.
- Mercuri (P.) and Bonnard (C.): *Costumes historiques du XIIIe XIVe et XVe siècles.* 2nd ed., Paris, 1860-1.
- Michaud (J.F.): *Histoire des croisades.* Paris, 1841.
- Montalembert (C.F.R.): *Les Moines d'Occident depuis S. Benoît jusqu'à S. Bernard.* Paris, 1860-77.
- Ost (F.): *Die altfranzösische Übersetzung der Geschichte der Kreuzzüge Wilhelms von Tyrus.* Halle, 1899.
- Pihan (A.P.): *Glossaire des mots français tirés de l'arabe, du persan et du turc.* Paris, 1847.
- Prawer (J.): *Histoire du royaume latin de Jérusalem.* French translation by G. Nahon, Paris, 1969.
- Prutz (H.): *Kulturgeschichte der Kreuzzüge.* Berlin, 1883.
— *Quellenbeiträge zur Geschichte der Kreuzzüge.* Danzig, 1876.
- Richard (J.): *La Royaume latin de Jérusalem.* Paris, 1953.
- Riley-Smith (J.S.C.): *The Knights of St. John in Jerusalem and Cyprus.* London, 1967.
- Röhrich (R.): *Die Kreuzfahrt Kaiser Friedrich des Zweiten.* Berlin, 1872.
— *Quellenbeiträge zur Geschichte der Kreuzzüge.* Berlin, 1875.
— *Zusätze und Verbesserungen zu Du Cange: Les Familles d'Outremer.* Berlin, 1886.
— *Studien zur Geschichte des fünften Kreuzzuges.* Innsbruck, 1891.
— (ed.): *Regesta regni Hierosolymitani.* Innsbruck, 1893.
— *Geschichte des Königreichs Jerusalem 1100-1291.* Innsbruck, 1898.
- Runciman (Sir Steven): *A History of the Crusades.* Cambridge, 1952-3.
— *The Families of Outremer. The Feudal Nobility of the Crusader Kingdom of Jerusalem 1099-1291.* Creighton Lecture, London 1960.
- Schon (P.M.): *Studien zum Stil der frühen französischen Prosa.* Frankfurt, 1960.
- Setton (K.M.), ed.: *A History of the Crusades.* Vol. i: *The First Hundred Years*, ed. M.W. Baldwin. Pennsylvania, Pa., 1955. Vol. ii: *The Later Crusades*, ed. R.L. Wolff and H.W. Hazard. Pennsylvania, Pa., 1962.

- Smail (R.C.): *Crusading Warfare, 1097-1193*. Cambridge, 1956.
 Smalley (B.): *The Study of the Bible in the Middle Ages*. 2nd ed., Oxford, 1952.
 Southern (R.W.): *Western Views of Islam in the Middle Ages*. Cambridge, Mass., 1962.
 Streit (L.): *De rerum transmarinarum qui Guilelmum Tyrium excepisse fertur Gallico auctore specimen*. Greifswald, 1861.
 Vasiliev (A.A.): *History of the Byzantine Empire, 324-1453*. 2nd English ed., Oxford 1952.

Articles

- Archer (T.A.): 'On the Accession Dates of the Early Kings of Jerusalem', *English Historical Review*, iv (1889).
 Cahen (C.): 'Indigènes et Croisés; quelques mots à propos d'un médecin d'Amaury et de Saladin', *Syria*, xv (1934).
 Delisle (L.): 'Recherches sur l'ancienne bibliothèque de Corbie', *Bibliothèque de l'École des Chartes*, 5th Ser. i (1860).
 Duval (A.): 'Auteur anonyme de l'Ordène de chevalerie', *HLF* xviii (1835).
 Edwards (J.C.): 'The *Itinerarium Regis Ricardi* and the *Estoire de la guerre sainte*'. In *Historical Essays in Honour of James Tait*. Manchester, 1933.
 Giry (A.): 'Les Châtelains de Saint-Omer 1042-1386', *Bibliothèque de l'École des Chartes*, xxxv (1874).
 Hellweg (M.): 'Die ritterliche Welt in der Geschichtschreibung des vierten Kreuzzugs', *Romanische Forschungen* lii (1938).
 Huygens (R.B.C.): 'La Tradition manuscrite de Guillaume de Tyr', *Studi Medievali*, 3e série, v, 1 (June 1964).
 — 'Guillaume de Tyr étudiant. Un chapitre (XIX, 12) de son "Histoire" retrouvé', *Latomus*, xxi (1962).
 Jones (L.W.): 'The Scriptorium at Corbie', *Speculum*, xxii (1947).
 Kohler (E.): 'Zur Entstehung der altfranzösischen Prosaromans', *Wissenschaftliche Zeitschrift der Friedrich-Schiller-Universität Jena*, v (1955-6).
 Krey (A.C.): 'William of Tyre: the Making of a Historian in the Middle Ages'. *Speculum*, xvi (1941).
 La Monte (J.L.) and Downs (N.): 'The Lords of Bethsan in the Kingdoms of Jerusalem and Cyprus', *Medievalia et Humanistica*, vi (1950).
 La Monte (J.L.): 'John d'Ibelin, the Old Lord of Beirut, 1177-1236', *Byzantion*, xii (1937).
 — 'The Lords of Caesarea in the Period of the Crusades', *Speculum*, xxii (1947).
 Lesne (E.): 'L'Économie domestique d'un monastère au IXe siècle d'après les statuts d'Adalhard, abbé de Corbie'. In *Mélanges Offerts à F. Lot*. Paris, 1925.
 Levillain (L.): 'Les Statuts d'Adalhard', *Le Moyen Âge*, 2e Sér. iv (1900).
 Manzoni (L.): 'Frate Francesco Pipino da Bologna dei pp. Predicatori, geografo, storico e viaggiatore', *Atti e Memorie della R. Deputazione di Storia Patria per le Province di Romagna. Terza serie*, xiii (Bologna, 1896).

- Mayer (H.E.): 'Zum Tode Wilhelms von Tyrus', *Archiv für Diplomatik*, v-vi (1959-60).
- Mayer (P.): 'Notice et extraits du MS 8336 de la Bibliothèque de Sir Thomas Phillips à Cheltenham', *Romania*, xiii (1884). See especially p. 530 on the *Ordene de Chevalerie*.
- 'Les MSS français de Cambridge', *Romania*, viii (1879) and xv (1886). See especially description of MS GG 6.28 of the University Library.
- Munro (D.C.): 'The Western Attitude towards Islam during the Crusades', *Speculum* vi (1931).
- Ohly (F.): 'Vom geistigen Sinn des Wortes im Mittelalter', *Zeitschrift für deutsches Altertum*, lxxxix (1958).
- Ortroy (F. van): 'S. François d'Assise et son voyage en Orient', *Analecta Bollandiana*, xxxi (1912).
- Paris (G.): 'La Légende de Saladin', *Journal des Savants* May to August inclusive, 1893. Ostensibly a review of Fioravanti: *Il Saladino nelle legende del medioevo*. Reggio-Calabria, 1891.
- Paris (P.): Untitled article on *Histoire d'Outremer* in a collection under the general heading of 'Chroniques'. In *HLF* xxi (1847), 679-85.
- Pastouret (E.C.J.P.): 'Guillaume de Tyr. Sa Vie', *HLF* xiv (1817).
- Petit-Radel (L.C.F.): 'Bernard, dit le Trésorier, traducteur et continuateur de Guillaume de Tyr', *HLF* xviii (1855).
- Prawer (J.): 'Assise de Teneur et Assise de Vente: a Study of Landed Property in the Latin Kingdom', *Economic History Review*, 2nd Ser. iv (1951-2).
- 'The Settlements of the Latins in Jerusalem', *Speculum*, xxvii (1952).
- 'Colonization Activities in the Latin Kingdom of Jerusalem', *Revue Belge de Philologie et Histoire*, xxix. 2 (1951).
- 'La Noblesse et le régime féodal du royaume latin de Jérusalem', *Le Moyen Âge*, 4e série, xiv (1959).
- 'La Bataille de Hattin', *Israel Exploration Journal*, xiv (1964).
- 'Les Premiers Temps de la féodalité dans le royaume latin de Jérusalem—une réconsidération', *Tijdschrift voor Rechtsgeschiedenis*, xxii (1954).
- Prutz (H.): 'Studien über Wilhelm von Tyrus', *Neues Archiv der Gesellschaft für ältere deutsche Geschichtskunde*, viii (1883).
- Richard (J.): 'An Account of the Battle of Hattin referring to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem States', *Speculum*, xxvii (1952).
- Small (R.C.): 'Crusaders' Castles of the Twelfth Century', *Cambridge Historical Journal*, x (1951).
- Wolledge (B.): 'La Légende de Troie et les débuts de la prose française.' In *Mélanges Offerts à Mario Roques*. Paris, 1950.
- Wolff (R.L.): 'Baldwin of Flanders and Hainault', *Speculum*, xxvii (1952).

المحتوى

- ٣ - توطئة
- ٥ - تنويه
- ٦ - الروايع
- ١٠ - مدخل
- ١٩ - الفصل الاول - النصوص الباقية حتى الآن
- ٣٤ - الفصل الثاني - حالة الدراسات
- ٥٥ - الفصل الثالث - المؤلفون المفترضون اردول وبرنارد
- ٦٦ - الفصل الرابع - عمل برنارد الخازن
- ٧٦ - الفصل الخامس - عمل اردول
- ٩٨ - الفصل السادس - عمل اردول - بينة النبول
- ١٧٢ - الفصل السابع - تاريخ اردول الاصل
- ١٤٥ - الفصل الثامن - مصادر الموجز وبنيتة
- ١٨٣ - الفصل التاسع - مكانة النبول في الاسب الفريسي القديم
- ٢١٦ - الفصل العاشر - النصوص كبيبات تاريخية
- ٢٣٣ - الملحق رقم ١ - مخطوطات القديس اومر
- ٢٣٩ - الملحق رقم ٢ - البوليانز
- ٢٤١ - نيل تاريخ وليم الصوري
- ٢٤٦ - تقديم
- ٢٥٣ - المخطوطات التي استخدمناها
- ٢٥٦ - الذيل اعتمادا على مخطوطة مكتبة ليون
- ٣٧٥ - نص مخطوطة فورنسا
- ٣٧٥ - وصف وصول ملك فرنسا الى عكا
- ٣٨٠ - سفر ملكة صقلية الى سدورية
- ٣٨٣ - مرور سفن الحجاج بقبرص
- ٣٨٦ - احتلال رتشارد ملك انكلترا قبرص
- ٣٨٩ - سفر رتشارد الى عكا
- ٣٩٤ - كيف حارب ملك فرنسا مع ملك انكلترا عكا
- ٣٩٦ - تسليم عكا
- ٣٩٧ - اعانة ترتيب الاوضاع
- ٣٩٩ - كيف لم ينفذ صلاح الدين الاتفاق
- ٤٠٢ - اصابة ملك فرنسا بالمرض
- ٤٠٥ - عودة ملك فرنسا
- ٤٠٧ - محاولة ملك انكلترا احتلال القدس
- ٤١٢ - استيلاء النابوية على قبرص
- ٤١٥ - كيف اصبح غي لوزنغان سينا لقبرص
- ٤٢١ - اغتيال المراكيز
- ٤٢٢ - زواج هنري دي شامبين من ارملة المراكيز

- ٤٠٦٩ -

- ٤٣٤ - استيلاء رتشارد على قافلة اسلامية ثرية
- ٤٣٩ - محاولات عقد الهدنة
- ٤٤٣ - عقد الهدنة
- ٤٤٦ - اعتقال رتشارد بالنمسا
- ٤٤٩ - اطلاق سراح رتشارد
- ٤٥٣ - موت الملك غي
- ٤٥٦ - ما فعله هنري برهبان القبر المقدس
- ٤٦٤ - لاون سيد ارمينية يعتقل امير انطاكية
- ٤٧٠ - كومونة انطاكية
- ٤٧٣ - اطلاق سراح الامير من سجن لاون
- ٤٧٨ - مرور الكونت هنري بلبيرس
- ٤٧٩ - وفاة صلاح الدين
- ٤٨٤ - الامبراطور هنري يحشد جيشا لارساله الى سورية
- ٤٩٤ - ثابئة حول الموضوع
- ٤٩٨ - وصول الالمان الى عكا
- ٥٠٤ - موت الكونت هنري
- ٥١٦ - زواج الملك ايمري من ارملة هنري
- ٥١٩ - الهوامش والخواشي
- ٥٤٠ - اهم المصادر والمراجع